القاهرة

شوارع وحكايات

تأليف

حمدى أبوجليل

www.books4all.net

منتديات سور الأزبكية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

أبو جليل، حمدى.
القاهرة شوارع وحكايات/ تأليف حمدى أبو جليل.
ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
٥٢٨ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٥ ١٦٩ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القاهرة ـ تاريخ .
(أ) ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٢٢٩/ ٢٠٠٧
I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 169 - 5
ديوى ٩٦٢,١٦

تصميم الغلاف: **أحمد الجناينى**
الإخراج الفنى : **عصام المرسى**

القاهرة

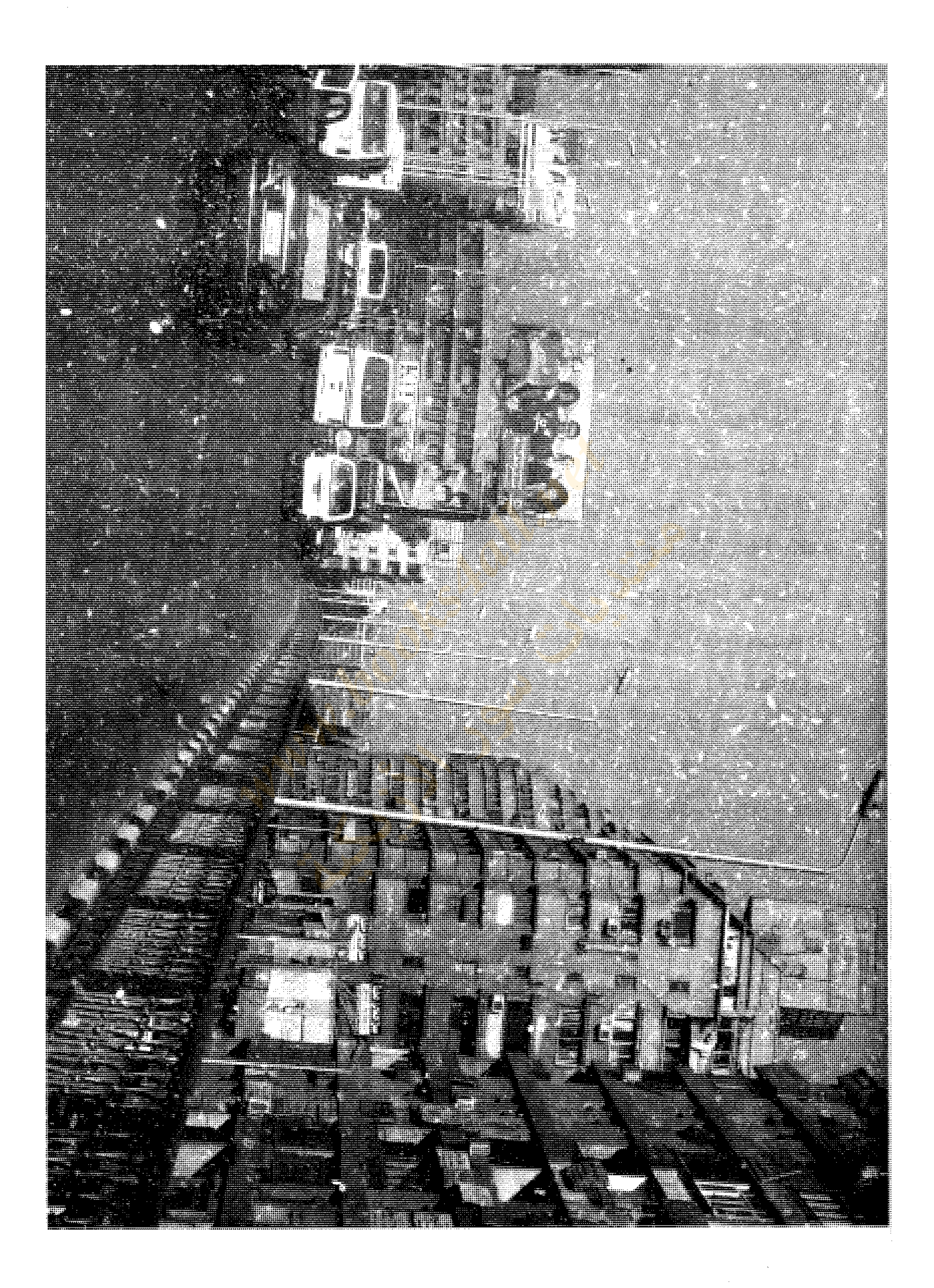
شوارع وحكايات

تأليف
حمدى أبو جليل

www.book4all.net
منتديات سور الأزبكية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٨





فصول الكتاب

١ ـ القاهرة الفاطمية:

خان الخليلى ـ الخرنفش ـ بورسعيد ـ الأزهر ـ الدرب الأحمر ـ أبواب القاهرة ـ شارع أمير الجيوش ـ حارات القاهرة الفاطمية ـ أحمد بن طولون ـ صلاح الدين الأيوبى.

٢ ـ القاهرة الخديوية:

الجمهورية (إبراهيم باشا) ـ عائشة التيمورية ـ الشيخ ريحان ـ رمسيس ـ عبدالعزيز ـ عدلى ـ عز العرب (المبتديان) ـ نوبار ـ التحرير ـ الرويعى ـ العشماوى ـ عبدالخالق ثروت ـ منصور ـ الجيش ـ رشدى ـ قصر النيل ـ عبدالسلام عارف ـ كلوت بك ـ عابدين ـ صبرى أبو علم ـ محمد محمود ـ باب اللوق ـ شريف ـ قصر العينى ـ هدى شعراوى ـ سليمان الحلبى ـ الفجالة ـ نجيب الريحانى ـ شامبليون ـ أمين سامى ـ أحمد عرابى ـ جواد حسنى ـ زكريا أحمد ـ عماد الدين ـ الجلاء ـ العباسية ـ طلعت حرب.

٣ ـ مصر القديمة :

السد البرانى ـ الصليبة ـ مارجرجس ـ مجرى العيون ـ صلاح سالم ـ حسن الأنور.

٤ ـ جزر وامتدادات:

المنيل ـ الهلباوى ـ شبرا ـ جامعة القاهرة ـ سليم الأول ـ ابن سندر ـ مراد وشارل ديجول ـ جمال الدين الأفغانى ـ الهرم ـ خاتم المرسلين ـ مصدق ـ الزمالك ـ السودان ـ جسر السويس ـ جامعة الدول العربية.

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



مدخل

ما اصعب ان تقدم كتابا صنعته الصدفة·· كنت كأى صحراوى خائفا ومكروبا لا يشغلنى فى القاهرة سوى مكانين: المكان الذى اقيم فيه والمكان الذى اضطر للرحيل اليه؛ والشوارع أو المسافات الفاصلة بينهما كانت كما السفر قطعة من جهنم·· معطل او مؤجل مملّ لمتعة الاسترخاء فى المكان المنشود .. كيف تستريح لدروب لا تختلف كثيرا عن دروب الصحارى، نفس الجهامة والقسوة والترقب، ونفس التهديد بشراك الطبيعة والبشر المختبئة فى كل جانب.

وطالما فكرت فى طريقة جهنمية تسمح للواحد بالقفز مرة واحدة من مكان الى اخر، طائرة فردية او بساط ريح او حتى مخدر يسمح للواحد بالوصول الى الاماكن دون مرمطة الشوارع.

وفجأة وجدت نفسى مضطرا ليس فقط للتجول فى الشوارع على مهل، ولكن لتسجيل ابرز ملامح سكانها و منشآتها والبحث فى مراحلها التاريخية.. قلت"فجأة" لأننى أتهيأ لتعريف نفسى.انا اعمل بالصحافة ليس كمحترف ولكن كمواطن عادى من "الأحسن" له ان ينجز عملا اضافيا . ولاننى للاسف لست من اولئك الموهوبين النشطين القادرين على اقتناص الاخبار والموضوعات وصنعها . لم يكن امام المشفقين على تواضع ملكاتى الصحفية سوى دفعى للموضوعات الميتة . فى عرف الصحافة . موضوعات تناسب كسلى وافتقارى لحاسة اكتشاف الاحداث والاستجابة لها فما بالك بصنعها ؟ ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب، طلب منى . كحل اخير لاستمرارى فى مزاولة المهنة . ان اكتب سلسلة موضوعات عن شوارع القاهرة.

في البداية اعجبنى موضوع التجول فى الشوارع بغرض ابداء رأيى فيها. ان تجد نفسك مطالبا بتسجيل ملاحظات عن الزمان والمكان شيء يدعو للفخر حقا، شيء يمنحك متعة التحديق فى البيوت والمحلات والبشر، الناس فى الغالب لا يرون، هم يعيشون، الرؤية تستلزم ان تعتبرها غاية، الا تفعل شيئا سوى التحديق، سحبت دفترا صغيرا ورحت ادون معالم الشوارع بعناية فائقة، ولأول مرة أتمشى بالشوارع باعتبارها غاية وليست مجرد ممرات مرهقة للوصول للأماكن. لا اخفى اننى ارتبكت وارتعبت لبعض الوقت. يمكنك تخيل ما أصابنى من أناس تعودوا الا يقترب من منشأتهم الا لص او متسول او تائه او صاحب نفوذ. البعض نهرنى بما يناسب شحات، والبعض شملنى برعاية تليق بمحصل ضرائب، ورجال الشرطة داهمونى باتهامات تناسب خائنًا او على الاقل جاسوسًا. والاهم اننى مع امتداد اول شارع اكتشفت انى جاهل. الشوارع التى زرعتها مئات المرات بل الآف المرات انتبهت على انى لا اعرف منها سوى ظلال مساحات البيوت والمنشات التى دفعتنى ظروف الحياة لزيارتها.

الفكرة، الفكرة الصحفية اقترحها سيد عزالدين مدير مكتب جريدة الاتحاد بالقاهرة (وهو بالمناسبة ورغم بعض المنغصات صاحب فضل فى استمرارى فى مهنة الصحافة حتى الآن) وقامت على محاولة رصد وتأمل الشارع وتتبع حاله عبر المراحل التاريخية المختلفة، بمعنى محاولة الالمام بحاضر الشارع وماضيه مع تعريف بسيرة صاحبة والادق اصحابه، ولكن الملامح الحالية او الواقعية للشارع ظلت هى الاساس حتى وصلت الى شارع شريف بالقاهرة الخديوية او الاوروبية، فهناك وقفت لمام اعجوبة ضاعفت من أهمية التنقيب فى تواريخ الشوارع إلى جانب نقل ملامحها الحالية، ففى هذا الشارع الذى كان يسبح فى مخلفات وروائح مدابغ القاهرة حتى فترة قريبة، هناك قصر مبنى على طراز العمارة الاسلامية المطعمة بلمسات من عمارة عصر النهضة الاوروبى، وواجهته على شارع شريف تتنازعها ثلاث لافتات ضخمة، كل واحدة منها تنسبه بينط بارز إلى مرحلة تاريخية مختلفة : الأولى : تعلن أن القصر أثر تاريخى بنى بالقاهرة منذ أكثر من مائة عام ويتبع مباشرة هيئة الآثار المصرية. والثانية إلى جانبها تصرخ

بأنه احد مقرات بنك الاسكندرية. أما الثالثة ـ وهى الأكثر واقعية حيث هناك من يحرسها ويدافع عنها- فتعلن بهدوء وثقة القابض على الحقيقة انه أى القصر "بازار" او محل تجارى تملكه وتديره الآن سيدة اشترته بحر مالها من تاجر يهودى من اولائك الذين فروا من مصر ايام الفترة الناصرية.

ومن ناحية اخرى فان جدران القصر وعمارته بشكل عام تحمل اثارا تؤكد تفرق دمه بين المراحل التاريخية المختلفة، مرحلة بنائه كأبرز قصور الاجانب فى القاهرة الخديوية تبقى منها واجهته، ومرحلة تحويله لمحل تجارى على يدى التاجر اليهودى فى بدايات القرن العشرين تتجلى فى ذلك النفق الذى شق فى مدخله او ردهته، ومرحلة تأميمه واخضاعة لوطأة الاستخدام الحكومى بعد ثورة ١٩٥٢ تحفظها تلك الخطوط العشوائية التى شوهت واجهته. وأخيرا مرحلة التنازع عليه تجسدها لافتة المحل التجارى ومحتوياته وسيدة فى الخمسين تؤكد ملكيته و تشكو سطو الحكومة عليه لكل عابر سبيل.

بفضل تعاقب وربما تصارع هذه المراحل على القصر رحت أغير الخطة، وأبحث ـ قدر المستطاع ـ عن فصول قصة أى شارع منذ بدايتها حتى اللحظة الراهنة، وبمرور الوقت اكتشفت بديهة ان الشوارع (كمبانى وسكان ومناطق وأساليب حياة) هى المجهر الانسب لقراءة مدى تغير الامم وتطورها واحيانا انقلابها وتفككها، ففيها تنشأ القصور وتباع وتؤمم ثم تنهار وتهدم، وفيها تسير المواكب الظافرة والمذعورة، وفيها تنصب التماثيل وتقلع على خلفية من حكايات الطغاة والصالحين، وفيها شاب يتطلع لمستقبله وكهل يحدق فى السماء فى انتظار نهاية مناسبة.

شارع بور سعيد أحبطنى.. كان الأول واحبطنى،خليط منفر من مدارس معمارية متباينة. يجمع بين اسلامية واجهة السيدة زينب وانجليزية خلفية دار الهلال وينتهى كما اعلم بمطلع غمرة، وهو اطول شوارع القاهرتين القديمة والحديثة، كما أنه ـ وهذا ما يلفت النظر اليه ـ الحد الفاصل بين مدينتين وثقافتين شوارعهما شكلت المادة الاساسية لهذا الكتاب، فرغم انه محبط الى حد ما بالنسبة لراغبى التجول فى شوارع القاهرة، حيث انه مجرد شريان

مرورى مزدحم ومحاط بخليط عشوائى من مختلف انواع وأشكال المدارس المعمارية . الا انه يجمع على ضفتيه مركزى القاهرة الحالية، فعلى ضفته اليمنى- لو اجتزته من ناحية السيدة زينب-تقع القاهرة الفاطمية التى اسسها القائد جوهر الصقلى ووسعها امير الجيوش بدر الجمالى، وعلى ضفته اليسرى خطط الخديو اسماعيل شوارع وقصور القاهرة الاوروبية، كما ان الفسطاط او مصر القديمة او اصل العمارة العربية الاسلامية فى مصر وافريقيا، تمتد على أطرافه الجنوبية، مما أهله لمكانة قصبة القاهرة بشقيها القديم والحديث. هذا على مستوى الموقع او الجغرافيا، اما على مستوى التاريخ فان مرور الخليج المصرى منه كشريان ملاحى حفره الرومان وقيل الفراعنة، واعاد حفره عمرو بن العاص، وظل يتدفق على ارضه حتى ردم فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر- وفر لشارع بور سعيد تاريخا طويلا جعل سيرته تتواتر فى قصص العديد من شوارع القاهرة.

شارع بور سعيد كان يعرف باسم الخليج المصرى، واطلق علية اسم المدينة الساحلية بعد العدوان الثلاثى على مصر، ليؤكد على ملمح مفاده ان تغيير اسماء الشوارع يعود فى الغالب لأسباب سياسية، كما ان الشوارع المرشحة دائما للاطاحة بأسمائها هى المتاخمة او القريبة من مراكز الحكم والسلطة، فاما اتخاذ الاطاحة بأصحابها القدامى وسيلة لتغيير او حتى تدمير كل ما يخص العهود السابقة كما فعلت ثورة يوليو ٥٢ فى شوارع مثل ابراهيم باشا وفاروق وفؤاد والملكة حيث اطلقت عليها اسماء تخص توجهاتها مثل الجمهورية والجيش و٢٦ يوليو ورمسيس.

واما اتخاذ اسماء الشوارع وسيلة للتقرب من قوى أجنبية مثل شارع عبد العزيز الذى لاطف باسمه الخديو اسماعيل السلطان العثمانى لدى تشريفه الديار المصرية، وشارع امريكا اللاتينية وميدان سيمون بوليفار اللذين تقرب بهما رجال ثورة يوليو من حكومات دول امريكا اللاتينية. وهنا يمكن ملاحظة ان الشوارع الممنوحة لقوى سياسية خارجية عادة ما تكون عرضة للتغيير لو تكدرت علاقة الحكومة المصرية بأصحابها، مثلما حدث مع الشارع الذى اطيح باسم



www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الملك عبد العزيز من على عرشه بعدما ساءت العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والنظام السعودى ايام حرب اليمن، ثم نصب عليه مرة اخرى بعدما عادت المياه الى مجاريها بين الدولتين.

ومن ناحية اخرى فان الشوارع الشعبية البعيدة عن مركز الحكم والجاه والمال والفخامة المعمارية تبدو اكثر استقرارا وهدوءا وتصالحا مع اسمائها الأولى وهى غالبا ما تتحصر فى اسماء الحرف والاسواق والمشايخ والاشخاص العاديين مثل التجار واحيانا اسماء الحيوانات مثل شوارع ساحة الحمير وظهر الجمال وضلع السمكة والمناخ وغيرها. والغريب ان من يغيرون اسماء الشوارع لأسباب سياسية عادة ما يتركون أسماء الشوارع الشعبية على حالتها الاولى، رغم انه لو اعتبرنا اسماء الشوارع وسيلة لتخليد الشخصيات والاحداث والمواقع السياسية على المستوى الشعبى. فإن الشوارع الشعبية البعيدة عن مراكز الحكم هى الجديرة بذلك، ففيها الجماهير العريضة الكفيلة بتخليد أى شىء. وربما يدلل ابتعاد رجال السياسة واحداثها عن الشوارع الشعبية على انها حتى الآن تعيش بمعزل عما يدور فى اروقة السياسةوالسياسيين، ولا يشغل سكانها بشكل حقيقى سوى حرفهم ودوابهم ومعتقداتهم.

واذا كان فقراء الشوارع الشعبية استقروا والأدق ارغموا على الاستقرار فى حواريهم وأزقتهم الضيقة بعيدا عن مراكز الحكم. فان ابناء الطبقات الغنية اختارو عبر تاريخ القاهرة مجاورة قلاع الحكم والسلطة،ففى كل مرحلة تاريخية تختار الطبقة الغنية رقعة تعرف بها وتختبئ فيها بعيدا عن الفقراء وتجعل مجرد الاقتراب منها بمثابة الاحلام التى يصعب تحقيقها بالنسبة لعامة الناس مثل منطقة جاردن ستى التى كانت ارضها عامرة بقصور الاسرة المالكة ومن شايعها من المصريين والاجانب ومحرّمة على عامة ابناء الشعب المصرى. وفى معظم الاحوال والتواريخ تكون تلك الرقعة ملاصقة او متاخمة لمراكز الحكم.

الطبقة الغنية فى كل عصر تتحصن بحى معين فى القاهرة كما تحافظ على تقاليد تعرف عادة بالعريقة، غير انها على المستوى الداخلى فى حالة من الحيوية الدائمة، فهى تلفظ - على الاقل على المستوى المعنوى-كل من يفرط فى اى من

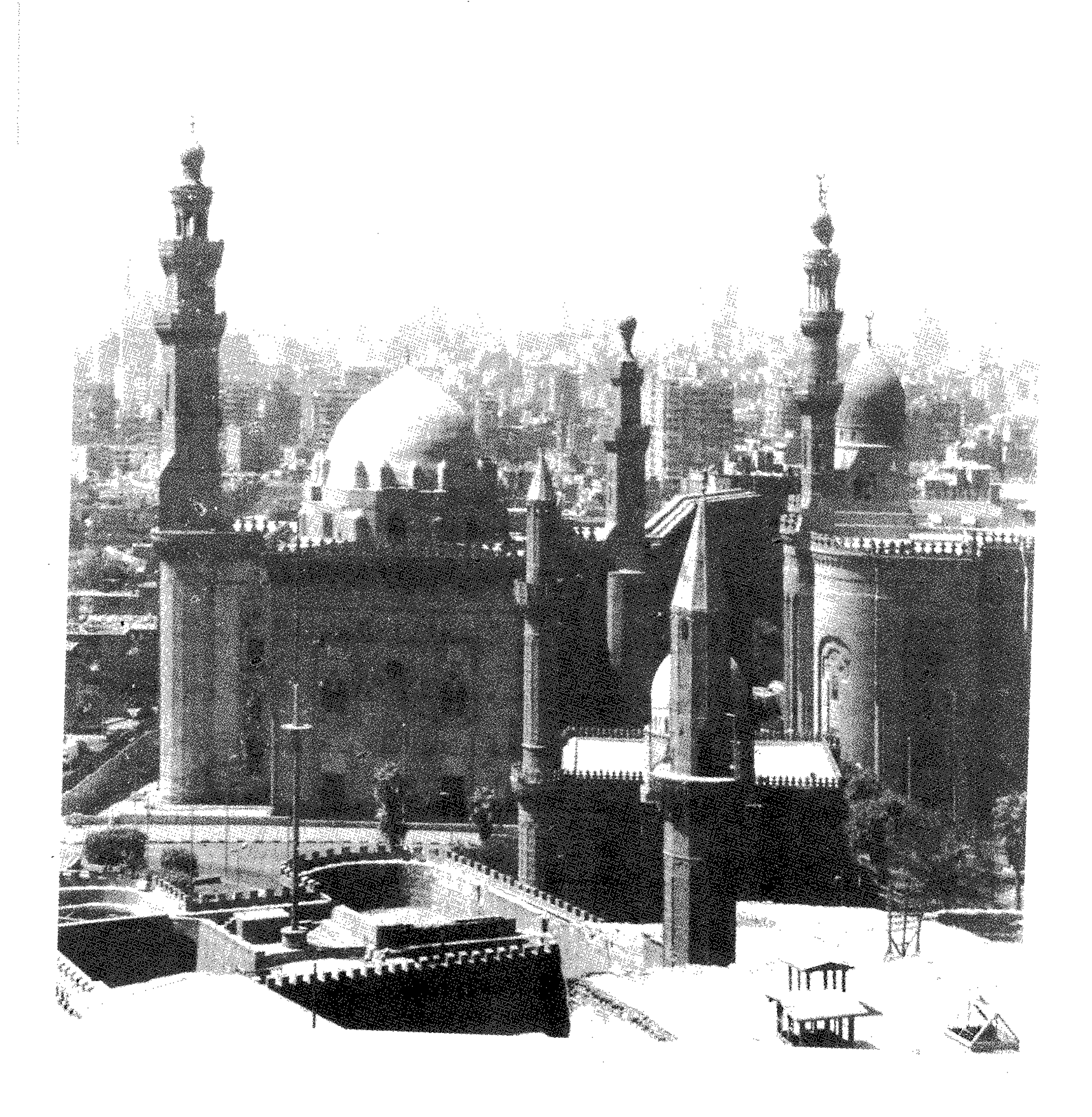
شروطها، كما تستقبل مرحبة كل من ساعدته الظروف فى التمكن من انجاز شروطها التى كانت تبدأ بالعرق او الاصل ولا تنتهى بتراكم الاموال والعقارات. وان كان حى الزمالك فى الفترة الاخيرة - منذ السبعينات - تهاون كثيرا فى شروط الانضمام الى سكانه وحصرها فى شرط واحد هو الفلوس، الطبقة الارستقراطية الآن على استعداد لضم أى كومة من الفلوس بغض النظر عن اصل او ثقافة او اخلاق حاملها.

بقيت ملاحظة أننى حاولت بقدر الإمكان الإلمام بالشوارع الواردة فى الكتاب مدركا بأسف أنها مجرد ممرات ضيقة فى سهل القاهرة الواسع والعميق.

حمدى أبوجليل

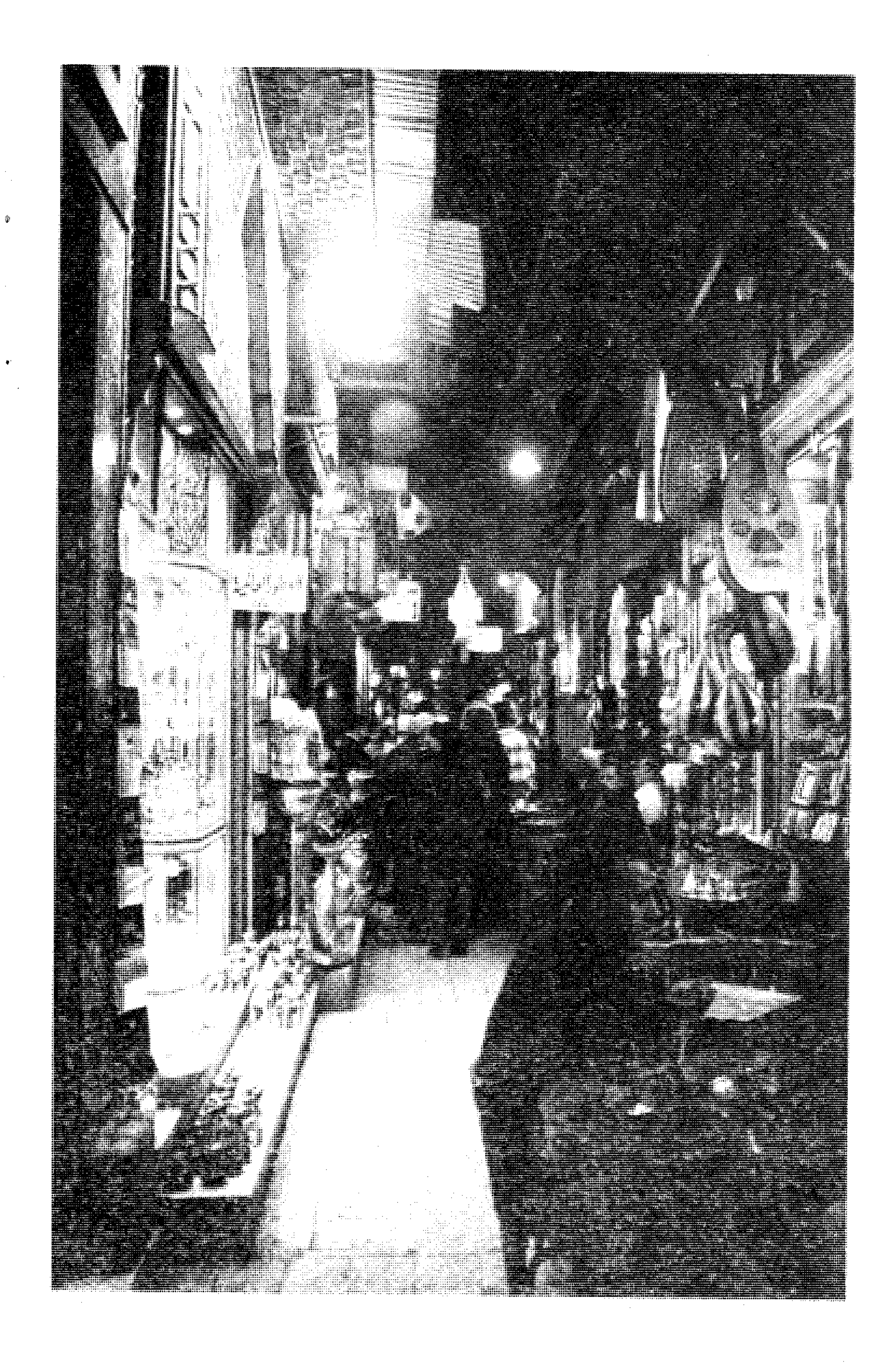
* * *

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



القاهرة الفاطمية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



خـان الخليلـى

اسم" خـان الخليلى " ماركـة مـسجلة تتـصدر قـائمـة الأمـاكن المفضلة لزوار القـاهرة من شتـى بقاع العـالم , خصوصا من النسـاء، وبالتحديد حسنوات أوروبا وأمـيـركـا , فـهو المزار السـيـاحى الشعبى الأنيق والمدهش والـعجيب الذى يشتـهر بحواريه الحلزونيـة التى تنقل زواره إلى عالم ألف ليلة و ليلة الأسطورى , حـيث أن الملك شهـريار . القاتل والمحب .. كما أكد العديد من المستشرقين .كان يمارس مغامـراته فى أزقة ودروب تشبه إلى حد كبير ممرات خان الخليلى . لذلك فإن المؤرخ الإنجليزى " ستانلى لينبول "يقطع بالقول بأن خان الخليلى وما حوله من حوارى وأزقة القاهرة الفاطمية هو المكان الذى صيغت فيه أساطير وقصص ألف ليلة وليلة، فـرغم أن هذه القصص يمكن أن تتبع أصولها فى بلاد الفرس والهند، إلا أنها اصطبغت بصبغتها النهائية فى حوارى خان الخليلى , وعلى الرغم من أن كثيـرًا من أحداثها وقع فى بغداد . جيث لعب هارون الرشـيد دورًا ظاهرًا وغـريبًا فى آن . فـإنه من الواضح لدى أى دارس لهـذه القـصص أن رواتهـا كـانوا يعـرفـون مـدينة الخليـفـة العبـاسـى على وجه ناقص ومشـوه وعلى عكس ذلك فـانهم كانوا يعـرفون مـدينة القـاهـرة الفـاطمية بشكل دقيق ومفصل بغض النـظر عن الأسمـاء الغريبـة التى أعطوها لاماكن وأشـخاص هذه القصص التى تجسد سحـر الشرق. ويؤكد ستـانلى أن ألف ليلة وليلة كتبت للشعب وللجمهور الذى كـان يجتمع فى مقاهى القاهرة العـامرة " مثل خان الخليلى " ويدلل على ذلك بان ألف ليلة وليلة تشمل على وجه الخصوص مغامرات التـجار وأصحاب الحوانيت، فرغم أننا نقرا فـيهـا عن الخلفـاء والسـلاطين والوزراء , ورغم انهـا مزدحـمـة بمغـامـرات الجن

والعفاريت . فان أبطال قصصها الحقيقيين والدائمين هم التجار الذين كانت لديهم حوانيت وكانت لهم مغامرات فى كل مكان حيث أسفارهم المتعددة. ومازال أحفادهم يواصلون مغامراتهم وتجارتهم وحكاياتهم فى أزقة خان الخليلى حتى الآن. بل ويجازف أحد المستشرقين بالقول أن " سندباد " الشهير باسفاره ربما يكون أخذ معظم المغامرات التى نسبها لنفسه من أفواه أشتات الجماهير التى كانت تحتشد يوميا على أرصفة مقاهى القاهرة الفاطمية .

وبعيدًا عن اجتهادات المستشرقين ومغامرات الف ليلة وليلة فان ما يكرس مكانه " خان الخليلى" ويجعله هدفًا لزوار القاهرة وخصوصا من النساء أنه فى مجمله عبارة عن سوق رائجة للتحف والمجوهرات داخل دروبه المتشعبة والمتقاطعة تتجاور وتتعانق أحدث منتجات التكنولوجيا مع اقدم الصناعات والمنحوتات اليدوية التى أبدعها الفنان المصرى البسيط وجسد فيها عراقة خان الخليلى وتاريخ مصر المديد , فابرز منتجاته التى تحظى الآن بشغف زواره الأجانب والعرب أيقونات وتماثيل ومشغولات فنية وسجاجيد مزركشة بالرسومات النادرة , وجميع هذه المنتجات تجسد وتستوحى فنون كافة الحضارات التى مرت على مصر ابتداء من الحضارة الفرعونية ومرورًا بالقبطية والرومانية وانتهاء بالحضارة الإسلامية.

ونظرا لشهرة خان الخليلى التى تجاوزت حدود مصر ووصلت إلى مختلف أنحاء العالم، ولتكرار زيارات السياح الأجانب له، فإنهم تخلصوا الآن تماما مأزق الزائر الغريب وخوفه , وصاروا يتحركون بين جنباته بارتياح شديد باعتبارهم من أصحاب المكان الأصليين الذين يعرفون أدق تفاصيله ومنحنياته ربما اكثر من العديد من أبناء القاهرة , بل وأصبحوا بمرور الوقت والخبرة وربما طول معاناة الوقوع فى شرك النصب والتحايل . خبراء فى منتجات الخان بشكل يسهل عليهم التفريق بين الاصيل منها والمزيف .

يقول صاحب محل لبيع التحف فى خان الخليلى : « زبائنى يأتون من كافة أنحاء العالم معتمدين على سمعة الخان وعلى كتب المستشرقين التى تصف موقع الخان بدقة متناهية لدرجة انها تنصح رواده بشكل مبالغ فيه بأن يحترسوا عند

شراء منتجاته خوفا من الوقوع فى شرك بعض تجاره , وهذه النصيحة تجافى الحقيقة تماماً على الاقل فى اللحظة الراهنة , ليس فقط لنزاهة معظم تجار الخان وشهرتهم التى وصلت الى شوارع لندن وباريس, وليس لأن العديد منهم الآن يتمتع بثقافة رفيعة لكن لأن الزبائن الاجانب لم يعد يخف عليهم شيء فى الخان , وأذكر سيدة انجليزية شغوفة بالتحف والمشغولات الفضية والذهبية التى ينتجها الخان وهى الآن من أبرز وأكرم زبائنى الدائمين , وأول مرة جاءت فيها الى خان الخليلى وقفت امام واجهة المحل قليلاً، ثم اندفعت الى الداخل بلهفة، ودون ان تستأذننى أو تطلب منى المساعدة وضعت يدها على إحدى التحف وقالت تلك هى بالضبط التى اشترى مثلها صديقى ووصفها لى، وبعد ذلك أخبرتنى بأنها جاءت من لندن الى المحل بناء على وصف دقيق من احد الاصدقاء الإنجليز شمل حتى ثمن التحفة لذلك لم أستطع أن أفاصلها فيها وأخذتها بنفس السعر الذى حدده صديقها ".

خان الخليلى فى وضعه الراهن ليس شارعًا كما كان فى السابق ولكنه عباره عن مجموعة متناسقة ومتعانقة من الحوارى والممرات والدروب والازقة التى تشبه بمحلاتها الصغيرة والمتلاصقة والانيقة لوحة تشكيلية فاتنة تجمع بين الدقة الهندسية الحديثة وغرابة العالم الأسطورى القديم ، ورغم أن مساحة أعرض دروبه وحواريه لا تتجاوز المترين إلا أنها من الاماكن المحببة للسير خصوصا حينما تبلغ درجة الحرارة ذروتها، وذلك بفضل الهواء المنعش الذى تتميز به المنطقة , والذى تم تكريسه او تقويته مؤخرًا على أسس تكنولوجية تجسدت فى اجهزة التكييف الكثيرة التى حولت كافة محلات خان الخليلى إلى ما يشبه المحل الواحد والمغلق جيدًا. وهذه المحلات فى مجملها تشكل مركزا تجاريًا يرتاده يوميًا مختلف أجناس البشر .

وفضلاً عن كونه سوقا شهيرة فإن خان الخليلى يحتوى بين جنباته على العديد من مصانع التحف والمجوهرات التى تصدر منتجاتها القيمة الى مختلف انحاء العالم متوجة بدقتها واصالتها لدرجة نها اصبحت ماركات مسجلة مجرد ذكر اسمها يدفع الزبائن الى التنافس على اقتنائها.

يقع المكان الذى يشغله خان الخليلى حاليا بين مشهد وجامع الحسين وشارع الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، وبين ميدان وشارع الجامع الازهر وأبرز آثار العصور الفاطمية والايوبية والمملوكية، وبالنظر الى تاريخ واسرار هذا المكان قبل بناء خان الخليلى نجد ان هذا الخان لم ينشأ فجأة , فقد شهد امجاداً اسطورية ربما هى التى مهدت للمكانة التى يتمتع بها الان ,فقد كان الرقعة الاستراتيجية التى احتوت القلب الدولة الفاطمية , حيث انه فى نفس الموقع الذى يشغله خان الخليلى الآن كانت شرفات وحجرات وقاعات القصر الشرقى الكبير المخصص لاقامة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى . وهو كما يصفه العديد من المؤرخين العرب والاجانب كان عظيم السعة، وكان فى الجهة الشرقية من القاهرة لذا عرف بالقصر الشرقى وكان يسمى أيضًا ـ أيام مجده ـ «القصر المُعِزّى» وسكنه بعد المعز الخلفاء الفاطميون واولادهم .

ولما اقتنص صلاح الدين الأيوبى سلطنة مصر اخذه , وأخرج من كان به وكانوا إثنى عشر ألف نسمة بمن فيهم الخليفة الفاطمى وأهله وأولاده فأسكنُهم دار المظفر بحارة برجوان التى التى كانت تعرف بدار الضيافة، وبعد ذلك اعطى صلاح الدين هذا القصر لامراء دولته، كما أعطى القصر الغربى المواجه له لأخيه الملك العادل سيف الدين فسكنه , وفيه ولد ابنه الكامل ناصر الدين محمد .

ولما انتقل السلطان الأيوبى إلى قلعة الجبل التى تحولت الى قلعة محمد على بعد ذلك نقل معه ابرز سكان القصر الشرقى الذى يحتل خان الخليلى جانبًا من مكانه الان واعتقلهم فى سجون القلعة وظل اولاد و احفاد الاسرة الفاطمية يعانون ويلات لاعتقال حتى بعد وفاة صلاح الدين الايوبى ، بل وطوال عهد الدولة الايوبية الذى استمر ما يقرب من الثمانين عامًا، فلم يفك أسرهم سوى فى عهد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس المؤسس الحقيقى لدولة المماليك وقد حول أملاك قصرهم الشرقى الشهير الى بيت المال .

وكان ضمنها القصر الصغير الذى كان يعرف بالقصر الغربى الذى يحتوى الآن على أعظم آثار الدولة المملوكية وكان هذا القصر يعرق أيضًا بقصر البحر

وقد اتم تشييده الخليفة المستنصر عام ٤٥٦ هـ ، وانفق فيه قرابة مليونى دينار بغرض أن يجعله منزلا ومجلسًا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد واسرته من بنى العباس، ولكنه - ربما لجمال القصر - تراجع عن ذلك وجعله لنفسه .

نعود الى القصر الشرقى الذى تشغل أحد أركانه الآن محلات خان الخليلى لنعرف انه كان يدخل اليه من تسعة ابواب اجلها واعظمها باب الذهب الذى كان مخصصا لموكب الخليفة الفاطمى , وقد تعرض هذا الباب للهدم والتخرييب فى عهد الظاهر بيبرس الذى اخذ ما كان به من الاعمدة الرخام والاحجار الكريمة وارسل بعضها الى دمشق وبعضها زين به ابواب جامعة الذى يعرف الآن بجامع الظاهر .

وكان يلى باب الذهب باب البحر الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله وباب الريح الذى يوصل الى المشهد الحسينى، وقد هدم هذا الباب أوائل القرن التاسع الهجرى على يد جمال الدين الاستادار , وبجوار باب الزمرد , وباب العيد الذى كان يخرج منه الخليفة ايام العيدين للصلاة , وباب الزعفران الذى يقع مكانه الان بجوار خان الخليلى. وبالقرب من الزعفران كان هناك باب الزهومة الذى كان مخصصًا لدخول اللحوم وحوائج الطعام الى مطبخ القصر وكان يشرف على المنطقة التى يشغلها الآن قلب خان الخليلى .

هذه الأبواب لم تشيد فى القصر دفعة واحدة ولكنها ظهرت تباعًا وعلى فترات متباعدة نسبيا فقد شارك فيها كل من جوهر الصقلى والمعز لدين الله الفاطمى والحاكم بامر الله , وكان يبيت خارجها كل ليلة خمسون فارسا , فاذا أذن للعشاء وأقيمت الصلاة فى حضرة الخليفة الفاطمى وقف على باب الذهب امير يقال له سنان الدولة بن الكركندى وأمر بضبط النوبات من الطبل والبوق قرابة ساعة ، بعدها يخرج أمير اخر ويقول إن أمير المؤمنين يرد على امير سنان امير الدولة السلام، فيأمر بالكف عن ضرب النوبات ويغرس حربته على الباب ثم يرفعها بيديه , ثم يغلق الباب ويدور حول القصر سبع دورات ، وعندما ينتهى من ذلك يرمى سلسلة حديدية هائلة عند مدخل القصر ، ويكون ذلك إيذانا بانقطاع المارة من حول القصر تمامًا حتى صباح اليوم التالى.

القصر الأسطورى الذى ورث عنه خان الخليلى سحر مداخله وحواريه - يشتمل على عدة مواضع منها قاعة الذهب , ومنها الإيوان الكبير الذى كان يقام به اجتماع وخطبة عيد الغدير فى اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة كل عام .. ويرجع سر هذا العيد كما قال المقريزى الى معز الدولة على بن بويه الذى أحدثه ٣٥٢هـ واتخذه الشيعة بعد ذلك عيدًا سنويا لهم .

وكان من جملة القصر الشرقى الكبير مكان يعرف بالسقيفة كان يقف عنده المتظلمون وكانت من عادة الخليفة الفاطمى ان يجلس فيه كل ليلة لكى يلتقى بهم، فاذا ظلم احد الناس كان يقف تحت هذه السقيفة ويصرخ بصوت عال : " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

كما أنه كان يحتوى على التربة المعزية التى دفن بها معظم خلفاء الدولة الفاطمية ومنهم المعز لدين الله الفاطمى والظافر بدين الله على ابن الحاكم الذى توفى وهو فى الثانية والثلاثين من عمره لينهى فترة ولايته التى استمرت خمس عشرة سنه وثمانية اشهر , والمستنصر بالله الذى رحل وهو فى العشرينات من عمره وفى عهده الذى استمر سبع سنوات أكل الناس بعضهم بفعل سوء تدبيره وظلم حكمه واستهتاره !!

وبالقرب من هذا القصر كانت هناك خزانة الكسوة او دار الكسوة التى كانت مقسمة فى جزئين أحدهما مخصص للعامة وكان الناس يفدون إليه من كل حدب وصوب لشراء كسوة الصيف والشتاء، والآخر مخصص للخليفة وأتباعه وخاصته وكان مزدحمًا بأفخر انواع الثياب الديبقى والعمائم المطرزة بالذهب. وموقعها الآن قرب شارع الصنادقية الذى يجاور خان الخليلى من ناحية شارع الازهر .

وأيضا كان بهذه المنطقة خزانة الجوهر والطيب والطرائف وكان بها الجواهر والنفائس التى كان الخليفة الفاطمى يتزين بها أيام الاعياد، وكذلك صنع بها سيفه ورماحه الخاصة، وكان بها الكثير جدًا من مختلف أصناف الجواهر والتحف , وربما تجسدها الان بشكل حرفى ودقيق مجموعة محلات خان



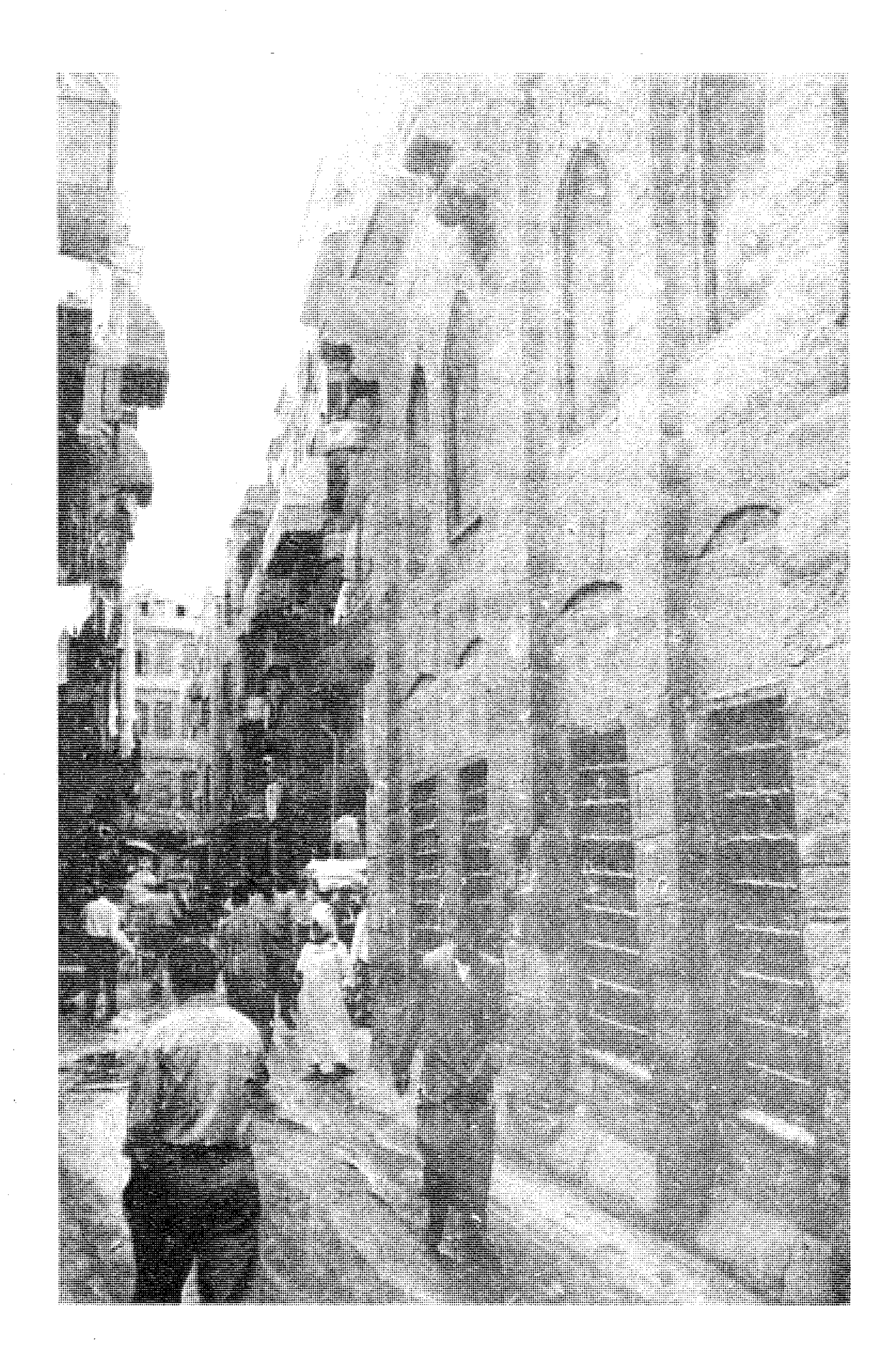
الخليلى . كما كانت بهذه المنطقة خزانة السلاح التى كان الخليفة يطوف فيها باستمرار لكى يتامل منتجاتها الموشاة بالديباج والمحكمة الصنع والمبطنة بالذهب والفضة .

ولعل أفضل السبل المتاحة الآن لمعرفة الاجواء السحرية والأسطورية التى كانت تخيم على هذا القصر والمنطقة كلها قبل بناء خان الخليلى هو الإطلاع على ماسجله أحد السفراء الاجانب فى ذلك الوقت وهو وليم الصورى الذى دخل هذا القصر أيام الحروب الصليبية الاولى وبالتحديد عام ١١٦٧ م وكان من أوائل السفراء المسيحين الذين سمح لهم بالمثول أمام حضرة الخليفة الفاطمى وكتب يقول " قادنا الوزير نفسه فى احتفال باهر إلى قصر الفاطميين العظيم , حيث سار فى ردهات غامضة ، وأبواب يقف عليها حراس سودانيون أشداء يؤدون التحية بسيوفهم اللامعة وبعد ذلك وصلنا الى فناء فسيح مكشوف محاط باروقة مقامة على أعمدة رخامية وكانت السقوف تزينها النقوش الذهبية الجميلة والالوان البديعة. اما البلاط فكان من طراز الموزاييك وقد انبهرت عيناى فى إعجاب ودهشة بكل ما قابلنى وهناك كانت نافورات رخامية وطيور ذات اصوات جميلة وريش بديع اللون مما لا يوجد له مثيل فى العالم الغربى وفى قاعة أخرى كانت توجد حيوانات مختلفة وهى الحيوانات التى تتناولها يد الفنان بالرسم وينسجها خيال النائم فى حلمه وكلها حيوانات مما كان يستورد من جهات الشرق والجنوب المختلفة .

وفى النهاية وبعد أن تمت المراسم المعتادة وصلنا إلى الحجرة التى بها العرش الذهبى حيث كان يقف عدد كبير من الخدم والأتباع يمثلون عظمة سيدهم الخليفة وقد ارتدوا جميعًا ملابس فاخرة وهنا أخرج الوزير سيفه وانحنى امام الخليفة فى خشوع زائد ثلاث مرات كما لو كان فى معبد من المعابد وبعد ذلك فتحت الستائر الثقيلة الموشاة بالذهب واللآلئ الى الجانبين وهنا ظهر الخليفة العظيم جالسًا على عرش ذهبى وقد ارتدى ملابس فاخرة لم يتح لكثير من أبرز ملوك أوروبا فى ذلك الوقت لبس مثلها " .

هذا ما وصف به السفير الأوروبى خفايا وأسرار القصر الشرقى غير أنه بعد فترة قصيرة من مغادرة هذا السفير مصعوقًا بمراسم هذا القصر ومحتوياته جارت الأيام عليه وعلى الأسرة الفاطمية كلها وجاء اليوم الذى شهد محو هذا القصر من الوجود لكى يتمكن الأمير جهاركس الخليلى من بناء خانه الذى عرف باسمه، وقد تم هذا البناء بعد إخراج رفات الخلفاء الفاطميين ونقلها الى منطقة قذرة ومهملة كانت تسمى "كيمان البرقية" وكانت تمتد من خلف المدارس الصالحية لتخفى إلى الأبد ملامح ملوك _ معظمهم من الشباب- ملأوا الدنيا بصولاتهم وجولاتهم وقبل ذلك جعلوا القاهرة من افخم عواصم العالم وربما إلى ألان تتسلل رائحتهم بين دروب خان الخليلى كما تتجسد فخامتهم فى بضاعتها الثمينة والنادرة وواجهاتها التى بنى معظمها على طراز العمارة الإسلامية وتحديدا الفاطمية ولعل أبزها واجهة مطعم خان الخليلى الذى أضاف له أصحابه مقهى زينوه باسم نجيب محفوظ وفاء لهذا الروائى العالمى أطلق اسم الخان على واحدة من أهم رواياته، وايضا لأن اسمه بالطبع سيجذب أفواج السياح من مختلف أنحاء العالم وسيرطب قليلا الأجواء التجارية والمالية المشتعلة بين جنبات هذا المكان العريق والمتميز .

www.books4all.net منتديات سور الأزبكية



شارع الخرنفش

شارع الخرنفش يبدأ بعنق ضيق ومزدحم ينفرج باتساع شارع بورسعيد (الخليج المصرى سابقًا)، ويمر وينتهى بغابة كثيفة من الحارات التى يوفر ضيقها وتلاحمها نوعا نادرًا من الألفة والمودة بين سكانه. وأهم ملامحه على الإطلاق تلك البوابات الخشبية القديمة التى تصر على مواصلة القبض بقوة على جمرة الحياة رغم فناء أهلها ودمار بيوتها.

وضع الشارع الراهن من حيث تواضع عمارته وبساطة سكانه يصنع مفارقة هائلة مع الفخامة الأسطورية التى كان يتميز بها فى بداياته، ويدلل على أن الشوارع مثل الناس تهمَّش واحيانا تُدَمَّر اذا ابتعدت عن بؤرة السلطة السياسية ونعيمها بعد التصاق طويل، فعلى ايام الفاطميين كان شارع الخرنفش اهم شرايين قلب القاهرة الملكى وكان ساحة عامرة يومياً بالخلفاء والأمراء والوزراء ونقطة لابد من اجتيازها لبدء الاحتفالات، وحينما نقل صلاح الدين الايوبى قلب القاهرة السياسى الى قلعته الشهيرة خلع الروح الملكية للشارع وتركه عاريًا من الفخامة وعرضة لانحسار الاضواء التى تلألات فيه طويلاً، وعندما بدأ الخديو اسماعيل بالتشبه بالحياة والعمارة الاوروبية نقل قلب القاهرة إلى قصر عابدين ليقع شارع الخرنفش فى شرك التجاهل والإهمال ويفقد اهميته السياسية للابد.

شارع الخرنفش يتجول وسط المنطقة التى حوت آثار القاهرة الفاطمية فجنوبه كانت تمتد أسوار القصر الغربى الذى أنشأه الخليفة العزيز بالله

الفاطمى وأسكن فيه ابنته (ست الملك) وداخل أسواره العالية نسجت ست الملك خيوط المؤامرة المحكمة التى أودت بحياة اخيها الخليفة الحاكم بأمر الله وأسست لعرف الخيانات الذى حكم انتقال السلطة فى البيت الفاطمى وكان من اهم أسباب زوال ملكهم ست الملك ظلت تقيم فى القصر الغربى على حافة شارع الخرنفش حتى داهمها الموت سنة ٥٢٤ هـ فى خلافة ابن أخيها الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم وبعد موتها جدد المستنصر الفاطمى القصر لكى يكون جديرا باستضافة الخليفة العباسى القائم بأمر الله الذى كان المستنصر يخطط لنقله من بغداد الى القاهرة حتى يضمن ولاء المسلمين فى كافة بقاع الأرض وبجوار القصر الغربى الذى كان يقع على حافة شارع الخرنفش بنى الفاطميون اسطبلهم الثالث الذى عرف باسطبل الجميزة وكان لهم قبله اسطبل الطامه وموقعه الآن بالقرب من الجامع الازهر واسطبل الصبيان الحجرية الذى كان على يمين الداخل من باب الفتوح واسمه يرجع الى فصيلة من الشبان كان يتم اختيارهم من ذوى الأجسام السليمة ويدربون تدريبًا خاصًا وتخصص لهم حجرات يقيمون فيها تحت الاستعداد لأى طلب.

نظام الصبيان الحجرية جلبه الى مصر الوزير الأفضل بن بدر الجمالى لراحة البيت الفاطمى وهو فى الاصل نظام تركى يسمى (ايج أو غلان) وتعنى خادمًا يعمل فى القصر الملكى فقد اعتاد سلاطين تركيا تربية اطفال من أسرى حروبهم او ممن كانوا يفرضونهم جزية على الدول الأوروبية المنهزمة فيعلمونهم مبادىء الإسلام والقراءة والكتابة والفنون العسكرية لمدة أربعة عشر عامًا ثم يلبسونهم الملابس الحريرية المشجرة والموشاة بالذهب ويعينونهم فى الوظائف الخاصة بالقصر مثل الحجابة ومباشرة ملابس السلطان والحلاق الأول والمزين الأول كما كانت تتاح لمن رضى عنه السلطان منهم مختلف وظائف الدولة, وقد ابطل هذا النظام بالنسبة للأطفال عندما كثر إقبال العائلات التركية على تقديم أولادهم للانضمام إلى سلك هذا النظام.

اسطبل الجميزة الذى كان بالقرب من شارع الخرنفش كان يحتوى على ألف فرس مخصصة لتشريفات الخليفة الفاطمى وكل فرس منها كانت لها شداد

يسيرها ولكل ثلاث سائس يتولى خدمتها ولكل عشرين سائس عريف يؤتمن على استلام السروج وهى محلاة بالذهب والفضة من خزائن السلاح قبل المواكب الملكية.

وداخل هذا الاسطبل كان السائسون قبل خروج الخليفة الفاطمى يروضون فرسين أو ثلاثًا على كل منها السرج الذى سيستعمله الخليفة وكان المروض يضع بين مؤخرته والسرج حائلاً صلبًا احتراما وتهيبًا من مقعد الخليفة بينما الأبواق تنفخ والطبول تدق في شبه تجربة تستمر عدة أيام حتى تتعود الافراس الحركة والآصوات فلا تجفل او تنفر حين تؤدى عرضها فى موكب الخليفة الفاطمى.

اما جنوب القصر الغربى فكانت تحتله حارة كبيرة عرفت باسم حارة الامراء لأن السكن فيها كان محرمًا إلا على الأشراف من اقارب الخليفة فى أيام الفاطميين ولما زالت دولتهم سكن هذه الحارة شمس الدولة توران شاه بن ايوب . أخو صلاح الدين . فنسبت اليه وعرفت بدرب شمس الدولة ولايزال هذا الاسم باقياً لحارة يقطعها شارع جوهر القائد الذى يقع بالقرب من شارع الخرنفش.

شمس الدولة توران شاه غزا بلاد النوبة سنة ٨٦٥ هـ وفى سنة ٩٦٥ ارسله اخوه صلاح الدين الى اليمن فاستولى على زبيد وازال مُلك بنى مهدى واستولى على عدن وتعز وصنعاء وظفار وغيرها وتلقب بالملك الاعظم توران شاه وفى عام ١٧٥ عاد من اليمن فانعم عليه صلاح الدين بالاسكندرية فظل بها حتى توفى سنة ٦٧٥ هـ.

وفضلاً عن القصر الغربى فإن حارة برجوان المتفرعة من شارع الخرنفش كانت تضم دار الوزارة الفاطمية، وهى فى الأصل قصر فخم بناه «أبوالفتح برجوان» الذى كان خصيًا أبيض من أجمل وأخلص خدم الخليفة العزيز بالله الفاطمى لذلك أوصاه العزيز وهو على فراش الموت بالوقوف بجانب ابنه الحاكم بأمر الله الذى آل اليه عرش الدولة الفاطمية قبل ان يبلغ سن الرشد. غير أنه بعد وفاة العزيز لم يبر بالوصية واستبد بالسلطة واطلق العنان لملذاته فما كان من الحاكم بأمر الله بعد ان بلغ الرشد الا ان دبر له كمينا أودى بحياته. ورغم

أنه لم يستمر فى منصب الوزارة والوصاية على الحاكم إلا عامين الا أنه نجح فى جمع ثروة هائلة منها ٣٣٠٠٠ دينار و١٥٠ فرسا و٣٥٠ بغلة و١٥٠ سرجا مذهبا والف سروال من الحرير الارمنى وغير ذلك من الثياب والجواهر الفضية والذهبية.

وفى خلافة المستنصر بالله اخذ امير الجيوش بدر الجمالى دار برجوان ونقل اليها مقر الوزارة وبعد وفاته انشأ ابنه الافضل شاهنشاه دارا جديدة للوزارة بالقرب من القصر الشرقى يحتل جانبا منها الان خان الخليلى وكانت تعرف بدار القباب فاحتل دار برجوان المظفر ابن امير الجيوش وعندما قُتل تحولت الى مقر لإقامة الرسل المبعوثين من مختلف ملوك الارض بمعنى انها اصبحت مجمعًا لسفارات الدول بالقاهرة وظلت تتمتع بتلك المكانة الدبلوماسية بالشارع حتى غروب شمس الدولة الفاطمية وبعدها اصر صلاح الدين الايوبى على ان يسجن فيها اولاد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وكأنه أراد أن يجعل من هذه الدار العريقة شاهدا تاريخيا على صعود وازدهار الفاطميين ثم اندحارهم المريع على يديه.

خلف دار الضيافة او مجمع السفارات كانت هناك ساحة كبيرة تعرف باسم رحبة الأفيال وذلك لان الخلفاء الفاطميين كانوا يربطون فيها افيالهم التى اعتمدوا عليها اعتمادًا اساسيًا فى كافة حروبهم، وكان بهذه الرحبة بئر للأفيال.

على مشارف شارع الخرنفش وبالقرب من دار الضيافة التى ظلت على مدى قرون أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة وحمل اليها أطنان الكتب من خزائن القصور والمساجد الفاطمية وخصص لها الفقهاء والقراء والعلماء والاطباء وفرشها وزخرفها وعلق على أبوابها وممراتها الستائر وصرح بنسخ او إعادة طبع كتبها لكافة روادها وظلت هذه الدار تواصل تثقيف وتنوير أهالى القاهرة حتى أغلقها الوزير الأفضل شاهنشاه، عندما أبلغه جواسيسه أن بعض اساتذتها يفسدون العقول بفلسفتهم ومنهم القصار الذى قيل إنه ادعى الألوهية وتبعه كثيرون وبناء على ذلك داهم الأفضل دار الحكمة وقتل كل من وجده بها غير انه لم يتمكن من القصار الذى نجح فى الهرب.

بعد قتل الأفضل أمر الآمر بأحكام الله وزيره المأمون البطائحى الذى كان يسكن بالقرب من الشارع باعادة فتح دار الحكمة، فعاد إليها القصار وأتباعه مرة اخرى وواصلوا تأملاتهم الدينية فقبض عليهم وقتلوا جميعا واغلقت دار الحكمة.

الخرنفش.. اسم الشارع هو تلك المادة التى تتحجر من وقود الحمامات القديمة وكانت تستعمل مع الجير مونة للبناء، وبسبب أن الخليفة العزيز بالله استعملها فى بناء القصر الغربى الذى كان يتوج المنطقة عُرف الشارع باسمها، وترسخ هذا الاسم عندما اطلق على دار فخمة بنيت فى اول الشارع ووصفها المقريزى قائلا (هى من أجلّ دور القاهرة وأعظمها، انفق فى زخرفتها سبعة عشر الف درهم).

دار الخرنفش بناها بالشارع الأمير سيف الدين ابوسعيد خليل الذى ولد فى مدينة حلب، وجاء الى مصر وهو مازال طفلا فرباه وعلمه فنون الفروسية الملك الاشرف خليل، وبمجرد أن اعتلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون العرش المملوكى قربه اليه وانابه عنه فى حكم دمشق غير انه لم ينعم بهذا المنصب ورضا السلطان طويلاً، فقد أشيع فى دمشق أنه يخطط للانضمام الى قوات التتر المعادية، وعندما نقل الوشاة والجواسيس هذه الاشاعة إلى السلطان الناصر أمر الأمير بشتاك بالتوجه الى دمشق للقبض على سيف الدين ابوسعيد، وبالفعل جاء به مقيدًا إلى القلعة بعد أن جرده من مناصبه وأمواله وجواهره التى قدرت بملايين الدينارات، وسجن فى القلعة فترة تجرع خلالها صنوف العذاب وانتقل بعدها الى الاسكندرية التى كان سجنها أشبه بمقبرة لأمراء الناصر، وهناك اعتقل شهرا ثم نُفذ فيه حكم الاعدام ، والغريب حياته فضلاً عن الصعود السياسى السريع والانسحاق الأسرع انه دفن فى الاسكندرية يوم الثلاثاء، وقبض عليه يوم الثلاثاء، ودخل مصر طفلاً يوم الثلاثاء، وانتقل إلى دمشق أميرًا يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء، ثم عادت رفاته إلى دمشق أيضًا يوم الثلاثاء، ودفنت فى رحاب جامع عُرف باسمه فى ليلة الخامس من رجب عام ٤٤٧ هـ، أى بعد ثلاث سنوات من إعدامه وبفضل شفاعة ابنته التى كانت تقيم هناك.

بعد الأمير سيف الدين ابوسعيد سكن دار الخرنفش بالشارع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، فانفق فى تجديدها وزخرفتها أموالا كثيرة، ثم اشتراها الشيخ زين الدين عبدالباسط بن خليل، وظل أحفاده يتوارثونها إلى أن اشتراها عباس باشا قبل أن يجلس على عرش ولاية مصر، وجددها، وسماها بالإلهامية لكى ينسبها الى ابنه إبراهيم إلهامى باشا، وبعد الهامى اشتراها خليل بك يجن، ثم منحها الخديو اسماعيل الى نقيب الاشراف السيد على البكرى بعد أن اضطر اسماعيل لهدم داره التى كانت بالازبكية حين شرع فى تنظيمها على الاسس الاوروبية.

شارع الخرنفش يعيش الآن تحت ثقل وضع يناقض تماما فخامة ماضيه الأسطورى، فهو يبدأ بزقاق ضيق مزدحم بسيارات الاجرة والبائعين الجائلين وفى وسطه يقف شاب فى مقتبل العمر أمام فاترينة لبيع وجبات المكرونة السريعة، ومن خلفه تطل واجهة مدرسة القديس يوسف التى تعرف بمدرسة الفرير وتعد من أهم منشآت الشارع ودرس بها العديد من مشاهير الأدب والفن والسياسة ومنهم الفنان نجيب الريحانى.

واجهة وكالة صناعة الاجولة الخيش تكرس انتماء الشارع الى القرون الوسطى، وبعدها تطل وجهات محل محمد العجوز وحلوانى عدوية وعمارة عالية بنيت حديثا مكان البيت الذى قيل إن الموسيقار محمد عبدالوهاب أقام فيه بعد أن غادر بيت اسرته بباب الشعرية.

جراج السلام بالشارع يقع على ناصية حارة خميس عدس وفى تلك المنطقة كان يوجد مشغل الكسوة الشريفة وقبله كانت ورشة خميس عدس التى انشأها محمد على باشا لصناعة السندانات والمخارط الحديدية والقواديم والمناشير وغيرها، وكذلك ادوات الانوال لصناعة غزل ونسيج الحرير والقطن والمقصبات (أى الملابس التى بها خيوط من الذهب أو الفضة).

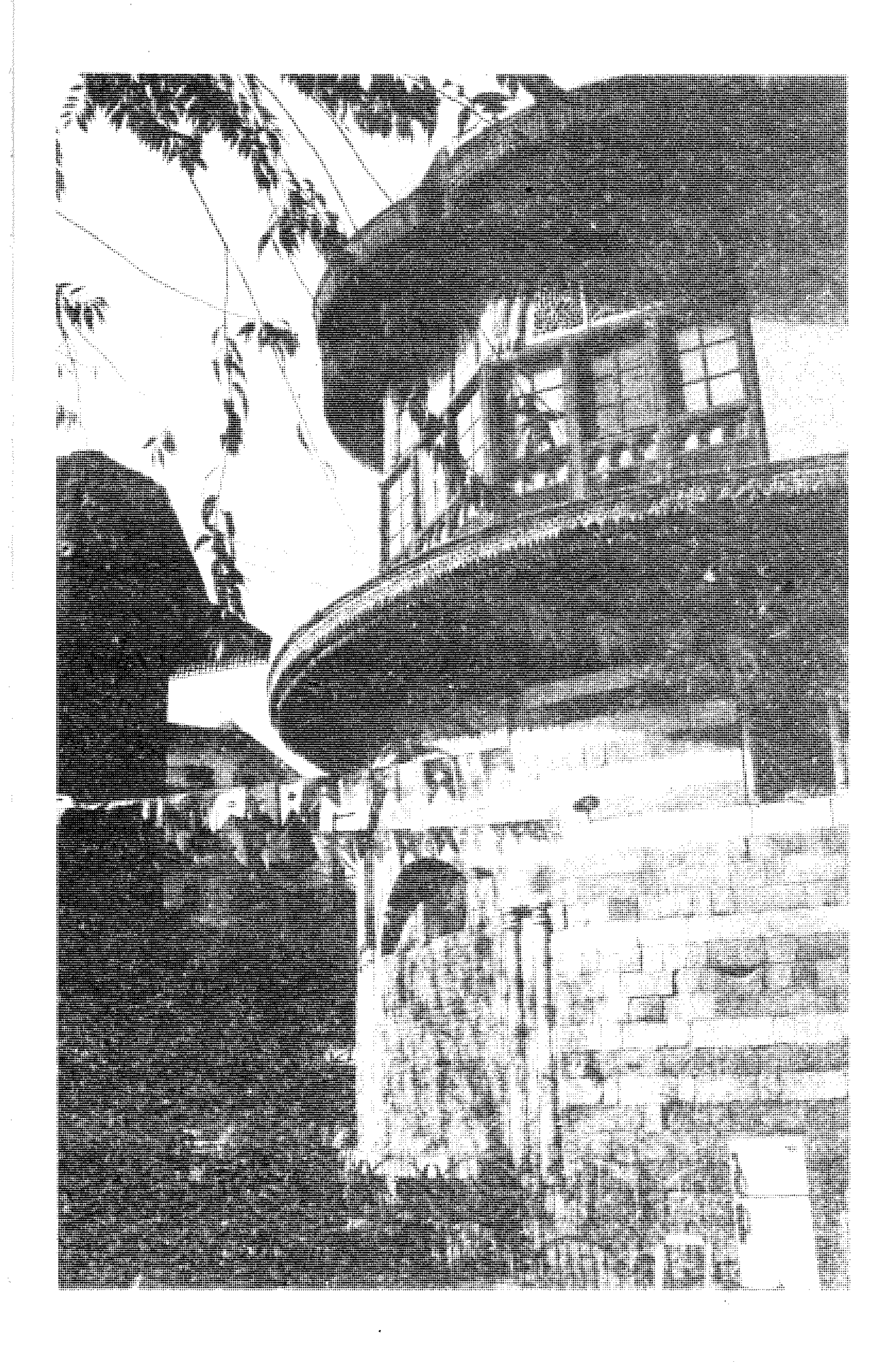
واسم الحارة (خميس عدس) يرجع إلى خميس العهد وهو أحد أعياد المسيحيين وفيه يقومون بطبخ العدس ويسميه اهل الشام خميس الأرز، أما

أهالى الاندلس فكانوا يسمونه خميس ابريل_ وقد كان الفاطميون يحتفلون بهذا العيد مشاركة لرعاياهم الأقباط، وكانوا يضربون فيه نقودا تذكارية من الذهب كانت تسمى الخراريب وتوزع على رجال الدولة بمقادير معلومة.

أهم ملامح الشارع بشكل عام هى تلك الأبواب القديمة التى أبت أن تفارق الحياة رغم فناء أهلها ودمار بيوتها وأسلوب عمارتها، وبعد حارة «خميس عدس» ينتهى الشارع وسط غابة من الحارات الضيقة.

* * *

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



شارع بورسعيد

شارع بورسعيد. الخليج المصرى سابقا ـ هو أطول شوارع قلب القاهرة على الاطلاق، وهو الشريان الحيوى الذى يفصل ويصل عالمين متناقضين معماريا وتاريخيا ـ العالم الاسطورى للقاهرة الأولى أو القديمة، وأجواء القاهرة الحديثة أو الأوروبية، فهو يصالح بين القاهرتين المتناقضتين، وعلى مشارفة تقع بقايا اصل العمارة الإسلامية فى مصر وقارة افريقيا، وهى أطلال الفسطاط. لذلك فان المنشآت المعمارية المقامة على ضفتى شارع بورسعيد عبارة عن خليط غير متجانس من العمارة الإسلامية والقبطية والأوروبية.

شارع بورسعيد ـ الخليج المصرى ـ عريض على غير عادة شوارع القاهرة القديمة أو الأوروبية، بل يمكن القول إنه أعرضها جميعاً، لأنه لم يحتل مكانه الحالى نتيجة لأفكار وأوامر الحكام أو جهود المهندسين مثل أشهر شوارع القاهرة ولكنه فرض نفسه كنقطة التقاء لأشتات القاهرة.. منطقة وسط فرضتها ظروف معمارية ومرورية وجغرافية ومائية جمعت بين ملامح القدم والبدائية والعشوائية التى تحتضنها من الشرق حيث أجواء وحوارى ومنعطفات ومنشآت القاهرة الفاطمية، وبين صفات الحداثة ودقة التنظيم التى تهب عليه من ناحية الغرب حيث القاهرة الأوروبية التى خططها الخديو اسماعيل.

ورغم اتساع شارع بورسعيد فإنه ليس المكان المناسب أو المريح لنزهة أهالى القاهرة وزوارها من العرب والأجانب، فبدايته كمعقل لتجارة الجملة وعدم نسبته لاى من حكام مصر وابتعاده الى حد ما عن بؤر الحكم فى القلعة ثم فى قصر

عابدين اثر بشكل كبير على جمال مبانيه التى كانت ومازالت مجرد أماكن متسعة تسمح بتراكم البضائع وخصوصا الغذائية ليتداولها التجار الذين كان أغلبهم من اليهود، وبالتالى فان الشارع كان ولا يزال ينظر بحسرة الى القصور والمنشآت التاريخية والفنية والسياسية التى تتزاحم بالقرب منه فى القاهرتين القديمة والأوروبية.

شارع بورسعيد يفرض نفسه فقط كشارع حيوى يجبر سكان القاهرة وزوارها على المرور منه يوميا، فبدون التجول فيه يصعب الوصول الى الأماكن التاريخية والدينية فى القاهرة القديمة والمنشآت الخدمية والتجارية والسياسية فى القاهرة الأوروبية، لذلك فانه يعد من أكثر شوارع القاهرة ازدحاما بالمشاة وبمختلف انواع خطوط المواصلات.

بدأ بورسعيد ـ الخليج المصرى ـ كشارع مزدحم بالمبانى والبضائع والبشر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وقبل هذا التاريخ لم يكن خاليا، بل كان مزدحما أيضا ولكن بشىء آخر، يناقض وضعه الحالى فقد كان ممرًا مائيًا متسعًا ومزدحما بمختلف أنواع السفن والمراكب. هذا الممر حفره الرومان وقيل الفراعنة من أجل نقل بضائعهم من النيل الى البحر الأحمر وسموه خليج (ترجان)، وعند الفتح العربى ردم الكثير من اجزائه وعندما أحس عمرو بن العاص بأهميته بالنسبة لحركة التجارة استأذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى اعادة شقه فسمح له ومن يومها عُرف بخليج أمير المؤمنين وعادت السفن تجرى فيه لتصل الى البحر الأحمر ومنه الى الحجاز محملة بالغلال ومختلف أنواع البضائع، وظل يؤدى أعمالاً ملاحية جليلة حتى أهمل فى زمن عبدالعزيز بن مروان ومن جاء بعده من الولاة، غير انه عاد مرة اخرى الى سابق مكانته بعد أن أنشأ جوهر الصقلى مدينة القاهرة وعرف باسم الخليج المصرى ثم الخليج الحاكمى وخليج اللؤلوة نسبة الى قصر اللؤلؤة الذى كان قائما فى العصر الفاطمى على مشارفه وتحديدًا فى المنطقة التى احتلتها مدرسة (الفرير) بشارع الخرنفش، غير أنه سرعان ما عاد إلى اسمه القديم (الخليج المصرى) وفى سنة

١٨٩٩ اختفى الى الابد فقد (رُدم) وحل محله شارع اتخذ نفس الاسم الى ان جاءت ثورة يوليو لتجعله لتطلق عليه اسم مدينة بور سعيد عام ١٩٥٧.

الخليج المصرى الذى يتهادى مكانه شارع بورسعيد الآن كان يخرج من النيل جنوبى قصر العينى.. وبالتحديد من عند منطقة السواقى التى كانت تمد القلعة بالمياه، ويعرف مكانها اليوم بفم الخليج، وكان الخليج المصرى يسير نحو الشمال الشرقى ثم ينعطف الى الشرقى الجنوبى حتى يصل الى قناطر السباع حيث موقع ميدان السيدة زينب اليوم، ثم يعاود سيره الى الشمال الشرقى ليمر غرب بركة الفيل ودرب الجماميز وباب الخرق - الخلق حاليًا - قبل ان يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية ومكانه يعرف اليوم بباب العدوى، ثم يسير خارج القاهرة القديمة الى ان يصل الى جامع الظاهر بيبرس ليروى المزارع فى تلك المنطقة.

وغرب الخليج المصرى كانت تقع أرض الطبالة وهى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الظاهر ومن الغرب بشارع غمرة وميدان رمسيس حيث كان يجرى نهر النيل حتى العصر الفاطمى، ومن الجنوب بشارع الفجالة ومن الشرق بشارع الخليج المصرى، وكانت مساحتها تقدر بحوالى مئتى فدان، واسمها (الطبالة) يرجع الى ان الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وهبها الى سيدة كانت تعمل (طبالة) اسمها (نسب) فسميت باسمها، وكانت تحتوى على بركة الرطلى وكانت تقع فى نفس مكان الحى المعروف بها اليوم. شمال هذه البركة كان يمر (خليج الطوابة) الذى كان يعرف أيضا باسم (الخليج المغربى) وهو الخليج الناصرى القديم الذى حفره الناصر قلاوون.

الخليج المصرى الذى يحتل مكانه الآن شارع بورسعيد كان من أهم مصادر انعاش ورفاهية مدينة الفسطاط بناه عمرو بن العاص، وجعله من أهم موانىء مصر، فمن خلاله كانت تصدر وتستورد البضائع من اقاصى البلاد وهذا ما أدهش العديد من المؤرخين ومنهم ابن سعيد المغربى الذى وصف نشاط الفسطاط قائلا: (أما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى

(المتوسط) والبحر الحجازى (الأحمر) (عن طريق الخليج المصرى) فانه فوق ما يوصف).

ونظرا لوجود الخليج المصرى وسهولة الملاحة فيه فقد أنشئت فى الفسطاط أول دار صناعة سفن تشهدها مصر الإسلامية، وكان مقرها جزيرة الروضة، غير أن قوات محمد الاخشيدى أحرقتها، فنقلت رفاتها الى بستان الطواشى ثم الى منطقة فم الخليج ثم دير النحاس فى عهد الدولة الفاطمية قبل أن ينقلها محمد على باشا الى ساحل بولاق.

الخليج المصرى ظل مستعملاً فى إرواء القاهرة وضواحيها قرونا عديدة الى ان انشئت شركة مياه القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل، ومدت انابيب المياه الى بعض الاحياء وقل منسوب المياه فيه بشكل لا يسمح بملاحة السفن، وهنا بدأت فصول نهايته، فقد أصبح ماؤة الضحل مرتعًا لفضلات وقاذورات البيوت المطلة عليه، بل وتحول الى بؤرة للتلوث والأمراض، وهذا ما دفع شركة ترام القاهرة والحكومة المصرية لأن يتكاتفا على ردمه ليظهر شارع بورسعيد - (الخليج المصرى) الذى بدأ قويا منذ مولده فقد مد فيه - بعد الردم مباشرة - أول خط ترام تشهده القاهرة وربما الشرق كله وكان يصل ما بين غمرة وباب الشعرية ويواصل امتداده الى السيدة زينب، وفى ٢٦ اغسطس عام ١٩٣٦ صدر مرسوم ملكى بتوسيع الشارع الى أربعين مترًا غير أن ذلك لم ينفذ الا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.

ظل شارع بورسعيد يعانى قسوة الإهمال الى عام ١٩٥٤ حينما اكتشفت حكومة ثورة يوليو إمكانية الاستفادة منه كطريق رئيسى يتيح الربط بين مداخل القاهرة وطرفها الجنونى، فقامت بتوسيعه إلى مساحته الحالية، ولكن يبدو ان ذلك تم على عجل وبدون دراسة علمية دقيقة تحافظ على تاريخ هذا الشارع، ودون اهتمام بعراقة المبانى الأثرية الاسلامية والقبطية والتجارية التى كانت تقوم على جانبيه منذ ان كان معبرًا مائيًا، وتم هدم هذه المبانى ومنها سوق الجمالية التاريخى الذى كان من أهم مراكز تجارة الجملة فى مصر عبر مئات السنين وسوق بين الصورين وان كان اعيد انشاؤه بالقرب من مكانه القديم، ولكى تحفظ

حكومة الثورة لنفسها مجد توسيع هذا الشارع غيرت اسمه القديم ليصبح شارع بورسعيد متجاهلة تاريخ الخليج الذى روى القاهرة ومدها بالبضائع وكان من ابرز معالمها على مدى قرون طويلة_

شارع بورسعيد يتسم روائح السيدة زينب فهو يبدأ من اتساع ميدانها العريق لذلك ففى تلك المنطقة منه تتأثر محلاته ومنشآته بمجاورة عقيلة بنى هاشم فتتخذ أسماء من قبيل (تسالى الطاهرة) و(مطعم الأمانة والصفاء) و(مستشفى تبارك للاطفال) وفى قلبها تقع (مكتبة المسلم) وهى لا تكتفى ببيع الكتب بل تعلن على واجهة الشارع ببنط بارز انها مستعدة لشراء كافة أنواع الكتب القديمة، ويبرر صاحبها الحاج جابر الطاهر ذلك بقوله إن الكتب الحديثة الصدور لا تقدم جديدًا، وكل مادتها الفكرية والبحثية عبارة عن نقل حرفى من الكتب القديمة، لأنها - حسب قوله - إنتاج ثقافة (الهلس) التى نعيشها هذه الأيام والتى بفضلها توارت أو تلاشت الثقافة الجادة لتفسح المجال للثقافة الخفيفة التى تعمل بلا هوادة على تغييب الناس.

الحاج جابر الطاهر فى حوالى السبعين من عمره وهو من أقدم سكان أو تجار شارع بورسعيد ورث (مكتبة المسلم) عن ابيه، ويقول ان زبائنه من اشهر كتاب وأدباء مصر وهم لا يشترون بل يأتون اليه بمئات الكتب القديمة ليبيعوها له ويرفض ذكر أسمائهم لأنه يعتبر ذلك من اسرار المهنة!!

جابر الطاهر يجلس مزهوا فوق مقعد متداع امام مكتبته المتواضعة على واجهة شارع بورسعيد ولا يترك مناسبة أو انسانًا تدفعه الظروف للمرور من امامه الا ويعلن له بأسى بالغ ولوعة حقيقية انه يعانى من كساد بضاعته ومن ازدحام بائعى الكتب وندرة أو اضمحلال المشترين، رغم أن مكتبته فى شارع بورسعيد كانت مزدحمة قديما بالقراء والمثقفين.

جابر الطاهر متحمس للماضى بكل ما فيه ويبدو حانقا على الحاضر الذى تسبب فى معاناة مكتبته والشارع والثقافة فى مصر كلها، وينفى أن الثقافة كانت مزدهرة فى الستينات، واعتبر ذلك مجرد لعبة لضرب التيارات الفكرية الرصينة.

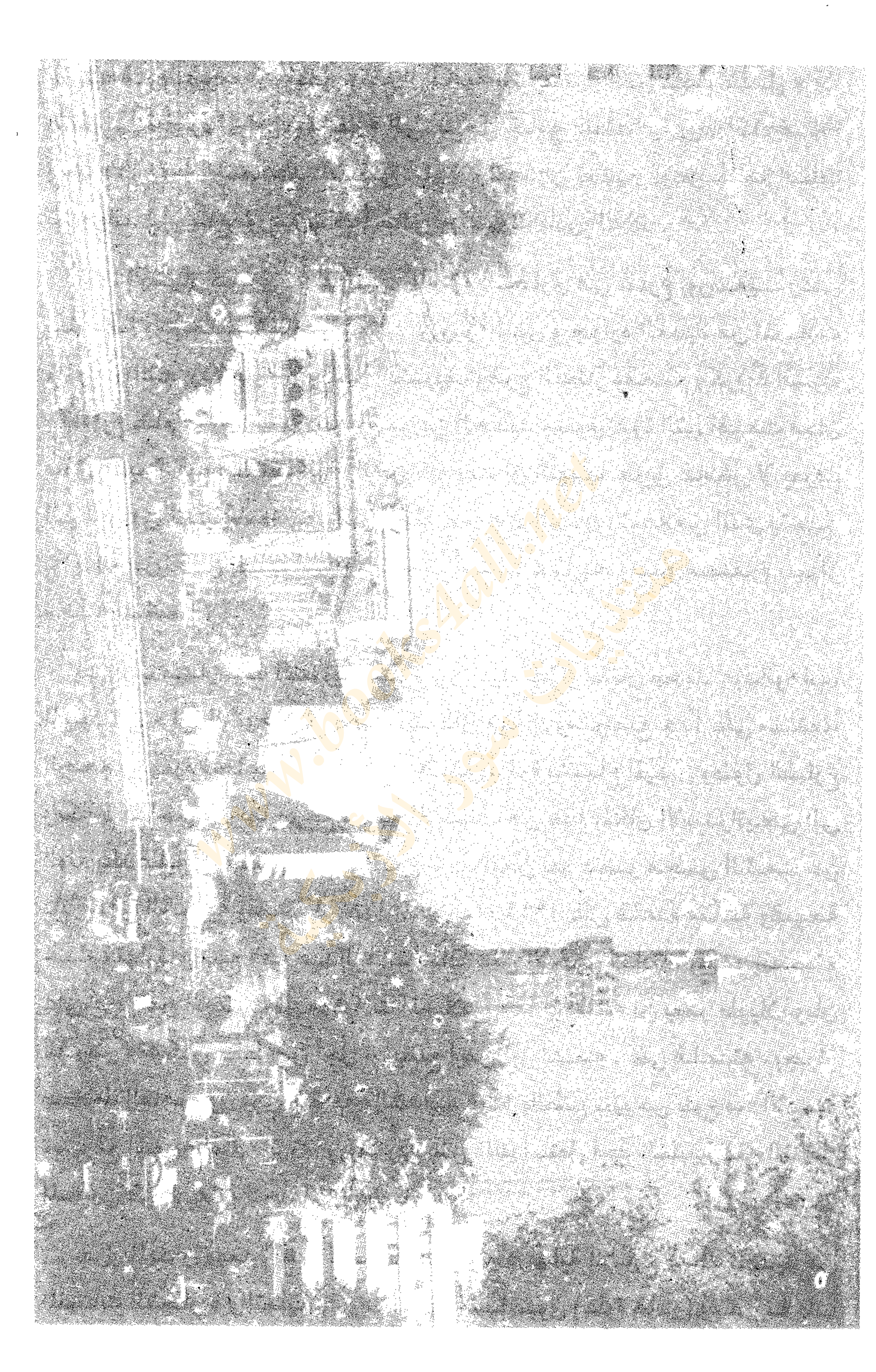
ويصب جابر طاهر جام غضبه على الأجيال الجديدة فهم فى نظرة تربوا على ثقافة (الهلس)، وعندما سألته عن بعض الكتب التى تتناول القاهرة تجاهلنى بشكل مؤلم وعندما الححت نظر الىّ بازدراء واضح وقال بحزم: (انت مش بتاع الحاجة دى) ونصحنى صادقا (الكتب غالية عليك. انت موظف. روح شوفلك حاجة تاكلها احسن) فعبرت عن تقديرى البالغ لنصيحته بالاندفاع الى مطعم الفول المجاور له مباشرة!

بالقرب من كرسى جابر الطاهر ومكتبته فى شارع بورسعيد وبزاوية منحرفة قليلا واجهة مسجد فاضل باشا وهو رغم شموخ مئذنته وتاريخه يعانى التصدع والاهمال خصوصا من جانبه المواجه للشارع، الذى يواجه سبيلاً لا يقل عراقة وإهمالا يجاوره بدون ادنى حرج مركز صيانة مرافق عابدين!!

وفى منتصف شارع بورسعيد تنتصب المدرسة الخديوية بمبناها الذى ينتمى الى أسلوب العمارة الأوروبية لتدافع عن تاريخ الأسرة العلوية، فقد تأسست عام ١٩٣٦ فى نفس العام الذى صدر فيه المرسوم الملكى الذى ينص على تجديد الشارع وتوسيعه، وبالقرب منها مقر حزب العمل ويجاوره أيضا مقر الحزب الوطنى الديمقراطى.

أمام حزب العمل لافتة لونها أصفر فاقع تعلن ببنط اخضر بارز ان (د_ أحمد فتحى سرور رئيس البرلمان المصرى يهنىء أهالى السيدة زينب بالعام الجديد)، وبالقرب منها مسجد الأحمدى، وبعض المحلات الصغيرة التى تدلل على أن هذا الجزء من شارع بورسعيد ليس ضليعًا أو محبًا للتجارة القطّاعى، وبالقرب منها يقع مقر دار المعارف بواجهته المزدحمة بطبعة جديدة من اعمال الدكتور طه حسين (الأيام - الحب الضائع - على هامش السيرة) وتزاحمها كتب متنوعة ابرزها كتاب (تاريخ فلسطين).

مستشفى أحمد ماهر من أهم منشآت شارع بورسعيد على المستوى الشعبى والصحى وبعدها مديرية أمن القاهرة ومتحف الفن الإسلامى الذى يجرى ترميمه الآن، وكذلك محكمة جنوب القاهرة المبنية على طراز العمارة الانجليزية



القديمة، وبالقرب من الشارع تقع الساحة التاريخية التى كانت تتسلل منها عوانس القاهرة للوصول خفية الى صحن جامع البنات القريب أثناء صلاة الجمعة بعد ان زعم أحد السحرة أيام المماليك ان اجتياز أرض جامع البنات الذى يقع فى شارع بورسعيد كفيل بالزواج المبارك باذن الله!!

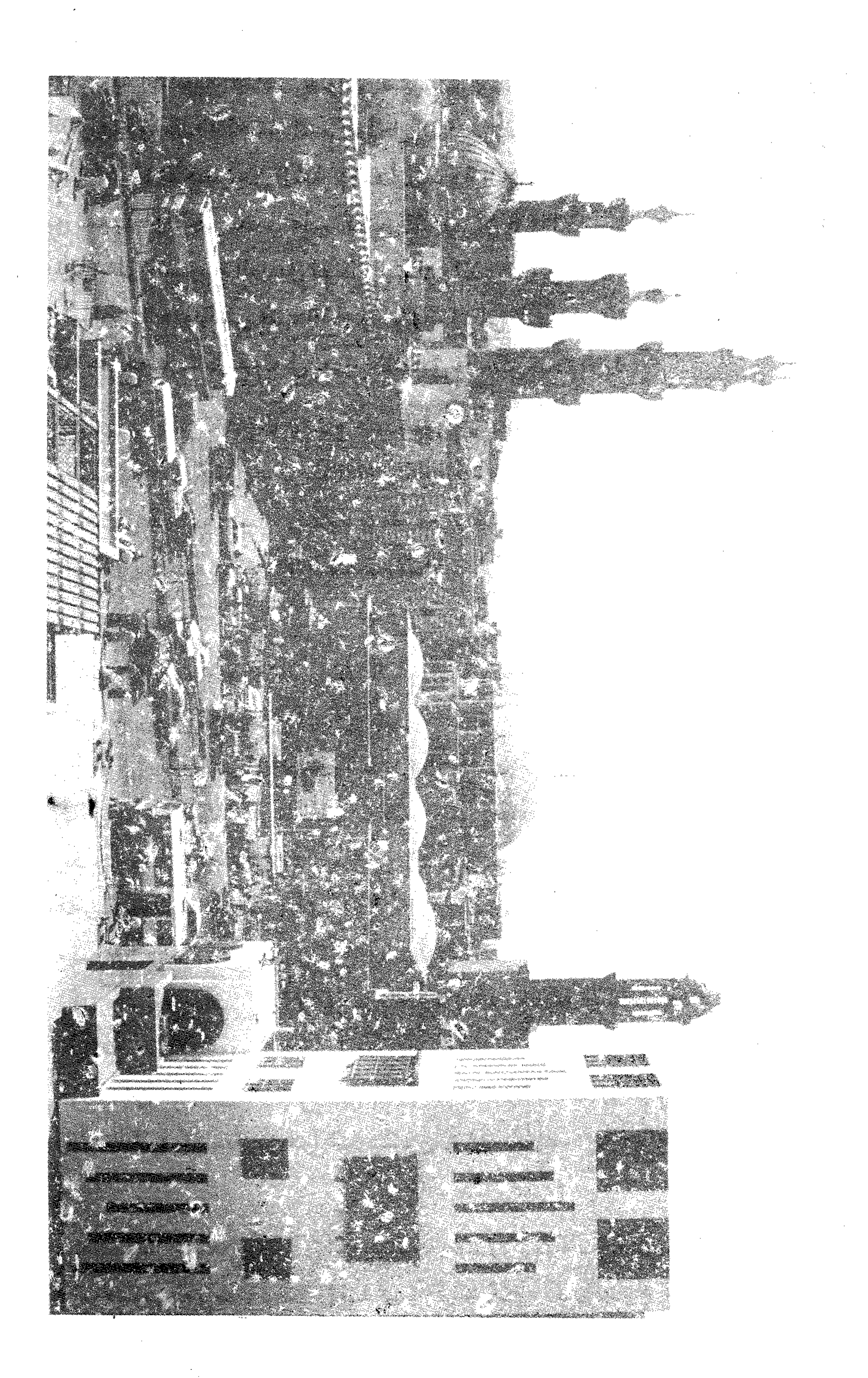
بعد اجتياز كوبرى الأزهر يبدأ الجزء التجارى فى شارع بورسعيد وعلى مشارفه يقع جامع القاضى يحيى بن زين الدين وبجواره العديد من المحلات والمراكز التجارية منها مؤسسة الشريف وفرج العطار ومصنع مكرونة انشىء بالشارع عام ١٨٦٠ وسوق بين الصورين الجديد وسوق غزة التى اقيمت مكان سوق قديمة لبيع مختلف أنواع الخراطيم بعد ان التهمها حريق غامض لا يعرف الى الآن من الذى أشعله، وبالقرب منه مسجد الهدى الاسلامى الذى يتميز بواجهة مزينة من السيراميك لا تناسب أسلوب عمارته، وتبدو مستفزة بجوار مئذنته المنكمشة.

فى قلب ميدان باب الشعرية بشارع بورسعيد تمثال للفنان محمد عبدالوهاب، المولود فى حارة الشيخ الشعرانى والتمثال متآكل ومتواضع جدًا على مستوى الحجم ومهارة صناعته، لذلك فهو لا يليق بالمرة باتساع الميدان وطول الشارع ومكانة صاحبه، وربما يرجع نصبه المتعسف فى هذا المكان الاستراتيجى الى الولة بالدعاية الانتخابية، فقد تبرع به د. أيمن نور عضو مجلس الشعب عن دائرة باب الشعرية ونصب فى هذا المكان عام ١٩٩٩ على قاعدة متآكلة وقبيحة جدا ومنهارة، ويضع فيه عبدالوهاب ساقاً على الاخرى كعادته، ويبدو انه صنع على عجل من الجبس مثل موديلات المحلات، مما يؤكد أنه لن يعمر طويلاً، وبأن الغرض منه كان فقط من أجل ان يضع ايمن نور اسمه ـ على قاعدته ـ بجوار محافظ القاهرة ووزيرى الثقافة والشباب، فهذا بالطبع سيوحى بنوع من الاهمية وسيرفع اسهمه امام دائرته، وربما ردا على ذلك استغل احد الصبية هذا التمثال المسكين فى الدعاية لأحد الفرق الرياضية!!

حول الميدان وبعده تجاه كوبرى غمرة حيث نهاية الشارع هناك العديد من المنشآت التجارية والتعليمية والثقافية منها سوق (علوة فاس) ومدرسة باب

الشعرية الثانوية للبنات وحلوانى تسيباس وستديو الأمل ومخبز فودة ومركز الفراعنة ومطبعة تحمل اسم الراحل الدكتور عالم الاجتماع سيد عويس، وفى هذا الجزء الأخير من الشارع تبدأ معركة اللافتات فبعضها يعلن انه شارع بورسعيد، والاخر يصر على الاسم القديم)شارع الخليج المصرى) وصراعهما يدلل على التاريخ الطويل لهذا الشارع الذى فرض نفسه ليصبح من أهم الشرايين الحيوية فى قلب القاهرة، وأيضا على النماذج والاساليب المعمارية التى تتزاحم حوله بشكل مرتجل يعوزه التنسيق والحس الجمالى!





الأزهـــر

(شارع الازهر أساس مصر أم الدنيا) هكذا أعلن المعلم خليل القهوجى بثقة.. المعلم خليل فى الستين من عمره ومنذ شبابه الباكر يدير مقهى ورثة أبًا عن جد ويعتبر من أبرز مقاهى شارع الازهر ومعالمه المهمة والانيقة، ففضلا عن قدمه فإنه ينفرد بأنه يواجه جامعة الازهر، وأن مجرد النظر الى واجهته ومشربياته المنحوتة على طراز العمارة الاسلامية يعيدك فورا الى عوالم واجواء القرون الوسطى، ورواده يمكن أن يشكلوا اجتماعًا قانونيًا للأمم المتحدة ولكن بشكل شعبى وربما شبابى، نظرا لان معظمهم من الطلاب الذين وفدوا اليها من مختلف انحاء العالم الاسلامى ومن شباب السياح خصوصا الاوروبيين الذين يعتبر شارع الازهر من اماكنهم المفضلة والمريحة، فكل مافى هذا الشارع يحقق خيالاتهم عن الشرق وحكايات الف ليلة وليلة التى تمت صياغة معظمها بين جنبات القاهرة الاولى.

شارع الأزهر يمتد من ميدان العتبة الى مشارف منطقة هضبة الدراسة ومن فوق نهايته المرتفعة يمكنك تأمل منحنيات المقطم. ورغم أن هذا الشارع - الازهر - فى وضعه الراهن يكاد يصرخ تحت ثقل الكوبرى العلوى الضخم والمتعدد الاتجاهات الذى يمتد فوق معظم مساحته وينغص رواده ويعكر صفو سماواته إلا أن المعلم خليل لم يبالغ حينما وصفه بأنه أصل القاهرة فهو بكلماته الحماسية والبسيطة والمقتضبة لخص زمنا طويلاً أجهد فيه المؤرخون انفسهم وصفحاتهم على مدى مايزيد على ألف عام.

كان ذلك منذ الف عام تقريبا وبالتحديد فى نفس الليلة الخالدة التى اتم فيها القائد الفاطمى جوهر الصقلى فتح مصر. فى نفس هذا اليوم بدأ دون ان يقصد تخطيط شارع الازهر بوضع اساس مدينة جديدة او على الاصح اساس قصر حصين لاستقبال سيده القادم من المغرب بنسائه وأولاده وعبيده وجواهره المعز لدين الله الفاطمى الذى كان قد عسكر فى الأراضى الممتدة من شمال شرق الفسطاط او مصر القديمة حاليًا. هناك على مسافة كانت تبعد فى ذلك الوقت عن نهر النيل بما يقرب من ميل وضع جوهر أسوار هذه المدينة الجديدة أو هذا القصر من ناحية الغرب مستغلا حقيقة انه لم يكن يوجد فى هذه المنطقة من المبانى سوى دير قديم كان يسمى (دير العظام) و بقايا حديقة صغيرة بمقاييس هذه الأيام كانت تسمى حديقة (كافور) ورغم ذلك فإن هذا الدير وهذه الحديقة عاقا جوهر الصقلى فى بداية الامر عن تخطيط شارع الازهر وتنفيذ مدينته التى ستصبح بعد ذلك من اكبر مدن العالم.

وبعد أن أزيل الدير وبعض أطلال الحديقة وضع جوهر حدود المدينة داخل مربع لم يكن يتجاوز ألفا ومئتى ياردة ووقف عماله ينتظرون تلقى إشارة البدء بتشييد المدينة من المنجمين والسحرة المغاربة الذين كان الخليفة الفاطمى يثق بهم ثقة عمياء وبناء على نبؤاتهم خاض كافة حروبه وبنى إمبراطوريته الشاسعة. وكانت اشارة البدء هذه تتلخص فى دق اجراس علقت لهذه المناسبة خصيصًا فى حبل امتد بين أعمدة كانت تنتصب تقريبا فى المنطقة التى يقع حولها ميدان الازهر فى مواجهة الجامع العتيق وبالقرب من مقهى المعلم خليل. وبينما كان المنجمون والسحرة المغاربة يطالعون النجوم والكواكب ويتشاورون حول اللحظة التاريخية الفاصلة الجديرة بالبدء فى بناء هذه المدينة، وبينما كان العمال ينتظرون على أحر من الجمر انطلاق تلك الإشارة حدث طارىء عجل بالامر وسبق كل المنجمين وربما احرجهم، اذ وقف غراب مارق على قمة احد الاعمدة ويبدو انه كان سعيدا وبدأ يهتز مستمتعا وعلى الفور أخذت الاجراس تدق بقوة ففهم العمال أن تلك اشارة السحرة التى انتظروها طويلاً واندفعت معاولهم تحفرالارض وتضع الاساسات اللازمة لبناء المدينة او القصر وكان ضجيجها

صاخبًا لدرجة اخفت صراخ جوهر وقادته بان تلك الاشارة كاذبة، وكان ذلك طالعا غير سعيد فقد كان الكوكب المريخ او (القاهر) فى صعود وهذا ما آخر اشارة المنجمين وهكذا سمى المكان (القاهرة) نسبة إلى هذا الطالع غير السعيد أملاً فى ان يتحول الفأل المشؤوم إلى نتيجة مظفرة والواقع ان هذا ما تم فعلا فقد خيبت القاهرة اوهام المنجمين وصارت على الأقل أيام الفاطميين أفخم مدن العالم.

فى مواجهة الاساس الملكى للقاهرة وهو قصر الخليفة وضع جوهر الصقلى الاساس الدينى والعلمى والثقافى للمدينة وهو الجامع الازهر، وبناه فى نفس الرقعة التى صلى بها الخليفة الفاطمى لحظة وصوله وكان ذلك يوم الاحد ٣ ابريل عام ٩٧٠ م وقد تم بناء هذا الجامع العظيم فى الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ٩٧٢ م. وبالتحديد فى عام ٩٨٨م أصبح العلماء يقصدونه من كل حدب وصوب وصار من أهم الجامعات الاسلامية فى العالم وهى المكانة التى يتمتع بها حتى الان، ومنذ بدايته كان قبلة لكل طلاب العلم من جميع انحاء العالم الاسلامى من ساحل الذهب حتى ولايات الملايو كما قال المؤرخ الانجليزى (ستانلى لينبول)، وكان لكل شعب رواق خاص به داخل الجامع.. وكان هؤلاء الطلاب يتلقون على ايدى مشايخ الازهر دروسا فى مختلف فروع الثقافة العربية القديمة: القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة والتفسير والفقه والقواعد وعلم العروض والمنطق والبلاغة والخبر وغيرها .لذلك صار طلاب الأزهر يتزايدون عاما بعد عام حتى بلغوا عام ١٩٠١ اكثر من تسعة آلاف طالب كانوا يتلقون علومهم على أيدى مئتين وتسعة وثلاثين من الاساتذة .

ومنذ افتتاح هذا الجامع كان طلابه يتعلمون بالمجان حيث لم يبخل عليهم اهل العلم والادب فى القاهرة وفى كثير من العواصم الاجنبية بعلمهم وثقافاتهم، وكان طلاب الازهر الاجانب لا يتلقون العلم بالمجان فحسب بل كانوا يحصلون على قدر من الطعام ينفق عليه من المال الذى أوقفه الفاطميون لرعاية جامعهم الاشهر وكانت الثقافة الأزهرية محدودة فى البداية لكنها على الرغم من ذلك كانت مثالا جيدا ومستنيرا للتعليم الحر الذى يفتح أبوابه للفقراء دون تمييز فى

الجنس أو اللغة أو الطبقة - ويقول أحد المستشرقين الذين شاهدوا الأزهر فى أيام مجده (ليس من السهل على المرء ان ينسى منظر الطلاب وقد التفوا على شكل حلقة حول استاذهم واخذوا ينصتون اليه كأن على رؤوسهم الطير، أو منظرهم وهم يمشون مقبلين مدبرين يستظهرون ما تعلموه من استاذهم، هؤلاء يمثلون فى اذهاننا ما كانت عليه الثقافة العربية فى العصور الوسطى حيث الرغبة الصادقة فى العلم ولكن بقصد وجه العلم ذاته وذلك ما تفتقر اليه الجامعات الغربية والعربية هذه الايام!

ولكن لنترك التحليق بين الردهات الشاهقة لهذا الجامع ونعود لنترجل فوق ارض شارع الازهر لنعرف أو نستمتع ببداية خروجه الى الوجود وكانت بداية فخمة ورفيعة على المستوى الدينى والدنيوى ليس فقط لان على جنباته تأسست مدينة القاهرة واتسعت ولكن اولا لانه نشأ واستطال ربما بمحض الصدفة بين شاهدين ظلا مصدر فخر الدولة الفاطمية وهما الجامع الازهر وقصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، ومنذ افتتاح هذا الشارع أخذ مكانته المرموقة كقلب القاهرة النابض على جميع المستويات خصوصا على المستوى السياسى وقد ظل يقبض بيد من حديد على هذه المكانة إلى ان استسلم لسطوة عوامل التعرية الجغرافية والسياسية والمعمارية، وكان عليه أن ينظر بحسرة الى انتزاع قلب المدينة من بين جنباته وزرعه وسط منطقة مجاورة هى القلعة التى كان عليها هى ايضا ان تترك هذا القلب يسقط بين ردهات قصر عابدين.

ومما يؤكد البداية الملكية الفخمة لهذا الشارع أن اول من ارتاده بعد افتتاحه هو الخليفة المعز لدين الله الفاطمى فقد تجول فيه وسط اولاده الاربعة فى موكب كبير تحف به قواته من كل جانب، ويتقدمه اثنان من الفيلة كانا من العجائب التى شهدها المصريون فى تلك الفترة. كما أن جوهر الصقلى أحاطه بأسوار عظيمة لم يكن الغرض منها - كما هو شائع - تحديد مدينة القاهرة وإنما كان الغرض منها ان تكون مقرًا حصينًا للخليفة الفاطمى ورجاله وعبيده وموظفيه وقواته ومنجميه من المغاربة بعيدًا عن صخب الشعب المصرى، والدليل على ذلك انه لم يكن مسموحًا لعامة أهل مصر - فى ذلك الوقت - بدخول شارع

الأزهر والمناطق المجاورة بلا اذن أو حاجة ملحة تخص الخليفة ذاته، وهذا الحجر او المنع لم يكن قاصرًا على المصريين فقط ولكن ايضا على سفراء الدول الأجنبية الذين كان عليهم ان يترجلوا ويحنوا رؤوسهم لكى يتمكنوا من دخول شارع الأزهر الذى كان فى بدايته مخصصا لتجوال الأسرة المالكة وليس شارعًا عاما يرتاده كل من هَبّ ودبّ ، فقد كان بجدرانه المرتفعة وأبوابه التى يسهر أمامها الحراس الشداد مثال للعزلة والغموض الاسطورى الذى شغف به الخليفة الفاطمى والذى وصل الى حد الاعتماد على المنجمين فى كافة خطواته ومشاريعه، وربما لهذا الغموض الملكى الذى يكتنف شارع الازهر عرفت مدينة الفاطميين باسم (القاهرة المحروسة) فيما يبدو وهو يعنى أنها محروسة أو ممنوعة على الاعداء وكذلك على اهل مصر الاصليين!

ولعل من المناسب وفاء لقصر الخليفة المنيف الذى كان فى مواجهة (الجامع العتيق) وشكل معه بداية شارع الازهر ان نستعرض اهم ملامحه خصوصا انه أزيل تماما من الوجود ليضع فى عنق الجامع الازهر مهمة المحافظة على تاريخ الشارع وربما القاهرة الفاطمية كلها، هذا القصر كان أسطوريًا دون شك فقد كان يحتوى على اربعة آلاف حجرة واستراحة فخمة كان يجلس فيها الخليفة الفاطمى فوق عرشه الذهبى محاطًا بحجابه وأتباعه. وكان أغلبهم من السودانيين واليونانيين حيث كان يشاهد احتفالات المسلمين فى شارع الأزهر من خلف ستارة ذهبية وكانت ردهات هذا القصر مصنوعة من الزمرد وتحيط بها اعمدة من الرخام، اما ايوانه العظيم فكان يوجد تحت قبته مباشرة وكان يشهد مجلس الخليفة الفاطمى أيام الاثنين والخميس وبجواره الرواق الذى كان مخصصًا للاستماع الى المذنبين والمتظلمين ولم يكن هذا القصر ومبانيه المختلفة وليد عام واحد أو عمل حاكم واحد فقد وضع أساسه جوهر الصقلى فى يوليو عام ٩٦٩ وفى شهر مارس التالى تم بناء بوابتيه الذهبيتين وبعد عام كامل تم بناء سور القصر. ويقول المؤرخ «ناصر خسرو» إن هذا القصر كان يبدو من خارج القاهرة كأنه جبل لما كان يوجد فيه من مبان شاهقة وضع الخليفة المعز لدين الله الفاطمى تصميمها بنفسه وقد بنى الخليفة الذى اعتلى العرش من بعده وهو

العزيز البهو الذهبى والقصر الغربى فى المكان الذى يشغله الآن جانب من شارع المعز لدين الله الفاطمى.

وفضلاً عن تصميم الجامع الأزهر والقصر وتأسيس شارع الازهر فإن التاريخ يحفظ بنوع من التقدير والاجلال للمعز لدين الله الفاطمى انه جسد بين جنبات شارع الازهر ومدينة القاهرة مثالا مستنيرًا للتسامح الدينى فقد كانت له زوجة مسيحية كان اثنان من إخوتها بطاركة ملكانيين وقيل إنه أنجب منها ابنه العزيز بالله الذى تولى حكم مصر بعد ذلك كما أن كلاً من البطريرك اليعقوبى افريم وسفيروس اسقف اشمونين كانا من خيرة اصدقائه، وقد امر المعز بالاعتناء بالكنائس وتجديد ما تلف منها فضلا عن ان احد وزرائه كان يهوديا.

شارع الازهر ظل بؤرة للثراء الفاحش والفخامة الاسطورية على مدى ما يقرب من مئة عام وبالتحديد فى عام ١٠٦٦ بدأ يشهد دورة الايام وقسوتها فقد سيطر الاتراك على الخلفاء الفاطميين ونهبوا جواهر قصورهم من التحف الفنية والاحجار الكريمة، والاسوأ من ذلك انهم اقتحموا مكتبتهم النفيسة التى لم يكن يوجد لها نظير والتى كانت تستقر فى الجامع الازهر وتحتوى على مئة ألف نسخة خطية نادرة مازال الباحثون والمؤرخون والمستشرقون يبحثون عن بعضها حتى الان ثم استخدموا تلك الكنوز النفيسة كما يقول احد المؤرخين الانجليز لاصلاح احذيتهم واشعال النيران والباقى أطاحوا به فوق اكوام القاذورات.

واثناء ذلك اصبحت مصر العليا والسفلى (اى الصعيد والدلتا) فى قبضة السودانيين والبرابرة الذين كانوا فى الاصل من اتباع الخليفة الفاطمى، وانقطعت المؤن عن القاهرة وخصوصا عن شارع الازهر وبدأت المجاعة العظمى التى استغرقت سبع سنوات كاملة واحدثت دمارا لم تر له مصر مثيلا فقد وصفه احد المؤرخين الاجانب قائلا: بلغ ثمن رغيف الخبز ثمانية جنيهات وانحدر سعر المنزل الفخم الى ربع مثقال من الدقيق وكانت النساء الفاتنات خصوصا من الاسرة الفاطمية يلقين بمجوهراتهن الثمينة لقاء جزء ضئيل من الطعام اما الاحصنة والحمير وحتى الكلاب والقطط فقد كانت تباع بثمن مرتفع جدًا لأن الناس كانوا يأكلونها بشره ، والأعجب ان الناس بدأوا يخطفون ويأكلون بعضهم

بل وقيل إن القصابون كانوا يبيعون فى شارع الازهر وغيره من شوارع القاهرة الفاطمية اللحوم البشرية!.

أما الخليفة الفاطمى نفسه فبعد أن سلبه الاتراك وهجرته زوجته وابناؤه الى بغداد كانت تتعطف عليه ابنة احد علماء الازهر وتقدم له رغيفاً من الخبز كل يوم ابقاء على حياته.

كل ذلك مهد لخراب وتدمير وانحسار الاضواء عن شارع الازهر وجامعه.. ذلك الانحسار والتجاهل الذى تم بشكل قاس ومتعسف مع قدوم صلاح الدين الأيوبى الذى قرر قطع دابر الخلافة الفاطمية وحبس كل ابناء الخليفة وبناته واقاربه فى مكان واحد لمنعهم من التناسل ومنع الصلاة بالجامع الازهر بل ومجرد المرور من الشارع الذى كان عليه أن يتحمل قسوة التخريب والنهب إلى أن زالت الدولة الايوبية وجاء السلطان بيبرس المؤسس الحقيقى للدولة المملوكية فاعاد الحياة اليه وجدد الجامع الأزهر ورد له مكانته كواحد من أقدم الجامعات الاسلامية فى العالم .

اما فى اللحظة الراهنة فإن أبرز مبانى شارع الازهر بجوار الجامع العتيق والجامعة الأزهرية ومستشفى الحسين الجامعى الذى يحتوى على كلية طب الأزهر وكذلك الى جوار المبنى العتيق الذى يحتوى على ادارة الازهر يوجد على ضفتى الشارع الى اليوم شركة عدس للازياء التى أسسها فى نهاية القرن التاسع عشر رجل اعمال يهودى ومسجد وقصر انشأهما قنصوة الغورى اخر سلاطين الدولة المملوكية وظلا من بعده نهبا للتجاهل والنسيان وربما للسرقة على مدى احقاب عديدة الى ان عادت اليهما الحياة مؤخرا فقد حولت وزارة الثقافة المصرية قصر الغورى الى مسرح لعروض فرق الفنون الشعبية. أما الجامع فقد تم تجديده عام ٢٠٠٠ وافتتحه د. عاطف عبيد رئيس الوزراء وفاروق حسنى وزير الثقافة غير أن المحلات التجارية التى مازالت باقية حتى الآن أسفل الجامع والقصر تدلل على التخبط الادارى وعلى أن هذين الاثرين ما زال أمامهما الكثير لكى يستقلا تماما ويأخذا مكانهما بين أهم معالم القاهرة القديمة أو الفاطمية.

وبالقرب من قصر الغورى تطل من شارع الازهر واجهة بنك فيصل الاسلامى التى تقع على مشارف الميدان الذى شق تحته نفق ينقل المشاه الى الناحية الاخرى حيث جامع الحسين واسواق خان الخليلى.. ويقول يوسف عوضين وهو احد السكان القدامى فى شارع الازهر ان ازهى أوقات هذا الشارع تكون فى شهر رمضان وفى المولد النبوى الشريف وكذلك مولد الحسين عندما يتوافد اليه المسلمون من كافة انحاء العالم ويظل ساهرا حتى الصباح بفضل المجالس الدينية التى تبلغ اوجها فى الجامع الازهر وجامع الحسين وبفضل العروض الفنية الرمضانية التى تقيمها وزارة الثقافة سنويا_ ويضيف أن من بين ما عُرف عن شارع الازهر انه كان مزدحما بالزوايا الدينية ولعل اشهرها (زاوية العميان) التى كانت تقع خارج مدرسة الجوهرية وانشأها عثمان كتخدا وكانت تحتوى على اربعة اعمدة وقبة وميضأة ومرحاض وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع الى انه كان فوقها ثلاث حجرات لا يسكنها سوى العميان!.

وأشهر سكان شارع الازهر بعد زوال عهده الملكى بسقوط الفاطميين محمد بك أبو الذهب الذى شيد جامعا عظيما عُرف باسمه فى مواجهة شارع الازهر لكى يغتصب مكانته الدينية والعلمية واجبر كبار المشايخ والعلماء على نقل مجالسهم اليه.. غير انه فشل فى ذلك وتحول جامعه هذا الى مكان آمن للصوص والمجرمين_ وكذلك سكن فى شارع الازهر الشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية، وعمر مكرم نقيب الأشراف الذى قاوم نابليون بونابرت ومهد لمحمد على باشا حكم مصر والشيخ الخضرى وكان من اكبر علماء السادة الشافعية وجوهر القنقبائى الجركسى الذى عين خازندارا لزمام الباب السلطانى فى عهد المماليك والامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش.

وظل شارع الازهر سنوات طويلة معقلا للحركات الوطنية التى قاومت المماليك ثم الفرنسيين وبعدهما أسرة محمد على ومن أبرز قادتها عمر مكرم ومحمد عبده وجمال الدين الأفغانى وظل يتمتع بهذه المكانة الى أن غادر الاستعمار الاوروبى الاراضى المصرية الى الابد، ومن الشواهد القريبة لذلك أن الرئيس جمال عبدالناصر لجأ إلى منبر الجامع الازهر لكى يحتمى بعراقته

وحصانته من شر العدوان الثلاثى التى داهمت مصر عام ١٩٥٦ ومن فوق المنبر القى خطبته الشهيرة التى اجحت حماس المصريين لمقاومة المعتدين وقال فيها (سوف نخوض معركة مريرة وسنحارب من قرية إلى قرية ومن بيت إلى بيت ولن نستسلم أبدًا) .

* * *

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



الدرب الأحمـر

الدرب الأحـمـر ليس مـجـرد شـارع يمر أمـام باب زويلة ولكنه اسم لأول حى شعبى تشهده القـاهرة الفـاطمية سواء الأولى المعزية التى شيدها القـائد جوهر الصقلى أو الثانية التى وسعها أمير الجيوش بدر الجمالى.. كانت القاهرة أشبه بقـصـر فـخم وغـامض يخـفى خلف أسـواره الحـصينة الخلفـاء الفـاطمـيين عن رعـاياهم. وكان الدرب الأحمر فى جنوبها أشبه بضاحية شعبية تعمل ليل نهار على خـدمـة المختـفى فى القـصـر الاسطورى. سكان الحى هم الوزراء والأمـراء والخدم والجوارى والصناع وفيه الأسواق ودوره كانت مطبخا للسياسـة الفاطمية، وفى أغـوارهـا حـيكت المؤامـرات والدسـائس التى أطـارت رؤوسًا طالما ارتفـعت وتجبرت، ووضعت نهايات مبكرة ومؤلمة للعديد من الخلفاء الفاطميين، كما كان لها ـ فى النهاية ـ فضل إزالة عرشهم من الوجود الى الأبد.

كما شهد الدرب الأحمر خروج وعودة الجيوش الفاطمية سواء كانت ظافرة أو منكسـرة، وتحمل ثقل مـواكب السـلاطين الذين حكمـوا القـاهـرة، وعلى المستـوى الأحـدث فـإنه نظرًا لقـربه من الجـامع الازهر شـهـد البـدايـات الاولى للحـركـة الوطنية المصـرية، لذلك فإن ثورة يوليو ١٩٥٢ اتخـذته مقرا لتنظيمـاتها السياسية والجماهيرية، وفيه خطت شعاراتها بأقصى مظاهر التأييد الشعبى وفيه أيضًا خصوصا بعد هزيمة ١٩٦٧ ووجهت بأعنف رفض شعبى لتوجهاتها.

الدرب الأحمر يبدأ من نهاية شارع محمد على أو القلعة عند البواكى القديمة ويمر بنهاية شـارع سـوق السـلاح ثم المحـجـر ومنطقـة باب الوزير وعلى امـتـدادها

الدراسة ليضم على أطرافه الجانب الايمن من شارع الازهر ثم يستدير عبر شارع بورسعيد ليستكمل حدوده فى شارع راتب باشا وميدان الحلمية وشارع على ابراهيم قبل أن يصل الى نقطة نهايته أو بدايته فى شارع محمد على.. وتلك هى حدود ضاحية القاهرة الفاطمية التى تضم حتى الآن العديد من الحارات القديمة والشواهد الاثرية التى يعود معظمها الى أتباع وخدم الخلفاء الفاطميين والتى شهدت كواليس مسرح سياستهم، فضلاً عن أنها ضمت الأسواق التى كانت حافلة بكل ما يحتاجون اليه ابتداء من العبيد وانتهاء بالجواهر.

درب سعادة من الحوارى القديمة التى مازالت باقية فى حى الدرب الأحمر حتى الآن واسمه يعود الى سعادة بن حيان ذلك الغلام المسكين الذى أرسله المعز لدين الله الفاطمى للقاهرة سنة ٣٦٠ هـ ليعزز القائد جوهر الصقلى فى حرب القرامطة. وعندما وصل الى مشارف القاهرة استقبله جوهر فى أرض الحى استقبالاً حافلاً، وادخل القاهرة من باب القنطرة الذى عرف به بعد ذلك، ثم سيره لحرب القرامطة فى الشام، ولكنه مُنى بهزيمة منكرة عاد بعدها الى القاهرة خائباً مقهورًا ويبدو أنه لم يستطع الصبر على خزى الهزيمة والخوف من بطش الخليفة فقد توفى سنة ٣٦٢ هـ، ودفن بتربة على حافة الحى وبموقعها الآن الجزء الجنوبى الشرقى من مديرية أمن القاهرة.

أما حارة اليانسيه التى يعود اسمها الى يانس الأرمنى الصقلى الذى كان واليًا على برقة أيام الفاطميين، فيمكن اتخاذ تاريخها وصاحبها دلالة على فظاعة المؤامرات التى كانت تحاك بليل بين أركان الدرب الأحمر، وتنفذ بقسوة فى قلب القصور الفاطمية، فعندما قُتل الخليفة الفاطمى الامر بأحكام الله فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ اقيم على العرش ابن عمه الحافظ لدين الله على أن يكون كفيلا لابن الآمر الذى كان مازال جنينا فى بطن امه.

الحافظ لم يكن غريبًا عن البيت الفاطمى فهو ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله غير أن والده لم يل الخلافة لذلك كان يحظى بمكانة سياسية مرموقة على أيام الآمر وكان يلقب بـ ابن عم مولانا ولكن بمجرد أن تم تنصيبه مكان الآمر ثار عليه الجند نظرًا لأنه عين فى الوزارة هزار الملوك الذى ساعد

فى تنصيبه وبالفعل نجح الجند فى اقالة هزار الملوك واقاموا فى الوزارة ابا على كتيفان بن الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى واستبد ابو على بالامر لدرجة انه لم يكتف بقتل هزار الملوك بل قبض على الحافظ الخليفة الجديد وألقاه مقيدًا فى السجن فى أول يوم له فى الوزارة.

غير ان بطش على كتيفان لم يستمر ، فقد قُتل فى ١٦ من محرم سنة ٥٢٦ هـ بفضل المؤامرات التى كانت تحاك فى الحى وأفرج عن الحافظ وتولى أمور الخلافة مرة اخرى، واتخذ من يوم الإفراج عنه عيدًا قوميًا سماه عيد النصر وكان يحتفل به كل عام حتى نهاية حكمه.

صاحب الفضل فى عودة الحافظ واليد التى خنقت كتيفان بن الافضل هو يانس صاحب الحارة، وكان فى ذلك الوقت يشغل منصب الحاجب، فعينه الحافظ وزيرا مكافأة لجهوده التآمرية.

بعد ذلك علا شأن يانس وزاد نفوذه لدرجة أنه كان يتصرف فى أمور الدولة الفاطمية دون الرجوع الى الخليفة فثقل ذلك على الحافظ ودفعه للبحث عن وسيلة تآمرية للتخلص منه وبعد طول تفكير مكبل بالخوف من بطش الرجل الذى انقذه من غياهب السجون ووضعه على كرسى العرش وضع أمر مهمة التخلص منه بين يدى طبيبه، فما كان من الطبيب المطيع إلا أن وضع السم ليانس فى ماء الاستنجاء، فانفتح دبره واتسع حتى عجز عن الجلوس، حينها أحس الطبيب أن مهمته على شفا النجاح الباهر فطلب من الحافظ أن يزور اليانس فى بيته فى الحارة وألح عليه فى ذلك قائلا هذه هى الفرصة التامة فإذا زاره الخليفة اكتسب أمرين، الأول حسن الاحدوثة بين الناس لسؤاله عن اتباعه، والثانى أن يانس المريض بالسم سيضطرب بزيارة الخليفة له فى الحارة ويتحرك ويجلس بين يديه، مما يزيد فى مرضه ويؤدى الى هلاكه وبالفعل زار الحافظ يانسا فى بيته وأطال المكوث عنده وهو يحادثه، وما كاد ينصرف حتى سقطت أمعاء يانس، وتوفى فى نفس الليلة ١٦ ذى الحجة عام ٥٣٦ هـ، وخوفا من تكرار ما فعل وربما وفاء له لم يستوزر الحافظ أحدًا بعده.

لم يهنأ الحافظ بالحكم كما توقع، فهو وان كان آمن مؤامرات الوزراء فانه اصطلى بنار طمع الأبناء فعندما عين الحافظ فى ولاية العهد ابنه حيدرة، شق ذلك على ابنه الحسن الذى كان واسع الثراء وله الكثير من الاتباع فثار على والده ونجح فى التغلب عليه، لدرجة أن الحافظ لم يجد مهربا من مداراته فكتب له عهدا بولاية العهد، غير ان ذلك لم يزده الا جرأة وتطاولاً وطغياناً، فاضطر الحافظ الى المكيدة، سلاحه القديم والباتر، وارسل لابنه الحسن مكتوبا قال له فيه إنهما اب وابن ولا يضر أحدهما الآخر، ولكنه علم أن فلاناً وفلاناً من الكبراء قد تآمروا على قتله، لذلك فهو يحذره منهم فلم يكن من الحسن الغر إلا أن احضر الكبراء الذين حذره والده منهم وعاجلهم بالقتل، ولأنهم من أقرب أنصاره فقد كرهه الناس وانفضوا عنه كما أراد والده فشعر بضعف مركزه فالتجأ الى الحافظ فى القصر فأمر بالقبض عليه وتقييده.

وأرسل الحافظ الى الأمراء ومن بقى من الكبراء يخبرهم باستسلام ولده، فطلبوا قتله. فى البداية صعب على الوالد أن يوافق على قتل ابنه، وحاول اقناع الامراء والكبراء بأنه سيكون تحت يده مقبوضا عليه ولا خوف منه، ولكنهم صمموا على اهدار دمه، وهددوا الحافظ بأن ينفضوا من حوله ويعملوا ضده، فاستمهلهم ثلاثة أيام على أمل أن يرقوا لحال ولده، غير أنهم أصروا على الانتقام وأناخوا رحالهم بين القصرين منتظرين انتهاء المهمة فلم يجد مناصا - فى سبيل مواصلة التنعم بكرسى العرش - من موافقتهم.

الدرب الأحمر على أيام الفاطميين ولعقود بعدهم كان عامرًا بالأسواق ومنها سوق الرقيق وخصوصًا الجوارى وسوق الكفتيين، الذى يرجع اسمه الى الكفت وهو طلاء الأوانى النحاسية بالذهب والفضة، وسوق الفحامين الذى كان معظم تجاره من المغاربة، وسوق المهمازيين والملجمين، والأول نسبة الى المهماز الذى كان يوضع خلف الحذاء على شكل عجلة مستديرة بأسنان مدببة لغمز الجواد وحثه على الركض، والثانى نسبة الى اللجام الذى يقاد به الجواد، وكانت المهاميز واللجم تصنع فى الحى من الذهب والفضة.

كما كانت بالدرب الأحمر سوق الجوخيين التى كانت متخصصة فى بيع الجوخ وهو نوع من الصوف كان يستورد من بلاد الفرنجة، وسوق الحلاويين الذى كان يبيع مختلف انواع الحلوى التى يبدو انها كانت صناعة مرموقة فقد قيل إن اول من صنع الفستق الملبس بالحلوى فى عهد الفاطميين هو القاضى الفاطمى محمد بن وهبة القيروانى بالإضافة الى سوق الخلعيين وتخصصت فى بيع الملابس الخليعة اى القديمة وكان موقعها أمام جامع المؤيد الذى كان بموقعه ايضا شونة غلال الدولة الفاطمية ثم بنى فيه المماليك سجن الشمائل الذى كان اشنع السجون وفيه سجن المؤيد وتحت قسوة سجانيه الذى اكتوى بنار تعذيبهم عاهد نفسه أنه لو نجح فى الفرار وتولى السلطنة سيزيل هذا السجن من الموجود وبالفعل كان له ما أراد فهدم السجن وبنى مكانه جامع المؤيد الشهير الذى يجرى ترميمه منذ فترة طالت أكثر من اللازم.

الدرب الأحمر يشتمل حتى الآن - فضلاً عن درب سعادة - على الغورية والمغربلين والخيامية والتبانة ومعظم سكانه حرفيون بدرجات مختلفة سواء اصحاب محلات أو صناعات صغيرة ويضم عددا من البيوت القديمة التى قامت وزارة الثقافة مؤخرا بترميمها بعد أن ظلت عقودا طويلة نهبا للاهمال والقذارة والسرقة وابرزها بيت الهراوى

سكان الدرب الأحمر امتزجوا عبر التاريخ بطلاب الجامع الازهر نظرا لقربه، كما ان طلبة الازهر الذين كانوا يعرفون بالمجاورين اخترقوا طرقات ودروب الحى اثناء مظاهراتهم ضد الحكم العثمانى لذلك فإن العديد من أبناء الدرب الأحمر انخرطوا فى العمل السياسى سواء المعلن أو السرى الذى بلغ أوجه بعد هزيمة ١٩٦٧ ومنهم النائب علوى حافظ الذى كان ضمن الضباط الأحرار وتوفى مؤخرا ومنهم المناضل«محمود مدحت»أحد نشطاء اليسار المصرى فى السبعينيات.

محمود مدحت ابن اصيل للدرب الأحمر والده صاحب مطبعة وجده ترزى عربى ترجع اصوله الى صعيد مصر .. وهو فى الخمسين من عمره وليس معروفا ضمن المعارضة السياسية ولكنه بالتأكيد كان نجما بين المشتغلين بالعمل السياسى السرى طوال فترة السبعينيات غير أن هذا الوضع الذى لا يتناسب

مطلقا مع عمق تجربته النضالية أنقذه من السجن طوال مسيرته كما اتاح له الهرب الى الأردن بعد مظاهرات ١٩٧٧.

الدرب الأحمر حى سياسى منذ القدم فقد كان فيه المقر العام للإخوان المسلمين الذى يشغل مكانه الآن قسم شرطة الدرب الأحمر كما كان عامرا بالنشطاء السياسيين فى احزاب ما قبل ثورة يوليو ومنهم دينارى الذى كان عضوا فى حزب مصر الفتاة، والعديد من اعضاء الحزب الوطنى الذين كانوا يعتبرون ثورة يوليو ١٩٥٢ نابعة من أفكارهم، وكذلك كان ضمن ابناء الحى شيوعيون ووفديون وممثلون لكل القوى السياسية قبل الثورة، وهذا عزز الروح والمشاركة الوطنية فى الدرب الأحمر مع تطورات الثورة.

فى البيت المجاور لبيت محمود مدحت فى الدرب الأحمر كان يسكن المناضل محمود العيسوى الذى أطلق النار على احمد ماهر باشا رئيس الوزراء الأسبق فأرداه قتيلاً، ومدحت يذكر الى الآن مدى حزن الحى عليه الذى نبع من موقف أم العيسوى التى عندما حكم عليه بالإعدام اعتبرته عريسًا، هى لم تكن سعيدة كما قال مدحت ولكنها كانت تصرخ وسط الحى بأن ابنها عريس!!

وأمام بيت محمود مدحت كان يسكن شيخ الحارة الذى استشهد اخوه فى حرب ١٩٤٨ وعلى امتداد شارعه كانت هناك شعبة للإخوان المسلمين كما كانت مناقشات عائلته وإخوته وجيرانه قبل الثورة تنحصر فى الجهر بعدم تأييد الملك وحتمية طرد الاحتلال ومما يذكره عن هذه الفترة إصابته بالرعب من منظر مظاهرة فى الحى كانت تهتف «النحاس - النحاس» وذلك فى انتخابات أواخر ١٩٥٠.

بعد ثورة يوليو كان بعض نساء الدرب الأحمر يتحدثن بتعاطف واضح بل وبحسرة عن فوزية وفريال وفايزة وناريمان وباقى نساء الأسرة المالكة، كن مفجوعات على مصيرهن أين يذهبن وكيف يعيشن بعد طرد الملك رغم تشفى وسائل إعلام الثورة، وكأن تشفيها فى الأسرة المالكة ادى الى نتائج عكسية، فقد كانت المسألة بالنسبة لنساء الدرب الأحمر لا تعنى سوى دمار أسرة مستقرة

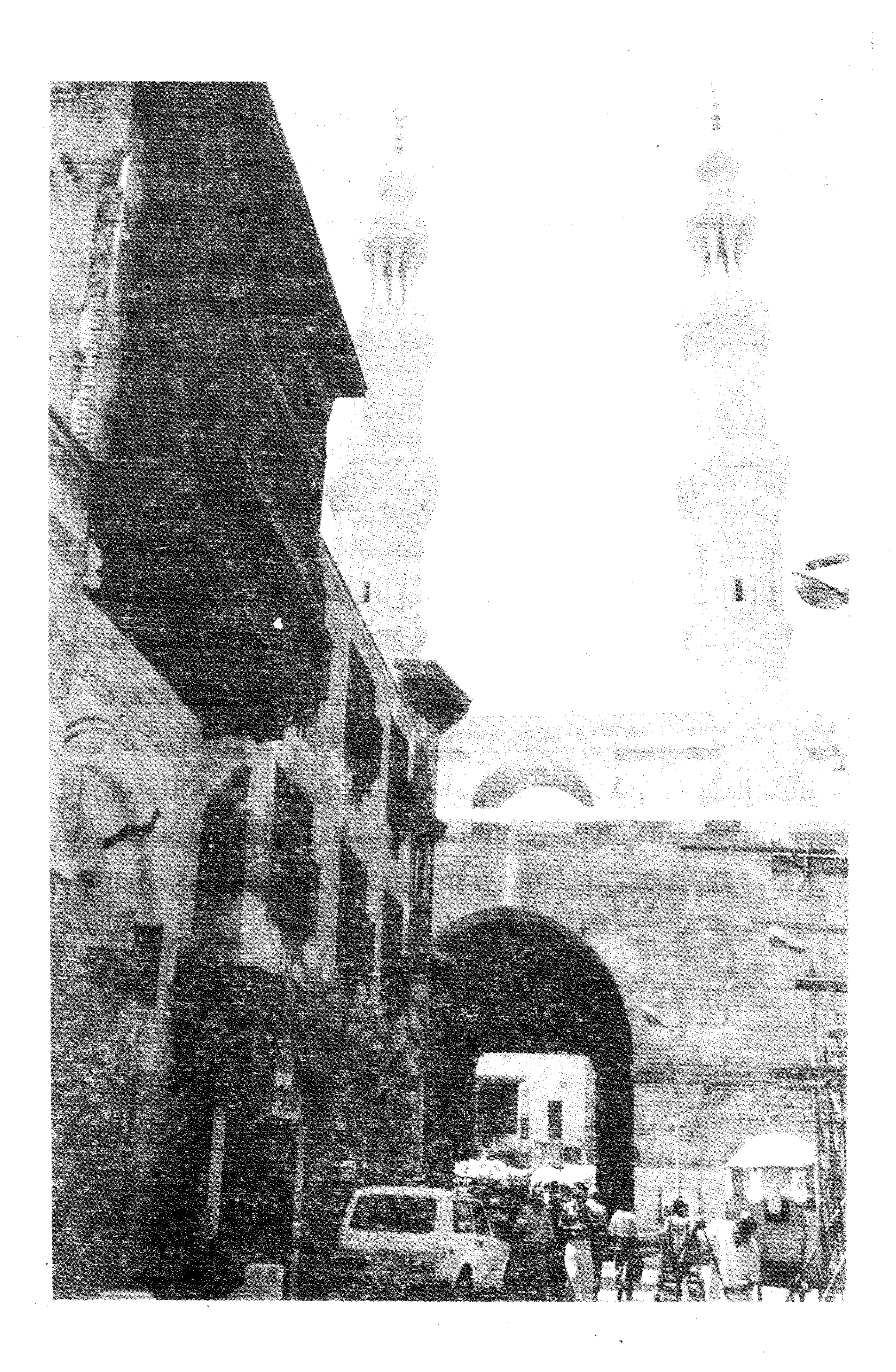
لذلك فلم يفهمن ماذا يعنى طرد أسرة من مصر سواء كانت اسرة ملك متخم بالفساد أو أسرة خفير مكبل بالفقر

شباب الدرب الأحمر كانوا ضمن اوائل الذين انضموا لكتائب الشباب التابعة لثورة يوليو وتدربوا على السلاح والقتال ضد الاحتلال الانجليزى، أما شيوخ الحى فى ذلك الوقت فقد كانوا يحذرونهم بأن الثورة ستغدر بهم كما غدرت بالإخوان المسلمين.

فى مدرسة مصطفى سرى الابتدائية بالحلمية الجديدة تعلم العديد من أبناء الحى وهى عبارة عن قصر فخم منحه صاحبه الباشا لوزارة التربية والتعليم ومن المؤسف أنه سقط صريع الهدم وبنيت مكانه مدرسة بنفس الاسم بعد زلزال ١٩٩٢. شبابيك هذه المدرسة كانت تطل على مطبعة الإخوان المسلمين، كما كانت الرحلة إليها من حارات الحى ودروبه بمثابة نزهة منعشة فالشوارع نظيفة وواسعة وشرفات القصور تظلل المكان وتزينه.

استقالة محمد نجيب وعودته ثم إقالته كانت من أهم الاحداث التى تفاعل معها الدرب الأحمر فى بداية ثورة يوليو بالاضافة الى إضراب عام ١٩٥٤ وحرق المقر العام للإخوان المسلمين ومطبعتهم الذى اقترفته كما قال محمود مدحت يد علوى حافظ احد الضباط الأحرار وعضو البرلمان عن دائرة الدرب الأحمر فى ذلك الوقت كما هتف أطفال مدارس الحى بأوامر من مدرسيهم لجمال عبدالناصر.

* * *



أبـواب القاهـرة

مدينة القاهرة الفاطمية التى أنشأها جوهر الصقلى قائد جيش المعز لدين الله الفاطمى ووسعها بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمى قبل حوالى الف عام. مساحتها ٤٠٠ فدان، وضلعها من الشمال للجنوب طوله ١٥٠٠ متر، ومن الشرق للغرب ١١٠٠ متر، ويمكن تحديد موقعها الحالى كالتالى: الحد الجنوبى بموقعه الآن شارع أحمد ماهر تحت الربع سابقا وهو يبدأ بمديرية أمن القاهرة ويمتد شرقا حتى شارع الدرب الاحمر، وبهذا الحد باب زويلة أو بوابة المتولى.. وحدها الغربى شارع بورسعيد، والشمالى كان يقع على حافة ميدان باب الشعرية وبه باب النصر وباب الفتوح، والشرقى يمتد به الآن شارع صلاح سالم.

هذه المساحة كان يلفها ويحرسها سور ضخم أسسه جوهر الصقلى بالطوب وجدده بدر الجمالى وحاول صلاح الدين الايوبى ان يبنيه بالحجارة ويمده ليضم قاهرة الفاطميين والفسطاط أو مصر القديمة وما استجد حولها من مبانٍ وأحياء خصوصًا من ناحية الغرب.

السور الغرض الأساسى منه هو حماية القاهرة من مداهمة الأعداء، وضمان نوع من العزلة والغموض والمهابة للخلفاء الفاطميين، ففى بدايته لم يكن فقط يقف كساتر معمارى صلب فى وجه الأعداء، ولكن أيضًا فى وجه أبناء البلد، فقد كان حراسه يقتنصون رأس كل من تسول له نفسه اجتيازه أو حتى الاقتراب منه.

السور بالطبع لم يكن حاجزاً والا انقلب الغرض منه وأصبح سجنا بل كان

يفصل بين الخلفاء الفاطميين واعدائهم ورعاياهم، وكانت وسيلة الاتصال المتاحة هى الأبواب.

القاهرة كان لها أربعة ابواب اشهرها حتى اليوم باب زويلة ومن خلالها كان الخلفاء الفاطميون يطلعون على شكاوى واحوال رعاياهم ومنازلة اعدائهم سواء بالخروج لمحاربتهم أو بالعودة بأسراهم مكبلين بالأغلال، وفى اوقات السلام القليلة كانوا يستقبلون سفراءهم، وفى جميع الاحوال سواء كان زوار القاهرة من الرعايا أو الاجانب كان عليهم ان يقبلوا الارض قبل وبعد ان يجتازوا ايا من ابواب القاهرة حتى يصلوا الى قصر الخليفة.

ابواب القاهرة الفاطمية الباقية حتى الآن هى باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ونبدأ التعرف على ملامحها وتواريخها بأشهرها وأكثرها جمالا وصلابة على المستوى المعمارى وهو باب زويلة الذى يعرف على المستوى الشعبى باسم بوابة المتولى، وهو اسم احتار المؤرخون فى اصوله فمنهم من أرجعه الى ان والى القاهرة كان يجلس على باب زويلة للتعرف على احوال وشكاوى رعيته ـ ومنهم من ارجعه الى اعتقاد اهالى القاهرة بأن قطب الصوفية المتولى شؤون مصر حسب تقسيم درجات الصوفية الاربعة كان يتردد على باب زويلة لتلبية حاجاتهم.. ودللوا على ذلك بأن عامة اهالى القاهرة كانوا ينزعون خرقة من ملابس صاحب الحاجة سواء كانت شفاء من المرض أو زيادة فى الرزق أو رفع ظلم الحكام، ويعلقونها بمسامير على باب زويلة، على اعتبار ان القطب حينما يزور الباب سيقضى حاجة صاحب الاثر أو الخرقة.

اصول المبنى الحالى لباب زويلة ترجع الى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى، ففى عام ٤٨٤هـ اعاد بناءه وتعليته ولكى يؤمنه جيدًا من أى هجوم محتمل لاعداء الدولة الفاطمية، شيد فوقه زلاقة كبيرة من حجارة الصوان بحيث اذا هجمت جيوش الاعداء على القاهرة لا تثبت قوائم الخيول على الصوان ـ وقد ظلت هذه الزلاقة باقية بباب زويلة حتى هدمها السلطان الكامل نصر الدين محمد بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب وقيل ان سبب ذلك



انه مر عليها فاختل فرسة وزلف فسقط من فوقه على الارض امام حاشيته وبعض رعاياه، ولكى يوارى خجله من سقوطه امام الناس صب جام غضبه على احجار الزلاقة وأمر بهدمها فهدمت فى الحال.

باب الفتوح يقع بالقرب من ميدان باب الشعرية، وكان فى بدايته حينما بناه جوهر الصقلى يقع جنوب موقعه الحالى بالقرب من المكان الذى كان يشغله قصر المعز لدين الله الفاطمى، وحينما وسع بدر الجمالى مساحة القاهرة نقله بالقرب من جامع الحاكم بأمر الله.

باب الفتوح اثناء حكم الفاطميين كان مخصصا لخروج جيوشهم للفتوحات أو لقتال الاعداء، وبعدهم كان يدخل منه سلاطين بنى أيوب بملابس السلطنة، وهى خلعة الخليفة العباسى، وكان السلطان يدخله راكبًا فرسه وبجواره وزيره على فرس آخر يحمل فوق رأسه عهد الحكم الصادر من الخليفة العباسى للسلطان الايوبى، وكان أول من دخله منهم صلاح الدين الأيوبى وقيل انه كان يرتدى جبة سوداء وطوقا من الذهب.

باب النصر يقع الآن بالقرب من باب الفتوح، وفى بدايته حينما بناه جوهر الصقلى كان أقرب لقلب القاهرة حيث الجامع الازهر وقصر المعز الذى فى جانب من مكانه الآن جامع الحسين، وفى ايام الخليفة المستنصر بالله الفاطمى تمت زحزحته إلى الشمال بما يتناسب مع اتساع القاهرة فى ذلك الوقت ـ وقد كان مخصصا لدخول الجيوش الظافرة الى القاهرة سواء التى انطلقت من مصر لمواجهة الاعداء الصليبيين على ايام الفاطميين والايوبيين، أو الجيوش التى غزت مصر على ايام العشمانيين، فقد دخل من باب النصر السلطان سليم الأول العثمانى بعد انتصاره على طومان باى آخر سلاطين دولة المماليك، ومر من باب زويلة قبل أن يتوجه الى بولاق.

ومن يومها صار ولاة مصر المعينون من قبل التاج العثمانى فى استانبول قبل ان يباشروا مهام عملهم يستمدون شرعيتهم من المرور وسط أمراء المماليك من باب النصر وباب زويلة.

وعندما عاد إبراهيم باشا من المعركة نُودى فى القاهرة سبعة أيام، وزين موكبه قبل ان يدخل القاهرة الفاطمية من باب النصر وعلى رأسه شعار الوزارة، ثم عاد الى القلعة، ليكون آخر مشاهير السياسيين الذين مروا ظافرين من أبوابٍ القاهرة، فبعده تلاشت اهميتها السياسية والعسكرية تمامًا، وصارت وخصوصاً باب زويلة حتى اليوم من المعالم الدالة على فخامة القاهرة الفاطمية وتاريخها الحافل والطويل.

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

شارع أمير الجيوش

شارع أمير الجيوش يقع فى الجزء الجنوبى الغربى من القاهرة الفاطمية.. يبدأ من ميدان باب الشعرية وينتهى فى شارع المعز لدين الله الفاطمى بالقرب من باب الفتوح،ونشاطه الأبرز هو تجاه الأوانى المعدنية والبلاستيكية، فأرضه على امتدادها تتجاور فيها ورش تصنيع الأوانى ومحال بيعها، وبضائعه التى تكاد تعطل حركة السير فيه تبدأ بقدر الفول وخزانات الماء وتنتهى بالأكواب المعدنية والبلاستيكية. وسكانه الحاليون فى الغالب من المشتغلين فى صناعة وتوزيع الأوانى، أما سكانه القدامى فقد كانوا من وجهاء القوم على المستوى السياسى أو العسكرى أو الدينى، فقد سكنه أبناء الخليفة العاضد ووزير وقائد جيوش الخليفة المستنصر الفاطمى ووكيل ابن عوف شريف مكة والشيخ على البقلى مفتى مجلس الأحكام وغيرهم.

الشارع ضيق، ويخلو إلى حد ما من مظاهر الفخامة الحديثة، وعلى المستوى التاريخى يعد من أقدم شوارع القاهرة الفاطمية، واسمه ـ أمير الجيوش ـ يرجع مباشرة إلى المؤسس الثانى للعاصمة والذى جعل منها مدينة بالمعنى الحرفى للكلمة، فقد كانت القاهرة الأولى التى بناها جوهر الصقلى أشبه بقصر أسطورى يخفى الخليفة وخاصته عن الناس، وبفضل توسيعات أمير الجيوش صارت عاصمة الفاطميين من أكبر وأضخم مدن العالم فى زمانها.

أمير الجيوش أو القائد بدر الجمالى صاحب ومؤسس الشارع والمنطقة المحيطة يوصف عادة بأنه رجل الساعة، فبمجرد دخوله مصر عام ١٠٧٤ نجح

فى إنقاذ الدولة الفاطمية من كارثتين محدقتين، أولاهما المجاعة التى أكلت الأخضر واليابس طوال سبع سنوات، وفيها أكل الناس حميرهم وبغالهم، وثانيتهما استفحال نفوذ الأتراك والبرابرة الذين استغلوا ضعف الخليفة الفاطمى وعاثوا فى الأرض فسادًا.

أمير الجيوش بدأ مشواره السياسى والعسكرى فى سلك العبيد، كان عبدا يباع ويشترى ، غير أن مواهبه وقدراته أنقذته من قسوة أيدى تجار النخاسة، ومهدت له مستقبلا مناقضًا، فقد كانت أهم أسباب رفعة شأنه وتقلبه فى أرفع المناصب كحاكم لمدينتى دمشق وعكا، وحينما جاء إلى مصر قوبل بترحاب يناسب ثقة الجميع بقدراته على إنقاذ الناس من المجاعة وجور الأتراك والبرابرة، وقيل إنه حينما دخل على الخليفة الفاطمى لأول مرة أمر جلسائه بأن يلزموا الصمت التام وإلا أطاح بهم حتى يتمكن من الترحاب بالقائد المغوار.

ولم يضع بدر الجمالى الوقت، وتحدث باقتضاب مع الخليفة الفاطمى فى أمر ظلم ونهب القادة الأتراك، وما هى إلا عشية وضحاها حتى كان جميع القادة الأتراك قد لقوا حتفهم بفعل خدعة غادرة، ولو أنها خدعة لم تخل من فائدة، فقد خلصت مصر من إرهابهم وظلمهم، وعين بدر الجمالى بعد الخلاص منهم قائدا عاما للجند، وزير السيف والقلم ورئيس القضاة، وداعى الدعاة، وقد عمل فى بادئ الأمر على إعادة النظام إلى العاصمة الفاطمية، ثم سار بعد ذلك إلى الأقاليم وأخضع قوات البرابرة والسودانيين وبعض القبائل العربية فى قسوة زائدة، فلم يكن يتردد فى قتل أى متمرد، وبذلك ساد النظام البلاد من الإسكندرية إلى أسوان.

أما مدينة القاهرة فقد استفادت إلى حد بعيد من سياسات بدر الجمالى فقد سمعت فيها مرة أخرى أغانى ومواويل البنائين الذين حصنوا وأصلحوا بناء على أوامره ما سبق أن أفسدته المجاعة ونهب الأتراك والبرابرة، كما وسعوا قاهرة جوهر الصقلى وأعادوا بناء سورها الأول الذى تهدم واختفى، فضلا عن أنهم أعادوا تصميم وبناء أبواب القاهرة الثلاثة الشهيرة والباقية حتى الآن وهى «الفتوح والنصر وزويلة» وهذا أهم ما يحفظه التاريخ لبدر الجمالى ، فقد

استقدم إلى مصر ثلاثة بنائين أرمينيين لبناء أسوار القاهرة، وشيدوها فى شكل حصين قادر على حماية أهلها وأبرزهم الخليفة الفاطمى بالطبع من الاعتداءات الخارجية، فقد كان كل باب يحتوى على غرفة للرماة أو القواسين، ويتكون مبناه من ممر له قنطرة تفضى إلى رواق مستدير يقع بين أبراج بها طبقات معدة لإصابة العدو ومتصلة بواسطة ممرة رأسى فوق القنطرة، حيث كان يوجد مكان آخر مخصص لرمى الطوب والقذائف على الأعداء، وقد كان باب النصر القريب من الشارع حسب تصميم بنائى بدر الجمالى يتضمن درجات حلزونية بديعة الشكل وأفاريز رائعة وبضعة دروع منقوشة وكتابة كوفية جميلة ظلت باقية على مدى ثمانية قرون وجعلته هو وبابى الفتوح وزويلة من أعظم أعمال بدر الجمالى فى مدينة القاهرة.

الشارع مازال يحتفظ باسم أمير الجيوش بدر الجمالى حتى الآن، فهو يجاور شوارع منطقة لم تهتم العهود السياسية المتعاقبة بتغيير أسمائها الأولى لأن قدمها وبعدها عن مراكز الحكم قلل إمكانية العداوة مع أصحابها القدامى، وهو يبدأ من ناحية شارعه المعز بمبنى مدرسة الجمالية وبعدد كبير من محلات بيع الأوانى المعدنية، وبالقرب من هذه البداية تمتد حارة برجوان التى تربط بين الشارع والخرنفش، ويرجع اسمها إلى أبى الفتح برجوان الذى كان خصيا أبيض فى خدم الخليفة العزيز بالله بن المعز الفاطمى ، وقد أوصاه الخليفة عند وفاته بابنه الحاكم بأمر الله، غير أنه خان الوصية واستولى على السلطة وأقبل على الملذات، فنقم عليه الحاكم بأمر الله ودبر له كمينا أطاح برأسه سنة ٣٩٠ هـ فى منطقة تقع على مشارف الشارع.

حارة برجوان سكن بها بدر الجمالى صاحب الشارع حينما جاء إلى مصر منقذاً فى خلافة المستنصر بالله، ثم حولها إلى دار للوزارة، وبعد وفاته نقل ابنه الأفضل شاهنشاه دار الوزارة إلى شمال القاهرة الفاطمية ، وترك هذه الدار لأخيه المظفر جعفر بن أمير الجيوش فعرفت به، غير أنه لم يهنأ بالإقامة بها وبالشارع طويلا، فقد قتل بها، فتحولت إلى دار للضيافة خصصت لإقامة الرسل والسفراء الأجانب، وحينما استولى صلاح الدين الأيوبى على مقاليد حكم مصر

أنزل بها أبناء العاضد آخر الخلفاء الفاطميين قبل أن ينقلهم السلطان الكامل بن العادل الأيوبى إلى القلعة. وعلى مستوى الأحداث قيل إن المقريزى المؤرخ الشهير سكن فى دار أقيمت محل تلك الدار.

وفى منتصف الشاع تقريبًا يزداد ضجيج ورش الحدادة حتى يكاد يصم آذان رواده، لأنها تعمل حتى الآن بطريقة بدائية تعتمد على القوة البدنية وهى فى ذلك لا تختلف كثيرا عن ورش الفاطميين، غير أن الشارع يهدأ قليلا أمام عتبات جامع الغمرى الذى أسسه بالشارع الشيخ محمد الغمرى غير أنه توفى قبل أن يتمه، فأكمله ابنه الشيخ أحمد أبو العباس عام ٨٩٩ هـ ، وبجوار هذا الجامع كان يوجد بالشارع حمامان عرفا باسم «الملطيلى» أحدهما للرجال والآخر للنساء.

والشارع على امتداده يحتوى غير مدرسة الجمالية على ثلاث مدارس، رمسيس للغات وأمير الجيوش وباب الشعرية وهى وإن كانت أقل فخامة تذكر بمدارسه القديمة، فقد كانت به مدرسة الغزنوية التى بناها الأمير حسام الدين القايماز النجمى الذى كان فى الأصل مملوك نجم الدين أيوب، وفى مقابلها كانت مدرسة اليازكوجية التى أنشأها الأمير سيف الدين يازكوج الأسدى مملوك أسد الدين شيركوه أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف.

الجمعية التعاونية لكفالة اليتيم وخليفة جامع الشعرانى الذي قيل إن الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب كان يؤذن به تفضى بالشارع إلى نقطة نهايته التى تقع على حافة ميدان باب الشعرية وبالقرب من تمثال محمد عبدالوهاب الذى تم ترميمه مؤخرًا.

* * *



حارات القاهرة الفاطمية

القاهرة الفاطمية الأولى كانت فى الأصل عبارة عن جامع وقصر، يحيطهما سور من الطوب اللبن، لكنه كان أحدث وسائل الدفاع والتحصين فى إمبراطوريات العصور الوسطى. الجامع وهو الأزهر الشريف، تحمل كوارث الطبيعة والبشر وظل فى موقعه حتى الآن. والقصر دمره الأيوبيون بقيادة صلاح الدين الذى حوله إلى سجن لآخر أحفاد المعز لدين الله، ليؤكد غياب شمس الدولة الفاطمية للأبد. وموقعه الآن فى المثلث الممتد بين الجامع الأزهر وشارعى بور سعيد والخرنفش، وأبرز ما يضمه سوق خان الخليلى وعدد من الجوامع أكبرها وأكثرها اتساعًا وارتفاعًا يعود للعصر المملوكى.

هذا القصر بناه القائد جوهر الصقلى لسيده الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، وأرهق نفسه ورجاله فى تحصينه لكى يسمح للمعز بنوع من العزلة عن رعاياه. وبمرور الوقت اتسعت القاهرة وأفسح الخلفاء الفاطميون صدورهم لمجاورة رعاياهم، خصوصًا أنهم لم يكونوا رعايا بالمعنى المعروف للكلمة، كانوا أمراء ورجالهم الساهرين على ملكهم وراحتهم، ابتداء من الدفاع عن عرشهم فى ساحات المعارك الداخلية والخارجية، وانتهاء بتطريز ملابسهم والقيام على شئون مأكلهم ومشربهم.. وبدورهم ظهرت الامتدادات الأولى لحارات القاهرة الفاطمية.

والقصر الفاطمى الذى كان أشبه بقلعة حصينة، جاور قصرًا آخر ، وتحمل ازدحام شوارع وحارات ضيقة حملت أسماء واستقبلت شخصيات كانت على

علاقة مباشرة بسكان القصر الفاطمى، بعضهم كان يخدم القصر بصناعات بسيطة كالخلعيين أى صناع الثياب، وتوجد حارة تحمل اسمهم، وبعضهم بلغ من الرفعة، بحيث تقلد أمور الوزارة وحكم البلاد برمتها. ووضع حاراتهم الآن يختلف كثيرًا عن أيامهم، فقد كانت مطبخًا سياسيًا لكل ما يدور فى البيت الفاطمى، وهى الآن مجرد ممرات ضيقة بعضها مهدم وبعضها مزدحم بمخلفات الورش وبعضها عبارة عن أسواق شعبية لمختلف الورش وبعضها عبارة عن أسواق شعبية لمختلف أنواع البضائع، وأغلب سكانها من الرعايا ولكنهم على عكس سكانها القدامى رعايا بسطاء يكدون طوال اليوم ولايعرفون شيْئًا عما يدور فى أروقة الحكم والسياسة.

بعض هذه الحارات تغيرت أسماؤها القديمة وبعضها حوفظ عليها، ولكنها فى الغالب ظلت على حالها الأول، أو الفاطمى، من حيث الاتساع وطبيعة النشاط، خصوصًا فيما يتعلق بالأنشطة الصناعية والتجارية.

حارة «قائد القواد» تعد الأكثر التصاقًا ببداية تأسيس القاهرة الأولى والدولة الفاطمية بشكل عام، وهى تقع فى حى الجمالية بالقرب من منطقة قصر الشوق، وتحول اسمها قبل حملة نابليون بونابرت على مصر إلى «درب الملوخيا»، واسمها القديم «قائد القواد» يرجع لحسين بن جوهر الصقلى الذى سكن بها عندما تقلد منصب قائد القواد، فعندما مات والده جوهر القائد مؤسس القاهرة خلع عليه الخليفة العزيز بالله الفاطمى ونصبه مكان والده ولقبه بالقائد بن القائد، وعندما مات العزيز وتولى ابنه الحاكم بأمر الله قربه وعينه على بريد العرش الفاطمى، وبمجرد أن تمكن الحاكم بأمر الله من قتل وزيره برجوان استدعى القائد حسين بن جوهر من منزله بالحارة، واستقبله استقبالا ملكيًا بالقصر الغربى الذى كان يقع على بعد خطوات، وأوكل إليه تدبير أمور المملكة بعد برجوان القتيل، غير أنه لم يطلق عليه لقب أو اسم وزير، وتركه وكاتبه أبو العلاء ابن إبراهيم النصرانى ينظران فى أمور الناس دون تحديد واضح لمنصبه.

حسين القائد أدار البلاد بنجاح وزهد فى مظاهر السلطة والصولجان ومنع الناس من أن يلقوه فى الطريق أو يركبوا إليه فى داره بالحارة، ومن كانت له

حاجة كان عليه أن يبلغها له فى القصر الفاطمى، كما منع الناس من مخاطبته فى الرقاع «المكاتبات الرسمية أو المظالم» بسيدنا كما كانت العادة فى مخاطبة الوزراء ورجال الحكم، وقيل إنه كان يتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم بأمر الله حتى أنه فى إحدى جولاته رأى جماعة من القواد الأتراك قيامًا على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال «كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه، ولست والله أبرح موضعى حتى تتصرفوا عنى، ولايلقانى أحد إلا فى القصر» فانصرفوا وبعدها عين حارسًا على باب الحارة لكى يمنع الناس من الوصول إلى داره.

غير أن هذا كما قال الجبرتى وغيره من المؤرخين القدامى لم ينقذه من تقلب أطوار الحاكم بأمر الله، فقد كان يمارس معه لعبة القط والفأر، مرة يضطهده ويطارده ويصادر أمواله ومرة يقربه ويخلع عليه ويرد إليه أمواله. وفى الثانى عشر من شهر جمادى الآخرة عام ٤٠١هـ أراحه تمامًا من السياسة والحياة نفسها فقد قبض عليه هو وابنه عبدالعزيز وأمر بقتلهما فى أحد أروقة القصر الغربى.

حارة الطوراق كانت تقع جنوب القاهرة الفاطمية بالقرب من باب زويلة واسمها الأول يعود إلى إحدى فرق الجيش الفاطمى، ورغم أن الجبرتى قال إن اسمهم مستمد من مهامهم العسكرية، حيث كانوا يقومون بحمل الطوارق أو المطارق، إلا أنه ينسب أيضا إلى قبائل الطوارق التى يسكن بعضها الآن جنوب ليبيا والجزائر وشمال النيجر، ويبدو أن هذا التفسير أقرب للحقيقة. فالجيش الفاطمى حين فتح مصر كان يعتمد على عدد من هذه القبائل، كما أن المنطقة التى تحتلها الحارة الآن كانت تجاور سوقًا للرقيق المجلوبين من إفريقيا.

«حارة اليانسية» تقع أيضا بالقرب من باب زويلة فى منطقة أهم ما يميزها الآن كثرة المحلات التجارية والورش، وتعتبر من الأماكن المفضلة لزوار القاهرة الأجانب واسمها يرجع إلى أبى الحسن يانس الذى بدأ حياته كخادم أرمنى خصى فى البلاط الفاطمى، وتدرج فى المناصب السياسية حتى تولى القاهرة والإشراف على القصور الفاطمية غير أنه لم يبلغ أرفع مناصبه سوى فى عهد

الخليفة الحافظ لدين الله، وكان ذلك مكافأة له على إنقاذه للحافظ نفسه من الويلات، فبعد أن قتل النزارية «نسبة للأمير نزار الفاطمى» الخليفة الآمر بأحكام الله أبا على المنصور فى شهر ذى القعدة عام ٥٢٤هـ أقام قائدهم هزير الملك والأمير الميمون عبدالمجيد على الخلافة بدلا من الآمر ولقب بالحافظ لدين الله وعين نفسه فى منصب الوزارة، فثار عليه جند الجيش الفاطمى وقتلوه وعينوا بدلا منه الأمير كتيفات ابن أمير الجيوش، وسيطر كتيفات على أمور البلاد وقيد الخليفة الحافظ بالسلاسل وسجنه فى القصر الفاطمى الذى يشغل جانبًا من مكانه الآن جامع الحسين ومحلات خان الخليلى، ولكن كتيفات لم يعمر طويلا فى السلطة فقد داهمه اليانس على رأس مجموعة من الفرسان وقتله وفك أسر الخليفة السجين الحافظ لدين الله وأعاده مرة أخرى إلى كرسى الخلافة فجازاه الحافظ بأن خلع عليه وعينه وزيرًا لملكه.

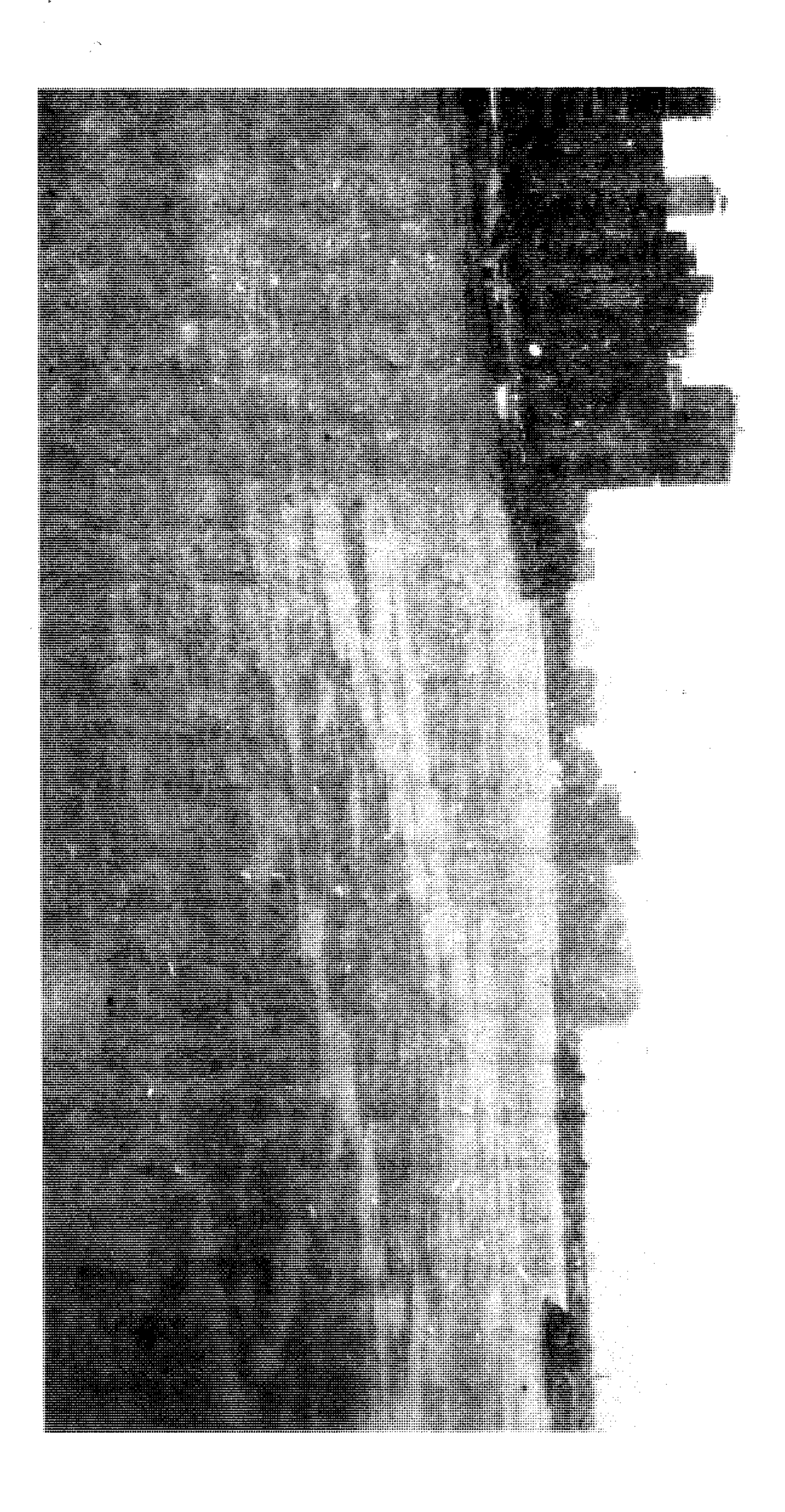
الأمير أبو الحسن يانس كان عاقلا ومهيبًا ومحافظًا على قوانين الدولة وقبل الوزارة كان يلقب بالأمير السعيد وبعدها لقب بناصر الجيوش سيف الإسلام، وكان كما وصفه المؤرخون شديد الهمة وكثير الشر شديد الهيبة ويبدو أن شره هو الذى أطاح به فقد قبض على أحد الرجال المقربين من البلاط الفاطمى وقتله داخل قصره دون علم الخليفة الحافظ وقبل أن يفيق الحافظ من هذا التجاوز الخطير كان يانس قد ألقى القبض على أبرز رجال حاشيته ومنهم قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلهم جميعًا فاشتد ذلك على الحافظ وبدأ يعد للخلاص منه واستدعى طبيبه وقال له: اكفنى أمر يانس. فما كان من الطبيب الذى تعود على مثل هذه المهام إلا أن وضع له سمًا دمر أحشاءه فمات فى داره بالحارة بعد أيام معدودة.

الخليفة بعد مقتل يانس صاحب الحارة ترك منصب الوزارة شاغرًا فترة قاربت العامين ثم عهد به لأكبر أبنائه الأمير سليمان ولكنه مات بعد أقل من شهرين فجعل مكانه أخاه الأمير حيدر فشق ذلك على الابن الثالث للخليفة الأمير حسن، وكان واسع الثراء ويمتلك عدة بلاد وجيوشًا من الخيول والماشية وسعى إلى نقض قرار والده وتولى كرسى الوزارة وولاية العهد بالقوة ونجح فى

إشعال فتنة فى الجيش الفاطمى بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية، وكانت الريحانية أقوى، واشتعلت نيران الحرب بين الطائفتين فى منطقة قريبة من الحارة وقتل ما يزيد على خمسة آلاف، وكانت هذه أولى مصائب الدولة الفاطمية وقيل إن الرجال كانوا يفرون من أرض المعركة بالقاهرة الفاطمية ويلقون بأنفسهم فى نهر النيل وفى النهاية انتصرت طائفة الجيوشية الموالية للأمير حسن وانضم إليه كما قال المؤرخون أوباش الناس ودعارهم وشرع فى تعقب كبار رجال والده الخليفة الحافظ ومنهم على ابن العساف الذى قبض عليه وقتله ثم قصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدر فى القصر ولكنهما اختفيا ولكى ينجو الحافظ من بطشه أرسل له سجلا بولاية العهد، ولكنه لم يزده إلا جرأة وإفسادًا وتشددًا فى التضييق على والده وأخيه فتضاعف خوف الحافظ على نفسه وأرسل إليه خطابا حاول فيه التنصل من محاربته «وقال يا ولدى أنت على كل حال ولدى ولو عمل كل منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيبه مكروه ولايحملنى قلبى.. وقد انتهى الأمر إلى أمراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معولون على قتلك وخذ حذرك يا ولدى»

وعندما وصل خطابه إلى الأمير حسن أمر جميع الأمراء الذين سماهم الحافظ وأطلق فى رقابهم السيف حتى قتلوا جميعًا كما أحاط بدورهم ونهب أموالهم وقتل قاضى القضاة أبا الثريا نجم لأنه كان من خواص ولده وكل ذلك أدى بأن عجل بنهايته فقد تمرد حوالى عشرة آلاف من الجنود والفرسان وتوجهوا إليه ففر إلى قصر والده فما كان منهم إلا أن ضربوا حصارا حوله وطالبوا الحافظ بقتله وعندما حاول التهرب من طلبهم وأغراهم بالمناصب والأموال أحضروا الحطب والنيران وهددوا بحرق القصر فسألهم أن يمهلوه ثلاثة أيام وأمر طبيبه ابن قوقة بإنهاء المهمة فنفذها باقتدار بعد حوالى ساعة غير أن الجنود لم ينهوا حصار القصر الفاطمى إلا بعد أن رأى أحدهم جثة الأمير حسن.

* * *



شارع أحمد بن طولون

شارع أحمد بن طولون يمتد وسط منطقة تفصل بين نقطتين شهيرتين وعزيزتين على تاريخ القاهرة على المستوى الدينى والحربى والسياسى وهما جامع السيدة زينب حفيدة رسول الله ﷺ وقلعة صلاح الدين الأيوبى، كما أنه على مستوى مكان وتاريخ إنشائه يعتبر الحد الفاصل بين مدينة الفسطاط التى بناها عمرو بن العاص لتكون أصل العمارة الإسلامية فى القارة الإفريقية، والقاهرة الفاطمية التى شيدها جوهر الصقلى لتكون مقرًا أو عاصمة لحكم الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، فالشارع يقع وسط سهل مرتفع يكاد يتاخم منطقة الفسطاط وامتداداتها، وينظر من أعلى لامتدادات شارع المعز لدين الله أهم شوارع القاهرة الفاطمية أسس الشارع وأقام به أحمد بن طولون، وكان قبله يسكن فى قصر الإمارة الذى كان مقر من سبقه من ولاة مصر، وكان يقع خارج أسوار الفسطاط فى ضاحية أو مدينة صغيرة عرفت باسم العسكر وكانت تقع شمال الفسطاط، ويحدها من الشرق جبل يشكر الذى شيد أحمد بن طولون فوقه جامعه الذى مازال يتوج الشارع والمنطقة حتى الآن، كما كانت تنتهى من ناحية الغرب بقنطرة السباع التى كانت تمتد فوق الخليج المصرى الذى يحتل مكانه الآن شارع بورسعيد، وبالتحديد فى المنطقة التى يتسع فيها الآن ميدان السيدة زينب القريب من الشارع.

أحمد بن طولون اختار أرض الشارع والمنطقة لبناء قصره الذى عرف باسم قصر الميدان بعد ما ضاقت العسكر والفسطاط بمنشآت وخيرات ولاية مصر، فالمخازن اللازمة للاستعدادات الحربية اتسعت والخيول تزايدت والخيرات

تراكمت، وفى ذلك الوقت كانت أرض الشارع تتوسط سهلا مرتفعًا يمتد إلى الشرق من الفسطاط ويصل إلى جبل المقطم، كما كان يحتوى على الكثير من قبور النصارى واليهود التى هدمها أحمد بن طولون وأقام مكانها قصرًا وميدانًا، ووزع أراضى الشارع والمنطقة المحيطة به على قادة جيشه وأهم أتباعه، وأمرهم ببناء منازلهم وقصورهم عليها واتخاذها سكنًا دائمًا.

وبناء على هذا الأمر الطولونى سرعان ما امتلأت منطقة الشارع التى تعرف باسم طولون بالعديد من المبانى حتى تحولت فى مدة قصيرة إلى مدينة بلغت مساحتها ميلا مربعا، وأطلق عليها أحمد بن طولون اسم القطائع، وهو يعنى قطع الأرض التى منحها ملاك الشارع الأوائل لأتباعهم.

مدينة القطائع التى يمتد الشارع فى وسط موقعها الآن كانت تحدها من الشمال الشرقى الصخرة المرتفعة التى شيد عليها صلاح الدين الأيوبى فيما بعد قلعته الشهيرة، كما كانت تتاخم من ناحية الجنوب مدينة الفسطاط، وسرعان ما اتصلت بمدينة العسكر بل ومحت اسمها وصارت مدينة باهرة الجمال بحدائقها الرائعة وقصورها الفخمة ومساجدها الجميلة، وهى ملامح لاتوجد الآن سوى داخل صفحات المؤرخين وتصنع مفارقة مذهلة عند مقارنتها بوضع الشارع الآن، حيث إنه باستثناء جامع ابن طولون وبعض الأشجار لم يبق من مدينة ابن طولون بالشارع شىء، بل تحول من موطن للأمراء ورجال الحكم إلى موطن للبسطاء والمعدمين .

قصر أحمد بن طولون حسب وصف العديد من المؤرخين ومنهم علماء الحملة الفرنسية كان أفخم وأكبر مبانى الشارع والمنطقة بعد الجامع، وكانت له أبواب عديدة للدخول، وكل باب كانت تعلوه شرفة مرتفعة يمتد البصر منها نحو مدينة الفسطاط وضواحيها ومجرى النيل بل وحتى الأهرامات. وكان أحمد بن طولون يحب الخلود للراحة فيه خاصة عشية الأعياد، فقد كان يتمكن بفضل ارتفاع أرض الشارع من رؤية حركة حاشيته ورعاياه وهم منهمكون فى أشغالهم واستعداداتهم للأعياد، وعندما يلاحظ أن هناك ما ينقصهم يبادر بقضاء

حاجاتهم من داخل قصره الذى كان محفوفًا بميدان الخيول وموقعه الآن ميدان يعرف باسم ابن طولون فى بداية الشارع.

أحمد بن طولون صاحب الشارع وأول من سكن فيه. ولد فى بغداد وقيل بسامراء عام ٨٣٥، وهو العام الثالث من حكم الخليفة العباسى المعتصم بالله أخى الخليفة المأمون وثالث أبناء الخليفة هارون الرشيد.

أم أحمد بن طولون كانت جارية شابة يعرفها بعض المؤرخين باسم «قاسمة» والبعض الآخر باسم «هاشمة» أما والده فينتمى إلى قبيلة تركمانية كانت تنتشر حول مدينة بخارى، وفى إحدى الغزوات وقع طولون والد أحمد أسيرًا بين يدى الأمير نوح بن أسد السامانى حاكم بخارى من قبل الخلافة العباسية فأرسله مع باقى الأسرى والغنائم إلى الخليفة المأمون، وكان الأسرى فى ذلك الوقت يعاملون معاملة العبيد، غير أن طولون سرعان من أثار انتباه الخليفة من أول لقاء بما له من قدرات ومزايا جسمانية، فألحقه الخليفة بخدمته الخاصة، وساعد طولون فى الحصول على هذا المنصب المهم ريبة الخليفة العباسى فى أمراء بلاطه خصوصًا أقرب الناس إليه وسرعان ما أعطاه الخليفة قيادة حرسه كما نصبه حاجبًا وهو منصب يعبر عن الثقة الكبيرة، حيث إن أبرز مهامه هى السهر على الأمن الشخصى للخليفة.

طولون توفى عام ٨٥٣، فأمر من الخليفة العباسى بأن يخلفه ابنه أحمد فى منصب الحراسة والحجابة لما عرف عنه من أمانة وسماحة وثقافة حب للعمل والدين وشغف بالعلم لدرجة أنه كان ينقطع للدراسة على أيدى كبار علماء المسلمين فى تلك الفترة.

عام ٨٦٨ عين أحمد بن طولون نائبًا لوالى مصر فى الفسطاط، غير أنه سرعان ما هيمن على باكباك وأصبح الحاكم الفعلى لولاية مصر، وفى ذلك الوقت تعرض باكباك لسخط الخليفة المهتدى فأمر بقطع رأسه، وعين بدلا منه برقوق وقيل بارجوخ والد زوجة ابن طولون الذى ولى صهره ليس فقط الفسطاط

ولكن معظم الأقاليم المصرية بما فيها الإسكندرية ، وهكذا أصبح أحمد بن طولون حاكم مصر بشكل رسمى ٨٧٠ وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ٨٨٥.

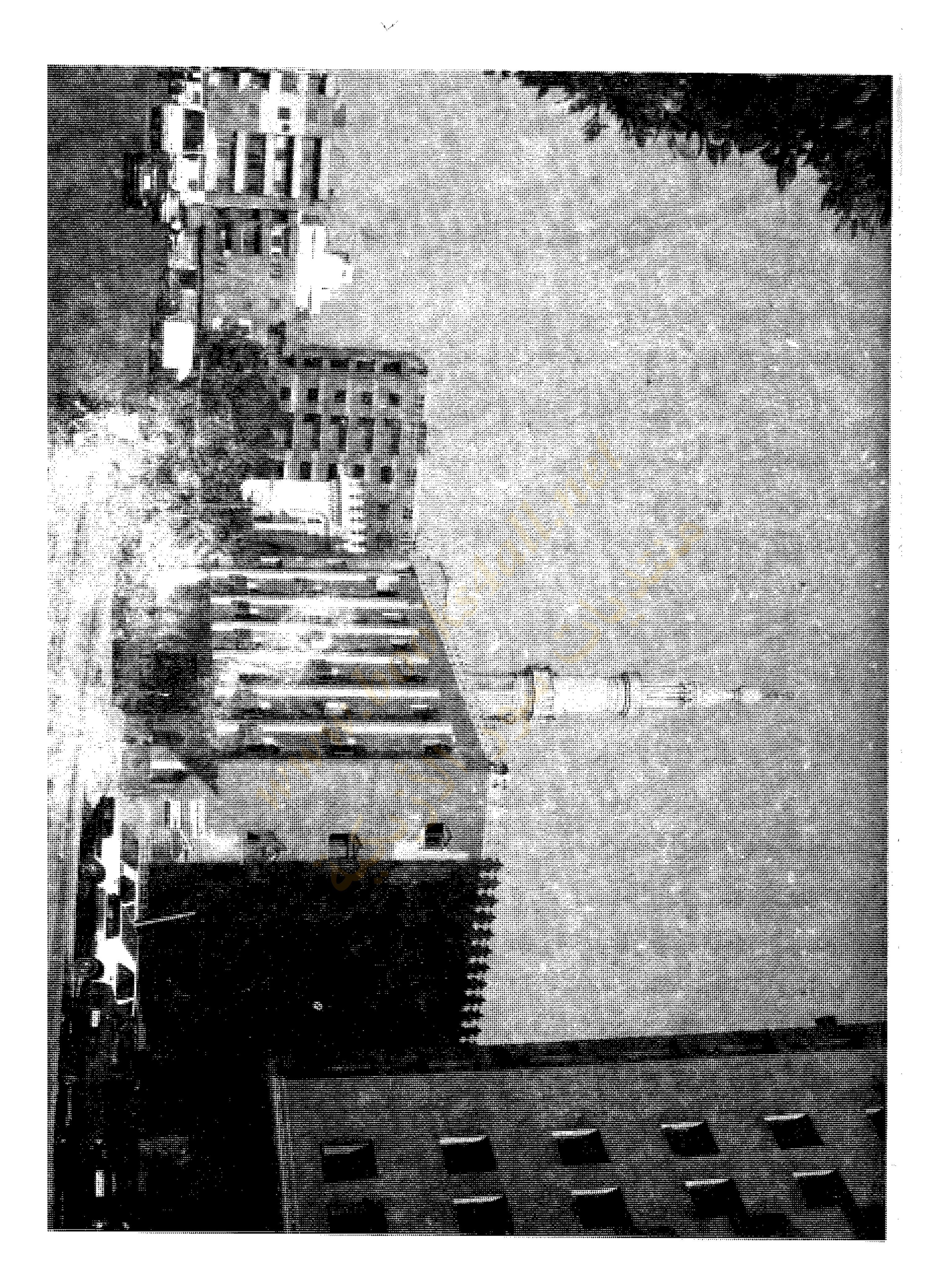
الشارع يمكن دخوله من زاوية تقع أسفل الجدار الغربى لجامع ابن طولون، كما يمكن الوصول إليه من سلم يشرف على شارع الصليبة ليسهل على سكانه الصعود إليه، ومدخله الرسمى والأكثر اتساعًا هو ميدان طولون الذى يقع أمام الجدار الشرقى للجامع مباشرة، وهو يشغل الآن مكان جزء من ميدان الخيول الذى كان يحيط بقصر أحمد بن طولون.

مدرسة شجرة الدر الإسلامية عبارة عن مبنى قديم بالشارع وتواجه مصنعا للبلاط والحديقة الممتدة بعرض الميدان، وبعدهما تطل قبة مقام الشيخ هارون الحسينى الملحق بالجامع.

زقاق المستكفى يقع خلف جامع ابن طولون وبه تكتمل مساحة ميدانه، كما أنه يعدّ نقطة وسط فى الشارع، فمنها يمتد ناحية القلعة حتى درب الحصر، ومنها إلى ناحية جامع السيدة والفسطاط حتى شارع أو منطقة زينهم.

الشارع يقع فوق منطقة مرتفعة فمن قلبه يمكنك تأمل جانب من جبل المقطم، كما يمكنك أن تطلع على معظم منطقة الفسطاط والسيدة عائشة والسيدة سكينة. ورغم أنه فى مجمله ضيق وسكانه خليط من بسطاء القاهرة إلا أنه لايخلو من الجمال، فثمة العديد من تكعيبات العنب والأشجار التى تظلل منازله وأرضه خصوصًا من ناحية زينهم، وثمة اعتناء واضح بنظافة وتنظيم المنازل رغم أن بعضها من الصفيح ، وفى نهايته فتاة جميلة تقرأ فى كتاب أمام محل متواضع يمكنك من أمامه أن ترى القباب الفضية لقلعة صلاح الدين الأيوبى.

* * *



شارع صلاح الدين الأيوبى

شارع وميدان صلاح الدين الأيوبى يبدأ جنوب شرق القاهرة الفاطمية من ناحية السيدة عائشة بعدد من المآذن أشهرها مئذنة جامع السلطان الغورى، وينتهى أمام قلعة صلاح الدين الأيوبى بعدد آخر من المآذن أشهرها مئذنة السلطان حسن، وتاريخه العمرانى والسياسى يعود إلى بدايات عهد الدولة الطولونية، فعلى ضفته الغربية شيد أحمد بن طولون عاصمته القطائع كما شيد ميدانه وقصره الذى كان يقتطع جزءًا من الشارع حتى هدم واندثر. وبعد عدة قرون اختار القائد صلاح الدين الأيوبى أرض الشارع لبناء قلعته الحصينة التى مازالت قائمة حتى اليوم، واحتفظت بمقر حكم مصر طوال مايزيد على السبعمائة عام، فقد حكم منها الأيوبيون والمماليك وكذلك محمد على باشا فى بدايات حكمه، ولم يغادرها مقر الحكم إلا حينما بنى الخديو إسماعيل قصر عابدين وجعله مقرًا لحكم مصر.

الشارع قصير إلى حد ما، وأبرز مايميزه كثرة الحدائق والمآذن، فهو يبدأ بحديقة ومئذنة وينتهى بحديقة ومئذنة، غير أنه ارتبط بأحداث سياسية جليلة ومؤثرة فى تاريخ مصر خصوصًا الإسلامى، ففيه خطط أحمد بن طولون لاستقلال مصر عن الخلافة العباسية، وفيه بدأ الأيوبيون حكمهم على أنقاض الدولة الفاطمية، وإليه صعد السلاطين المماليك بعد أن هزموا التتار واقتنصوا حكم مصر من الأيوبيين، وفيه أيضا أجهز محمد على باشا على الأمراء المماليك فى مذبحة القلعة، لذلك فإن الشارع منذ بناء القلعة فيه وحتى بناء قصر عابدين بعيدًا عنه، كان منطقة استراتيجية فى منتهى الأهمية، ففرض السيادة عليه كان

يعنى الاستيلاء على حكم مصر كلها، ومن هنا جاء اهتمام السلاطين والملوك به، فعلى ضفته الغربية بنى ابن طولون قصره وميدانه وملعبه، وفى عام ١٢١٤ حفر الملك الكامل محمد الأيوبى إلى جانبه ثلاث برك لتوفير الماء لسكانه، كما اهتم به الملك الصالح نجم الدين ـ آخر ملوك الأيوبيين ـ اهتمامًا زائدًا وظلله بالأشجار من كل ناحية.

وفى عهد الدولة المملوكية زاد الاهتمام بالشارع، ففى عام ١٣١٢ وسعه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأحاطه بسور مازالت بقاياه موجودة إلى الآن فى أوله من ناحية السيدة عائشة، كما غرس على حوافه النخيل والأشجار وأقام فى ميدانه حظائر لمختلف أنواع الحيوانات، وقيل إنه كان يتنزه به ويلعب «البولو» فى ميدانه، كما كان يقيم فيه صلاة العيدين ويستعرض خيوله المشهورة.

وبعد الملك الناصر قلاوون قل اهتمام سلاطين المماليك بالشارع إلى أن تخرب تماما عام ١٣٩٧ فى عهد الملك الظاهر برقوق، غير أنه سرعان ما عاد إليه ألقه الملكى فى عهد السلطان الغورى الذى اهتم به وغرس على حوافه خصوصا من ناحية القلعة مختلف أنواع أشجار الفواكه والزهور، وأقام فى وسط ميدانه بركة ماء أطلق عليها اسم «فرس البحر» كما أقام فى أوله من ناحية السيدة عائشة أحد جوامعه.

وبعد وفاة الغورى أهمل الشارع طوال حكم العثمانيين وتحول إلى مقر للأسواق الشعبية العشوائية وإن كان قد حافظ على مكانته كمقر لحكم مصر طوال عهد العثمانيين، وفى مستهل القرن العشرين أعيد الاهتمام به وبميدانه باعتباره من المناطق التاريخية، وغرست على حوافه الحدائق كما شيدت به بعض المبانى الحديثة على نسق معمارى عربى إسلامى لتنسجم مع المجموعات الأثرية التى تكتنفه من أوله إلى آخره ومنها مكتب التلغراف وكشك النور، كما أقيمت به أعمدة إنارة على الطراز العربى.

الشارع على مدى تاريخه تناوبت عليه عدة أسماء، ففى بدايته عرف باسم «الرملية» ثم «سوق الخيل» ثم «المنشية» ثم «سوق العصر» التى كانت تعقد فيه

عصر كل يوم طوال فترة إهماله وتخريبه كشارع ملكى فى عهد السلطان المملوكى الظاهر برقوق، واسمه الحالى يعود إلى القائد صلاح الدين الأيوبى.

وصلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين ومحرر القدس الشريف وحامى حمى الإسلام جاء إلى مصر فى شهر يناير عام ١١٦٧ وفى ذلك الوقت كان رئيسًا لأركان جيش الملك نور الدين زنكى سلطان دمشق، وجاء فى مهمة عسكرية مفادها تخليص مصر وعرش الفاطميين من أطماع «عمورى» ملك بيت المقدس، وحكم صلاح الدين الإسكندرية لمدة خمسة وسبعين يوما، كما حكم عمه وقائده الأمير شيركوه الصعيد.

وبعد عامين، وبالتحديد فى شهر مارس عام ١١٦٩ عين صلاح الدين الأيوبى وزيرًا للخليفة الفاطمى، وفى نفس الوقت كان يواصل مهامه كنائب للملك نور الدين زنكى سلطان دمشق، غير أنه سرعان ماتخلص من المنصبين وصار سلطانًا على الدولة الإسلامية فى مصر والشام، ففى عام ١١٧١ أطاح صلاح الدين الأيوبى بعرش الدولة الفاطمية وقضى على آخر خلفائها وأسر أقاربه وشتت عبيده وأتباعه ووزع قصوره على إخوته وقادة جيشه، وبذلك وضع حجر الأساس للدولة الأيوبية.

ورغم أن صلاح الدين الأيوبى لم يقم فى مصر سوى ثمانى سنوات من مدة حكمه التى بلغت أربعة وعشرين عامًا وانتهت بموته فى دمشق عام ١١٩٢ فإن أحدا من الحكام الذين سبقوه فى حكم مصر لم يترك ماترك بها من آثار، فإليه يرجع الفضل فى اتساع القاهرة كعاصمة حديثة وليس مجرد حصن متسع ومدجج بالسلاح مخصص لحماية الخلفاء الفاطميين وأتباعهم، فقد كان صلاح الدين الأيوبى أول من وضع تصميمًا جامعًا للقاهرة، فبدلاً من أن يحذو حذو من سبقوه من الحكام ويبنى مثلما بنوا ضاحية جديدة له ولأتباعه، عقد العزم على أن يوحد أحياء القاهرة المسكونة سواء كانت قديمة أو جديدة، وأحاطها بسور واحد ثم توجها بقلعة رائعة تعد أبرز معالم الشارع والقاهرة بشكل عام.

كما عمل على إحياء منطقة الفسطاط التى كانت قد احترقت بأمر القائد الفاطمى شاور، وأزاح عنها الرماد وجعلها تتنفس الحياة مرة أخرى، أما أهم إنجازات صلاح الدين الأيوبى المعمارية فهى أنه أدخل نظام المدارس الذى أحدث مايشبه الثورة العلمية والمعمارية فى القاهرة ومصر بشكل عام.

الشارع يبدأ من ناحية السيدة عائشة بثلاث مآذن، واحدة مملوكية، وثانية عثمانية، وثالثة تغوص فى أعماق المقابر، ويستهل امتداده بحديقة صغيرة ومثلثة. تواجهها حديقة أخرى أكثر اتساعًا واستعدادًا لاستقبال الزوار.

مبنى جامع سيدى عبد الله حديث نسبيًا بالشارع، فقد أقيم مكان زاوية الشيخ عبد الله التى تخربت فى عهد المماليك وتجددت فى بدايات عهدالأسرة العلوية، وبعده تطل بالشارع دار المناسبات التابعة لمسجد الجمعية الشرعية.

مركز إعداد القادة التابع لوزارة الشباب والرياضة يواجه مقهيين شعبيين وفقيرين بالشارع، وبعده تطل واجهة مدرسة صلاح الدين الأيوبى الإعدادية ومبنى إنجليزى عتيق يحتوى على مقر الحزب الوطنى فى حى الخليفة ويجاور مدرسة السيدة عائشة.

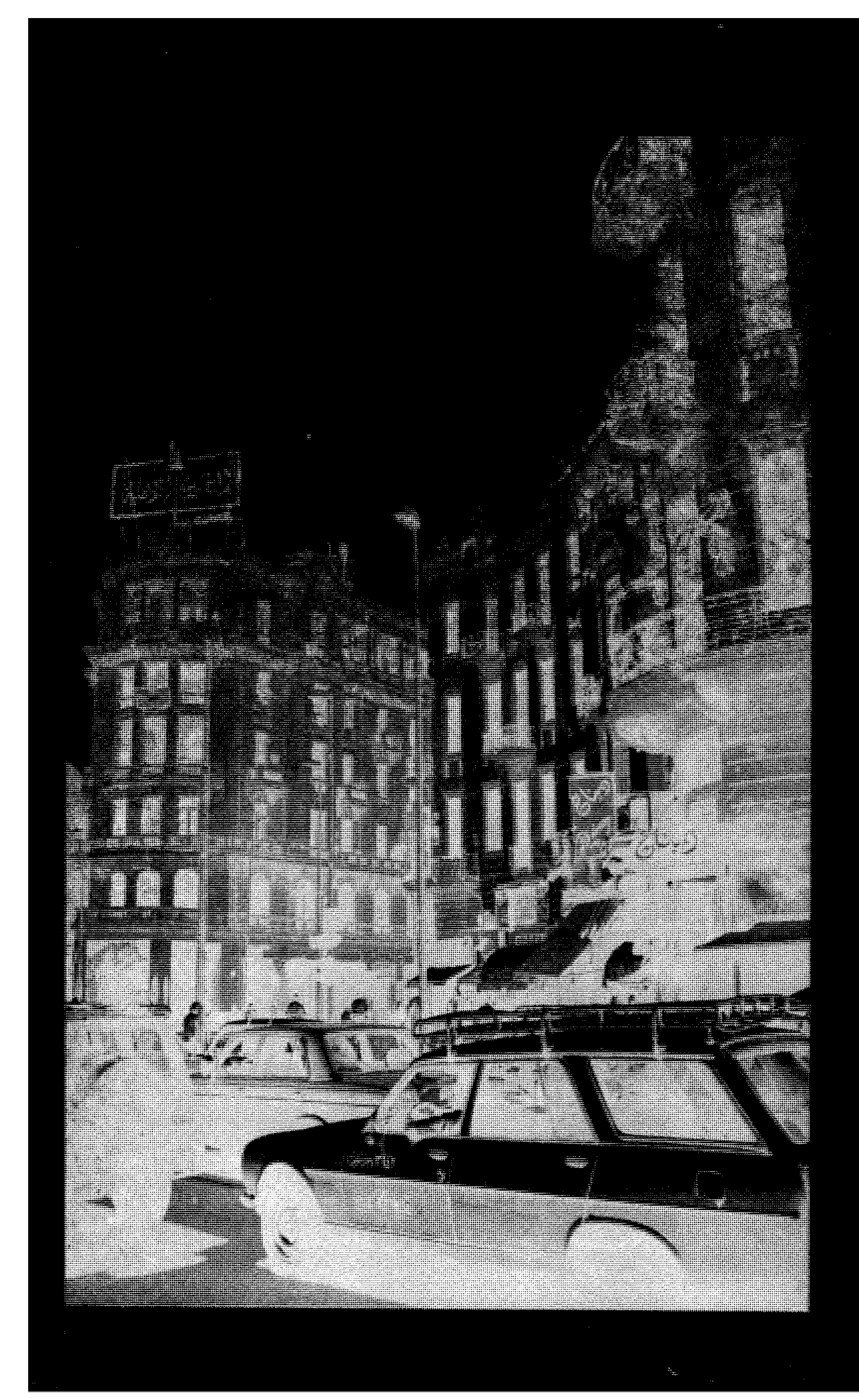
مبرة مصطفى كامل وطلعت حرب أسست بالشارع عام ١٩٤٠ وتجاور متحف الزعيم مصطفى كامل الذى أنشئ عام ١٩٤٩ وانتقل إليه جثمان الزعيم فى موكب شعبى كبير مر بأرض الشارع عام ١٩٥٣، وحضره العديد من قادة العمل التنفيذى والشعبى، فعند رحيل مصطفى كامل عام ١٩٠٨ودفن بناء على وصيته فى مقبرة متهالكة مع والدته بمقابر الإمام الشافعى، وفى عام ١٩٤٤ اقترح المؤرخ الشهير عبد الرحمن الرافعى على مجلس الشيوخ المصرى تشييد مدفن جديد يضم رفات الزعيم الشاب، وبالفعل نفذت الحكومة اقتراحه وأقامت المتحف والضريح فى عام ١٩٤٩، ونقلت إليه رفات الزعيم عام ١٩٥٣.

ضريح ومتحف مصطفى كامل بالشارع يضم إلى جواره رفات المؤرخ عبد الرحمن الرافعى الذى توفى عام ١٩٦٦ والزعيم محمد فريد الذى توفى عام ١٩١٩ والمفكر السياسى فتحى رضوان الذى توفى عام ١٩٨٨.

متحف مصطفى كامل يتميز فى الشارع بقبته التى تكاد تنافس القباب الفضية للقلعة ويفضى إلى حديقة أخرى تصنع قوساً من الخضرة يوازى فخامة وجمال باب القلعة ومآذن جامعى السلطان حسن والرفاعى التى تصنع معا نهاية زاهية للشارع.

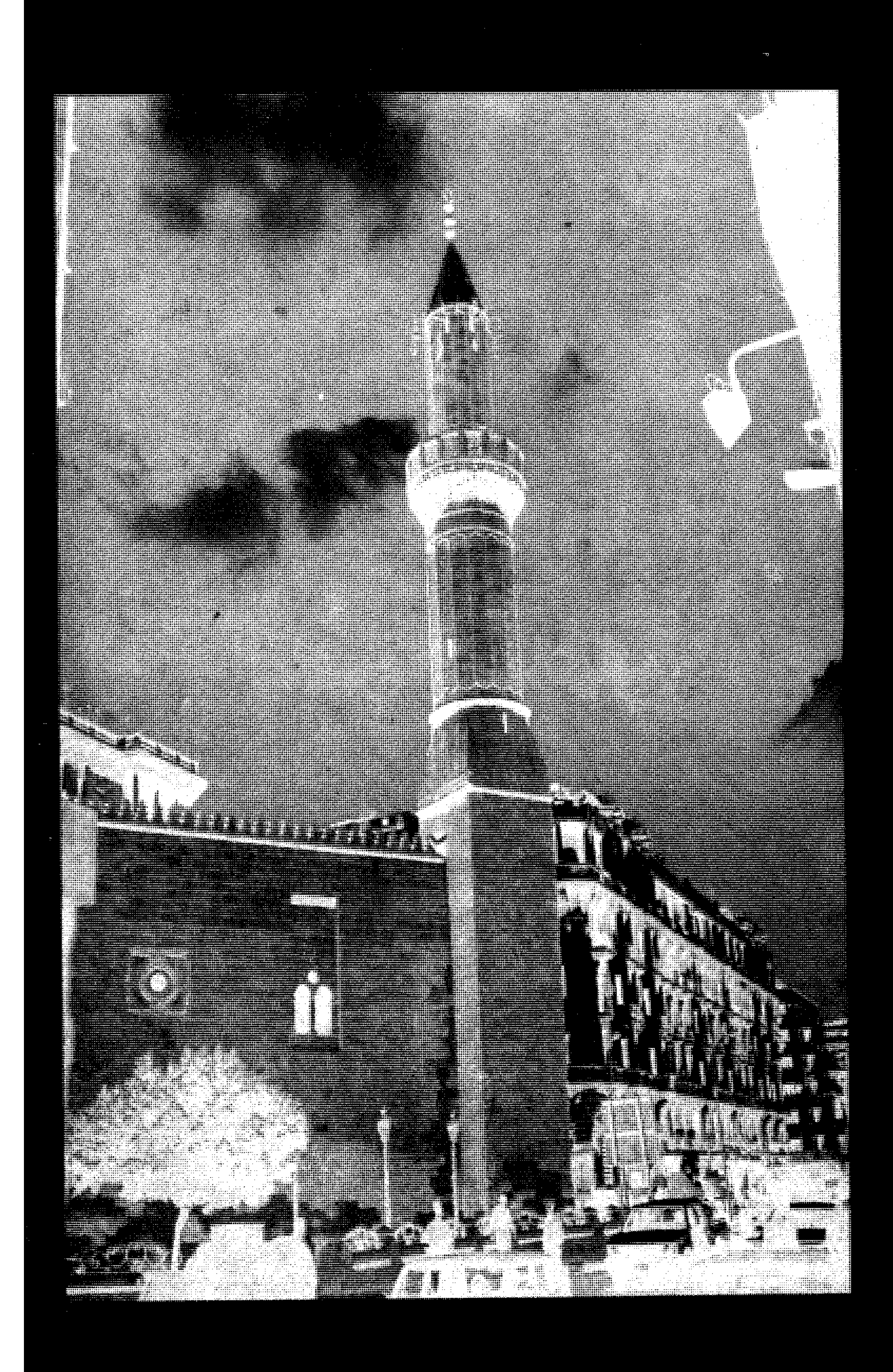
* * *

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



القاهرة الاسماعيلية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



شارع الجمهورية

قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ حالفهم التوفيق عندما سارعوا باتخاذ قرارهم باستبدال اسم شارع (ابراهيم باشا) بشارع (الجمهورية)، فهذا القرار رغم تعسفه وسهولته الظاهرة - حيث أنه لا يتعدى مجرد تغيير لافتة - إلا أنه لا يقل على المستوى السياسى عن قرار طرد الملك فاروق لانه كان بمثابة الإعلان الجغرافى والشعبى عن نجاح وتدشين الثورة وأن مصر طوت إلى الأبد - فى أرض الواقع والشارع - أهم ملامح العصر الملكى وبدأت أولى خطواتها على الطريق الجمهورى.

فهذا الشارع كان بكل المقاييس البؤرة الحافلة والحصن الآمن لكل ما ارتبط بالعهد الملكى سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية,فهو ينتهى بقصر عابدين الذى انشأه الخديوى اسماعيل على طراز العمارة الاوروبية ليكون جديرا باحتلال مكانة قلعة صلاح الدين الأيوبى التى ظلت رمزا لحكم مصر طوال ما يزيد على ستة قرون، وليتحول الى مقر دائم لحكم مصر وهذا ما قام به قصر عابدين على خير وجه ولكن ليس طويلاً فقد داهمته ثورة يوليو ونزعت عنه جلاله الملكى وحولته الى مجرد قصر من قصور الرئاسة العديدة المنتشرة فى أنحاء مصر.

كما يبدأ شارع (الجمهورية) بمبنى الأوبرا القديمة التى أنشأها أيضا الخديو إسماعيل إبان افتتاح قناة السويس لكى يدلل لضيوفه من ملوك وأباطرة أوروبا وخاصة أوجينى امبراطورة فرنسا على مدى الرقى الفنى والثقافى الذى بلغته

www.books4all.net منتديات سور الأزبكية

مصر بفضل جهود الأسرة العلوية، وكان اول عروض الأوبرا فى حضور ملوك أوروبا (اوبرا عايدة) للموسيقار العالمى فيردى ومن يومها ظلت الأوبرا تجسد ذروة الفنون والثقافة فى العهد الملكى ومكان العروض الموسيقية والمسرحية والاوبرالية الخاصة بالصفوة الحاكمة الى أن احترقت فى سبعينات القرن الماضى.

أما امتداد هذا الشارع من ميدان الأوبرا الى ميدان عابدين فقد كان المكان الاستراتيجى المفضل للأمراء ورجال الحكم فى مصر نظرا لاقترابه من عرين الخديو . او الملك الذى كان يتجسد فى اسوار قصر عابدين، لذلك فإن معظم سكان منطقة عابدين بها الكثير من النوبيين والسودانيين الذين ترجع أصولهم الى قادة وجنود الجيش الذى انشأه محمد على وانتقلت بعض ميليشياته لكى تعسكر بالقرب من قصر عابدين لكى تحرس الخديو.

وكل هذا يدلل على أن (شارع ابراهيم باشا) كان من أهم شوارع العهد الملكى، فقد كانت المنطقة التى يشغلها الان قبل الاسرة العلوية منطقة عشوائية مزدحمة بالحوارى والازقة التى تعانى الإهمال وعدم التنسيق وكان لا يلطف أجواءها سوى بعض القصور المتناثرة التى بناها بعض الأمراء فرارًا من ازدحام منطقة الحكم التى كانت فى ذلك الوقت تتنقل بين قلعة صلاح الدين الايوبى وقصر الالفى.

وظل هذا الواقع ساريا فترة طويلة وبالتحديد عندما استراح الخديو إسماعيل على كرسى ولاية مصر وبدأت الدماء الملكية تتدفق بقوة الى هذه المنطقة المهملة، وجاءت اللحظة التى جعلتها من اهم الاماكن فى مصر عندما اشتراها إسماعيل وأضاف اليها معظم الحوارى والأزقة والقصور المجاورة ومنها منزل راغب باشا والأمير حيدر باشا وبعد أن هدم معظم دورها خط فى وسطها شارعا فخما سماه شارع عابدين وكان يخطط لأن يواصل امتداده الى شارع (درب الجماميز) على مشارف القاهرة الفاطمية بواسطة قنطرة كان ينوى اقامتها خصيصا لذلك ولكن الحلم لم يتحقق بسبب كثرة النفقات التى تكلفها الشارع الذى كانت تتصل به جهة اليسار والى عهد قريب حارة تسمى «درب

الملاحفية» وداخل هذا الدرب كانت هناك زاوية تعرف بزاوية (الست مرحبا) وكانت تحتوى على تابوت اثرى من الخشب كتب عليه أن الذى جدده عباس باشا.

وإلى جهة اليمين من الشارع يمتد سور سراى عابدين وبابها الشرقى وجامع عابدين ويتميز بدرجاته العالية ومنارته المرتفعة وهو قائم حتى الآن كما أن اسمه أطلق على الشارع الذى يمر من أمامه خلف قصر عابدين.

وقبل إنشاء شارع وقصر عابدين كان بهذه المنطقة درب كبير يعرف بالدرب الجديد وبداخله حارة (الزير المعلق) وكانت بقاياها قائمة الى فترة قريبة، وكان بهذه الحارة ثلاثة جوامع أولها جامع (الزير المعلق) الذى انشأه الامير عبدالرحمن كتخدا ثم جامع محمد بيك المبدول الذى كان يعرف بأمير اللواء وأمير الحج وهو ابن المملوك عبدالله الذى اعتقه الامير حسن بك حاكم ولاية جرجا وقد انشأ هذا الجامع فى ١٢١٢هـ وخصص له أوقافًا، والثالث جامع الكريدى وبداخله ضريح الشيخ الكريدى.

وعندما شق اسماعيل شارع عابدين هدم هذه الجوامع وعددًا من البيوت الكبيرة خصوصا التى كانت تحول دون استقامة الشارع او تحد من اتساع قصر عابدين ومنها بيت شريتلى باشا وبيت خورشيد باشا وبيت عبدالرحمن كتخدا وغيرها واختفت مساحة بعضها فى القصر والباقى فى الميادنين والشارع.

وفى هذا التوقيت واجه اسماعيل ورطة كبيرة بسبب رفات المشايخ التى كانت مدفونة فى الجوامع والتى كانت تعد مزارات دينية مقدسة للعديد من طوائف الشعب المصرى فى هذه الفترة، ولعل أهمها رفات الشيخ الكريدى، ولكن اسماعيل انقذ نفسه من هذه الورطة بانشاء مدفن جديد بجوار جامع الخلوتى نقل اليه رفات الشيخ الكريدى وغيرها من رفات المشايخ اما رفات محمد بك المبدول فقد بنى لها جامعًا جديدًا وهو المعروف الآن بجامع عابدين ويقع خلف القصر مباشرة.

كما كان بداخل هذا الدرب أيضا سكة تعرف بسكة الدورة وعطفة كان يقال لها عطفة التوتة وقد زالت تلك الحارات بما فيها البيوت والمنازل ليستقر مكانها

قصر عابدين ويتسع ويضم إليها بركة الشقاق التى عرفت بعد ذلك ببركة اليرقان، وكذلك ضم هذا القصر دار عثمان بك ابن ابراهيم الكبير وعددا وافرًا من المنازل الصغيرة والحارات والبساتين، وكل ذلك جعل هذا القصر من أوسع قصور القاهرة وافخمها حتى الان، ويقول على باشا مبارك إن المبانى والقصور التى أزالها اسماعيل لاقامة شارع قصر عابدين هى جامع الكريدى وجامع محمد بك المبدول وجامع عبدالرحمن كتخدا وميضأة جامع جميزة وزاوية الشيخ شحاتة وزاوية عابدين بك وضريح سيد الاشرف وضريح سيدى محمد الغريب وضريح الشيخ التميمى وزقاق الصيادين وعطفة الحلوة وحارة خوخة ومعظم عطفة الحلوانى وجزء من حارة قواديس وحارة الزير المعلق وعطفة الدماشة وعطفة المقدم وحوش المقدم والدرب الجديد وحديقة كبيرة كانت تمتد الى مشارف باب اللوق وحمام عابدين وغير ذلك الكثير.

وبعد هذه الإصلاحات التى أحدثها الخديو اسماعيل فى شارع عابدين وتتويجها بالقصر فى نهايته والاوبرا فى بدايته أحس إسماعيل ولاحقوه من الاسرة المالكة ان هذا الشارع أحد مظاهر مجدهم وانه من غير اللائق ان يظل اسمه كما هو عابدين ويذهب كل هذا المجد لأحد مستخدميهم، حيث أن عابدين بك كان أحد الأمراء الذين اعتمد عليهم محمد على فى القضاء على تمرد المماليك بقيادة الألفى بك، لذلك سارعوا بتغيير اسم الشارع ليصبح شارع إبراهيم باشا وهذا التغيير كان يناسبهم تمامًا حيث أن ابراهيم باشا هو ابن محمد على مؤسس ملكهم وقائد جيش مصر المغوار وصاحب الفتوحات الكبرى التى وصلت إلى مشارف القسطنطينية، ولكن ابراهيم باشا لم يتمتع بمجد اسم هذا الشارع طويلاً وكما حل اسمه محل عابدين فانه بجهود ثورة يوليو جارت الأيام عليه وأزيل اسمه واصبح الشارع يعرف باسم الجمهورية وان كان تمثال ابراهيم باشا الشهير مازال ينتصب فى قلب ميدان الاوبرا كتعويض متواضع لفقده شرف اسم هذا الشارع.

قصر عابدين يقع الآن فى نهاية شارع الجمهورية ويتصدر واجهته الملكية نسر (شعار الجمهورية) أقحمه رجال ثورة يوليو كبديل للتاج الملكى وكإعلان عن

سيطرتهم على الشارع ومصر كلها وربما لكى يضيفوا القصر المنيف الى منجزات ثورتهم!!.

امام القصر ميدان فسيح تغير اسمه ايضا من عابدين الى ميدان الجمهورية وتتوسطه حديقة فسيحة وضعها الراهن يثبت ولو ظاهريًا أن أمور الميدان والقصر وربما المنطقة كلها تغيرت وان شعارات ثورة يوليو تم تحقيق بعضها واولها تمكين الشعب المصرى من تقرير مصيره وادارة ممتلكاته، حيث ان هذه الحديقة وهذا الميدلن قبل الخمسينيات كانا من المناطق المحرمة على ابناء الشعب المصرى بل وقيل ان من كان يتجرأ على المرور منهما كان عليه ان يتحمل قسوة التهديد بالاعدام ويكفى للتدليل على ذلك ان ذروة ثورة عرابى كانت فى التجول ورفاقه فى هذه الحديقة وتقديم احتجاجهم الشهير للخديو توفيق من فوق ارض هذا الميدان، أما الآن فقد تحولت هذه الحديقة التى كانت من افضل أماكن تنزه الامراء والملوك والقناصل الاجانب الى ساحة ظليلة للبسطاء من ابناء الشعب المصرى خصوصا من عمال البلدية ولعل استرخاءهم المبالغ فيه بين جنبات هذه الحديقة الانيعوضهم حرمانهم منها طوال سنوات العهد الملكى.

على مشارف الحديقة فى مواجهة القصر يطل مبنى محافظة القاهرة وهو على عكس قصر عابدين يحتفظ حتى الآن بدليل واضح على انتمائه للعهد الملكى وهو عبارة عن هلال وثلاثة نجوم نقشت على معظم جدرانه وكانت تشكل شعار المملكة المصرية وعلمها الأخضر.

وهذا الشعار ليس الدليل الوحيد المتبقى من الماضى الملكى للحديقة والميدان والقصر فهناك فى نهاية ميدان الجمهورية تنزوى حتى الآن لافتة قديمة أفلتت من الثورة لتظل شاهدًا على عصر ولى، فهى تشير وربما تصرخ بأن هذا الميدان هو ميدان عابدين وليس ميدان الجمهورية.

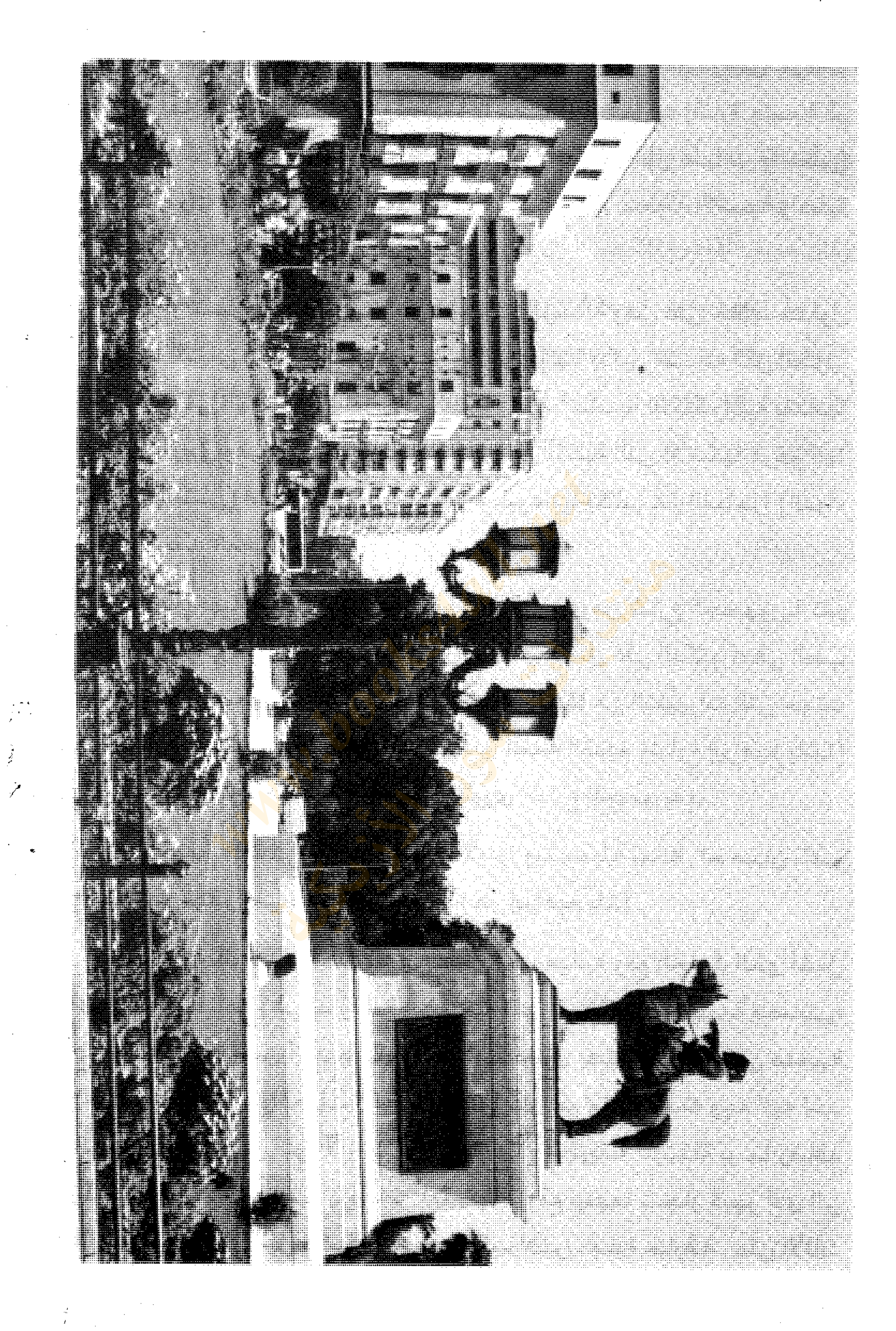
وبالقرب من هذه اللافتة المنسية وبالتحديد فى مواجهة البذخ الملكى الذى يجسده قصر عابدين يطل مقهى متواضع ربما ليحدث التوازن المطلوب أو ليدلل على فخامة القصر ذاته فالأشياء يظهر جمالها فى مقابل نقيضها، بمعنى أن

www.books4all.net منتديات سور الأزبكية

مظاهر الثراء لا تتألق سوى بجوار مظاهر الفقر المدقع، هذا المقهى انشأه المعلم عوض آدم النوبى باسم «كازينو القصر الجمهورى» فى عام ١٩٥٥ وهو لا يجسد الفقر بالمعنى الحرفى، صحيح انه ضيق جدًا وموائده فى منتهى البساطة إلا أنه يتميز بهواء نقى قلما تتنفسه بين أنحاء القاهرة الآن، ومن اهم مآثره الأدبية والفنية ان على احد مقاعده كتب الاديب الراحل محمد خليل قاسم روايته الشهيرة (الشمندورة) وكان ضمن رواده المطرب السودانى سيد خليفة والفنان أحمد غانم وكذلك المطرب النوبى الشهير «على كوبانا» وجميعهم كانوا ضمن سكان ميدان عابدين أو الجمهورية بالقرب من العمارة القديمة المخصصة الآن لتصوير العديد من المسلسلات التليفزيونية خصوصًا التى تتناول حقبة العهد الملكى وبدايات ثورة يوليو ١٩٥٢، وبجوار هذا المقهى توجد الآن مؤسسة كريمة العروسى لرعاية الأطفال داخل مبنى قديم ربما يرجع تاريخه الى أحد ملحقات أو ثكنات قصر عابدين.

بمجرد أن تغادر ميدان عابدين تجد على جانبى شارع الجمهورية دار الفضيلة للنشر التى خصصت معظم مطبوعاتها للداعية الاسلامى أحمد ديدات وبجوارها مصنع الشرق للاشغال المعدنية لصاحبه مصطفى يونس الذى اخفت لافتته العريضة واجهة دكان خياط قديم، وبعد ذلك تجد نفسك امام مسرح الجمهورية الذى افتتحه الرئيس السادات بعد تجديده يوم الاثنين ٨ اكتوبر عام ١٩٧٩ فى مناسبة الاحتفال بعيد الفن والثقافة وفى عام ١٩٩٥ أناب الرئيس «حسنى مبارك» الدكتور عاطف عبيد فى افتتاحه بعد تجديده، اما السيدة سوزان مبارك فقد اعادت افتتاحه بعد تجديده للمرة الثالثة يوم ٢١ مارس ٢٠٠١.

ومن أهم الانشطة الفنية التى شهدها هذا المسرح إقامة اسبوع كامل للثقافة الفلسطينية عندما اندلعت انتفاضة الحجارة الاولى وحضر الأسبوع الرئيس ياسر عرفات وقادة منظمة التحرير الفلسطينية وعدد من أبرز شعراء وأدباء وفنانى الشعب الفلسطينى وعلى رأسهم الشاعر الكبير محمود درويش، وخلال إقامة احدى امسيات هذا الاسبوع فى حضور ياسر عرفات صعد الى المنصة،



الروائى الفلسطينى الراحل اميل حبيبى وبمجرد أن وصل أمام الرئيس عرفات رفع يده بعلامة النصر لكنه رفع اصبعا واحد والاخر فعل به إشارة جنسية ثم اقترب من اذن عرفات وقال بطريقته الساخرة (معلهش أصل صباعى واجعنى) وهنا انفجرت قاعة مسرح (الجمهورية) بالضحك برغم سخونة الامسية واهمية الأسبوع المقام لمناصرة الشعب الفلسطينى.

وبجوار مسرح الجمهوزية تطل مؤسسة الرسالة وهى على خلاف مدلول اسمها الدينى وربما الوطنى تصدر مطبوعاتها بدليل تقدمه لكل العرب الطامحين فى الهجرة الى الغرب وكذلك بقراءات أساسية للديمقراطية يقدمها د. امير الزيبق وهى فى ذلك لا تختلف كثيرا عن المكتبة التى تلاصقها فرغم انها اختارت (المتنبى) اسما لها إلا أنها تصدر مطبوعاتها بكتاب عن الفياجرا (الدواء السحرى ضد العجز الجنسى).

وفى مواجهة هذه المكتبة على الناحية الأخرى من شارع الجمهورية تقع صيدلية غراب لصاحبها د. احمد غراب الذى حصل على الدكتوراه فى الطب من فيينا فى سبعينيات القرن الماضى وبدا متضايقا من التغييرات التى حدثت فى الشارع بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ويصر على اسمه القديم)شارع إبراهيم باشا) وعلى عدم الاعتراف باسمه الجديد أو الثورى (شارع الجمهورية).

وفى نهاية الشارع يتسع ميدان الأوبرا ويتوسطه تمثال لحصان نافر العضلات يستقر على ظهره فارس شجاع هو إبراهيم باشا.

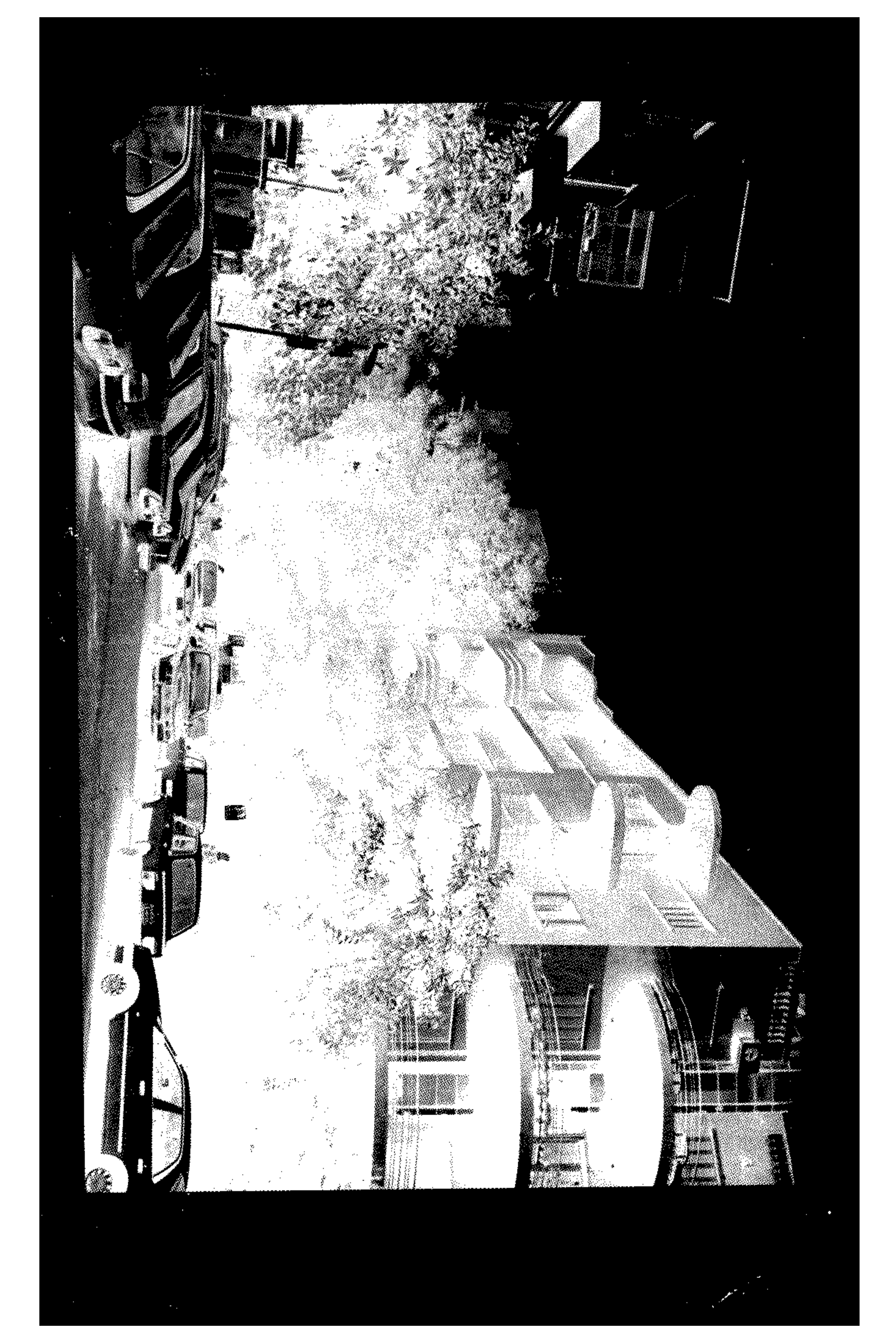
ومن أهم مآثر هذا الميدان أنه فى داخل أحد مبانيه وقع الحادث الذى أشعل فتيل حريق القاهرة فى بداية الخمسينيات، ففى شرفة كباريه «بديعة مصابنى» فى هذا الميدان جلس أحد ضباط الجيش المصرى يحتسى الخمر فى صحبة إحدى مضيفات أو راقصات الكباريه، وبينما كان يستمتع بجلسته وجه اليه احد الوطنيين المصريين اللوم لأنه يمتع نفسه بهذه الطريقة المبتذلة بينما رفاقه يذبحون فى الإسماعيلية برصاص الانجليز، ووقع بينهما شجار كبير أدى إلى اندفاع المارة الى داخل الكباريه وصبوا البرافين - مادة حارقة - على الأثاث

الموجود فيه وفى لحظات كانت النار تتأجج فى المكان وفى نفس هذه اللحظة كانت سيارات الجيب المعبأة بالرجال والبرافين تجوب انحاء العاصمة المختلفة وبدأت المشاعل تؤجج النيران بطريقة منظمة من مكان الى اخر وكان تركيزهم بوجه خاص على الشركات والمؤسسات المعروفة بأنها اما بريطانية أو يهودية وكان حريق القاهرة الشهير الذى لم يعرف احد هوية مرتكبيه الى هذه اللحظة!!

ولعل أشهر ما عرف به شارع الجمهورية انه كان يضم عددا من أشهر مقاهى القاهرة وكان بعضها مخصصا لعروض شعراء السير الشعبية باللغة العربية واليونانية وكان بعض رواد هذه المقاهى من اليونانيين كما أن هذه المقاهى عرفت فى فترة قديمة بأنها كانت تقدم لزبائنها الحشيش والأفيون.

* * *





شارع عائشة التيمورية

شارع عائشة التيمورية يبدأ أمام قوس من ماء وخضرة مزدحم براغبى الأنس والفرفشة من الأثرياء ويشكل نقطة نهاية جزيرة الروضة منتج الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته الملكة شجرة الدر ، ومهد سلاطين دولة المماليك البحرية وأولهم السلطان الخائن والمؤسس الظاهر بيبرس ، وتشهد على خلاعة مؤسس الدولة الطولونية أحمد بن طولون فداخل ظلمة وكر مجهول فى قوس جزيرة الروضة نخفق أبن طولون من ملابسه العسكرية واختلى بجارية حسناء غافلاً عن جواسيس البلاط العباسى. كما أن الشارع يتجول بارتياح فى قلب العالم الاسطورى لقصور أسرة محمد على حتى يصل لنهايته على مشارف شارع قصر العينى .

الشارع يقع فى قلب حى جاردن سيتى درة أحياء القاهرة الأوروبية وموطن قصورها وأعرق أسرها وأرفع زائريها من الدول الاوروبية، وهو شارع ملكى منذ البداية فقد كان مجرد ممر تظلله الاشجار الكثيفة بين قصور أمراء أسرة محمد على وأولها القصر العالى الذى بناه إبراهيم باشا بن محمد على ، وكان يمتد من نهر النيل الى شارع قصر العينى أى بطول المساحة التى يحتلها الشارع الآن.

قصر إبراهيم باشا آل بعده إلى ابنه الخديو إسماعيل وفى عام ١٨٦٣ تنازل عنه إسماعيل لوالدته، وفى مواجهته كان قصر أحمد باشا شقيق الخديو إسماعيل وبينهما كانت تمتد أرض شارع عائشة التيمورية .

الشارع فى بدايته وعلى مدى عقود كان محرماً مع باقى حى «جاردن سيتى» على أبناء الشعب المصرى ، فقد كان مغلقاً تماماً على أمراء الاسرة المالكة

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

والمحظوظين او المقربين من الرعايا الاوروبيين خصوصاً الانجليز وعرف أولا باسم الوالدة باشا أم الخديو إسماعيل وزوجة إبراهيم باشا وبانية جامع الرفاعى وساكنة القصر العالى الذى كان يصنع حافة ملكية للشارع ، وهى بالطبع غير الوالدة باشا أم عباس حلمى الثانى التى كان تلقب بأم المحسنين وظل اسمها يتصدر شارعاً قريباً حتى خلعته ثورة يوليو وأطلقت عليه اسم قارة أمريكا اللاتينية .

أم إسماعيل أيضاً لم يعمر اسمها طويلاً فى المنطقة فقد أطيح به من القصر والشارع، فنعدما توفى الخديو إسماعيل فى ١٢ مارس عام ١٨٩٥ بالأستانة، ونقل جثمانه إلى القاهرة ودفن بمسجد الرفاعى كشفت وصيته عن أنه باع القصر العالى الذى كانت تسكنه والدته لزوجاته الثلاث " شهرت هانم وجنانير هانم وجشم افت أفندى " وكان هذا سبباً لخلاف كبير بين ورثته ، اما الشارع فقد ذهب بعدها لاسم عائشة التيمورية.

عائشة التيمورية صاحبة الشارع الآن ابنه الأسرة الأرستقراطية، عندما ولدت عام ١٨٤٠ اتفق أبوها وأمها كما يقول الكاتب الصحفى كامل زهيرى على مناداتها باسمين ، الام اختارت لها اسم " عصمت " وهو أسم عربى ذو نكهة تركية ، اما الاب فقد اختار لها اسم " عائشة " وحتى لا يختلف الأب والام حولها اتفقا على أن تعرف فى البيت باسم " عصمت " وخارجه باسم " عائشة " غير أنها لم يتفقا على مستقبلها فالام كانت تريد ابنتها مثل كل بنات عصرها ، أى زوجة مطيعة تحسن الطبخ والتطريز وتجيد حياة القصور فى الحرملك بينما الاب كان يحس فى ابنته عائشة ميلا للشعر وتذوق الادب وحب القراءة لذلك كان يعدها لمستقبل اخر مناقض تماماً لكل بنات جيلها .

إسماعيل باشا تيمور والد عائشة كان يجيد العربية والتركية والفارسية والانجليزية والايطالية لذلك ترأس القلم الافرنجى فى الديون الخديو وهو يعادل الآن منصب وزير الخارجية كما أنه أصبح الرئيس العام للديوان الخديوى فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى. وهو بذلك أكمل مسيرة والده الضابط الكردى الذى ساعد محمد على فى القضاء على المماليك فبلغ شأنا ونفوذا كبيرين ،



وشغل العديد من المناصب السياسية المرموقة فى عهد محمد على والخديو إسماعيل.

العائلة التيمورية استقرت كما قال كامل زهيرى بقصر كبير بدرب سعادة فى باب الخلق ، وكانت هذه المنطقة غربى سور القاهرة الفاطمية وبالقرب من الخليج المصرى ، وبدأ زحف القصور إليها فى عهد محمد على ، ثم امتلأت فى عهد الخديو إسماعيل بالقصور المطلة على الخليج والحدائق وعندما ردم الخليج المصرى الذى كان مكان شارع بورسعيد اختفى قصر العائلة التيمورية من درب سعادة ، ومكانه الآن العديد من محلات البقالة والتوابل .

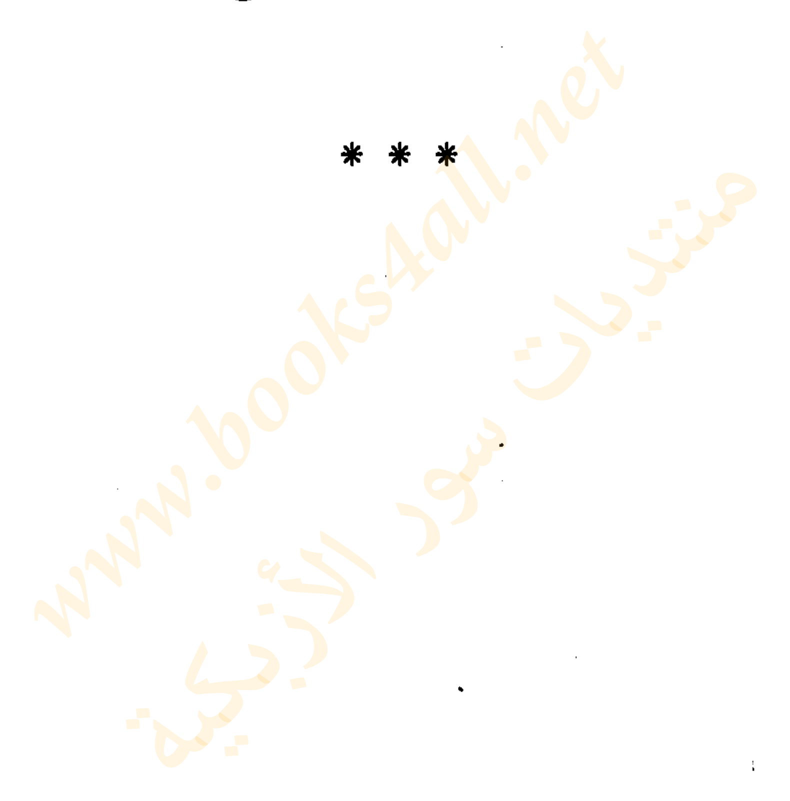
عائشة التيمورية ولدت فى قصر عائلتها فى درب سعادة منطقة كانت مزدحمة بالمدارس والصحف ، غير أن تعليم البنات لم يكن متاحاً فى المدارس فى ذلك الوقت ، لأن مدرسة أول نسائية فى عهد محمد على كانت لتعليم المرضات والقابلات فقط ، لذلك أحضر والدها إسماعيل باشا أستاذين فى البيت لتعليمها هما إبراهيم أفندى مؤنس لتحفيظها القرآن والفقه وفنون الخط العربى وخليل رجائى الذى علمها النحو والصرف واللغة الفارسية.

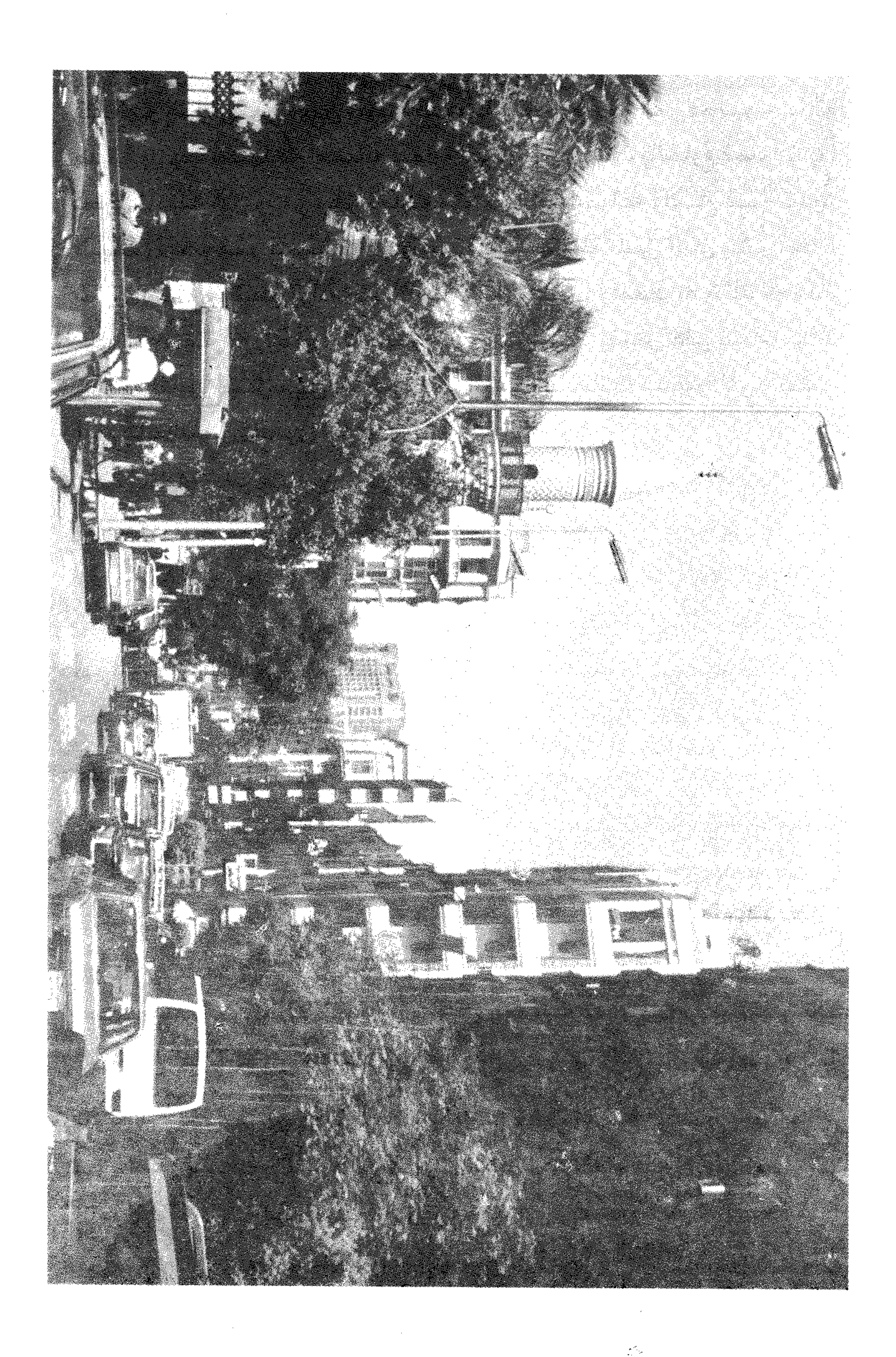
اهتمامات وأحاديث نساء فى ذلك العصر قالت إحدى المؤرخات الفرنسيات كانت تنصب على معاناة الحمل والولادة والخطوبة والزواج والموت وخصام العائلات والازواج والثرثرة المغلفة بقليل أو كثير من النميمة والاغتياب، غير أن عائشة التيمورية انشغلت بكنوز مكتبة والدها وانفردت كما قال كامل زهيرى بالبحث عن شىء أخر غير الثرثرة والنميمة حتى أمتلكت العربية والتركية والفارسية وشجعها أبوها على مواصلة الشعر وامتلاك الوزن والقافية فكتبت الشعر بالعربية والتركية والفارسية ومن أبرز اعمالها ديوان " حلية الطراز "

عائشة التيمورية هى الشقيقة الكبرى لأحمد باشا تيمور المعروف بتحقيقاته الاسلامية والتاريخية وبمكتبته الهائلة التى أهداها لدار الكتب المصرية، كما انها عمة الأدبيين الرائدين محمد تيمور ومحمود تيمور وقد تزوجت توفيق الإسلامبولى وسافرت معه الى الأستانة ثم عادت لمصر بعد وفاته وتوفيت عام ١٩٠٢ .

الشارع يبدأ ببرج ضخم حديث البناء يواجه فندق الميريديان الذى يقع فى قلب نهر النيل ويكمل قوس جزيرة الروضة ويجاروه عبر ممر قصير حديقة ضيقة وبديعة تملكها دار حضانة سفارة اليونان التى تمتلك بالشارع قصراً بديعاً يجرى ترميمه الان ويبدو رغم فخامته متواضعاً امام نصاعه واتساع قصر شديد البياض داخله مقر السفارة الاندونيسية قسم شرطة المنيل الذى ينشر رجاله بطول الشارع ويضطر رواده الى الانضباط بل والاسراع بمغادرته وذلك للحفاظ على أمن سفاراته ورعاياه الاجانب وقد وبخنى وكاد يقبض على عندما تكأت كالعادة لتأمل جمالْ مبنى السفارة الاندونيسية فانطلقت مذعوراً لأجد نفسى أمام بنك التمويل المصرى السعودى فى نهاية الشارع .

* * *





شارع الشيخ ريحان

شارع الشيخ ريحانْ أحد أبرز شوارع القاهرة التى تنتمى قلبا وقالبا وتاريخا الى أسرة محمد على، فقبلهم كانت أرضه مرتعا للبرك والمستنقعات والحيوانات الضارية، وبدايته من ناحية جاردن سيتى كانت ملكا خاصا لأبناء القائد إبراهيم باشا ابن محمد على، ونقطة نهايته تقع على اعتاب شارع بورسعيد أو الخليج المصرى الشهير الذى رُدم أيام الخديوى اسماعيل المؤسس الثانى للأسرة، وبين البداية والنهاية يمتد كشريان متدفق فى قلب قاهرتهم الأوروبية، وكرابط قوى بين أبرز آثارهم المعمارية التى يقف فوق ذروتها قصر عابدين شاهد صعودهم ثم سقوطهم المريع.

أما مبانى الشارع فانها خليط عجيب ونادر بين المتناقضات قلما تجد مثله فى أى من مدن العالم، فهو يجمع بين بذخ وضخامة واتساع وتنظيم القصور والمنشآت الملكية وضيق وعشوائية وازدحام المحلات والدور الفقيرة، وهذا الجمع يتوافق تمامًا مع منهج وأسلوب أسرة محمد على التى كانت تسعى الى نهضة أوروبية قسرية انشغلت بها وافادت دائرة نخبوية ضيقة على حساب تجاهل وإهمال جموع الشعب التى كانت تتخبط فى ويلات الفقر والجهل والخرافات، فضلا عن أن هذا المزج من أهم مظاهر القاهرة وتميزها، وان كان يغيب عادة عن زوارها المتعجلين الذين يقفون على قشورها ويحرمون عيونهم من التمتع بجمال تجاور المتناقضات بها.

الشارع طوله حوالى ١٧٠٠ متر، واسمه يرجع الى انه كان فى منتصفه تقريبًا

زاوية بها ضريح الشيخ ريحان الذى اختلف المؤرخون حوله فمنهم من قال إنه الصحابى أبوريحانة الذى قيل انه كان مولى رسول الله ﷺ، ومنهم من أكد انه من نسل الحسين بن على .. وبعد وفاة السلطان حسين كامل عام ١٩١٧ اطلق اسمه على الشارع غير أنه لم يهنأ بهذا التخليد طويلاً، فبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ أطيح به من عرش الشارع ليعود إليه اسم الشيخ ريحان.

يبدأ الشارع من حافة ميدان (سيمون بوليفار) وهو أحد رموز النضال من أجل الحرية فى تاريخ أميركا اللاتينية ولد عام ١٧٨٣ فى احدى مقاطعات فنزويلا لأسرة شديدة الثراء، وماتت امه فى نفس عام ولادته تقريبًا، ولحق بها والده وهو فى سن الثالثة، فكفله عمه الذى كان أشهر اثرياء أميركا اللاتينية ووفر له حياة ناعمة، ولكنه سرعان ما ضحى بها وترك عمه من أجل تحقيق مبادىء الحرية التى آمن بها، وانضم وهو فى الرابعة عشرة من عمره إلى إحدى الميليشيات للتدريب على القتال ضد قوات المستعمر الاسبانى، وبعد سنوات قليلة بدأ يجوب منحدرات جبال «الإنديز» الوعرة والغابات الكثيفة على رأس جيش من المتطوعين الذين آمنوا معه بقضية الاستقلال، وبالفعل كللت جهوده بالنجاح وتحررت فنزويلا وكولومبيا واكوادور وبنما، وحاول ان يوحد بينها فى جمهورية واحدة تحت اسم «كولومبيا العظمى» لكن حلمه بالوحدة منى بفشل ذريع وتسرب من بين يديه بسبب الصراعات الداخلية.

وبعد ان انتخب رئيسا للجمهورية تنازل عن منصبه واجبر على مغادرة وطنه ولكنه لقى حتفه وهو فى الطريق الى المنفى عام ١٨٣٠ ليضع آخر نقطة فى أسطورة نضالية ستظل خالدة على مر التاريخ والهبت خيال العديد من كبار المبدعين والمحللين ومنهم الروائى جابرييل جارثيا ماركيز الذى كتب عنه رواية (الجنرال فى متاهة) ، وفى نهايتها وصف آخر لحظات حياته فى مشهد مؤثر قال فيه (فحص الغرفة فى صحو الأيام الغابرة، ورأى الحقيقة لأول مرة: الفراش الأخير العارى ومنضدة الزينة الحقيرة التى لن تعكس مرآتها المهزوزة صورته بعد ذلك أبدًا، والإناء الخزفى المشروخ بما فيه من ماء، والمنشفة والصابون، والساعة الضارية المثمنة الأضلاع وهى تتابع سباقها المحتوم فى

السابع عشر من ديسمبر فى الوحدة وسبع دقائق من بعد ظهر يومه الأخير، وعندئذ عقد ذراعيه وراح يصغى الى الاصوات المرحة للعبيد وهم ينشدون نشيد الساعة السادسة فى مطاحن السكر، ورأى من النافذة كوكب الزهرة المتألق وهو يمضى عاليا فى السماء إلى الابد والثلوج الخالدة ونباتات اللبلاب الصفراء الجديدة التى لن يراها تتفتح يوم السبت التالى فى البيت المسربل بالحداد، ولاومضات الحياة التى ستتوالى بعد ذلك قرونا بعد قرون).

أرض الميدان رضخت لاسم (سيمون بوليفار) وتمثاله المهيب بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ بسبب الرغبة فى كسب تأييد دول أميركا اللاتينية لتوجهات مصر الثورية فى تلك الفترة، وقوبل ذلك باستهجان عدد من المؤرخين والمعماريين منهم المؤرخ محمد كمال محمد الذى أعلن (أن فى أبطال تاريخنا وأمجادنا الإسلامية والعربية والفرعونية من هم أجدر باسماء شوارع وميادين عاصمتنا، خصوصا فى مكان له بجوار وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية والسفارات الأجنبية، وحبذا لو اخترنا اسما من امجاد العرب فى اسبانيا كطارق بن زياد أو عبدالرحمن الناصر أو قرطبة أو غرناطة).

قبل سيمون بوليفار كان الميدان يعرف باسم قصر الدوبارة وهو قصر الأميرة أمينة بنت إلهامى ابن عباس حلمى الأول، وزوجة الخديو توفيق ووالدة عباس حلمى الثانى، وكانت ضمن من أقيم زفافهن ضمن «أفراح الأنجال» الاسطورية التى أقيمت فى حى المنيرة القريب من الشارع، واشتهرت بعطفها على الفقراء والمساكين وفى اخر أيامها اطلق عليها لقب «أم المحسنين».

قصر الدوبارة كان من قصور القاهرة الشهيرة، غير أن الأيام جارت عليه بعد صاحبته وبيعت منقولاته الملكية فى مزاد علنى فى الاربعينات ثم تلاشى من الوجود نهائيا، وبموقعه الآن عمارتا ايزيس واوزوريس وفندق شبرد الجديد الذى انتقل إليه بعد ان دمر حريق القاهرة ١٩٥٢ مبناه القديم فى الأزبكية، ويوجد أيضا الشارع الذى كان يحمل اسم صاحبة القصر (شارع الوالدة) ويحمل الآن اسم اميركا اللاتينية حتى يتناغم مع اسم سيمون بوليفار.

من داخل استدارة الميدان تظهر فى أول الشارع شرفات قصر آخر آل إلى أملاك الدولة بعد التأميم، وبعده مباشرة مبنى الكنيسة الانجيلية الذى يحافظ على طراز العمارة الانجليزية، وعمارة ضخمة تحتوى على بنك التنمية والائتمان الزراعى ومقر مجلة (العربى) الكويتية بالقاهرة، وفى الناحية الاخرى يمتد الجدار الخلفى لمجمع التحرير الذى بنى على انقاض سراى الاسماعيلية التى بناها الخديو اسماعيل لزوجته الثالثة بناء على مرسومه التالى (قد اقتضت اردتنا ان الاراضى والاملاك التى صار مشتراها بجزيرة العبيط . جاردن سيتى . التى حدها البحرى كوبرى قصر النيل والقبلى جنينة أحمد باشا ابن إبراهيم باشا وشقيق الخديو اسماعيل والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل للقصر العالى ومصر القديمة والغربى البحر الاعظم . أى نهر النيل . جميع ذلك يكتب به حجة . أى مستند . تمليك باسم حرمنا ويجرى بناء السراى المستجدة هناك) . هذه السراى هى ثالث مبنى ملكى فى جاردن سيتى وموقعها الآن يمتد من الحافة الغربية لمجمع التحرير حتى نهر النيل ويضم حوالى ثلث ميدان التحرير ومبانى وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية.

بعد تقاطع قصر العينى تظهر بالشارع ناصية الجامعة الاميركية بالقاهرة فى مبنى انيق يحافظ على طراز العمارة الإسلامية، الجامعة أسسها اندرو واطسون وافتتحت الدراسة بها عام ١٩٢٠ وقبل الانتقال للشارع بدأت نشاطها فى قصر خيرى باشا احد وزراء المعارف فى القرن التاسع عشر، ويضم مبناها الحالى مكاتب الادارة وبعض فصول الدراسة وقاعات قسم العلوم الذى اقيم عام ١٩٦٦، وعلى الشارع يطل باب القاعة التى يقام فيها سنويا احتفال جائزة نجيب محفوظ التى تمنحها الجامعة لأفضل رواية عربية.

فى مواجهة الجامعة الاميركية تطل واجهة مبنى قصير نسبيًا هو المجمع العلمى المصرى الذى يعد أبرز الآثار الحميدة التى تركتها الحملة الفرنسية فى مصر، فقد افتتحه نابليون بونابرت فى ٢٠ اغسطس عام ١٧٩٨ واختار العالم الفرنسى (مونج) رئيسا له والضابط (فوريه) سكرتيرا له مدى الحياة، ويبدو ان

ذلك كان جائزة له على تغاضيه عن علاقة بونابرت بزوجته التى كانت حديث الحملة وربما مصر كلها.

المجمع المصرى كان يتكون أيام الحملة الفرنسية من أربعة اقسام هى الرياضيات والطبيعة والاقتصاد السياسى والآداب والفنون الجميلة، وكان الهدف منه العمل على تقدم العلوم فى مصر، وبحث ودراسة أحداث مصر التاريخية ومرافقها الصناعية وعواملها الطبيعية، وذلك بالطبع ليس خدمة للشعب المصرى، ولكن لتحقيق اطماع بونابرت الذى كان يحلم بجعل مصر مركزا لامبراطورية فرنسية كبيرة.

أول جلسة لهذا المجمع عقدت فى قصر بالناصرية كان يسكنه حسن الكاشف أحد امراء المماليك، ومن أهم أعماله التى خرجت من الشارع كتاب (وصف مصر) ذلك المصنف الضخم الذى مازال علماء العالم ينهلون منه حتى الآن. وقد تعطلت أعمال المجمع بالشارع بعد رحيل الحملة الفرنسية، وفى عام ١٨٥٩ عادت إليه الحياة ولكن فى مكان آخر هو الإسكندرية بفضل جهود ومطالبة جماعة من العلماء منهم جومار ومرييت وكونيج وشينيب، وفى عام ١٨٨٠ عاد المجمع الى مكانه الحالى بشارع الشيخ ريحان.

امام مبنى وزارة الشؤون الاجتماعية الضخم الذى يجرى ترميمه الآن يقف عجوز خرف يحذر المارة من التجول بالشارع على راحتهم وذلك لأنه- على حد زعمه- ملغم بالمخابرات (كل اللى ماشيين قدامك مخابرات)، وبالقرب منه قصر قديم ومهمل هو مدرسة تشكل ناصية لبداية شارع يوسف الجندى وهو المحامى الشهير الذى استقل بإحدى المدن عن مصر وأعلن نفسه امبراطورا عليها فى سابقة لم تحدث طوال تاريخ مصر. تلك الحادثة العجيبة وقعت فصولها إبان ثورة ١٩١٩ فقد استغل يوسف الجندى الاضطراب التى احدثته الثورة فى مصر وانطلق الى بلدته زفتى، وهناك شكل لجنة من الأعيان والموظفين والتجار واتخذ مقرًا لها فى احد المقاهى اطلق عليه اسم (مجلس قيادة الثورة) الذى قرر استقلال المدينة عن الحكومة التى كان يسيطر عليها الاحتلال الانجليزى فى القاهرة، كما أمر بالاستيلاء على مركز الشرطة، وبالفعل زحف يوسف الجندى

على رأس مجلس قيادة ثورته المسلح بالبنادق والفؤوس والعصى وأغصان الشجر إلى مركز الشرطة، وإذا بمأمور المركز يعلن انضمامه للثورة ويسلم المركز دون قتال، ونظير تعاونه كافأه القائد يوسف الجندى بأن عينه مستشارا للدولة الجديدة، وبفضل جهوده استولى مجلس قيادة الثورة على كافة المرافق ومنها السكة الحديد ومصلحة البريد والتلغراف، وبدأ فى ترسيخ دعائم الدولة الجديدة، فأنشأ نظاما للضرائب يقوم على التبرعات، وأصلح الجسور وردم البرك والمستنقعات وأنشأ كشكا للموسيقى على ضفة النيل ليعزف الالحان إبتهاجا باستقلال الدولة!!

أما وسائل الإعلام فى هذه الدولة فقد اعتمدت على مطبعة محمد أفندى عجينة التى كانت تطبع فيها منشوراتها وقراراتها وتوزعها على الناس.

وبناء على هذه الإصلاحات والقرارات استفحل أمر «جمهورية زفتى» وانضمت اليها بعض المناطق والمدن المجاورة لها ومنها ميت غمر وميت القرش، واصبحت تهدد الحكومة المركزية بالقاهرة، ونشرت «التايمز» اشهر الصحف البريطانية موضوعا أذاعت فيه خبر استقلال زفتى ورفعها علما جديدا، ولمواجهة ذلك أرسل الاحتلال الانجليزى فرقة استرالية مسلحة لإخماد الثورة والإطاحة بالدولة الجديدة، وبالفعل وصلت هذه القوة الى مشارف زفتى واصبحت المنطقة مهددة بمجزرة بشرية تلافاها مأمور المركز بالتوسط بين قوات الاحتلال ومجلس قيادة الثورة برئاسة يوسف الجندى، فطلبت قوات الاحتلال تسليمها عشرين من الثوار لتجلدهم نظير عدم مهاجمة المدينة. فوقع المأمور فى ورطة وذلك لانه كان زميلا لهم وسلمهم المركز فى بداية الثورة، ولكنه استغل جهل الإنجليز وخرج من المأزق، فقد اتفق مع الثوار على تسليم عشرين من خونة الثورة للانجليز على انهم الثوار، وبالفعل جلد الانجليز عملاءهم ونجا زعماء جمهورية زفتى بمن فيهم القائد يوسف الجندى الذى اختفى فى احدى القرى فترة ظهر بعدها فى قلب القاهرة ليواصل نضاله ضد الانجليز.

بالقرب من ناصية شارع يوسف الجندى يتسع شارع الشيخ ريحان لواجهة الإدارة المركزية للمعامل التابعة لوزارة الصحة ومبنى حديث ضخم يحتوى على

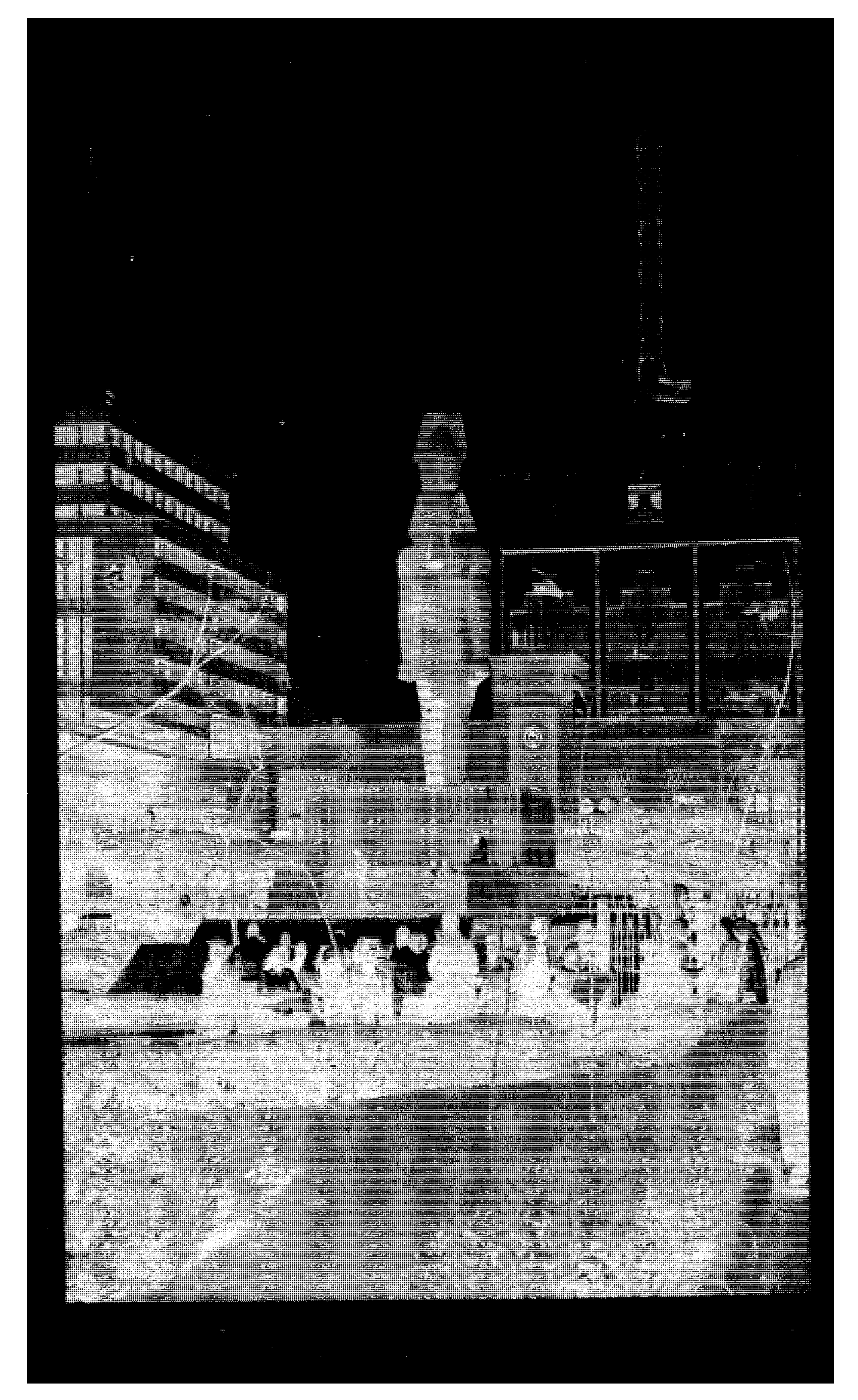
قسم الدراسات الشرقية التابع للجامعة الأميركية وواجهة قصر يشبه الى حد كبير قصور الريف الأوروبى وقبله مباشرة مدرسة الثانوية التجارية وبعده بخطوات مقر وزارة الداخلية الذى يواجه قصرا آخر به احد أقسام النيابة الإدارية.

بعد تقاطع شارع نوبار تظهر واجهة المركز الدولى للتسويق وبنك القاهرة فى عمارة ضخمة امامها مبنى متواضع يحافظ على أسلوب عمارة القرن التاسع عشر وعلى احدى شرفاته يستند رأس رجل عجوز بالقرب من شجرة ضخمة فى انتظار نهاية مناسبة.

عند القبة الخضراء لسيدى عبدالله الحسنى الذى قيل إنه أحد أنجال الشيخ ريحان يبدأ الشارع فى اتخاذ الطابع الشعبى بأرض فضاء مازالت تحمل بعض رفات بيت قديم ومعرض النصر للسيارات ومكتبة الأمانة الهندسية وصالون كلاسيك للحلاقة ومقهى «ساعة صفا» ونادى «أنس الوجود» الذى يوحى اسمه بأن معظم سكان هذا الجزء من الشارع ينتمون الى أقصى جنوب مصر وبالتحديد بلاد النوبة.

فؤاد للمجوهرات ومقهى الانشراح ومسجد عماد الدين الذى اقيم عام ١٩٧٩ تتوج تقاطع شارع محمد فريد ثم يتجاور بالشارع عدد من المحلات الشعبية المتواضعة قبل أن يعود اليه الطابع الملكى متجسدا فى جزء من حديقة ميدان عابدين، وبعدها ناصية مبانى القصر الملكى الشهير التى تحتوى على مطابع للهيئة العامة للاستعلامات وتفضى الى ميدان جامع عابدين وبالقرب منه جدار جراج ضخم يستخدمه أحد الخطاطين فى عرض منتجاته ومدارس ايجيبت الخاصة التى تصل لنقطة نهاية شارع الشيخ ريحان.

* * *



شارع رمسيس

شارع رمسيس من أكبر وأطول شوارع القاهرة وأكثرها ازدحاماً على المستوى الشعبى والمرورى، فهو شريان رئيسى يصل بين عدد هائل من الأحياء تبدأ بميدان التحرير فى قلب القاهرة الاوروبية، وتنتهى بالعباسية بعد أن يخترق بولاق ومعروف ورمسيس والفجالة والسكاكينى. والشارع يستقبل ويودع يومياً ملايين البشر الذين وفدوا للعاصمة من اقاليم مصر المختلفة، وعلى ضفتيه والمناطق المحيطة به تنتشر المؤسسات الصحفية القومية وانشط النقابات المهنية وابرز الكنائس، واثنان من أفخم واضخم المساجد الحديثة، وأقدم المتاحف والمعاهد الموسيقية فى الشرق الاوسط.

وبرغم ذلك فإن شارع رمسيس الذى احتضن نهر النيل حتى القرن التاسع عشر لم يحظ بالعناية اللائقة من المؤرخين والمعماريين الذين تعرضوا لمسيرة القاهرة وشوارعها، فالمؤرخون عادة يهتمون برصد دائرة ضيقة مركزها الحكام، والشارع ظل طوال تاريخه يحافظ على خصام دائم ومتبادل مع مقر حكم مصر، ابتداء من الفسطاط بعد الفتح الاسلامى وقبله حيث اسوار حصن بابليون، ومروراً بالقطائع والعسكر وقصور الدولة الفاطمية، وانتهاء بالازبكية وقصر عابدين والمنشآت السياسية بقصر العينى ـ وكأنه بذلك يثبت انه شارع الشعب قلباً وقالباً، والعديد من مؤسساته شغلها الشاغل التعبير عن هموم البسطاء وتوصيل صوتهم ومطالبهم، والشارع ينظر الى مقاييس الاناقة التقليدية مثل النظافة والتنسيق ودقة المرور باعتبارها ترفاً ملكياً لا يليق به ولا يناسبه، لذلك يبدو مبتهجاً بازدحامه بالمقاهى والباعة الجائلين خصوصاً فى ميدان رمسيس

وبالجموع الغفيرة من الوافدين والمغادرين الذين يتجولون فيه باطمئنان شديد يصل الى حد الاستهتار بسبب اطمئنانهم الى ابتعادهم عن تقاليد مناطق الحكم الصارمة قديماً وحديثاً.. اما الأسماء الملكية التى تناوبت اسم الشارع منذ ظهوره حتى الآن، فلم يكن الغرض من إطلاقها عليه الاعتراف بفضلهم او تخليد علاقتهم به، بل كانت الاسماء مجرد منح لأفراد سرعان ما يحرمون منها.

عباس كان الاسم الأول للشارع، وهو عباس حلمى الثانى الذى تولى حكم مصر بعد وفاة الخديو توفيق عام ١٨٩٢، ومن مفارقات او مضحكات هذه الفترة ان عباس وقتها لم يكن قد بلغ سن الرشد، أى السن القانونية لاعتلاء العرش وهى ثمانية عشر عاما ميلادية، غير ان العلماء والسياسيين - كما هى العادة - لم يعدموا الوسيلة لجعل عباس راشداً وربما شيخاً لو ارادوا، فقرروا الاعتماد على التقويم الهجرى بحجة ان البلاد اسلامية، وبالفعل نصبوا عباس الذى كان يواصل دراسته فى احدى جامعات النمسا، وعاد إلى مصر يرفل فى ثوب الخديوية على اليخت (فرديناند مكسيميان) الذى امر امبراطور النمسا فرانسوا باعداده لنقل الخديو الجديد وشقيقه البرنس محمد على كما كلف ضابطين من حرسه الخاص بمرافقة سموه حتى أرض مصر المحروسة.،

فى ذلك الوقت كانت القوى الاستعمارية خصوصاً الانجليز قد احكمت سيطرتها على مصر تماماً، وحرص عباس على ان يعرب عن شعور الشعب المصرى بإعلان غضبه من سيطرة الانجليز على الخديو الراحل: (انا غير ممنون مما الاحظه من الحالة فقد استسلم والدى للانجليز) لذلك فقد استقبل الشعب المصرى أميره الشاب على شواطىء الاسكندرية وفى القاهرة باحتفالات اسطورية، ورضى بأن يطلق اسمه على شارعه المفضل، على اعتبار أنه سيحرر مصر من الانجليز، غير أن . الشعب . سرعان ما اكتشف أنه افرط كثيرًا فى التفاؤل، فسيطرة الاستعمار كانت اقوى من الشعارات، وعباس نفسه كان أضعف من تحرير مصر.

بعد عباس ظل اسم الشارع ألعوبة فى يد الاسرة الملكية، فقد أطلق عليه اسم الملكة نازلى ابنة عبدالرحيم باشا صبرى وحفيدة شريف باشا وسليمان باشا

الفرنساوى التى تزوجها الملك فؤاد فى ذروة أحداث ثورة ١٩١٩. وكان فى تصرفاتها وسلوكها ما أساء الى سمعة البلاد فى الخارج وأثار الشعب فى الداخل، لدرجة انها تعد من بين الأسباب التى عجلت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وبسبب تصرفاتها اضطر ابنها الملك فاروق إلى رفع اسمها من شارع الشعب وقصره على اسم (شارع الملكة) فقط، وعندما قامت ثورة يوليو اطاحت باسم الملكة من الشارع، وإن كانت حافظت على الطابع الملكى للاسم، فقد اطلقت عليه اسم رمسيس.

يبدأ شارع رمسيس بالجدار الخلفى للمتحف المصرى الذى شيد عام ١٩٠٢ بناء على تصميم المهندس الفرنسى (مارسيل دورنيون) ويتألف من ثلاثة طوابق، يحتوى الاول على الاثار الفرعونية الثقيلة مرتبة حسب تاريخ الاسرات، ويضم الثانى العديد من التماثيل الضخمة، اما الثالث فيحتوى على أهم كنوز المتحف واثار مصر بشكل عام وهى اثار توت عنخ امون وقاعة الحلى والجواهر التى تنطوى على ما ليس له مثيل فى أى متحف او مكان فى العالم.

بجوار جدار المتحف مباشرة يتسع ميدان عبد المنعم رياض، القائد العسكرى العظيم الذى استشهد وهو يقاتل على قناة السويس فى حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩، وأطلق اسمه على الميدان سعد زايد محافظ القاهرة آنذاك وكان قبله يعرف بميدان الشهداء.

الشركة العامة لتجارة الكيماويات وبنك النيل يحتلان عمارتين بارزتين بالشارع بعد ارض فضاء تئن تحت ثقل لوحات اعلانية ضخمة وتقع على حافة احد ممرات كوبرى ٦ أكتوبر، وعلى الناحية الأخرى تطل واجهة الهيئة العامة للصرف الصحى فى بناء يذكر بأسلوب العمارة الانجليزية، ويتبعها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية تتصدره لوحة تعلن عن مسرحية (إصحوا يا بشر) تأليف صالح سعد وتندد بمأساة الشعب الفلسطينى.

مصلحة الكيمياء بمبناها اللافت تواجه ناصية شارع عبدالخالق ثروت التى تفصح عن المبنى الجديد لنقابة الصحفيين التى احتفل بافتتاحها رسمياً فى ١٢ مارس ١٩٤٩.

كانت النقابة تشغل فى بدايتها غرفتين وحيدتين فى احدى عمارات شارع شريف، ثم حلت محل (النادى المصرى) وكان يشغل المبنى المواجه للبنك الاهلى بشارع قصر النيل ـ وقد مر قانون إنشاء تلك النقابة بمراحل طويلة ومرهقة منذ عام ١٩١٩ حتى صدر، وكان يجمع بين كل المشتغلين بالصحافة تحت صفتين: أصحاب صحف ومحررين، وألحق به قرار وزارى يقضى بتعيين أول مجلس للنقابة الى ان تنعقد أول جمعية عمومية لانتخاب أول مجلس ادارة، وقد اجتمعت بعد الافتتاح بنحو ٩ اشهر برئاسة يس احمد باشا رئيس محكمة الاستئناف فى ذلك الوقت.

نقابة المحامين تقع على واجهة الشارع وتلاصق نقابة الصحفيين غير أنها تتمتع بتاريخ أعقد قليلاً، فحتى اول القرن التاسع عشر لم تكن مصر تعرف القضاء الحديث، وبفضل الحملة الفرنسية بدأ المصريين يتعرفون على بعض ملامحه، ورغم صورية محاكمات الفرنسيين للخارجين عليهم ومنهم سليمان الحلبى، الا أن المصريين فى ذلك الوقت تعاملوا مع مجرد عقد محاكمة باعتباره نوعا من العجائب، فقد تعودوا على مدى سنوات طويلة على أحكام تصل إلى بتر الرقاب دون محاكمات وبإشارة بسيطة من الحاكم أو أحد أفراد حاشيته.

وقد ظلت مهنة المحاماة متاحة لكل من هب ودب دون قيد او شرط وتعتمد على البلاغة وعلو الصوت حتى اصدرت محكمة الاستئناف عام ١٨٨٤ اعلاناً يقضى بوجوب قيد (الافوكاتية) والوكلاء، وكانوا يقيدون بلا مؤهلات، وفى عام ١٨٨٦ اجتمع بعض المحامين برئاسة جبرائيل كحيل بك واتفقوا على وضع لائحة تنظم احوالهم_ وبالتحديد فى ١٥ مايو ١٩١٠ صدر القانون رقم ٩ الذى نص على استبعاد المحامين الجدد غير الحائزين على شهادة الحقوق، وفى عام ١٩١٢ ظهرت بشائر إنشاء نقابة للمحامين بموجب القانون رقم ٢٦ الذى يعد أول تشريع عُنى بمهنة المحاماة عناية بعيدة الاثر، وبمقتضاه عقدت أول جمعية عمومية بسراى محكمة الاستئناف، كما أجريت اول انتخابات برئاسة المستشار يحيى ابراهيم رئيس المحكمة وعاونه المستشار عزيز بك كحيل وصوت فيها ٣٣٣ محامياً قيل ان العديد منهم كانوا من غير الحاصلين على شهادة الحقوق.

أكاديمية السادات للعلوم الادارية بمبناها الانجليزى الضخم تقع بالشارع على مشارف الشهر العقارى الذى يحتل مبنى رغم الاهمال وتراكم الأتربة مازال يحتفظ بأناقته ومهابته بفضل مدخله الجميل القائم على أربعة اعمدة على الطراز الفرعونى وامامه مباشرة سوق عامرة بمختلف انواع البضائع، وعلى الناحية الاخرى الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع فى مبنى مازال يحتفظ بالطابع الملكى من خلال الختم الذى يتصدر واجهته والمكون من هلال ازرق وبداخله ثلاثة نجوم.

معهد الموسيقى العربية الذى جمع رواد الموسيقى من أمثال محمد القصبجى وزكريا أحمد وعبدالوهاب والسنباطى يحافظ أيضاً على شعار المملكة المصرية على واجهة عمارة أنيقة يجرى ترميمها الآن.

سنترال رمسيس بمبناه الضخم والخالى من أى ذوق فنى تواجهة لافتة شركة رمسيس نجيب للإنتاج فى عمارة لا تقل جفافاً وضخامة وكلتاهما تشعران بالخجل من اناقة مبنى جمعية المهندسين المصرية التى تأسست عام ١٣٢٨هـ وبعدها مباشرة نقابة المهندسين تواجه محطة للوقود.

بنك التنمية التجارية يقع على ناصية شارع عُرابى وبعده يجرى العمل فى برج زجاجى متطاول هو المقر الجديد لمبنى ومطبعة صحيفة «الجمهورية» التى تأسست عام ١٩٥٣ وتواجه بالشارع احد مقار الهيئة العامة للصرف الصحى ومستشفى الهلال الأحمر.

مسجد الفتح يعد ذروة ميدان رمسيس بالشارع ويبدو بقبابه الجميلة ومئذنته الشامخة جديرا بمواجهة محطة السكة الحديد التى تم تشييدها عام ١٨٥٥ فى أعقاب مد الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة ومبناها يتميز بطابعه العربى الاسلامى ويتكون من خمسة طوابق وقد وضع تصميمه واشرف على تنفيذه المهندس البريطانى ادوين بانس.

المحطة ثانى أقدم محطات السكك الحديدية فى العالم وقد داهمها حريق كبير عام ١٨٨٢ ثم أعيد تشييدها عام ١٨٩٣ ودخلتها عربات النوم عام ١٨٩٨

اما عربات البولمان فقد تأخرت الى عام ١٩٢٨ وكان الملك عبدالعزيز آل سعود من اوائل الشخصيات السياسية التى نزلت بها.

بين المحطة والجامع يتدافع فى الميدان جيش جرار من البشر من المؤكد أنه لا يوجد ما يقارب ضخامته فى اى مدينة فى العالم ــ البعض يجرى للحاق بالقطارات والبعض يغادرها منذهلا والبعض يتهيأ للصلاة على انغام صياح مئات البائعين الجائلين وسيل جارف من السيارات ووسط هذا الصخب ينتصب تمثال رمسيس الذى يعانى من احباط واضح بسبب الاهمال الذى وصل الى حد حرمانه من نافورة الماء التى كانت تتدفق تحت قدميه وتذكره بطراوة عزه الملكى القديم.

خلف التمثال وبعد هيئة البريد يواصل الشارع امتداده وتتجاور على ضفته اليمنى مدرسة العائلة المقدسة والمستشفى القبطى الذى تأسس عام ١٩٢٦ وبطريركية الارمن فى مبنى مهيب يسبقه ويتبعه العديد من المحلات المتخصصة فى بيع الموبيليات المصنوعة من الخوص والخيزران.

الأرض الفضاء التى يملكها بنك قناة السويس يتبعها بالشارع دكان العجايبية للتحف الذى يقع بالقرب من مبنى آيل للسقوط يحتل ناصية شارع اسماعيل الفلكى وبالقرب منه معرض للعب الأطفال وعدد كبير من محلات المطابخ يتوسطها مبنى قصير وانيق يملكه بنك فيصل الاسلامى ويقع البنك بالقرب من مدرسة غمرة الاعدادية الثانوية.

فى الضفة اليسرى من الشارع غابة من قضبان السكك الحديدية يتجول فيها مترو مصر الجديدة والقطارات المتجهة الى الدلتا والاسكندرية ومترو الانفاق بعد ان غادر باطن الارض.

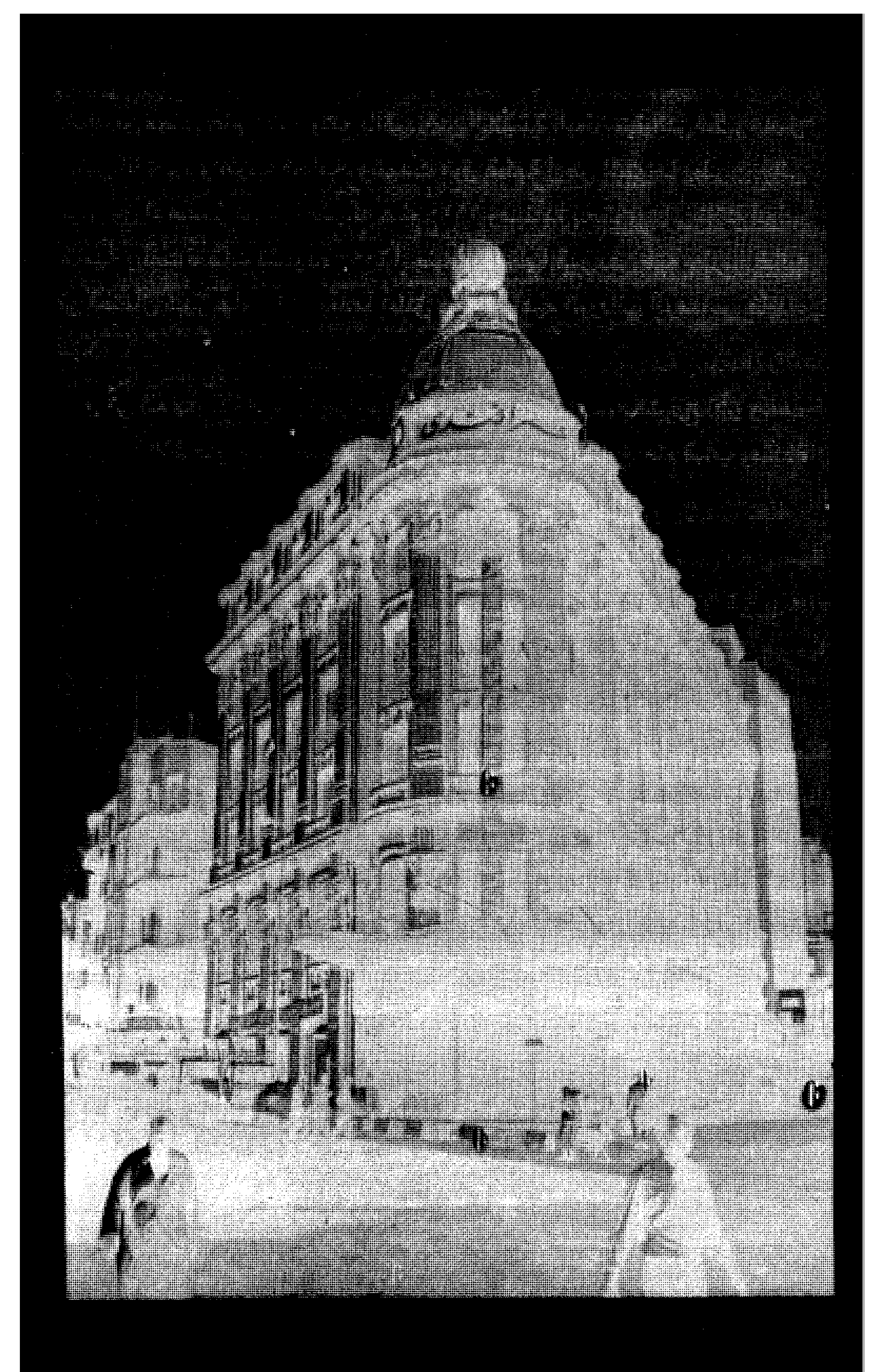
اتيليه آرت جاليرى بلوحاته الضخمة والمتعددة التى ينتمى معظمها الى واقعية عصر النهضة الأوروبى يحتل الدور الاول من عمارة أنيقة تجاورها أخرى لا تقل جمالا وكلتاهما تبدأ المرحلة العباسية من الشارع وتبشر على الأقل بالنسبة لى بنهاية واقعية سعيدة ومريحة تكرسها ناصية القبة الفداوية التى بناها الأمير

يشبك بن مهدى عام ١٤٧٤ وتقع بالقرب من الكنيسة البطرسية التى تعتبر اجمل كنائس القاهرة واكثرها فخامة، وشيدت فوق قطعة أرض اشتراها بطرس غالى رئيس وزراء مصر قبيل اغتياله عام ١٩١٠ ومبناها يحتوى على ثلاثة أبواب أمامية وبلغت نفقات تشييده ١٢٠٠٠ جنيه وبداخلها قبر دفن فيه بطرس غالى فى احتفال كبير عام ١٩١١ بعدما اطلق عليه ابراهيم الوردانى الرصاص فأرداه قتيلا.

مبنى المعهد الاكاديمى لجراحات القلب يجرى تشييده بالشارع الآن وبعده طابور من الاشجار خلفه حديقة الوايلى وبعدها ينتهى الشارع امام قباب ومئذنة جامع النور.

* * *

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية



شارع عبدالعزيز

نهاية شارع عبد العزيز تشكل مع نقطة بدأيته مفارقة تدشن مكانته كمعبر آمن ومريح بين عالمين متناقضين.. عالم القاهرة الشعبية القديمة حيث روائح واجواء العتبة والحسين والازهر والموسكى،وعالم القاهرة الاوروبية حيث قصر عابدين وعمارات وشوارع ميدان التحرير.

فهذا الشارع القصير نسبيا يبدأ بعنق ضيق وهادىء يكاد يتلاشى امام سطوة شارع (الجمهورية) وتاريخه ما وينتهى باتساع ميدان العتبة (الخضراء) الذى يشكل مصبًا لعدد من شوارع القاهرة المهمة على المستوى الشعبى والتجارى والتاريخى والفنى نظرا لكثرة الآثار الاسلامية وهى شوارع القلعة (محمد على سابقا) والموسكى والجيش (الأمير فاروق سابقا).

شارع عبدالعزيز افتتحه الخديو اسماعيل لأول مرة عام ١٨٧٠ لسببين وجيهين أحدهما وهندسى والآخر ملكى.. الأول هو تسهيل المواصلات وإكمال تخطيط القاهرة مثل غيره من الشوارع التى شقها اسماعيل والملكى هو تقديمه كهدية ثمينة لحضرة السلطان العثمانى عبدالعزيز لأنه شرَّف مصر بزيارة سلطانية حميدة عام ١٨٦٣، وباسم هذا الشارع أثبت اسماعيل للسلطان أن مصر فى عهده ستظل خاضعة تمامًا للتاج العثمانى ومما يؤكد هذا الخضوع أن شارع عبدالعزيز بفضل انفتاحه على شارع الجمهورية (إبراهيم باشا سابقا) يعد من المعابر المريحة للمثول أمام قصر عابدين الذى كان قلعة حكم مصر طوال فترة ولاية أسرة محمد على باشا.

شارع عبدالعزيز كان جزءا مهملا من منطقة كانت خصبة فى زرع الصبار ولم تكن الحياة تدب فيها سوى على فترات متباعدة وبالتحديد عندما يموت أحد أبناء القاهرة خصوصا من الأسر العريقة، وذلك لسبب بسيط ملخصه أن هذه المنطقة كانت مخصصة لمدافن القاهرة، وعندما فكر اسماعيل باشا فى شق هذا الشارع سارع بمحو المقابر ونقل رفاتها الى مكان آخر فلم يكن من اللائق إن يكون الشارع الذى سيهديه الى السلطان العثمانى محاطا بشواهد القبور وساحة للموتى، ولكى تتم ازالة رائحة الموت وسكونه وربما كآبته من هذا الشارع تماما تم اختيار أرضه لتسيير واحدة من اوائل وسائل المواصلات الحديثة التى شهدتها القاهرة وهى (الترام) الذى كان يصل منه إلى مشارف قصر عابدين وبفضل صخب هذا الترام ظل الشارع يعرف باسم (شارع التروللى) فترة طويلة كان خلالها موطنا لموظفى ومهندسى وعمال الترام ومن بقاياهم)اللجنة النقابية للعاملين بالترام والتروللى) وهى تحافظ على موقعها فى نهاية شارع عبدالعزيز حتى الآن رغم زوال الترام نفسه.

فى السبعينيات بدأ شارع عبدالعزيز يتخلى عن مكانته الملكية ويأخذ مكانته الجديدة كبؤرة لبيع الأجهزة الكهربائية الجديدة والمستعملة وكرس هذه المكانة فى الآونة الاخيرة الازمة الاقتصادية التى كادت، تطيح بنمور آسيا فى تسعينيات القرن الماضى فمع هذه الأزمة سارع بعض رجال الاعمال المصريين إلى هذه الدول الآسيوية واشتروا كميات هائلة من الأجهزة الكهربائية ظنا منهم أن سعرها سيتضاعف فى مصر، ولكن هذا التفاؤل سرعان ما تحطم على عتبات حالة الركود التى أصابت مصر وبالتالى وقع رجال الأعمال فى ورطة وأخذوا يبحثون عن طريقة لتصريف بضاعتهم الآسيوية باقل خسارة ممكنة واخيرا وجدوا ضالتهم فى شارع عبدالعزيز فنقلوا اليه أطنانًا من الأجهزة الكهربائية لكى تباع بسعر شعبى ومن يومها تحول شارع عبدالعزيز الى مركز شعبى كبير لبيع مختلف انواع الاجهزة الكهربائية بسعر رخيص، لذلك فإن هذا الشارع اصبح الآن أشبه بمخزن ضخم للأجهزة الكهربائية لدرجة انه يمكن القول دون أدنى مبالغة ان كل زاوية وكل ركن بل وكل شبر فيه داخله محل مزدحم بالأجهزة

الكهربائية القديمة والجديدة ونظرًا لأن هذا الشارع غير مهيأ تماما لهذا العدد من المحلات فقد تراكمت على جانبيه الكراتين من كل صنف ونوع مما صعب المرور فيه ويجعله واحدا من اكثر شوارع القاهرة ازدحاما لدرجة انه صار فى الفترة الاخيرة من المناطق الكريهة بالنسبة لسائقى الحافلات والسيارات خصوصًا أنه يعتبر الممر الرئيسى للعديد من خطوط اتوبيسات هيئة النقل العام بالقاهرة.

وبسبب قوانين الانفتاح فى السبعينيات التى منحت شارع عبدالعزيز المكانة التجارية التى يتمتع بها الان فقد اقام بعض تجار هذا الشارع تمثالا شعبيًا للسادات فى احدى حواريه تخليدا لهذا الرجل الذى نفخ جيوبهم بالملايين!.

ومن أهم المعالم المعمارية والشعبية فى شارع عبدالعزيز محل (عمر افندى) الذى ينفرد بكونه أقدم محلات شركة عمر افندى فى مصر. وهذه الشركة تم تأميمها مثل غيرها بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ومبناها بالشارع يتميز بعمارته الانجليزية القديمة, وبالقرب منه تطل واجهة محل محمود السماك الذى رغم تواضع عمارته يعد اشهر المحلات التى تقدم وجبات السمك فى مصر وصاحبه يحافظ حتى الان على خدمة زبائنه بالطريقة القديمة التى بدأ بها وكانت مناسبة تماما لمزاج رواده القدامى الذين كانوا من ألمع وأغنى أعيان مصر، حيث أن الزى التقليدى للطباخ التركى القديم هو الزى المعتمد لجميع العاملين بهذا المحل الذى يأتى اليه راغبى اكل السمك من مختلف انحاء مصر.

وعلى نقيض هذه الطريقة الكلاسيكية فى تقديم الوجبات فإنه فى نهاية شارع عبدالعزيز من ناحية العتبة يوجد مطعم مرزوق وهو مخصص لبيع جميع انواع السندوتشات السريعة لرواد الشارع وبائعيه وموائده وكراسيه مفروشة على الرصيف نظرا افتقاره لأى مساحة خلاف التى يجهز فيها مرزوق سندوتشاته، بل انه حتى لا يهنأ بالرصيف بمفرده فبجواره مطعم آخر وهو الدمياطى الذى يبيع السندوتشات أيضا ويزاحمه بكراسيه وموائده على الرصيف والحقيقة أن تقاربهما وتنافسهما الحاد على رصيف شارع عبدالعزيز له ما يبرره فقد كانا مطعما واحدًا يملكه رجل من دمياط وتم اقتسامه بعد ان رحل تحت سطوة تنازع ورثته!

وبغض النظر عن كلاسيكية مطعم محمود السماك وعصرية مطعم ورثة مرزوق فإن شارع عبدالعزيز يتميز عن غيره من شوارع القاهرة بأنه اشبه بمطعم كبير للوجبات السريعة فنظرا لازدحامه وافتقاره الى سكان دائمين بسبب أن عماراته تحولت الى مخازن للادوات الكهربائية فإن صوانى الطعام بمختلف انواعه تتجول على رؤوس الصبية فى مختلف اركانه لدرجة انها تعد ضابط ايقاع الحركة فيه ومظهر التغيير الوحيد الذى يشهده طوال اليوم. فى الصباح يشهد الصوانى العامرة باطباق الفول والطعمية ومعظمها قادم من أشهر بائع فول فى منطقة العتبة وما حولها. وفى الظهر يتوارى الفول ليترك ساحة عبدالعزيز لصوانى الكشرى ولحمة الرأس والكباب والكفتة. وآخر النهار تظهر صوانى السندوتشات الخفيفة وجميعها وجبات متنقلة مجهولة المصدر يجلبها باعتها خصيصا لرواد وباعة شارع عبدالعزيز.

وبعيداً عن صخب تجار شارع عبدالعزيز ونهم رواده للطعام فإنه يحتوى داخل احد شوارعه الجانبيه على مطبعه تعد من أقدم مطابع القاهرة بعد مطابع بولاق التى انشأها محمد على فى بداية ثورته التحديثية، وهى مطبعة الامل التى انشأها رجل اعمال يونانى عام ١٨٩٨ تحت اسم (مورفتلى)، وكانت فى البداية مقتصرة على طبع ورق السجائر وعلب الاحذية وورق اليانصيب، وظلت على هذه الحالة إلى ان اشتراها اقطاب تيار اليسار المصرى وعلى رأسهم خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع ود/ رفعت السعيد امينه العام فى سبعينات القرن الماضى، ومنذ ذلك التاريخ بدأت دورها فى التاريخ السياسى والثقافى المصرى، فقد طبعت فيها معظم اصدارات مفكرى التيار اليسارى فى الثقافة المصرية وكذلك معظم المجلات والصحف التى تعبر عنه وأبرزها مجلة اليسار وجريدة الأهالى ومجلة ادب ونقد وغيرها، وفى الفترة الأخيرة تم اختيار هذه المطبعة لطبع العديد من إصدارات وزارة التعليم، وكذلك إصدارات هيئات وزارة الثقافة وعلى رأسها هيئة قصور الثقافة التى طبعت فيها رواية وليمة لاعشاب البحر التى احدث صدورها ازمة كبيرة كادت تؤدى إلى تدمير هذه المطبعة حيث أن أحد المتطرفين أذاع عنوانها فى شارع عبد العزيز وكذلك أرقام هواتفها فى

سياق تحريضه على اهدار دم كل من ساعد فى نشر وطباعة هذه الرواية، وفى هذه المطبعة تم ايضاً طبع الروايات الثلاث التى اتهمها وزير الثقافة فاروق حسنى بالاباحية وبفضلها قام بفصل كافة مسؤولى النشر بهيئة قصور الثقافة وعلى رأسهم على ابو شادى.

هذه المطبعة بدأت بطباعة الكتب على طريقة جمع الانترتيب البدائية، وهى الان تعد من المطابع ذات الامكانيات العالية فى مصر، ومن ابرز مطبوعاتها اصدارات مهرجان السينما ومهرجان الاسماعيلية للفنون الشعبية وكذلك بعض مطبوعات المجلس الاعلى للثقافة، ويديرها المهندس امين محيى الدين ابن السياسى البارز واحد الضباط الاحرار خالد محيى الدين، وكذلك المهندس وليد يسرى الذى يعد من انجح رجال الطباعة فى مصر الان.

ورغم أن شارع عبدالعزيز يفتقر الان إلى المقاهى بسبب تخصيص كافة مبانيه لمحلات الاجهزة الكهربائية . الا أنه كان حتى السبعينات مزدحماً بالعديد من المقاهى التى كانت تفتح حتى الصباح لاستقبال نزلاء الفنادق الشعبية التى كانت منتشرة على جانبيه، وكانت ذروة هذه المقاهى تتجسد فى مقهى البوسطة الذى كان يقع فوق نقطة نهاية عبدالعزيز داخل ميدان العتبة، وكان له تأثير بالغ فى تاريخ الفكر المصرى الحديث، ويرجع ذلك الى ان الشيخ جمال الدين الافغانى اتخذه مكاناً للقاء تلاميذه ومريديه . وسبب تسميته بهذا الاسم أنه كان قريباً من مبنى مصلحة البريد الذى مازال قائماً حتى الآن.

وقيل ان الافغانى كان يجلس فى صدر هذا المقهى وتتألف حوله نصف دائرة من مريديه وأتباعه الذين كانوا يتسابقون لسؤاله فى ادق المسائل فيرد عليهم بلسان عربى مبين، ويتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلل فيدهش السامعين، وكان يمضى الليل فى هذا المقهى بالقرب من ناصية شارع عبد العزيز ثم يعود إلى داره بعد أن يدفع لصاحبه حساب كل جلسائه الذين أصبحوا فيما بعد من أعلام النهضة العربية الحديثة ومنهم محمد عبده وسعد زغلول ومحمود سامى البارودى وابراهيم الهلباوى وابراهيم المويلحى واديب اسحاق ويعقوب صنوع وعبدالله النديم.

هذا المقهى تغير اسمه بعد ذلك الى مقهى (متاتيا) واتخذ مكانه كجامعة ادبية أهلية او شعبية يرتادها الادباء والفنانون من كافة التيارات والاتجاهات ومنهم الموسيقار زكريا أحمد والشاعر بيرم التونسى الذى كتب فيه أحلى قصائده وفى إحداها تغزل فى المقهى ورواده.

ومن ناحية أخرى فإن بعض اعداء الشيخ الافغانى وعلى رأسهم الكاتب الشامى (سليم عتمورى) زعموا ان الشيخ كان يشرب الخمر فى هذا المقهى، غير انهم ووجهوا بغضب شديد من تلامذه الشيخ ومنهم محمد رشيد رضا والشيخ محمد عبده.

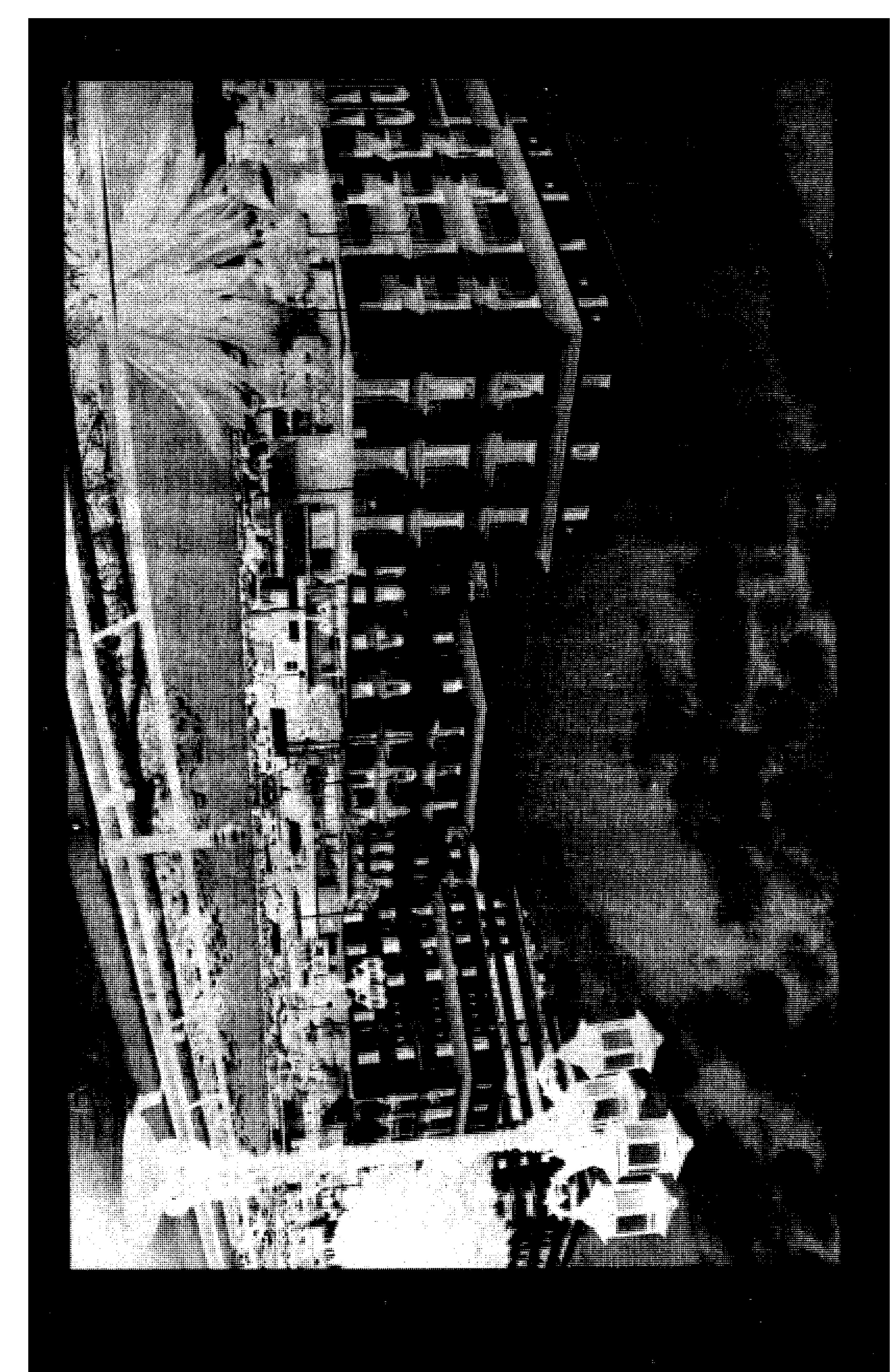
وكما ارتبط جمال الافغانى بهذا المقهى فإنه خرج منه ليلة القبض عليه هو وخادمه ابو تواب، واقتادتهما الشرطة المصرية الى السويس حيث ركب سفينة خرجت به من مصر الى الهند منفياً فى عهد الخديو توفيق.

ميدان العتبة (الخضراء) كان فى الأصل شارعًا يبدأ من شارع الموسكى، وعرف بهذا الاسم لأن سراى العتبة الخضراء كانت به، وكانت تعرف ايضاً ببيت (الثلاث ولاية)، وترجع اصلها الى دار الحاج محمد الدادة الشرايبى الذى بنى جامعاً عرف بعد ذلك بجامع البكرى، ثم تملكها بعده الامير رضوان كتخدا الجلفى فجددها وبالغ فى زخرفتها وذلك بعد عام ١٢٦٠ هـ، ثم تملكها محمد بك ابو الدهب، وكان متزوجا بمحظية رضوان كتخدا، ثم انتقلت الى املاك الامير طاهر باشا الكبير، ثم الى قريبه الأمير طاهر الذى تولى النظارة فترة طويلة، واستمرت هذه السراى بيد ورثته إلى ان اشتراها عباس باشا فهدمها ووسعها وبنى فيها قصراً جميلاً تحيطه الحدائق من كل جانب واهداها الى والدته وبقيت على هذه الحالة الى زمن الخديوياسماعيل الذى امر باقتطاع جزء كبير من الحديقة لاكمال ميدان الازبكية أو الأوبرا بعد ذلك، وترك القصر ليتحول إلى مقر للمحكمة المختلطة، اما ملحقاته فقد الت لعساكر البوليس وهى الآن تابعة لوزارة الداخلية وبها الآن دار الدفاع المدنى.

وبين هذا المبنى ومبنى مصلحة البريد فى ميدان العتبة يمر شارع أو حارة طاهر باشا الذى كان محافظاً على الديار المصرية لعدد من السنوات، ثم استغل ضعف الولاه وصراع المماليك واستولى على حكم مصر لكنه سرعان ما اجبر على التنازل عنه بالقتل بعد ستة وعشرين يوماً فقط، لتكون فترة حكمه من اقصر الفترات التى شهدتها مصر على مدى تاريخها، وكان سبب مصرعه المفاجىء والسريع انه كان كثير المصادرات ومغرم بسفك الدماء وتدبير المؤامرات، وكان مقتله فى الرابع من شهر صفر سنة ١٢١٨، على ايدى طائفة من فرسان الانكشارية الذين ضربه احدهم فطير رأسه ورماه من شباك بيته إلى ارض حديقته، ثم هجموا على أتباعه فقتلوا العديد منهم، ثم نهبوا كافة محتويات قصره.

كما كان بميدان العتبة الخضراء الجامع الكبير الذى كان يعرف بجامع ازبك والحمام الذى كان يعرف بحمام العتبة الخضراء وقد بناهما الأمير ازبك مع غيرهما من المبانى التى ازيلت معهما عند تنظيم ميدان العتبة وميدان الأوبرا وفتح شوارع القلعة والازهر والموسكى، اما رفات ازبك فقد جمعت وتم نقلها الى ضريح اقيم فى تقاطع شارع عبد العزيز وشارع العشماوى وبنى عليها جامع عرف بجامع العظام بسبب كثرة العظام والجماجم التى دفنت فيه، وهو مازال باقياً حتى الان وشعائره مقامه وتم ضمه مؤخراً الى وزارة الاوقاف المصرية، وكان يقام له إلى فترة قريبة حضرة كل اسبوع ومولد سنوى، وهو يعد الآن الأثر الوحيد الباقى من الآثار الاسلامية فى شارع عبد العزيز الذى يكاد تاريخه يتلاشى تحت جحافل تجار الادوات الكهربائية التى استطالت وتضخمت حتى أخفت معظم معالمه القديمة.

* * *



شارع عدلى

شارع عدلى واحد من شرايين وسط القاهرة الحديثة، يبدأ من ناصية شارع طلعت حرب، وينتهى عند اتساع ميدان العتبة (الأوبرا سابقا) تحت فندق الكونتننتال، وعلى مشارف حديقة الأزبكية التى يحرسها- من وسط الميدان- تمثال لحصان جامح يلجمه إبراهيم باشا.

وبفضل هذا الموقع الفريد يمكن المجازفة بالقول إن شارع عدلى يربط أو يجمع أطراف مجد أسرة محمد على باشا، وأهم المآثر العمرانية والعسكرية والفنية التى أنجزتها طوال جلوسها على عرش مصر، فشارع طلعت حرب الذى يبدأ منه كان قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ يحمل اسم مؤسس جيشها سليمان باشا الفرنساوى، والميدان كانت به الأوبرا الشهيرة التى كانت ذروة انشغالهم بالفن، وحديقة الازبكية التى ينتهى على مشارفها كانت من أهم مفاخرهم العمرانية، ولاجم الحصان الجامح هو القائد إبراهيم بن محمد على وصاحب الفتوحات الكبيرة، أما المنطقة التى يتجول فوقها شارع عدلى الآن فهى قلب قاهرتهم التى بناها الخديو اسماعيل على الطراز الأوروبى. غير أن أهم ما يميز تاريخ الشارع أنه ظل على مدى عقود عديدة وربما قرون موطنا للعديد من الكتاب والمفكرين والادباء.

شارع عدلى حتى ثلاثينات القرن الماضى كان يعرف باسم شارع المغربى، وذلك راجع الى انه كان قديما يتقاطع مع الخليج الناصرى ويعبر فوقه على قنطرة كان اسمها قنطرة المغربى، نسبة إلى القاضى صلاح الدين يوسف بن

المغربى الذى كان رئيسا لاطباء مصر فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد، وانشأ بالشارع جامعا خصص فيه درسا ورتب له القراء، وبنى بجواره قبة دُفن فيها عام ٧٥٦هـ، وظل هذا الجامع عامرا فترة طويلة قبل ان يلحق به الدمار الذى اصاب الشارع والمنطقة كلها، مما دفع المؤرخ الشهير المقريزى لأن يتنبأ وقد آله دماره بانه (ايل إلى ان ينقض ويباع كما بيعت انقاض غيره)، غير ان نبوءه المقريزى لحسن الحظ لم تتحقق، وظل الجامع باقيا بالشارع حتى اليوم، وان كان قد تضاءل حتى وصل الى زاوية صغيرة فى مدخل عمارة ضخمة تحمل رقم ٣٠ شارع عدلى.

وبالناحية الغربية من الشارع كانت هناك بحيرة صغيرة تعرف ببركة القرطوطى، وشواطئها كانت مزدحمة بقصور ودور اثرياء واعيان هذه الفترة خصوصا من الادباء والكتاب لذلك كانت تعرف بمنشأة الكتاب، وقد عاصرها المؤرخ المقريزى فى شبابه ووصفها قائلا (وأنى لأذكرها وما مررت بها قط الا وتبين لى من كل دار آثارالنعم. اما روايح تقالى المطابخ. أو عبير بخور العود والند_ أو نفحات الخمر. أو صوت غناء. أو دق هاون. ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهية عيشهم وغزارة نعمهم) ولكن تلك الرفاهية لم تستمر طويلا، ربما لان حياة الكُتاب فى كل العصور لا تدوم على حال، ففى حياة المقريزى نفسه هُدمت منازل تلك المنطقة التى يقع الشارع على حافتها، وبيعت انقاضها وخربت بساتينها بعد قتل الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر عام ٨٧٨هـ، وهذا ما جعل المقريزى يتوقع زوال جامع المغربى.

بالتحديد عام ١٩٣٣ تم استبدال الاسم القديم للشارع باسم عدلى باشا، وهو ارستقراطى كان يتميز بحساسية مفرطة لدرجة انه الوحيد بين رؤساء حكومات مصر الذى قدم استقالته عندما هاجم اعضاء مجلس النواب وزيرا فى حكومته، وأصر عليها رغم توسلات المجلس نفسه.

بدأ «عدلى يكن» يأخذ مكانته المرموقة بين أبرز سياسى مصر فى بداية القرن العشرين عندما كان وزيرًا للمعارف واختاره حسين رشدى باشا رئيس وزراء مصر عام ١٩١٧ لكى يزامله فى رئاسة الوفد الحكومى الذى اقترح أن

يسافر إلى لندن لعرض القضية المصرية، فى حين يسافر الوفد المصرى أو الشعبى برئاسة سعد زغلول الى باريس لنفس الغرض، وفى هذا الاقتراح قال رشدى مخاطبا السلطان فؤاد (إن الحوادث تتوالى سراعًا، وستبدأ مفاوضات الصلح، ويشرع فى تسوية جميع المسائل التى أثارتها الحرب، ومن أهم الأمور أن تبسط آراء عظمتكم وآراء حكومتكم فى مصير مصر السياسى لحكومة جلالة الملك مباشرة - يقصد ملك بريطانيا - ولذا اقترح على عظمتكم ان تعهدوا إلىّ والى زميلى عدلى باشا بهذه المهمة).

وبالفعل وافق السلطان ولكن من كان بيده الأمر وهو المعتمد البريطانى اللورد وينجت رفض بشدة، كما رفض سفر الوفد الشعبى برئاسة سعد زغلول، فتقدم عدلى ورشدى باستقالتهما لكن السلطان فؤاد رفضها، فاضطرت الحكومة البريطانية الى إعلان قبولها سفر رشدى وعدلى إلى لندن، لكن رشدى علق سحب الاستقالة على التصريح للوفد الشعبى بالسفر إلى باريس.

فى عام ١٩٢٠ سافر عدلى يكن على رأس ثلاثة من اعضاء الوفد المصرى وبمباركة سعد زغلول الذى لحق بهم الى لندن للتفاوض حول استقلال مصر، لكن المفاوضات فشلت بعد شهرين بسبب تمسك إنجلترا بوجودها الاستعمارى فى مصر.

طوال هذه الفترة كان عدلى يكن وسعد زغلول يعملان سويًا من أجل استقلال مصر، ولكن عام ١٩٢١ بدأ الشقاق بينهما، فقد قدم بعض اعضاء الوفد المصرى مذكرة الى سعد زغلول طالبوا فيها بان يعهد بالمفاوضات مع الانجليز الى هيئة حكومية برئاسة شخص موثوق به، ويكون الوفد المصرى رقيبا عليها، لكن سعد زغلول رفض هذه المذكرة رغم انها كانت بالاجماع، وفى هذه الفترة تألفت حكومة برئاسة عدلى يكن، وطلبت انجلترا التفاوض بشأن مصر، فوقع الخلاف على رئاسة وفد المفاوضات، هل يرأسه رئيس الحكومة بناء على مذكرة أعضاء الوفد، ام يرأسه رئيس الوفد سعد زغلول، واحتدم الصراع بين سعد وعدلى لدرجة انه وصل الى حد التجريح، فقد اتهم سعد عدلى ومن معه بأنهم «برادع» للإنجليز، فرد عدلى ومؤيدوه بان ثورة ١٩١٩ وزعيمها سعد زغلول ما هى إلا

إثارة شعبية. وبلغ الاحتدام ذروته عندما انشق عدلى وبطانته عن حزب الوفد وإسس حزب الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢.

وفى عام ١٩٢٦ شكل عدلى يكن وزارة ائتلافية وانتخب سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب، غير أن عدلى سرعان ما استقال ليترك المفاوضات لسعد وبعد عام واحد وبالتحديد فى ٢٣ من اغسطس عام ١٩٢٨ ترك الدنيا برمتها.

يبدأ شارع عدلى من واجهة سينما ميامى بطلعت حرب وناصية بها مقهى انيق هو اكسلسيور، امام عمارة ضخمة مملوكة لشركة المقاولين العرب، وهذه المنطقة من الشارع كانت مقرا دائما لصالون الاديبة الشهيرة مى زيادة، الذى كان يعقد عصر الثلاثاء من كل أسبوع وكان ملتقى أبرز رواد الأدب العربى الحديث ومنهم طه حسين الذى كان ماهرا فى تحليل نبرات الاصوات، وقد وصف احدى نقاشات هذا الصالون قائلا (لم يرض الفتى عن شىء مما سمع الا صوتا واحدا سمعه، كان الصوت نحيلا ضئيلا، وكان عذبا رائعا، وكان لا يبلغ السمع حتى ينفذ الى القلب كان صوت مى).

كانت مى زيادة من القليلات- كما قال كامل زهيرى- اللاتى كشفن الوجوه كما قصت شعرها الأسود الطويل على الموضة التى كانت منتشرة فى اوروبا فى العشرينات وقد وقع فى غرامها العديد من أدباء عصرها، رغم أنهم كانوا يعرفون انها مخلصة لرجل يسكن وراء البحار ولم تره مطلقًا، وقد وصفت نفسها قائلة (وجد وشوق وجوع فكرى لا يكتفى، وعطش روحى لا يرتوى، يرافق ذلك استعداد كبير للطرب والسرور، واستعداد اكبر للشجن والألم).

وكان يتردد على صالونها فى الشارع كل ثلاثاء طه حسين ولطفى السيد والزيات ومنصور فهمى ومصطفى عبدالرازق وخليل مطران وغيرهم، ووصفه العقاد قائلا (كنا نحو ثلاثين كاتبًا وأديبًا ووزيرًا، اجتمعنا فى بيت للاحتفال بالعيد الخمسين لمجلة (المقتطف) عام ١٩٢٦م. وكان اجتماع هذا المجلس عند مى إبان المناسبات السياسية التى وصلت الى حد التقاطع. وقضينا عندها ساعتين نسينا فيهما أن فى البلد إضرابا أو منازعات، وذلك بفضل براعتها فى

التوفيق بين الآراء والامزجة، وقدرتها على تنحيه الحديث الى أبعد الموضوعات عن الخلاف، وما أحسب أن أحدًا غير مى قد استطاع الذى استطاعته «مى» فى تلك الأيام).

وقال العقاد (لو جمعت الأحاديث التى دارت فى ندوة مى لتألفت مكتبة عصرية تقابل مكتبة العقد الفريد ومكتبة الاغانى فى الثقافة الاندلسية والعباسية).

وقال طه حسين (كان الرجال والنساء فى صالونها يتحدثون بلغات مختلفة، وربما استمعوا لقصيدة تنشد، أو مقالة تقرأ، أو قطعة موسيقية تعزف، أو أغنية تنفذ إلى القلوب).

وفضلاً عن أن هذا الصالون كان رائدًا فى الحياة الادبية والثقافية، فإن مى أثناءه، كانت تقرأ رسائل الغرام التى كان يرسلها لها العقاد والرافعى الذى كان يحبها بعنف، وأيضا كانت تكتب رسائلها الغرامية الرقيقة إلى محبوبها الوحيد والبعيد جبران خليل جبران، وقد لخصت مى حبها وحب الآخرين فى رسالة للعقاد كتبتها فى الصالون وقالت فيها (لا تحسب اننى اتهمك بالغيرة من جبران فإنه فى نيويورك لم يرنى، ولعله لن يرنى، كما أننى لم أره إلا فى تلك الصورة التى تنشرها الصحف، ولكن طبيعة الانثى يلذ لها ان يتغاير فيها الرجال، وتشعر بالزهو حيث تراهم يتنافسون عليها).

مى وأيامها غادرت الشارع للأبد لتتواجه على حافتيه محطة وقود ومعرض للسيارات، وبعدهما واجهة محل للحلويات السورية واللبنانية، ومدخل ضيق ينتهى بمسجد المغربى الذى يئن تحت ثقل عمارة عالية، بالقرب من مطعم المضيفة وعمر أفندى ومؤسسة باركى للنظارات وواجهة شركة ايديال فى عمارة هائلة.

كوبال لملابس الكبار والجازى لملابس الاطفال عند تقاطع شارع شريف، ومن الناحية الأخرى محل ملابس حريمى بألوانه المتميزة، وبعده عدد لا بأس به من المحلات المملوكة لشركة نيازا، وهى تواجه فندق نيوأوتيل بمبناه الانجليزى

ومحلاته التى يغلب عليها الطابع الحريمى ووسطها بالضبط مجوهرات كلاسيك.

مقهى تشيزا الذى يحاول بقدر الإمكان جذب الأدباء الشبان خصوصا من المحبين يقع بالشارع بالقرب من بنك القاهرة الذى يحتل واجهتى الشارع بعمارتين عاليتين، بعدهما واجهة المعبد اليهودى فى مبنى يشبه الى حد كبير واحدة من قلاع القرون الوسطى، وهو معبد (شعار هاشميم) الذى أنشىء فى الشارع عام ١٩٠٢م و كان مخصصا لاحتفالات زواج اليهود فى مصر، وكانت الاسر اليهودية تتدافع اليه فى ليالى الزواج، وكان يزين بالورود والأنوار من الداخل ويقف الجميع على ناصيته بشارع عدلى فى انتظار عربة الحنطور التى تقل العروس وبمجرد ان تهل ينخرط المنشدون فى الغناء حتى الساعات الأولى من الفجر.

فى هذا المعبد مكتبة افتتحت عام ١٩٨٩ بحضور وزير الخارجية الإسرائيلى شيمون بيريز وتضم ٢٥ ألف كتاب، وقد زاره ايجال يادين نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بصحبة الرئيس الراحل انور السادات عام ١٩٧٩، وأثناء هذه الزيارة نجح شحاتة هارون المحامى اليهودى المصرى فى الوصول إليه وعنفه أمام السادات قائلا: (اننى كمصرى ارى ان معاهدة السلام مهينة لكرامة مصر).

المعبد يواجه فى الشارع ريفولى للأقمشة، وبعده عمارتان هائلتان على تقاطع شارع محمد فريد وبهما العديد من محلات الملابس، فضلا عن ان احداهما تضم فندق (تى) والاخرى تضم شركة مصر للتأمين، وبالقرب منهما مركز اتصالات عدلى ومطعم الحجار وبابازيان للآلات الموسيقية.

مكتبة النهضة المصرية الحديثة تتصدر بالشارع عددا كبيرا من محلات الحقائب التى تواجه مبنى من ثلاثة طوابق وحديقة تملكها محلات جروبى وبعدها بنك مصر إيران ومقر صحيفة (الحرية) وجراج قديم.

ممر الكونتننتال يقع بالقرب من نهاية الشارع وهو عامر بمختلف أنواع البضائع ووسطه تمثال للرئيس جمال عبدالناصر اقيم بطريقة غريبة نسبيا،

فقد كانت ارضة محل نزاع بين اثنين من اصحاب محلات الممر يبدو ان احدهما كان يشك فى احقيته فيها . فلجأ الى حيلة جهنمية انهى بها الموضوع وضيع بها الارض على غريمة : صنع على عجل تمثالا للزعيم , وحينما نصبه فوقها فى احدى الليالى ابتلع غريمة حسرته وراح يلهج بالشعارات الوطنية خصوصا وان الزعيم نفسه كان مازال على قيد الحياة !! ,هذا الممر اسمه يرجع إلى انه يقع تحت فندق الكونتننتال الذى انشأه فى هذا المكان رجل اعمال يوغسلافى عام ١٨٩٩، وهو الذى اسس شركة الفنادق قبل ان ينضم الى شقيقه صاحب فندق شبرد، وقد استأجرت شركة الفنادق المصرية هذا الفندق بمبلغ ٢٨٠٠٠ جنيه فى السنة الواحدة وانتهت مدة الايجار عام ١٩٤٦، ولكن يبدو انها امتلكته فى الستينات بعد التأميم فهى صاحبته الآن.

فندق الكونتننتال بلغ ذروته خلال الحربين العالميتين وخصوصًا أثناء ثورة ١٩١٩، وقد تردد عليه العديد من الشخصيات السياسية وابرزها سعد زغلول الذى كان يعقد فيه اجتماعاته الجماهيرية، وكذلك أحمد زيور باشا رئيس الوزراء الذى كان يتخذ منه مقرا دائما له_ وقد تم ترميمه عام ١٩٤٩، وهو الآن مهدد بالهدم مما يضع نهاية لا تليق مطلقا بالشارع أو بالمنطقة.

* * *



شارع عز العرب

شارع محمد عزالعرب . المبتديان ثم على يوسف سابقًا . من اقصر شوارع القاهرة الشهيرة، مجرد ممر يربط عبر شارع قصر العينى بين عالمين متناقضين فى كل شىء، عالم أثرياء حى جاردن ستى الذى كان ومازال يفخر بماضيه الملكى المعمارى والمادى الذى يصل الى حد التخمة وعالم بسطاء ودراويش حى السيدة زينب الذى وإن كان لا يقل عراقة على المستوى التاريخى إلا انه يبدو الآن مرهقاً لاسباب عديدة أهونها أنه بخلاف جامع السيدة لا تحظى مبانيه القديمة أو اثاره بأى اهتمام.

غير أن شارع محمد عزالعرب يحفظ بين جنباته حكايات عديدة وأرضه الضيقة نسبيًا تتنسم تاريخ شخصيات كان لها تأثيرها فى التاريخ المصرى، كما شهدت معارك وتقلبات سياسية واجتماعية وعمرانية كبيرة، فقد أسسه الناصر محمد بن قلاوون أحد أبرز سلاطين دولة المماليك واقام على جانبيه القصور والميادين ولكن بعد قلاوون وبسبب حروب المماليك ومؤامراتهم . وقع صريع الإهمال، وعند دخول الحملة الفرنسية مصر كانت المنطقة المحيطة به تعرف بتل العقارب نظرا لازدحامها بالمستنقعات والخرائب التى كانت مليئة بالحشرات السامة . وذلك سهل على قادة الحملة تحويل جزء من الشارع الى ساحة لتنفيذ حكم الإعدام فى الثوار المناوئين لاحتلالها، وفى هذا الجزء نفذوا حكم الإعدام فى سليمان الحلبى وزملائه بعد محاكمتهم فى قتل الجنرال كليبر قائد الحملة بعد نابليون بونابرت وبالفعل علقوا المشانق أمام أهالى القاهرة فى هذا الشارع وبالتحديد فوق ناصيته مع شارع المنيرة التى تحتلها الان حديقة دار العلوم.

شارع محمد عزالعرب هو أول حى المنيرة ويبدأ من شارع قصر العينى وينتهى شرقا بحى الناصرية عند النقطة التى يلتقى فيها شارعا الناصرية وخيرت واسمه الاقدم (شارع المبتديان) والمعتمد حتى اليوم على المستوى الشعبى يرجع الى انه فى يناير ١٨٦٨ نقلت الى الناصرية حيث نهايته مدرسة المبتديان فى مبنى كان يعرف بقصر البرديسى، وكان هذا القصر قبل المدرسة مستعملاً مسافرخانة وهو المكان الذى كان مخصصًا لاستقبال ضيوف مصر على المستوى الرسمى فكلمة مسافرخانة مركبة من كلمتين احداهما عربية وهى مسافر والثانية أعجمية وهى خانة وتعنى المكان المخصص لاقامة المسافر، لذلك فقد كانت غرفة الصالون فى منازل العائلات المصرية الى عهد قريب تسمى حجرة المسافرين اى القادمين من السفر.

مدرسة «المبتديان» التى تعنى الابتدائية فى اللغة التركية التى كانت معتمدة رسميا فى مصر ايام الخديو إسماعيل كانت قبل شارع محمد عزالعرب تقع فى حى العباسية وافتتحها الخديو إسماعيل عام ١٨٦٣ ولكنها لم تعمر طويلا فى الشارع وتحول مبناها . قصر البرديسى . الى المدرسة السنية الثانوية للبنات ومدرسة المعلمات التى كان اسمها ايضا المعلمات السنية وأنشئت عام ١٩٠٠ لتخريج معلمات للمدارس الابتدائية، وفى عام ١٩٣٣ تغير اسمها ليصبح)معهد التربية) وتم نقلها الى مكان آخر لتترك فى نهاية شارع محمد عزالعرب مدرسة السنية الثانوية للبنات تستمتع وحيدة بردهات قصر البرديسى وهى مازالت قائمة فيه حتى اليوم وكانت من ارقى مدارس البنات فى مصر واقدمها حيث ان اول مدرسة ثانوية للبنات فى مصر انشئت عام ١٨٦٨ فى نفس المكان الذى تحتله الان وزارة الاشغال والموارد المائية (الرى) بشارع قصر العينى.

قصر البرديسى الذى يضم الآن مدرسة السنية الثانوية للبنات فى آخر شارع محمد عزالعرب بناه عثمان بك الذى توفى عام ١٨٠٦ وكان من مماليك مراد بك، وسُمى البرديسى لانه تولى (كشوفية) برديس بصعيد مصر وهى رتبة كبيرة يعادلها الان منصب محافظ أو مدير أمن، كما وصل الى رتبة «السنجقية» وتعنى الامارة عام ١٧٩٥ وبعد خروج الفرنسيين من مصر وايقاع حسين باشا القبودان

عام ١٨٠١ ببعض قادة المماليك وكذلك بعد سفر محمد بك الالفى إلى انجلترا للتعاون معها ضد الحملة الفرنسية اصبح عثمان بك البرديسى رئيساً للمماليك المرادية، ولكن يبدو ان هذا المنصب المرموق لم يشبع طموحاته فى السلطة خصوصا بعد فرار المماليك وذهاب هيبتهم فى القاهرة فقد سعى إلى الانضمام الى محمد على عدو المماليك اللدود طمعا فى الحصول على دور مؤثر فى حكم مصر وخيرها وقبل ذلك لكى يأمن شر محمد على وبالفعل تعاهد مع الباشا على التحالف وعدم الخيانة عام ١٨٠٣ ظنا منه أن تلك المعاهدة كافية تماما لتحقيق طموحاته وأمنه، ولكن ما جناه من هذه المعاهدة اثبت انه افرط كثيرا فى التفاؤل، فمحمد على باشا كان اذكى كثيرا من ان يستغله مملوكى مثل البرديسى أو غيره، ولم يترك له شيئا من الثمار المتوقعة لتحالفهما، بل واستغله فى القضاء على اقوى أعدائه ثم انقض عليه هو نفسه، صحيح أن الباشا فى بداية التحالف اطلق يد البرديسى فى المنطقة التى يسكنها حتى يطمئنه ولكنه سرعان ما بدأ مؤامرته المحكمة ضده بشىء ناعم يشبه النصيحة لم ينتبه البرديسى الى شره ولانه الخيط الناعم الذى سيجعله العوبة فى يد محمد على ثم يخنقه بعد ذلك، بل واعتبره اخلاصا وخوفا مبالغا فيه من الباشا على حياته ومكانته، فقد أشار عليه محمد على بأن يبنى أبراجًا ضخمة حول قصره الذى يقع إلى الآن على مشارف شارع محمد عزالعرب فاندفع البرديسى لتنفيذ النصيحة القيمة بكل ما يملك، وبمجرد ان انتهى من تشييد الابراج الحصينة وراح يفخر بصلابتها انزل محمد على فيها بعض أشرس جنوده بحجة ظاهرة مؤداها أن جنوده سيحافظون على أمن البرديسى، وسبب خفى وحقيقى ملخصه هو جعل القصر سجنًا واسعًا وفخما يليق بالبرديسى.

غير أنه اجل ذلك للاستفادة من إمكانياته الحربية بأكبر قدر ممكن واصطحبه معه فى قتال محمد باشا خسرو الوالى العثمانى المعزول، وفى المعركة قاتل البرديسى بإخلاص وشجاعة وبفضله عاد محمد على بالوالى العثمانى اسيرا وعندما عاد محمد بك الالفى من إنجلترا تمكن محمد على . بفضل جهود البرديسى . من الإيقاع به وعزله عن قوات المماليك المرابطة فى الصعيد وفى

النهاية استغله لتشتيت امراء المماليك والتفريق بينهم، وهنا أحس محمد على بأن البرديسى قام بمهمته على خير وجه وبانه لم يعد يصلح لخدمته، فسلط عليه العسكر الذين يطالبون بمرتباتهم المتأخرة فاضطر البرديسى الى فرض ضرائب جديدة على أهالى العاصمة وبالتالى وقع فى الشرك الذى نصبه له محمد على فقد ثار فقراء القاهرة ومشت النساء فى الشوارع فى مظاهرات ضخمة تهتف (ايش تاخد يا برديسى من تفليسى) وعلى الفور أظهر محمد على تأييده التام لمظاهرات أهالى القاهرة ولم يشعر البرديسى بالمؤامرة إلا وجنود محمد على الذين يرابطون فى ابراج قصره فى نهاية شارع محمد عزالعرب يحاصرونه ويجدون فى طلب القبض عليه ولكنه تمكن من الهرب الى الصعيد ليلقى حتفه هناك وينهى حياة عامرة بالمغامرات ضد ذويه من المماليك بسبب الولع بالسلطة والجاه جعلت الجبرتى لم يتهيب من موته ويصفه قائلا:)كان البرديسى ظالما غشومًا سيىء التدبير، وقد أوجده الله جل جلاله وجعله سببا لزوال عزهم)يعنى المماليك) ودولتهم واختلال امرهم، وخراب دورهم وهتك اعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك).

بعد اسم المبتديان الذى مازال الناس يصرون عليه حتى اليوم أطلق على الشارع اسم الشيخ على يوسف وهو واحد من الرواد الاوائل للصحافة المصرية، ولد فى قرية بلصفورة محافظة سوهاج عام ١٨٦٣ وتوفى ابوه وهو صغير فكفله اخواله ببنى عدى بأسيوط ثم التحق بالازهر ودرس العلوم الدينية والادبية_ وفى عام ١٨٨٩ انشأ جريدة (المؤيد) بالاشتراك مع احمد ماضى ثم استقل بها وكانت (المؤيد) بفضل مقالات على يوسف من اكثر صحف القاهرة رواجا، وكان يكتب فيها اشهر مفكرى وسياسيى هذه الفترة ومنهم محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين وحفنى ناصف وغيرهم_ وكان من أبرز اهدافها محاربة الاستعمار الانجليزى والغاء السخرة والمطالبة بالدستور والحياة النيابية للشعب.

كما كان الشيخ على يوسف من السباقين الى توجيه الأذهان الى عدم الانكباب على الملذات واكتناز الاموال، وتوجيه الاموال المصرية الى الاسواق التجارية لمنافسة البضاعة الاجنبية التى كانت غايتها ومازالت استغلال موارد

البلاد، كما دعا الى الارتفاع بالصناعات الاهلية وحرر صحيفته من السجع الذى كان سائدا فى معظم الصحف المصرية .

كان الشيخ على يوسف على صلة وثيقة بالخديو عباس حلمى الثانى قوامها الاتحاد على محاربة الاستعمار الانجليزى، لذلك كان على يوسف يحرص كل صيف على السفر إلى استانبول . مع عباس وأغلب اثرياء مصر فى تلك الفترة . حيث مقر الخلافة التى تتبعها مصر على المستوى الرسمى۔

وفى عام ١٨٩٦ وقع على يوسف فى ورطة صحفية شديدة، فقد نشرت صحيفته (المؤيد) صورة تلغراف مرسل من سردار الجيش المصرى فى السودان الى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى دنقلة، وكان التلغراف سريا للغاية، فاغتاظ الانجليز، وقدموا على يوسف وأحد موظفى التلغراف للمحاكمة، ولكن المحكمة برأته ابتدائيا واستئنافيا، مما زاد غيظ الانجليز ودفعهم الى اضافة ثلاثة مستشارين انجليز بمحكمة الاستئناف لتضمن صياغة احكام رادعة لأعداء ضد اعداء الاحتلال!!

هذه القضية الصحفية التى عرفت بقضية التلغراف اهتم بها المصريون كثيرا، وكانت قاعة المحاكمة تزدحم بهم، غير انها لم تكن وحدها سبب ذيوع اسم على يوسف بين عامة الناس، فهذا الذيوع جاء بمساعدة قضية اخرى، اجتماعية أو عاطفية، وهى قضية زواجه بالسيدة صفية بنت السادات، فقد خطبها من ابيها فقبل بعد تردد، ولكنه ماطل فى اتمام الزفاف، فقد انتبه الى انه من غير اللائق أو المشرف ان يزوج ابنته سليلة الاشراف الساداتية الى شاب يعمل (جورنالجيا) وكانت الصحافة . فى ذلك الوقت . حرفة لا تحظى بالاحترام الكافى۔ ونظرا للمماطلة طالت خطبة على يوسف لابنة السادات حتى بلغت أربع سنوات، فلجأ الى السيد محمد توفيق البكرى الذى كان نقيبا للاشراف وزميلا للخديو عباس فى الدراسة فساعده وتم عقد قران على يوسف وصفية السادات فى بيته بشارع الخرنفش دون علم والدها، فما كان من السادات الا ان اندفع هائجًا ورفع قضية للتفريق بين الزوجين لعدم التكافؤ، وبالفعل كان له ما أراد وحكمت المحكمة ابتدائيا واستئنافيا لصالحه وفسخ عقد القران وتم التفريق بين الزوجين بفضل

جهود المحامى اللامع محمد عز العرب، ولعل هذه القضية التى انتهت بالصلح وعقد القران من جديد عام ١٩٠٥ يمكن ان تلقى الضوء على نظرة المجتمع المصرى لمهنة الصحافة فى ذلك الوقت.

محمد عز العرب الذى يطلق اسمه على الشارع الآن هو نفسه المحامى الذى نجح فى الحصول على حكم تفريق بين على يوسف صاحب الشارع القديم وزوجته صفية السادات، وكأنه اراد ان يهزمه تاريخيا فى مماته باغتصاب اسم الشارع العريق منه، كما أهانه اجتماعيا فى حياته بعدما أثبت قانونيًا انه لا يليق بالزواج من ابنة الاشراف، وربما لذلك تم تطييب خاطر على يوسف باطلاق اسمه على شارع آخر هو المنيرة.

شارع محمد عز العرب يبدأ من ناحية «جاردن سيتى» بقصر رغم عوادى الزمن يبدو فخما وانيقا وهو مملوك لمؤسسة (روز اليوسف) وفى مواجهته على ناصية الشارع بقالة جاردن سيتى التى تملكها وتديرها سيدة يونانية بيضاء وبالغة الطول وملامحها تحاول بقدر الامكان القبض على فلول جمال هارب، اما أهم ما يميزها فهى تلك النظرة التى تجمع بحنكة نادرة بين خوف وارتباك الغريب وثقة وغطرسة المنتمى الى اصول عريقة، وهى على غير عادة التجار أو البائعين لا تظهر بضاعتها على ناصية شارع محمد عز العرب بل تحاول التمويه عليها ببضاعة اخرى لا تبيعها اصلا!!

بجوار البقالة اليونانية فى مدخل شارع محمد عز العرب يقع مقهى (الشمس وضحاها) الذى يبدو مناقضا لها على مستوى الاسم والاتساع وايضا الزبائن فهو ضيق ومتواضع جدا، وفى مواجهته مباشرة محل (رغاوى) الذى كما يدل اسمه متخصص فى تنظيف الملابس، وبعده على الجانب الآخر من الشارع مدرسة علم الدين الخاصة للغات التى تأسست عام ١٩٢٦، ومبناها عبارة عن قصر قديم وانيق يبدو منزعجًا من العمارة الضخمة التى اقيمت حديثًا بالشارع على أنقاض محطة وقود قديمة، وهى تتميز بأسلوب العمارة الحديثة القاسى ذى الكتل الاسمنتية الجامدة والذى لا يسعى سوى للاستفادة من كثرة عدد الشقق على حساب جمال العمارة وتناغمها.

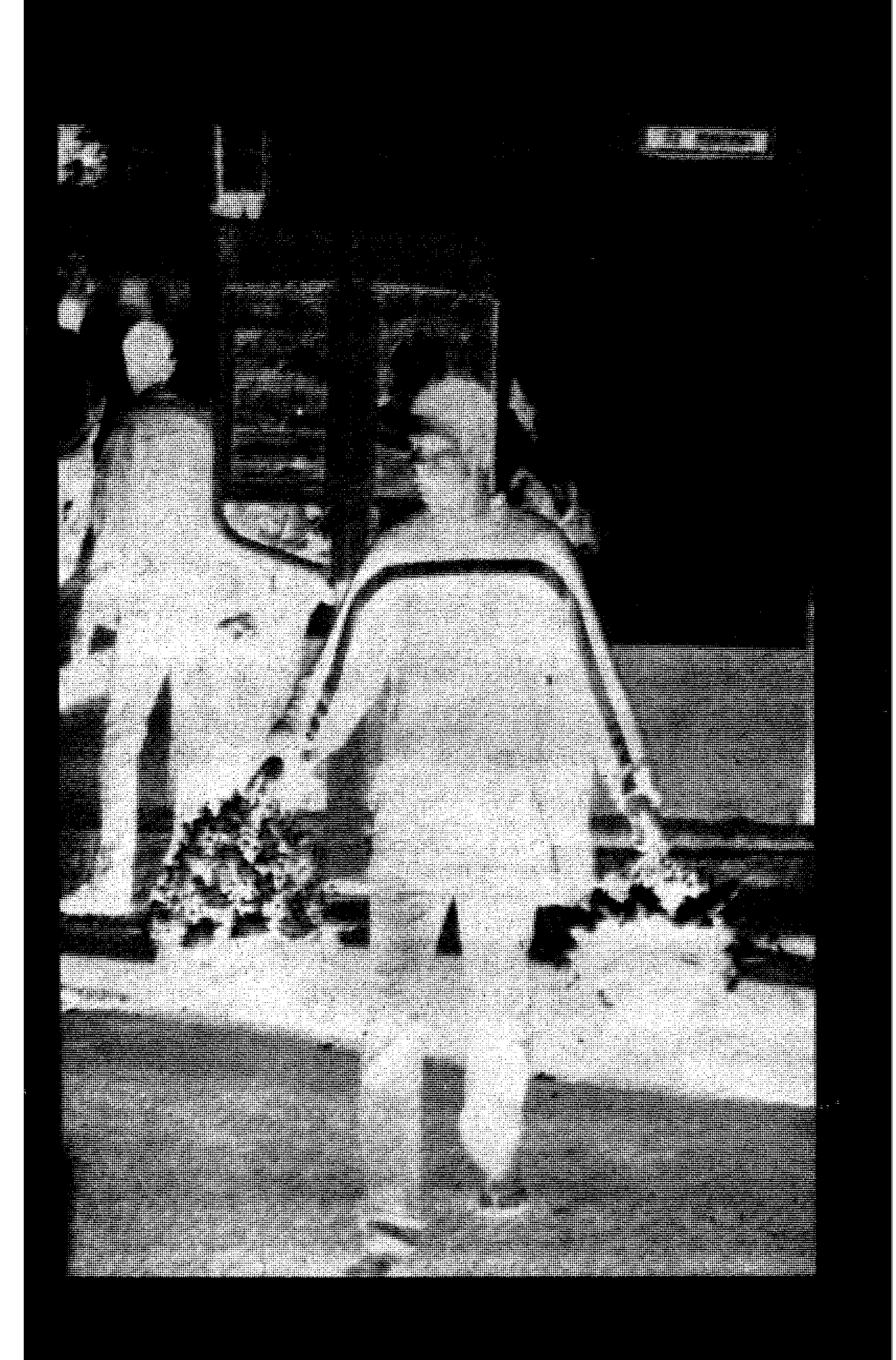


فى مواجهة العمارة الحديثة حديقة دار العلوم التى نصب الفرنسيون فوق ارضها مشنقة سليمان الحلبى، وفيها يقام سنويا مهرجان للطفولة وتطل على قصر قديم مهجور تملكه الجمعية التعاونية لبناء المساكن وورشة فنية لاصلاح عدادات التاكسى، وبعدهما مؤسسة أبوحبيش للادوات الصحية و(كنوز ارائك) للموبيليات الذى يتنافس فى شارع محمد عز العرب مع محمد امام المتخصص فى بيع وشراء الموبيليات والتحف القديمة والذى يشاع انه اقيم على عجل بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ للاستفادة تجاريا من مخلفات قصور الاثرياء والامراء التى حولتها الى مؤسسات خدمية.

لافتة وزارة التعليم العالى فى الشارع تشير إلى مقر الوزارة فى شارع الفلكى وفى مواجهتها مركز تاتشى لخدمة رجال الاعمال وجراج قيل انه من اقدم جراجات السيارات فى مصر، وبالقرب منه على الناحية الاخرى من الشارع مجلة الاذاعة والتليفزيون ومؤسسة دار الهلال بمبناها المميز الذى بنى على انقاض حديقة غناء، وكان فى الاصل مستشفى لعلاج قوات الاحتلال الانجليزى، وكانت مؤسسة الهلال التى انشئت عام ١٨٩٢، وتصدر الآن العديد من اشهر المطبوعات والمجلات وتعد احدى اضخم واعرق المؤسسات الصحفية فى مصر. كانت قبل ان تنتقل الى هذا المبنى تصدر مطبوعة واحدة هى مجلة (الهلال) من مبنى صغير ومتواضع فى شارع الفجالة، وقيل ان سبب نقلها فى مكانها الحالى الذى ينفرد بكونه اضخم وافخم منشآت محمد عز العرب يرجع الى ان مؤسسها الروائى جورجى زيدان أثناء الحرب العالمية الأولى اخلص فى التعاون مع الانجليز وطبع لهم بعض المنشورات فى مؤسسته، فكافأوه بعد ان خرجوا من الحرب منتصرين بان منحوا مؤسسته (دار الهلال) مبنى مستشفاهم الذى تستقر فيه الآن.

فى مواجهة مؤسسة الهلال بالشارع مكتبة المبتديان التى تملكها الهيئة المصرية العامة للكتاب، وبالقرب منها مصلحة ضرائب جنوب القاهرة التى ينافسها على واجهة العمارة حلوانى عبدالهادى الذى يبدو انه ضليع فى الشارع فهو يملك محلا آخر فى نهايته، وبعده ستديو شعراوى الذى يبدو انه متخصص

فى تصوير الاطفال فواجهته فى شارع محمد عز العرب عامرة بوجوههم، وصيدلية الاستقلال، ومحل الجمال للاحذية، ومقهى القصر الذى تضع اناقته مع واجهة المدرسة السنية الثانوية للبنات نهاية وملكية تليق بتاريخ شارع . محمد عز العرب . المبتديان ثم على يوسف سابقا .



شــارع نوبــار

شارع نوبار باشا اكثر شوارع القاهرة الشهيرة توافقا مع اسمه.. فهو اسم على مسمى حيث يحافظ على مكانته كشارع لكبار الموظفين الحكوميين منذ بواكير العصر الحديث حتى الآن.

فى بدايته كان شارع نوبار مقرا دائما ووحيدا للدواوين وهى الاسم الاول او الاصلى للنظارات التى تحولت بعد ذلك الى الوزارات . ومازال مبنى الدواوين الذى يعد اول مبنى خصص للموظفين الحكوميين فى مصر والشرق كله فى العصر الحديث قائما بالشارع حتى هذه اللحظة.

كما ان شارع نوبار فى وضعه الراهن عبارة عن ساحة مستطيلة مزدحمة دائما بالموظفين الذين يعملون فى المؤسسات والوزارات التى تتلاحم على ارضه وتحيط به من كل جانب.. لكل ذلك فان اسم نوبار باشا كان ومازال يناسبه تماما فقد كان اكفأ موظف مصرى طوال سبعة عهود بدأت بمحمد على باشا وانتهت مع عباس حلمى الثانى وربما بسبب أهمية الاسم كان هذا الشارع على رأس قائمة شوارع القاهرة النادرة التى نجت من (هوجة) تغيير اسماء الشوارع بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

شارع نوبار يرجع فضل تعميره والمنطقة المحيطة به خصوصا من ناحية شارع قصر العينى الى اسرة محمد على باشا فقد كان قبلها جزءا مهملا من حقل كان يملكه قاسم بك ثم آل بعده الى وهبى بك وكانت المنطقة المحيطة به تكاد تختنق تحت ثقل اطنان القاذورات والنفايات، ومايدلل على ذلك ان المؤرخ المعروف على

باشا مبارك وصفها فى خططه قائلا: كانت عامرة بالخراب والدمار والكثير من التلال فاذا هبت الريح فهى القيامة ولا ترى الا غبارا منبثا على البيوت متلفا للصحة وللعيون حتى قيض الله تعالى لها محمد على باشا فأخذ فى مداواة امراضها شيئا فشيئا وحذا حذوه من تولى الملك من عائلته حتى اكتسب حلل البهاء ونضارة المشاهدة الآن).

اسم الشارع يرجع الى نوبار باشا الذى رغم أصوله الاجنبية كان أول رئيس وزراء تشهده مصر فى العصر الحديث ودوره السياسى مازال موضع خلاف بين المؤرخين المعاصرين فمنهم من قطع بالقول بأنه واحد من ابرز الذين باعوا مصر للاجانب وسهلوا لهم استنزاف خيراتها على الوجه الامثل، وعلى نقيض ذلك هناك من وصفه بانه اول من نادى بان مصر للمصريين وبأنه كان مصلحا دستوريا وبفضل جهوده الغيت سخرة المصريين وأخضع الاجانب الذين كانوا يقيمون فى مصر للقضاء.

وبغض النظر عن اختلاف المؤرخين حول دوره السياسى فإن نوبار نوبريان باشا عاش حياة حافلة على جميع المستويات وتنقل بين مناطق متباينة والتقى وتعامل مع شخصيات من جنسيات مختلفة مما وفر له تجربة تشبه الى حد كبير سير ابطال الملاحم الشعبية.. فقد ولد يوم ٤ يناير عام ١٨٢٥ لاسرة متواضعة كانت تقطن احدى القرى التابعة لدولة ارمينيا فى شرق اوروبا . وفى صباه هاجر مع اسرته الى ازمير بتركيا ومن هناك التحق والده بالصدفة بالعمل فى بلاط محمد على باشا الذى سرعان ما وثق به وعينه معتمدا سياسيا اى سفيرا له فى الاناضول ثم باريس ثم عين ابنه الكبير شفيق نوبار سكرتيرا ومترجما خاصا له.

وبفضل هذه الثقة وتلك المناصب تمكن نوبار الصغير من الدراسة فى مدرسة بروتستانتية فى جنيف ثم واصل تعليمه فى فرنسا واتقن عدد من اللغات منها الانجليزية والفرنسية واليونانية والتركية.

وفى عام ١٨٤٢ حينما كان عمر نوبار باشا ١٧ عاما تم استدعاؤه من باريس ليعمل مترجما فى ديوان محمد على باشا وكان وراء تمكينه من هذه الوظيفة

المرموقة جهود خاله بوغوض بك يوسفيان الذى كان احد قادة الجنود الارناؤوط فى مصر، ثم تولى مسؤولية العلاقات الخارجية فى حكومة محمد على باشا . وبفضل اتقانه لعمله تدرج نوبار فى المناصب حتى اصبح سكرتيرا خاصا لولى العهد ابراهيم باشا، ثم مديرا للسكة الحديد والجمارك، ثم وزيرا للاشغال والخارجية.

غير ان نوبار باشا الذى عمل مع سبعة حكام فى مصر اولهم محمد على وآخرهم عباس حلمى آخر خديو لمصر قبل ان تصبح سلطنة ثم مملكة لم يبلغ ذروة المناصب السياسية العليا سوى فى عهد الخديو اسماعيل الذى استدعاه فى غرة شهر رمضان ليكون اول رئيس وزراء فى تاريخ مصر الحديث وكانت حكومته تضم سبع وزارات فقط بناء على الامر العالى الذى اصدره اسماعيل باللغة الفرنسية وهى الخارجية والحقانية (العدل) والداخلية والجهادية (الدفاع) والاوقاف والمعارف والاشغال وتولى نوبار بجانب مهام رئاستها وزارتى الخارجية والحقانية، كما تولى على باشا مبارك ثلاث وزارت هى المعارف والاشغال والاوقاف.

فى تلك الفترة من تاريخ مصر الحديث كان الفرنسيون والانجليز بحجة ديون الخديو اسماعيل يتدخلون بل ويسيرون جميع الامور السياسية والاقتصادية على هوى مصالحهم الاستغلالية وبسببهم لم يهنأ نوبار باشا بحرية اختيار وزراء حكومته بل أجبر على اعفاء على مبارك من منصب وزير الاشغال وعين بدلا منه وزيرا فرنسيا اسمه بلنير ,كما قبل صاغرا اضافة وزارة جديدة لحكومته هى وزارة المالية التى اسست خصيصا للانجليزى ويلسن وكانا اول وزيرين اوروبيين فى الحكومة المصرية وربما بسبب قوة نفوذهما استقال نوبار باشا وحكومته فى ٢٣ فبراير عام ١٨٧٩ فى اعقاب مظاهرات الضباط المصريين الاولى.

غير ان نوبار باشا الذى يبدو انه كان يتميز بمرونة زائدة فى سبيل الحصول على المناصب لم يجد اى حرج فى قبول منصب رئاسة الوزارة مرة اخرى عندما عرضه عليه الخديو توفيق بعد ان استقال شريف باشا اعتراضا على طلب الانجليز اخراج الجيش المصرى من السودان.

شكل نوبار وزارته الثانية فى ١٠ يناير عام ١٨٨٤ وظل فى منصبه حتى ٩ يونية ١٨٨٨ وخلال هذه الفترة نفذ تعليمات الانجليز بدقة يحسد عليها وسارع بسحب الجيش المصرى من السودان وهذا ما اعطى وجاهة لاتهام منتقديه وخصومه له بانه كان عميلا للاجانب فى مصر غير ان ذلك لم يشفع له فقد اقاله الخديو توفيق وسافر الى فرنسا وظل هناك حوالى خمس سنوات يتحين الفرصة للعودة التى تمت بأمر الخديو عباس حلمى الثانى الذى اعاده الى منصب رئاسة الوزراء عام ١٨٩٤ لكنه فى هذه المرة لم يعمر طويلا فقد قدم استقالته بعد عام واحد وغادر مصر للمرة الاخيرة الى فرنسا,ولكن يبدو انه كان قد تعود على مناخ مصر وطبيعتها وناسها وحراكها السياسى وقبل ذلك مناصبها فبعد خمس سنوات بالضبط مات ليطوى صفحة انسانية حافلة بالكفاح والصبر والمناورة والتقلب.

وطوال الفترة التى قضاها فى مصر خاض نوبار باشا معارك عديدة منها معركة الامتيازات الاجنبية التعسفية التى فرضت على مصر بسبب تخبط سياستها المالية كما كان من رجال الاصلاح القضائى الذين عملوا على إخضاع الأجانب لقوانين القضاء المصرى فى فترة كان ذلك حلما مستحيلا فى ظل حماية الدول الاجنبية لرعاياها داخل مصر.

كما كان نوبار باشا أحد الذين حاولوا نقل الحضارة الاوروبية لمصر وفى سبيل ذلك وقع ضحية للاوروبيين الذين اثاروا الخديو اسماعيل عليه فنفاه الى فرنسا لكن اهم مايذكره المصريون لنوبار باشا حتى الآن هو تلك المعركة الشرسة التى خاضها ببسالة حتى نجح فى الغاء السخرة نهائيا من مصر عام ١٨٩٠ .

يبدأ شارع نوبار بمبنى دار (الهلال) ومدرسة المبتديان الثانوية التجريبية للغات وبعد ان يتقاطع مع شارع محمد عزب العرب تتواجه على ناصيته مدرسة المبتديان الثانوية للبنين ومستشفى المنيرة العام وواجهة مدرسة الخديو اسماعيل الثانوية العسكرية التى تتميز ببوابة عتيقة تشبه بوابات بيوت الأعيان فى القرون الوسطى ويحط فوقها نسر ضخم قلبه ينعبارة عن الألوان الثلاثة لعلم مصر.

الهيئة العامة للتأمين الصحى فرع القاهرة تقع داخل قصر صغير يجمع بين القدم والاناقة ويقع على ناصية عطفة ماهر باشا بالشارع وبجواره مدرسة ثانوية تصر على الوفاء لاسم الشارع القديم وهو الدواوين ودار «غريب» للطباعة والنشر فى مبنى صنعت واجهته من الحجر ومحل صيدناوى الذى يغرى زبائنه بتخفيضات الموسم ثم مبنى الدواوين المهيب الذى يعد أول مؤسسة للموظفين فى مصر الحديثة وهو يتكون من ثلاثة طوابق شاهقة الارتفاع والاتساع تحتوى على شبابيك ضخمة ويناسب تماما رحابة القرن التاسع عشر وهو يعانى من إهمال شديد وما لم يسعفه الترميم الفورى فسيزول تماما من الوجود فساحته التى مر منها العديد من الامراء وكبار السياسيين وفى جنباتها كانت تدار امور مصر نزلت من علياء تاريخها المجيد لتقبل ان تتحول الى مجرد ساحة لانتظار السيارات وشبابيكه الضخمة تحولت الى مصدر قلق للمارين من الشارع بسبب استعدادها الدائم للسقوط فوق رؤوسهم وأمامه مباشرة مجنون يغط فى نوم عميق تحت بطانية زرقاء والغريب ان كل ذلك يتم تحت اعين المجلس الاعلى للاثار الذى لم يجد ادنى حرج من اقتطاع جزء من المبنى العتيق وخصصه لراحة موظفى قطاع التمويل فيه!!

بعد مبنى الدواوين فى شارع نوبار يتسع ميدان محمد بك لاظوغلى الذى كان كتخدا مصر أى نائبًا للوالى فى عهد محمد على باشا ورغم تعدد مآثره الوظيفية والسياسية ومنها انه اسس الدواوين والمصالح الحكومية وكان الساعد الايمن لمحمد على فى تحديث مصر إلا انه كان يتميز بعيب سياسى خطير وهو عدم التورع عن محاربة خصومه بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة ومنها انه كان يتجسس عليهم ويدس لهم لدى الباشا ومما يدلل على ذلك ما رواه صاحب كتاب «تقويم النيل» حيث اكد ان جواسيسه بناء على اوامره كانوا يتسللون خفية إلى المقاهى التى كان يرتادها السياسيون والوطنيون وكذلك بيوت الأعيان وينقلون مايدور فيها من مناقشات ومحاورات سياسية ويبعثونها اليه من خلال رسائل سرية كانوا يضعونها فى فتحة باب بيت كان يقع فى حى السيدة زينب

القريب من الشارع وضماناً للسرية كان كل منهم يضع رسالته الجاسوسية فى وقت معين من اليوم وكانت تقيم فى هذا البيت المخابراتى سيدة تجيد اللغتين العربية والتركية كان محمد على اعتمد عليها فى تعليمه مبادىء اللغة العربية وكان دورها فى التجسس ينحصر فى استقبال رسائل الجواسيس ثم نقلها الى القلعة حيث مكتب محمد بك لاظوغلى.

وسط الميدان تمثال شامخ يعرف على المستوى الشعبى والرسمى بانه تمثال نائب والى مصر محمد بك لاظوغلى فى حين انه فى حقيقته تمثال لواحد من عامة الناس وأبسطهم فرغم ان الحكومة المصرية فى ذلك الوقت ارادت اقامته فى هذا المكان من اجل تخليد ذكرى (لاظوغلى) الا انه لا يرتبط به سوى بالشبه.

فقد عهد خديو مصر الى محافظ القاهرة احمد باشا الدرة عام ١٨٦٩ بمهمة ايجاد صورة لمحمد بك لاظوغلى لاقامة تمثال له فوقع المحافظ فى ورطة شديدة لأنه لم يجد هذه الصورة وأثناء بحثه عن مخرج لهذا المأزق الذى ربما يفقده منصبه وجد بالصدفة أثناء تجواله فى حى خان الخليلى سقاء يشبه الى حد كبير محمد بك لاظوغلى فامره على الفور بالحضور الى مبنى المحافظة فجاء السقاء يرتعد على اعتبار أنه سيعاقب على جرم لم يرتكبه كما العادة وإذا به يجد نفسه أمام حلة نائب الوالى لاظوغلى وسيفه وعمامته وقبل ان يبلع ريقه البسها له المحافظ بيديه وامر مصور المحافظة بان يلتقط له صورة ثم ارسلها الى الخديو باعتبارها صورة لاظوغلى وبالفعل صنع التمثال على شكلها بالضبط ونصب فى مكانه الحالى وسط شارع نوبار!!

على مشارف الميدان تقع وزارة العدل فى مبنى شاهق يسنده من الخلف مبنى وزارة المالية ويواجهه فناء مدرسة مصطفى كامل الذى يكاد يتداعى على المارة وبالقرب منها مدخل شديد السواد والمهابة ويفتح مباشرة على وزارة الداخلية أمامه مباشرة تأكدت أن شكلى وأنا اسجل منشآت الشارع يثير الريبة حيث داهمنى فجأة أحد الجنود وأمرنى بالمثول امام الضابط المسؤول فذهبت معه صاغراً ومرتجفاً فسألنى الضابط عن محتوى ما أسجله فى عرض الشارع

فاضطررت للكذب وقلت له إننى أجمع مادة بحث عن أساليب عمارة القاهرة لأن حقيقة أننى أجمع مادة صحفية ربما تكرس الريبة وقبل أن أهم بتأكيد أهمية البحث الوهمى الجمنى باشارة مفادها أن أفر من أمام المدخل فاندفعت مسرعًا.

هذه الريبة كنت استهين بها عندما كنت أراها فى عيون اصحاب المحلات الذين يظنون انى مندوب للضرائب ولكن هذه المرة اقتنعت تماماً بأنى اقوم بعمل مريب وربما جريمة!

اثناء اندفاعى فى الشارع تجاه نهايته عند اتساع ميدان باب اللوق تتباعت فى الشارع مبانى المركز الدولى للتسويق والتجارة ومدرسة عابدين الثانوية للبنات وبرج شامخ يسمى ١٤٩ نوبار وفرع محلات التوحيد والنور للملابس الذى يجسد بداية المنطقة التجارية فى الشارع فبعده محلات الاسراء والسلام ومبنى قديم لمحلات صيدناوى تحول إلى ورشة لاصلاح السيارات وعقار متهالك لفاروق فانوس تجاوره محطة وقود تلتصق بها عمارة كبيرة امام واجهتها مباشرة يجلس ماسح احذية عجوز يخفف عن نفسه بمغازلة بائعة مناديل تكبره بسنوات.

بعد عمارة «ستراند» الضخمة والعامرة بالعديد من مكاتب المؤسسات الحكومية والخاصة يمر شارع نوبار سالما بعد ان يتقاطع مع شارع التحرير لتتزاحم على جانبيه صيدلية الأزهار والتميمى للهواتف وعبدالهادى الحلوانى مما يبشر بانه سيواصل الامتداد ولكن عند عقار ضخم ومزدحم بالمحلات يلفظ شارع نوبار فجأة انفاسه الاخيرة على أعتاب شارع هدى شعراوى.

* * *



شارع التحرير

شارع التحرير أشبه بعاصمة كبرى تجمع بين الماضى والحاضر يبدأ بقصر ملكى ثم رئاسى منيف، ويضم عددًا من المنشآت السياسية والتعليمية والبحثية والفنية تكفى لرفاهية بلد مترامى الاطراف، ويربط بين ضفتى واحد من أطول انهار العالم، وسكانه تجسيد حرفى لهرم اجتماعى ذروته وجهاء الحكام والاغنياء ويمر بالطبقة الوسطى قبل أن يصل الى قاعدته العريضة التى تضم الفقراء والبسطاء، وأرضه يحرسها بشكل دائم اثنان من رواد النضال السياسى. وقبل كل ذلك فهو شاهد حى وصادق على تاريخ مصر الحديث.

شارع التحرير من اطول واشهر شوارع القاهرة الكبرى أسسه الخديو اسماعيل ليربط بين مركز قاهرته الاوروبية وامتداداتها الزاهية فى الجيزة وليكون فاتحة مرموقة لعصر سياسى واجتماعى ومعمارى جديد، به ومعه ازدهرت حركة العمران والتحديث، وخططت شوارع وميادين وظهرت أحياء وقصور ومتنزهات وقلاع فنية لم يكن للقاهرة القديمة عهد بها، فجميعها جاءت وفق النسق والتخطيط الاوروبى الذى شغف به اسماعيل، لذلك حمل الشارع منذ البداية اسم اسماعيل، وكان من العدل أن يظل اسماعيل على عرشه طوال التاريخ، غير أن قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ للأسف لم يقدروا الماضى أو يعترفوا بجهود السابقين، فأطاحوا باسم اسماعيل من الشارع رغم أن معظم تفاصيله وأبرز منشآته تصرخ حتى اليوم بذكراه، وجعلوه «شارع التحرير».

ينطلق شارع التحرير من ناحية الجيزة بتقاطع شارع السودان الذى يقع على اعتاب واحد من أكثر أحياء القاهرة ازدحامًا وفقرًا هو حى بولاق الدكرور الذى

كان قبل اصلاحات اسماعيل عبارة عن قرية نائية من اعمال الجيزة تعرف باسم «منية بولاق» ثم عرفت باسم بولاق التكرور (حُرفت الى الدكرور) بعد أن صارت موطنا لعدد من قبائل الزنوج قدمت الى مصر من غرب افريقيا، واليها ينتسب الشيخ ابومحمد يوسف بن عبدالله التكرورى الذى اعتقد اهل المنطقة فى بركاته وكراماته، وكانوا يتناقلونها حتى فترة قريبة، ومنها أن امرأة خرجت من القاهرة الفاطمية قاصدة نهر النيل، وكان يمر بالقَرب من بداية الشارع، فخطف زنوج حى بولاق الدكرور ابنها وهربوا فى سفينة، فاستغاثت المرأة المكلومة بالشيخ فخرج ملتاعا من الحى، وسار بأرض الشارع حتى وصل الى شاطىء النيل، وهناك وقف خاشعا واستنجد بالله سبحانه وتعالى فسكنت الريح وشلت حركة السفينة التى خطفت الطفل، فما كان من الزنوج إلا أن سارعوا برده الى أمه.

من أساطير الشيخ التكرورى ايضا انه كان بالقاهرة رجل فقير عثر على شىء ثمين وقبل أن يعلن فرحه به اغتصبه منه رجال حاكم البلاد فى ذلك الوقت فهرع الى نصير الفقراء الشيخ التكرورى فتوضأ وابتهل فردت الى الفقير حاجته فى الحال!!

الشيخ ابومحمد عبدالله التكرورى ظهر فى خلافة العزيز بن المعز الفاطمى وظل يسكن بالمنطقة التى تقع على مشارف الشارع طوال حياته، وكانت منطقة نائية وسط الحقول الزراعية تبعد عن القاهرة بمسافة كبيرة، وعندما قيل له: لم لا تغادر تلك المنطقة الخالية وتسكن المدينة رد بأنه يشم رائحة كريهة اذا دخل المدينة، وعندما مات بُنيت عليه قبة وجامع بأول الشارع جدده ووسعه محسن الشهابى أحد أمراء المماليك عام ٧٩٠ هـ، وبعده نقله اهالى المنطقة وضريح الشيخ الى داخل حى بولاق الدكرور.

الشارع يبدأ بساحة مزدحمة تمهد لحى بولاق الدكرور، أبرز منشآتها شركة اخوان مقار التى اسسها فى بداية ثمانينات القرن الماضى أحد أثرياء محافظة أسيوط وتعد من أكبر معارض السيارات.

مبنى إخوان مقار يمتد بالشارع حوالى نصف كيلو متر ويواجه عددًا من العمارات بها مركز الدقى وصيدلية مى والصندوق الاجتماعى للتنمية وحميدو

موتورز وجامع المهندس نبيل حسين عبدالمجيد الذى توفى عام ١٩٧٤، وهو عبارة عن زاوية ضيقة تحافظ على طراز العمارة الاسلامية القديمة أسفل عمارة حديثة. تقاطع شارع محيى الدين ابوالعز يواجه فكهانى السلام وبعده ملحقية المعلمين بالدقى تجاور كلية التربية النوعية وكلية رياض الاطفال.

تلك المنطقة من الشارع كانت تقع على حافة الفرع الغربى لنهر النيل، وعندما تولى الخديو اسماعيل حكم مصر فى اول عام ١٨٦٣م، أمر بتحويل نهر النيل الى مجراه الحالى مستغلا حقيقة أن نهر النيل طوال تاريخه ينحرف تجاه الشرق، فطبقا للرسومات الفرعونية وايضا رسومات كتاب (وصف مصر) الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية كان يمر أمام الاهرامات، ومجراه الحالى يبعد عن الاهرامات بحوالى عشرة كيلومترات.

انحسار نهر النيل تجاه الشرق وسع هذا الجزء من الشارع ورسخ مكانته كمنطقة زراعية خصبة كانت تمد القاهرة يوميا بمعظم ما تحتاج اليه من الخضر والفاكهة ومنتجات الحيوانات، لذلك فإن اقدم منشآتها على الإطلاق المركز القومى للبحوث العلمية الذى وضع تصميمه ونفذه المهندس على لبيب جبر بناء على مرسوم ملكى عام ١٩٤٧ بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ادمج فى المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى واطلق عليه اسم المعهد القومى للبحوث، ثم اصبح يتبع رئاسة الجمهورية، والغرض منه النهوض بالبحوث العلمية والتطبيقية لخدمة الزراعة والصناعة والصحة العامة.

المركز القومى للبحوث يتوج ناصية أحمد الزيات ويواجه بالشارع مبنى تتصدره واجهة زجاجية سوداء، ويحتوى على معرض للسيارات تملكه المجموعة المالية (هيرمس) التى ازعجت الفنانين والمثقفين عندما دخلت بثقلها فى مجال الانتاج السينمائى والثقافى.

«مكة» لتكييف السيارات تتبع بالشارع مركز خدمة وقطع غيار سيارات الفولفو، وهى عبارة عن ورشة متناهية الصغر أسفل عمارة عالية وبعدها مقر شركة اكسبريس انترناشيونال ومركز بحوث الاسكان فى مبنى انيق يواجه سورا

يحتضن كشكا للمثلجات ويخفى أرضا فضاءً، ومن امامه تظهر بالشارع مئذنة متطاولة تدلل على صلابة جامع اسد ابن الفرات الذى افتتحه حسين الشافعى نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢ م، وهو يحتوى على مركز طبى تابع لوزارة الاوقاف، ومحاط بحديقة، وفضلا عن مكانته الدينية، فإنه يستمد أهميته فى الشارع من دفاعه عن طراز العمارة الإسلامية وسط سيل جارف من العمارات الحديثة، وأبرز ملامح الشارع المجمع الإدارى الضخم المعروف باسم (ساريدار بيزينس) وهو من المنشآت الحديثة جدا، وبعده ركن شديد الضيق تتنسم فيه طيور الفيوم الروائح الشهية لكبابجى الشهادة.

وسط ميدان الدقى بالشارع كان هناك الى فترة قريبة محل لاصلاح الاجهزة الكهربائية يتمتع بشهرة واسعة غير انه أغلق مؤخرا وهرب صاحبه مكتفيا بالأرباح الطائلة التى جناها من اجهزة الزبائن، ومنهم الروائى إبراهيم اصلان الذى مازال يفتش عنه حتى الآن للحصول على تليفزيون ضخم كان قد سلمه اليه.

احدى عمارات تقاطع شارع وكوبرى الدقى الذى يحمل رسومات الفنان مصطفى الرزاز تضم شقة الأديب الراحل امين يوسف غراب كان يديرها لحساب السهرات الخاصة للاديب والسياسى يوسف السباعى، كما أن التقاطع يحتوى على (فرغلى وجاد الله) اشهر محلات العصائر وخصوصا المانجو، وقد خاضا على ارض الشارع وفى سبيل زعامة العصائر فى القاهرة معركة دموية شديدة راح ضحيتها ستة أفراد من الطرفين وتمخضت عن اغلاق (جاد الله) واتساع شهرة وزبائن (فرغلى).

صيدلية ممتاز ومقهى زهرة الميدان وحلوانى جوهرة الميدان وبروتين السبكى أبرز المحلات التجارية بالشارع بعد تقاطع الدقى، وبعدها تطل واجهة (روضة تشايلد هوم)، للغات التى تجاورالمكتبة الاكاديمية والبيت الطبى التخصصى، وبعدها تطل بانكسار واجهة احد القصور المهملة بالشارع.

المركز الثقافى الروسى الذى كان شعلة للنشاط الثقافى فى السبعينات وأداره الشاعر سمير عبدالباقى يحتل قصرًا يقع أمام سينما التحرير الشهيرة التى

عادة لا تخلو واجهتها من الحسناوات، وبالقرب منه قصر آخر يتوج ناصية شارع الشهيد باسم وتحتله مدرسة الاورمان النموذجية.

فى هذا الجزء من الشارع ترتفع نغمة النشاط التجارى قليلا من خلال تجاور عدد من المحلات يحرسها مبنى جديد ومتطاول لبنك فيصل الإسلامى وتعد قسماته ومنمنماته تطويرًا زاهيًا لأسلوب العمارة الإسلامية.

ميدان كوبرى الجلاء يمثل نقطة استراتيجية بالشارع بالنسبة لحركة مرور القاهرة الكبرى وتاريخها السياسى والفنى والمعمارى، وتقع وسط الميدان حديقة تعد من عجائب محليات القاهرة الكبرى ليس لجمالها، ولكن لانها حققت رقما قياسيًا فى تغيير شكلها ومحتواها، فقد استغلها ماهر الجندى محافظ الجيزة السابق لتحقيق مآرب شخصية، ونصب فيها تمثالا للرئيس حسنى مبارك، غير ان نفاقه ذهب مثل منصبه ادراج الرياح، فبعد ان رفع الستار عن التمثال فى احتفال وصفه احد كبار الصحفيين بانه نوع من النفاق الفج وامر الرئيس مبارك بنفسه بازالته، ويجرى إعداد الحديقة الآن لاستقبال تمثال جديد لعميد الادب العربى الدكتور طه حسين ليجاور فندق شيراتون بالقاهرة.

شيراتون القاهرة بُنى حديثًا بالشارع فوق أطلال كازينو بديعة مصابنى الذى شهد بدايات المطربين فريد الاطرش ومحمد عبدالمطلب وعبدالعزيز محمود وغيرهم، كما كرس الرقص الشرقى كفن معترف به، ورقصت به سامية جمال وتحية كاريوكا وببا عز الدين، وشهد انكسار نجيب الريحانى، الذى انهار وسط صالته تحت قدمى حبه الوحيد بديعة مصابنى، لكنها لم تأبه بلوعته، وجمعت اموالها الطائلة التى جنتها من الترفيه عن جنود الاحتلال الانجليزى وهربت الى لبنان.

ميدان كوبرى الجلاء يفتح على كوبرى بنفس الاسم افتتح على الفرع الغربى للنيل عام ١٨٧٧ وكان يعرف باسم كوبرى البحر الأعمى لأن جزيرة الزمالك التى يوصل اليها لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح إلا فى الربع الأخير من القرن ألتاسع عشر فحتى عام ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى للنيل موجودا طوال العام،

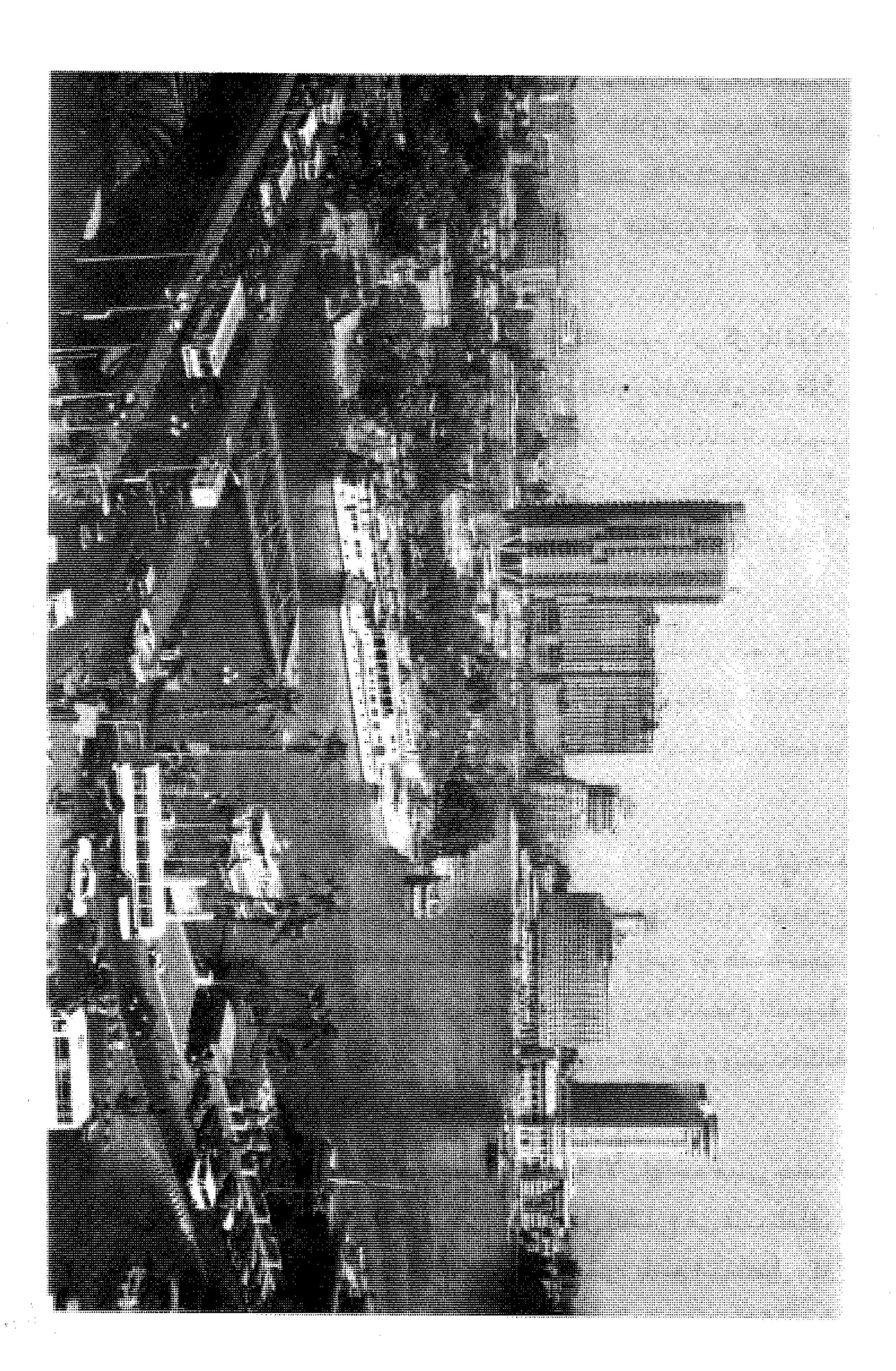
فقد كان يمتلىء أثناء فترة الفيضان فقط، ثم يجف باقى العام لذلك سُمى البحر الأعمى، ثم حفر بعد ذلك واقيم عليه الكوبرى، وفى عام ١٩٤١ تم تجديده وعرف باسم كوبرى الإنجليز بسبب ترددهم على كازينو بديعة الذى يقع على حافته، ثم حمل اسم بديعة نفسها حتى أطلق عليه قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ اسم كوبرى الجلاء.

تمثال أحمد ماهر يبدأ منه امتداد الشارع فوق أرض جزيرة الزمالك، وهو تمثال صخم اكتتب فيه الشعب المصرى وبلغت تكاليفه ٥٥٠٠ جنيه، وصنعه المثال محمد حلمى يوسف، وكان المقرر ان يزاح الستار عنه بالشارع فى ٣١ نوفمبر عام ١٩٤٨، ولكن عصفت الرياح بالستار فى نفس ليلة الافتتاح فمزقته، وفى الصباح شاهد المارة بالشارع تمثال الرجل الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ وتولى رئاسة وزراء مصر حتى اغتيل فى مجلس النواب.

وهكذا افتتح التمثال قبل الميعاد المحدد رسميًا، وكأنه مل الانتظار وأراد ان يصافح رواد الشارع بنفسه بلا وساطة افتتاح وابتسامات الوزراء والحكام.

مبنى دار الأوبرا يعد أكبر وابرز منشآت جزء الزمالك من الشارع وامامه تطل واجهة انيقة تفصح عن جمال محتويات متحف النحات مختار وهو أول متحف شيدته ثورة يوليو ١٩٥٢ تخليدا للفنان العظيم محمود مختار الذى عرضت أعماله فى العديد من البلدان الأوروبية، بل كان أول فنان مصرى يقيم معرضًا فرديا فى باريس، واشهر اعماله تمثال (نهضة مصر) وقد افتتح متحفه بالشارع فى العيد العاشر للثورة ١٩٦٢ ويجرى ترميمه الآن.

تمثال سعد زغلول يغازل ويساند تمثال أحمد ماهر من قلب آخر نقطة تتبع جزيرة الزمالك بالشارع فى منطقة شهدت بدايات ثورة ١٩١٩ ، وهو مصنوع من الجرانيت بأيدى الفنان محمود مختار، ويعد من أروع تماثيل القاهرة، وأثارت إقامته فى هذا المكان الاستراتيجى حنق الأسرة المالكة بسبب أنه ثانى تماثيل سعد زغلول، فى حين انه لا يوجد فى مصر سوى تمثال واحد لمحمد على باشا مؤسس الأسرة المالكة.



تمثال سعد زغلول يشير بيده الى كوبرى قصر النيل الذى يعد بأسوده الشهيرة وتاريخه الطويل أشهر كبارى مصر على الاطلاق افتتحه الخديو اسماعيل عام ١٨٧٢ وكان عرضه فى ذلك الوقت عشرة امتار منها ثلاثة للافريزين، وأقيم على مدخليه أربعة سباع من البرنز صنعت خصيصا فى أوروبا، وبلغ ثمنها وتكاليف نقلها ٥٢٤٨ جنيها.

فى البداية عُرف الكوبرى باسم قصر النيل وتقررت رسوم على كل المنقولات التى تمر عليه الى القاهرة بما فيها الدواب، فالجمل الفارغ كان يدفع عنه قرش صاغ والمحمل قرشان والحمار خمس عشرة بارة أو مليم وكذلك الجاموس والبقر، أما عربات المشال (الكارو) فكانت تدفع قرشين، والاغنام والماعز والكلاب وباقى الحيوانات كانت تدفع ربع قرش، وكان يعفى من رسوم المرور على الكوبرى كل من الاطفال اقل من ست سنوات ومختلف انواع الغزلان.

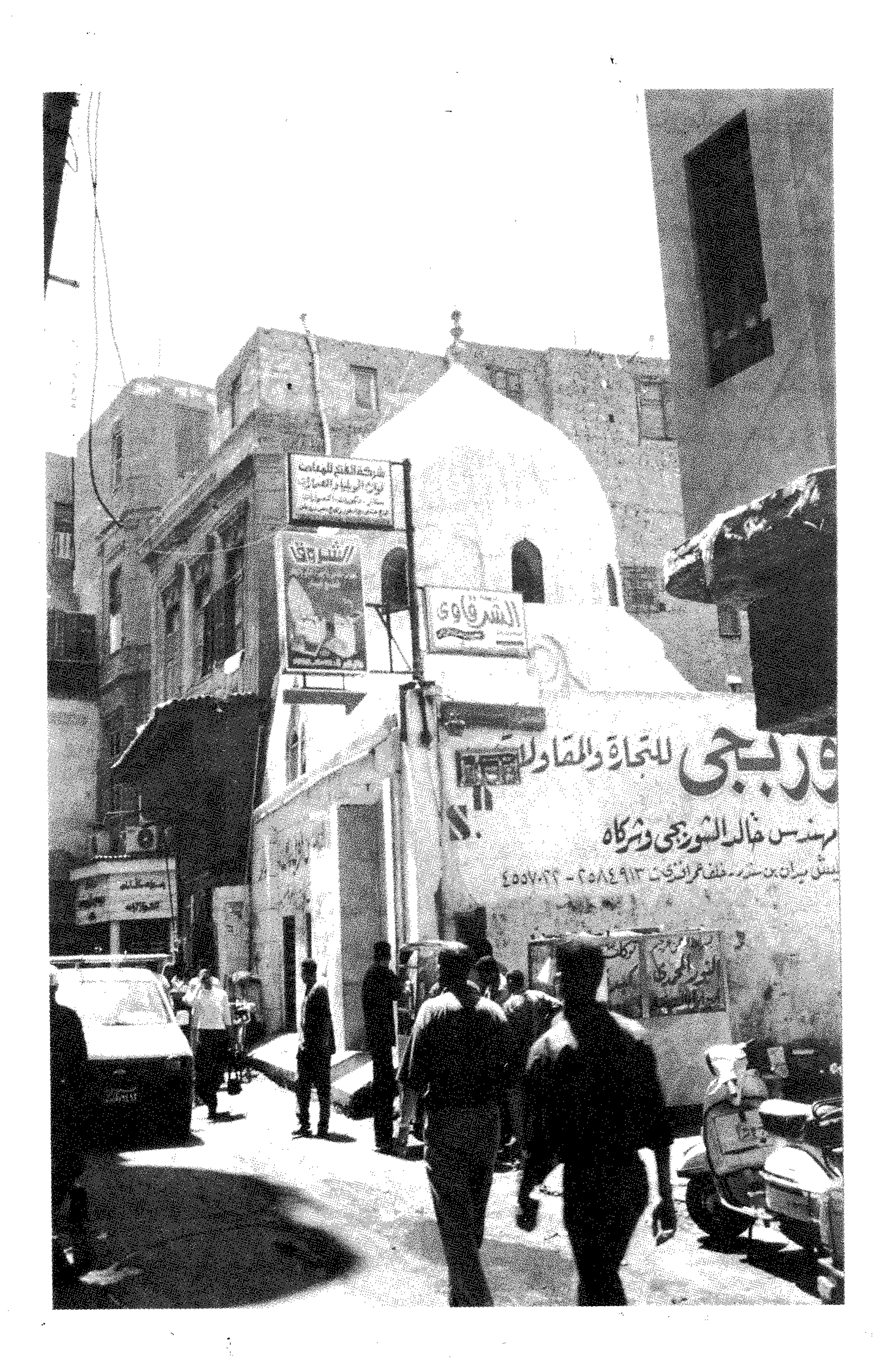
فى عام ١٩٣١ بسبب كثافة المرور تخلخل الكوبرى وكاد ينهار، فمنع المرور عليه، وانشىء بدله الكوبرى الحالى وعرضه ٢٠ مترا، وبلغت تكاليفه ٢٩١٩٥٥ جنيها وافتتحه الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٣ وأطلق عليه اسم والده الخديو اسماعيل، وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ اطلق عليه اسم التحرير.

وفى عام ١٩٧٠ اطلق عليه اسم جمال عبدالناصر تخليدًا لذكراه، غير ان هذه التغييرات لم تؤثر فى وفاء الناس لاسمه الملكى القديم (قصر النيل) الذى يرجع الى قصر كان يطل على النيل بناه محمد على باشا لابنته زينب، ثم هدمه سعيد باشا وأقام مكانه ثكنات للجيش المصرى، ثم نقلت اليها وزارة الدفاع المصرية، وعندما احتل الانجليز مصر جعلوه مقرا لجيشهم، وبعدهم هُدم وبنيت مكانه الجامعة العربية وفندق هيلتون النيل.

المقر القديم لوزارة الخارجية الذى يجرى ترميمه الآن يواجه مبنى جامعة الدول العربية على حافة ميدان التحرير فى بداية توغل الشارع فى قلب القاهرة الأوروبية، وبعد اتساع الميدان الذى عُرف على مدى عقود باسم اسماعيل وكان يتهيأ لاستقبال تمثاله المصنوع فى إيطاليا لولا قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ . يبلغ

الشارع ذروته التجارية من خلال عدد هائل من المحلات يصاحبه عبر ميدان باب اللوق حتى يصل بسلام الى نهايته الملكية امام شرفات قصر عابدين وثكناته العسكرية التى صارت مقرًا دائمًا لمحافظة القاهرة.

* * *



الشرقاوي
للتجارة
خالد الشوربجي وشركاه
٢٥٨٤٩١٣

شارع الرويعى

فى المدن التاريخية الكبرى هناك شوارع عنيدة ترفض التغيير ولا تتأثر بالتقلبات السياسية والاجتماعية والمعمارية، وتظل قابضة بصلف ـ عبر قرون ـ على جمرة جوهرها القديم الأول رغم أنف عوادى الزمن وقسوة عوامل التعرية البشرية والطبيعية سواء على مستوى أسلوب العمارة أو النشاط أو نوعية البشر.. تلك الشوارع النادرة فى صمودها لا تصلح بالطبع لرصد التقلبات السياسية والمعمارية، فهى جزر منعزلة فى بحار المدن لا تتأثر بما يدور حولها وإن كانت تؤثر فيه، ولكنها فى نفس الوقت مؤشر طبيعى حساس لرصد التطور الوئيد لطائفة من البسطاء، خصوصًا الذين يتوارثون حرفة أصيلة لم يتجاوزها الزمن، فهى أشبه بصفحة تاريخية صادقة ومجهولة لم تعبث بها امزجة المؤرخين واهواء الحكام، أو بصورة اسطورية التقطتها عين فنان من اعماق التاريخ لمجموعة من البشر والمبانى ومازالت تتمتع بواقعيتها وحيويتها حتى هذه اللحظة.. وكل لحظة، وقراءة ملامحها هى الاسلوب الامثل لتأمل تاريخ الإنسانية وتطورها.

شارع الرويعى هو التجسيد الحى لعناد تلك الشوارع فى مدينة القاهرة، ففى بدايته كان ممرًا تجاريًا مزدحمًا بالورش الصناعية الصغيرة، وجل سكانه الأوائل كانوا من التجار والحرفيين، واسمه يرجع الى السيد احمد الرويعى شاهبندر (رئيس) تجار مصر فى القرن التاسع الهجرى، وطوال تاريخه شهد صراعات المماليك التى أدت الى دحرهم، وتحمل ثقل غطرسة نابليون بونابرت وخلاعة جنود الحملة الفرنسية، ولم يكن بعيدًا عن مؤامرات وتوازنات محمد على باشا

فى بداية تربعه على عرش مصر، كما نظر شارع الرويعى بفزع الى إصلاحات وتجديدات الخديو اسماعيل التى محت العديد من الشوارع والمنشآت التى كانت تلاصقه، وارتجف على سلامة اسمه من قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ الذين غيروا أسماء معظم الشوارع المحيطة به.. كل تلك الاهوال والتقلبات خرج منها شارع الرويعى قويًا ومتمسكاً بأسلوب عمارته البسيط والبدائى وبرائحة عرق سكانه الحرفيين وبشعاره التجارى المميز الذى يدافع عنه بجدارة حتى اليوم، فهو عبارة عن سوق شعبية شهيرة تكاد تحتكر بعض البضائع ولا تكتفى بعرضها وبيعها بل تصنعها داخل العديد من الورش الصغيرة التى تتلاحم على جانبى الشارع وأبرزها ماكينات الخياطة ولوازم العمارات والموبيليا.

شارع الرويعى يبدأ من شارع كلوت بك وحافة الأزبكية التى كانت تتمتع بمكانة قلب القاهرة الثقافى والفنى والسياسى على مدى سنوات، وينتهى بغابة من الحارات الضيقة وأبرز واقدم منشآته جامع الرويعى الذى شيده السيد أحمد الرويعى شاهبندر التجار وأمامه أقام ضريحه الذى يرقد به حتى الآن. وبالقرب من هذا الجامع كان يوجد قصر قائد أغا ابرز رجال مراد بك ومدير أمن القاهرة عام ١٧٨٤. وعندما داهمت الحملة الفرنسية القاهرة حول نابليون بونابرت هذا القصر الى مقر دائم للديوان الذى شكله من العلماء والاعيان وبسبب تردد قادة الحملة عليه تعرض الشارع لعبث وجرائم الجنود الفرنسيين ومنها انهم هدموا جانبا من جامع الرويعى وحولوه الى خمارة كما اقاموا بأول الشارع ملهى كانوا يمارسون فيه مااعتبره اهل القاهرة فى ذلك الوقت نوعًا من الفحش والخلاعة.

وفضلا عن جامع الرويعى يوجد على مشارف الشارع جامع آخر أنشأه قاسم بن الحاج محمد داده الشرايبى الذى ينتمى الى اسرة ثرية كانت تملك قصراً بالقرب من الشارع عرف باسم العتبة الزرقاء وبعدها آل الى عباس حلمى الاول فهدمه واعاد بناءه وسماه العتبة الخضراء ومنه اتخذ الميدان القريب من الشارع اسمه.

قاسم الشرايبى بانى الجامع وقع ضحية لحادثة غريبة اودت بحياته ١٧٣٤ ففى ذلك الوقت كان الحلاقون هم الأطباء المعتمدون فى القاهرة، وبينما كان

أحدهم يجرى عملية فصد لقاسم الشرايبى بتر خصيته فمات فى الحال. والغريب انه لم يفقد حياته فقط بل وجامعه ايضا فقد عرف بعده باسم جامع على البكرى وهو مجذوب اعتقد الناس بكراماته وكان يخلع ملابسه تمامًا ويمشى بالشارع كاشفا عورته بينما يده تقبض على نبوت طويل يرهب به المارة، وسبب اعتقاد الناس بكراماته انه كان يقول كلامًا غامضًا ينصت إليه الناس ويستخرجون منه ما يشاؤون من المعانى والتنبؤات كل على حسب هواه ورغباته.

على البكرى كان له اخ ميسور الحال وبسبب أفعاله المخجلة طرده من بيت الأسرة، ولكن عندما لاحظ اعتقاد الناس به والتفافهم حوله رأى ان من الحكمة أن يجعل منه مشروعا استثماريا مربحا فاعاده الى بيت الاسرة وخصص له مكانا مريحا يسمح باستقبال مريديه ومنعه من حلق لحيته ليحافظ على مهابته وغموضه. وبالفعل هب الناس الى زيارته محملين بالهدايا والنذور التى كان يتقبلها أخوه بفرح أكد نجاح المشروع، وظل على البكرى على هذه الحال وأخوه يراكم الأموال والهدايا حتى توفى سنة ١٧٩٢ أى قبل ان يداهم جنود الحملة الفرنسية أرض الشارع ودفن بهذا الجامع فنسب اليه واختفى اسم مؤسسه القاسم الشرايبى بل وأصبح البكرى من اولياء الله الصالحين وتشد إليه الرحال من كل حدب وصوب والى فترة قريبة كان يقام له مولد كل عام.

معظم سكان الشارع منذ بدايته إلى الآن من التجار والحرفيين ولكن عندما اختاره نابليون بونابرت ليكون مقرا لديوانه وساحة للترفيه عن جنوده سكن الشارع بشكل مؤقت العديد من وجهاء القاهرة المتعاونين مع الحملة الفرنسية وابرزهم محمد المهدى الحفنى الذى كان من الشخصيات السياسية والدينية التى تمتعت بدور مؤثر فى الاحداث ايام الفرنسيين والسنوات الاولى لحكم محمد على باشا.

محمد المهدى الحنفى ولد عام ١٧٤٢ واسمه الأصلى هبة الله بن ابيغانيوس فوالده من الأقباط وأسلم فى طفولته على يد الشيخ الحفنى وفارق أهله بل ولم يتورع عن التبرأ منهم وانضم إلى الشيخ الذى رباه واقرأه القرآن وعلوم الدين ومنحه اسمه.

الشيخ محمد المهدى انضم الى علماء الازهر الشريف وانشغل بالقاء الدروس خلفا للشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى، ومنه كما يقول الجبرتى نما امره وذاع ذكره بعد صيته_ ولكى يكرس تلك المكانة تزوج بنت الشيخ الحريرى مفتى الحنفية فى ذلك الوقت ورزق منها بابنه محمد امين وهو والد الشيخ محمد المهدى العباسى الذى عين مفتيا للديار المصرية فى عهد ابراهيم باشا وهو فى الواحد والعشرين من عمره، كما عين شيخا للازهر سنة ١٨٧٠ فى عهد الخديو اسماعيل خلفا للشيخ مصطفى العروسى الذى يعد اول شيخ يعزل من مشيخة الازهر الشريف فقبله وبعده كان من يتولى المشيخة يظل فيها طوال حياته.

المهدى العباسى مثل سلفه لم يعمر طويلاً فى المشيخة فقد عزله العُرابيون عندما رفض التوقيع على عريضة عزل الخديو توفيق ثم أعيد بعد فشل الثورة العرابية ثم عزل لمعارضته للحكومة فى بعض القوانين وفى عهده بدأت الخطوات الأولى فى اصلاح التعليم فى الأزهر بتحديد مدة الدراسة وترتيب الامتحانات وتقرير مرتبات ثابتة للعلماء.

الشيخ المهدى أشهر سكان الشارع فى بداية القرن التاسع عشر تقرب من الامراء المماليك فأوكلوا إليه الضربخانة (سك النقود) والسلخانة والجوالى (الجزية على غير المسلمين)، وعندما دخل الفرنسيون مصر هرع اليهم فعينوه كاتم سر (سكرتيرا) لديوان العلماء والأعيان وحاز تقدير بونابرت نفسه لدرجة انه وصفه فى مذكراته بأنه اذكى علماء الازهر وافصحهم لسانا واكثرهم علمًا واصغرهم سنًا . وهذا الإطراء رغم مبالغته يبدو (ترحما) هينا على المهدى بعد وفاته امام الخدمات العظيمة التى قدمها للفرنسيين على حساب مواطنيه وأهله أثناء حياته، ومنها أنه بأسلوبه البليغ أبدع اغلب المنشورات التى كان يذيعها الفرنسيون لتضليل الشعب المصرى . وربما يرجع ذلك إلى أن بونابرت يعرف بدقة أن «المهدى» قبض ثمار هذه الخدمات مضاعفة فى حياته فقد عظم شأنه وكان محل الوساطة والشفاعة، أما أحواله المالية فى تلك الفترة فقد لخصها

الجبرتى فى قوله (زاد ايراده وجمعه واحتوى بلادًا وجهات وأرزاقًا، وأقاموه . يقصد الفرنسيون . وكيلا عنهم فى اشياء كثيرة وبلاد وقرى يجبى إليهم خراجها ويصرف منها مايصرفه ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والاغنام والسمن والعسل وماجرت به العادة ويقدمون إليه دعاواهم وشكاواهم ويفعل بهم ما كان يفعله ارباب الإلتزامات من الحبس والضرب واخذ المصالح وصار له أتباع وخدم من وجهاء الناس واذا ركب او مشى يمشون حوله وأمامه).

المهدى ظل يتمتع بتلك المكانة فى الشارع ومصر كلها إلى أن جاءت لحظة الانتقام فى ثورة القاهرة الثانية فقد تعمد الثوار إهانته وحرقوا بيته الذى كان من أفخم منشآت شارع الرويعى غير انه لم يخسر شيئا كما اكد الجبرتى فلم يترك فى البيت والشارع سوى بعض الحصر والخدم الذين كان يخطط للتخلص منهم أصلاً.

بعد الفرنسيين لم تتأثر مكانة المهدى فقد استبدلهم بالعثمانيين الذين آلت إليهم امور البلاد، وتقرب الى شريف افندى الدفتردار (وزير الداخلية) فثبت مناصبه والتزاماته بل وأضاف إليها مناصب أخرى وفى ذلك يقول الجبرتى بحسرة (واضاف اليه ما ينتقيه من الديوان من غير مقابلة أو حلوان) والحلوان يعنى البقشيش وكان يعطيه من استفاد من عملية معينة كوظيفة او التزام او غيرها لمن منحها له وهو عمولة او رشوة مقنعة لا تختلف عما يحدث هذه الأيام!!

فى عام ١٨٠٩ وجد المهدى فرصة سانحة لاستبدال ولاء العثمانيين وقبلهم المماليك بالتقرب من محمد على باشا بعد ان استقر فى حكم مصر ونفذ ذلك باقتدار، ففى هذا العام بدأ الجفاء بين محمد على والسيد عمر مكرم بسبب فرض محمد على لضرائب جديدة والغاء بعض الامتيازات المالية دون الرجوع إلى العلماء حسب العهد الذى بويع عليه وعندما انضم العلماء الى عمر مكرم فى مطالبه وقع محمد على فى ورطة كادت تفقده منصبه لكنه سرعان ما تخلص منها بجهود الشيخ محمد المهدى الحفنى الذى كسر تجمع العلماء حول السيد

عمر مكرم بان استمال بالتهديد والإغراء العديد منهم مما أدى الى وقوف السيد عمر مكرم وحيدا فتمكن محمد على من نفيه الى مدينة دمياط ليتجرع آلام الموت وحيداً.

محمد على أنعم على المهدى باوقاف ضريح الامام الشافعى ووقف سنان باشا احد الولاه العثمانيين كما منحه مبلغًا كبيرًا من المال نظير اجتهاده فى خيانة عمر مكرم كما قال الجبرتى، غير أن المهدى لم يجد ذلك كافيًا لخدماته وطمع فى مشيخة الأزهر بعد وفاة شيخه عبدالله الشرقاوى وبالفعل أجمع فقهاء الشافعية وقاضى البلاد على تعيينه بل وبايعوه وصافحوه وقرأوا الفاتحة، لكن محمد على لم يعتد بهم وعين الشيخ محمد الشنوانى شيخًا للازهر فراح الشيخ محمد المهدى الحفنى صريع القهر من فقد المشيخة التى حلم بها طوال حياته ومات عام ١٨١٥ وشيعت جنازته من أرض الشارع.

شارع الرويعى يبدأ بمدخل ضيق مزدحم تتوجه عمارة ضخمة لا تناسب مطلقا ضآلة مساحة وارتفاع معظم منشآته وبعدها تتجاور العديد من محلات وورش الستائر ولوازم العمارات والموبيليا وهى ابرز التخصصات التجارية للشارع.

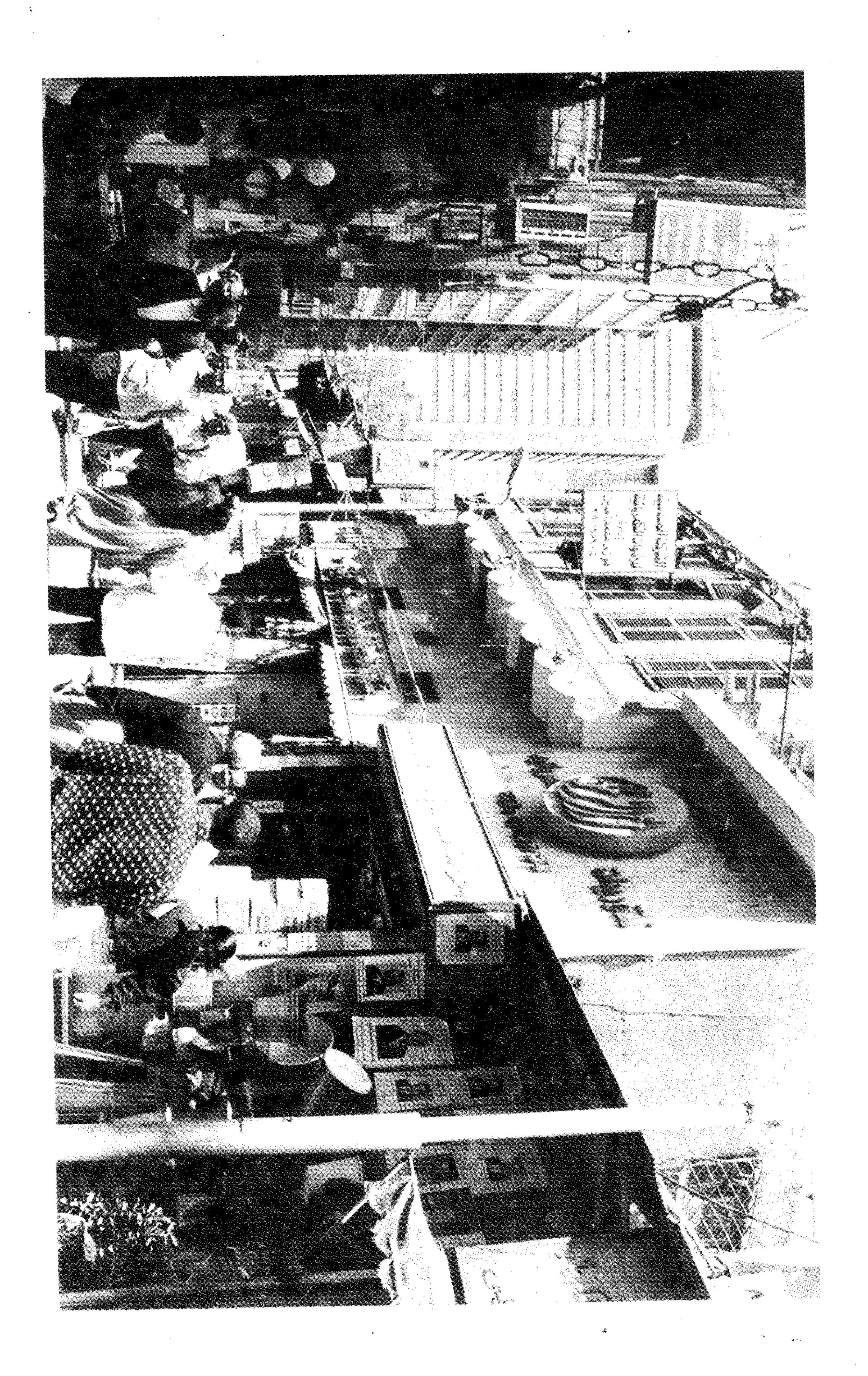
مدرسة الرويعى تقع بالشارع على ناصية ممر شديد الضيق يوصل الى جراج العتبة وآخره من الناحية الاخرى يفتح على غابة من الحارات المتصدعة وتحتله بشكل شبه دائم عجوز غائبة عن الوعى.

المدرسة تحتوى على أحد مقرات اللجنة النقابية للمعلمين بحى الموسكى وأمامها فاترينة مثلجات على شكل طائر ويديرها بحماس بائع فى مقتبل العمر وسط جمهرة من الاطفال يتنقلون بمرح بينه وبين الأرجوحة التى تقع فى قلب الشارع وتديرها سيدة شابة ومربوط بها حمار بائس يبدو انه ملّ من ثقل نقلها يوميا لارض الشارع.

جامع الرويعى الذى حوله الفرنسيون إلى «خمّارة» يقع بالشارع بالقرب من عمارة حديثة ضخمة تحتل واجهتها شركة الشرق الاوسط ويواجه ضريح السيد

احمد الرويعى شاهبندر التجار وبعده يبدأ ثانى انشطة الشارع التجارية والصناعية - وهو ماكينات الخياطة وابرز محلاتها وورشها معرض الشرق ومؤسسة النصر وغيرهما وجميعها تتسم روائح عطور حامد والحسين وباقى محلات حارة العطور وبعدها يبلغ الشارع نهايته وسط غابة من الحارات الضيقة.

* * *



شــارع العشماوى

(العشماوى) شارع تجارى صرف لا يهتم سكانه، ومعظمهم من صغار التجار بجمال العمارة ودقة التنظيم ورحابته، بقدر انشغالهم بالتكالب والتعارك على كل شبر من أرضه لعرض بضائعهم الشارع يتوسط اشهر منطقة لبيع الادوات الكهربائية فى القاهرة وسكانه مجبرون على استغلال ارضه على حساب جماله، فهو شارع ضيق لا يسمح بترف التضحية بجزء يسير من أرضه من أجل تحقيق طموحات جمالية أو تنظيمية.

العشماوى شارع شعبى فقير لم يخرج للوجود نتيجة لتخطيط عمرانى مسبق وحكيم، ولكن الظروف المرورية وكذلك حاجة سكانة الأوائل للتجاور والتلاحم فى مكان واحد فرضته فرضا، لذلك فانه مثل غيره من الشوارع الشعبية لم ينعم بأحد الأسماء الشهيرة فى مجال الحكم والسياسة، فتلك الاسماء البراقة تقحم عادة على الشوارع الانيقة والفخمة بعد اكتمالها، وبالتالى فإن اختيارها فى الغالب لا يقوم على تمتعها بعلاقة حياتية وثيقة بالشارع، ولكنها محكومة بالرغبة فى الوجاهة والخلود وأحيانًا النفاق والتزلف، على عكس الشوارع الشعبية الفقيرة التى تنبع القابها من صميم ارضها، بل واحيانا ما يوجد الاسم أو اللقب أولا ويشتهر بين الناس ثم بعد ذلك يأتى الشارع ليتخذه ويعرف به والدليل ان تلك الشوارع تعرف عادة باسم أول من سكنها أو اسم بانى أول منشأة دينية اقيمت فيها، كما تعرف أحيانا باسم حرفة ما أو اثر أو ضريح أو حتى اسم حيوان مثل شارع ساحة الحمير. ولأنه فى بداية انطلاق الشارع كانت به زاوية

دينية، وايضا لأن الأبطال والمشاهير الشعبيين كانوا من رجال الدين بمن فيهم المجاذيب والمخابيل فإن شارعنا اتخذ من الشيخ العشماوى اسمًا له.

العشماوى الذى سنعرض لترجمته اسم يناسب الشارع تماما فهو اللقب الذى يطلقه المصريون عادة على الجلادين أو منفذى حكم الإعدام بغض النظر عن أسمائهم الحقيقية، فبمجرد أن يحترف أى انسان مهنة منفذ حكم الإعدام يصبح اسمه «عشماوى»، والشارع به مسجد قديم يعرف باسم العظام ليس لانه يحوى رفات عظام مصر ولكن لان منطقة الازبكية التي يتبعها الشارع كانت مزدحمة بالعديد من المقابر المجهولة على مدى قرون، وعندما شرع الخديو اسماعيل فى تنظيمها وتجميلها بغرض جعلها مركزًا أوروبيًا للقاهرة أعدم أو دمر جدران هذه المقابر ونبشها ونقل رفاتها المجهولة ودفنها فى باطن أرض المسجد الذى يقع فى أول الشارع ومن يومها عرف باسم مسجد العظام.

اسم الشارع يرجع الى زاوية صغيرة كان يقيم بها الشيخ درويش العشماوى وعندما مات دفنه تلامذته بها فتحولت إلى مزار دينى تشد اليه الرجال من كافة انحاء مصر للمشاركة فى مولده السنوى وكذلك للاقامة بشكل دائم فى الزاوية وخصوصا الدراويش.

وعندما ضاقت عليهم طلب الشيخ سليمان أقرب تلامذة الشيخ العشماوى من والى مصر عباس حلمى الأول ان يأمر بتوسعة تلك الزاوية لكثرة الفقراء المقيمين بها، لكن عباس حلمى رفض الطلب بحجة عدم توفر الاموال فى خزينة الدولة، وبسبب خوفه من غضب مريدى الشيخ وعد بان يوسع الزاوية فى المستقبل ولكن الشيخ سليمان لم يفقد الامل فى توسيع زاوية استاذه، وعندما مر الوالى عباس حلمى الأول بأرض الشارع وقرأ الفاتحة امام الزاوية قبل ان يتوجه الى الأراضى الحجازية داهمه الشيخ سليمان وأحرجه امام موكبه قائلا: (ان شاء الله تعود سالماً وتبنى لنا الزاوية) فاضطر للموافقة، وبمجرد أن عاد من الحجاز أمر مساعده الأمير أدهم بأن يبدأ فورا وبنفسه فى تجديد وتوسيع زاوية الشيخ العشماوى فاشترى الاراضى المجاورة لها وشيد عليها جامع العشماوى.

أما الشيخ العشماوى صاحب الزاوية والجامع والشارع فقد ولد فى قرية بدلتا مصر تسمى عشما وترجع اصوله كما قيل إلى الأشراف، وفى شبابه كان له اخ يحبه حبا شديدا داهمه المرض ومات وهو فى السفر، وعندما أبلغ بموته ذهب عقله والقى بنفسه من شباك البيت الذى كان يقيم فيه لكى يلحق به، غير انه لم يمت وظل هائما على وجهه فى الشوارع والحارات إلى أن اضطرت السلطات لحجزه بمستشفى المجانين ثلاث سنوات خرج بعدها مجذوبا وسكن بأرض الشارع واجتمع عليه الامراء والأعيان والمريدون وأشاعوا عنه الكرامات وعملو له حضرة كل ليلة جمعة، فصار يفد الى مجلسة الناس من كل حدب وصوب ويمنحونه الهدايا والنذور، فاشتهر اسمه واصبح له مولد سنوى فى حياته واستمر على ذلك حتى مات ودُفن داخل زاويته التى ظلت تحافظ على مولده السنوى فيارض الشارع حتى فترة قريبة.

وكما أن الشارع بدأ بزاوية شيخ ينسب للأشراف فان دار السيد خليل البكرى كانت تقع على حافته الشمالية، وهو ينتمى الى الأسرة البكرية التى يرجع نسبها كما قيل إلى الصحابى ابى بكر الصديق وتولى نقابة الاشراف والسجادة البكرية أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر.

تلك الدار كانت تقع بالقرب من أرض الشارع بين بريد العتبة وميدان الأوبرا، والاسرة البكرية التى سكنتها على مدى سنوات طويلة كانت تحظى بعلامة مميزة وفريدة كرست مكانتها الدينية، وملخصها انه إذا دنا أجل أحد أفرادها يظهر فى قدمه جرح اشبه بلدغة يرجعها مريدوهم بكل ارتياح وثقة الى اللدغة التى أصابت ابا بكر الصديق حينما كان يختبىء فى الغار مع رسول الله أثناء الهجرة ، وقيل انه إذا ظهرت هذه العلامة فى قدم احدهم يقطع الأمل فى استمرار حياته ويعدون العدة لمراسم جنازته امام عينيه.

ورغم أن السيد خليل البكرى كان ينتمى الى هذه الأسرة التى تولت نقابة الأشراف على مدى سنوات عديدة إلا أن سيرته وافعاله لم تكن تتمتع بالنزاهة والخلق الكريم، ولم يكن يحظى بثقة اقرب الناس اليه، لذلك فإنه لم يتمكن من منصب نقابة الأشراف الذى كانت تتوارثه الاسرة - رغم أنه كان يستحقه تماما

حسب قانون الوراثة ـ إلا عندما داهمت الحملة الفرنسية مصر.

فقد استغل هروب نقيب الأشراف عمر مكرم الى الشام واتصل بنابليون بونابرت وكبار قادته واقنعهم بأن نقابة الاشراف أُغتصبت منه فقلدوه إياها فى ١٧ اغسطس عام ١٧٩٨م.

وعندما استقرت له الأمور جدد المنزل الذى يقع بالقرب من الشارع وانفرد به دون باقى الاسرة البكرية، وعظم شأنه وجبروته عندما تم تعيينه عضوا فى الديوان الذى انشأه نابليون من العلماء والاعيان، وازدحم بيته بأصحاب الدعاوى والشكاوى ولجأ الى خدمته مماليك الأمراء الذين فروا الى صعيد مصر خوفا من بطش الفرنسيين.

وفى الدار التى كانت تقع بالقرب من الشارع كان السيد خليل البكرى يقيم الاحتفالات ويدعو اليها كبار القادة الفرنسيين الذين كانوا يأتون بصحبة طبول ومزامير احدى الفرق الموسيقية، بينما الشعب المصرى يئن تحت ثقل الاحتلال وبطشه.

السيد خليل ظل ينعم بوجاهة وخير تعاونه مع المحتل ضد أبناء وطنه إلى أن داهمته لحظة الحساب العادلة أثناء ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين، هجم الاتراك والمماليك على داره التى كانت تقع على مشارف الشارع ونهبوها، وسحبوه مع أولاده وحريمه الى حى الجمالية عارى الرأس وأمعنوا فى إهانته لدرجة أن وكيل والى مصر اشفق عليه واسلمه الى احد كبار التجار لكى ينقذه من البطش.

اختبأ السيد خليل فى قاع منزل التاجر طوال أيام الثورة وعندما نجح الفرنسيون فى إخمادها خرج من جحره يطلب عطاياهم ويتحين الفرصة للانتقام من كل من اهانه، وبالفعل كافأه الفرنسيون بان أعفوه من الغرامات الفادحة التى فرضوها على أهالى القاهرة عقابًا على ثورتهم، غير انهم لم يتمكنوا من البقاء فى مصر لكى يحموا انتقامه وظلمه وخرجوا من القاهرة فى يوليو عام ١٨٠١ مطرودين ففقد السيد خليل حمايته الاستعمارية ومنصب نقابة

الاشراف بل وكافة ما يملك وصار أهل بيته عرضة لإهانات أضعف الناس، فقد اجبر الشيخ السادات والسيد عمر مكرم ابنه أحمد على تطليق زوجته ابنة محمد البكرى بحجة انها تزوجته مرغمة خوفا من ظلم والده السيد خليل، اما ابنته اللعوب التى كانت تتصل بالفرنسيين على هواها، فقد طلبها الوالى العثمانى بعد رحيلهم وعندما رفضت واعلنت انها تابت امر ببتر رقبتها.

ولأنه خشى ان يعرف اهالى القاهرة انه قتلها لانها رفضته وليس لا تصالها بالفرنسيين فقد أمر بقتل كل النساء الخارجات بالقاهرة، والى هذه البنت البائسة يرجع وصف (مقصوفة الرقبة) الذى يطلقه المصريون على أى فتاة ترتكب جريمة التفريط فى جسدها.

يبدأ شارع (العشماوى) من قلب ازدحام شارع عبدالعزيز بجوار مسجد عبدالقادر الدسوقى أو العظام الذى اقيم فى عهد الخديو اسماعيل على جماجم مقابر الأزبكية، وامامه تل من الأجهزة الكهربائية، وبعده تتنافس سندوتشات مطعم الدمياطى مع مطعم مرزوق تحت حماية فندق الغرباوى وامام حارة توصل الى ميدان العتبة ومبنى البريد الذى ينتمى الى أسلوب عمارة عصر النهضة الأوروبية.

أرض الشارع تسيطر عليها تمامًا محلات بيع الأدوات الكهربائية، وبعد واجهة مسجد العشماوى الذى كان يشهد مولده كل عام ينضغط الشارع فى حارة ضيقة يتوسطها بيت أنيق يحتوى على محل الاسكندرانى وسط سيل من محلات الأدوات الكهربائية يقطعه مركز العشماوى التجارى والادارى الذى رغم حداثة عمارته واتساع واجهته لا يؤثر مطلقًا ولا ينفى حقيقة أن الشارع لا ينشغل بجمال العمارة، بل يتخذ منها وسيلة سهلة وطيعة لعرض البضائع المتراكمة به والتى تبدو مستفزة مع مخلفات العمارة التى يجرى تشطيبها وتمهد لنهاية الشارع التى تقع امام واجهة انيقة يملكها بنك الاسكندرية فى شارع الجمهورية.

* * *



شارع عبدالخالق ثروت

شارع عبدالخالق ثروت ينتمى إلى القاهرة الأوروبية التى شيدها الخديو اسماعيل فى القرن التاسع عشر سواء على مستوى أسلوب العمارة أو الاتساع ودقة التنظيم أو الموقع الجغرافى، فسكانه حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ كان بينهم الكثير من الرعايا الاجانب، وبدايته من شارع رمسيس تقع بالقرب من ميدان التحرير (الاسماعيلية سابقا) وبعدها يقطع أهم شرايين قلب القاهرة (شمبليون وطلعت حرب وشريف وعماد الدين) قبل ان يبلغ نقطة نهايته التى تقع امام تمثال إبراهيم باشا تاج الازبكية الذى بالغ الخديو اسماعيل فى الاعتناء بمنشآتها وحدائقها لكى يتفاخر بها امام ضيوفه ملوك وامراء أوروبا الذين شدوا الرحال للقاهرة لحضور الاحتفالات الاسطورية التى صاحبت افتتاح قناة السويس، وأيضا لكى يصنع منها مركزا ثقافيا وفنيا ومعماريا جديرا بمجاورة قصر عابدين مقر الحكم فى قاهرته الأوروبية.

قبل حوالى قرنين من جهود الخديو اسماعيل التى تمخضت عن تنظيم وتجميل شوارع الازبكية، كان شارع عبدالخالق ثروت عبارة عن ساحة مهيأة تماما لراحة مختلف أنواع الحيوانات، خصوصا الجمال فعلى أيام المماليك كانت منطقة الازبكية بما فيها الثلث الأخير من الشارع عامرة بتلال القاذورات والقمامة وأوكار القتلة واللصوص حول بركة راكدة، وفى عهد السلطان قايتباى بدأ الأتابك (أبوالامراء) ازبك بن ططخ تعميرها، واتخذ من أرض الشارع مناخًا لجماله وخيوله، ومن يومها عرفت ارض الشارع باسم المناخ، وظلت تحافظ عليه حتى بعد الإصلاحات الأوروبية التى بذلها الخديو اسماعيل.

الأمير ازبك بن ططخ ترجع اصوله الى مماليك السلطان الاشرف برسباى، ثم اشتراه الظاهر جقمق وزوجه تباعا من ابنتيه ووضعه فى بداية طريق المناصب السياسية العليا فتدرج فيها حتى حصل على منصب نائب الشام، ثم تولى قيادة الجيش، واليه يرجع فضل تعمير المنطقة التى ينتهى بها الشارع، لذلك فهى تعرف باسمه حتى الآن.

عبدالخالق ثروت اسم الشارع الحالى هو أحد ابرز رجال السياسة فى مصر فى الثلث الأول من القرن العشرين.. ولد عام ١٨٧٣ لاسرة تركية دخلت مصر مع الغزو العثمانى وجمعت بين الثراء والتوغل فى الحكم، فوالده اسماعيل عبدالخالق باشا كان يشغل منصب (روزنامجى) وتعنى الآن وزير المالية، وجده كان من كبار رجال الحكم فى اوائل عهد محمد على باشا.

منذ طفولته داوم عبدالخالق ثروت على النبوغ الدراسى وحصل على المركز الأول فى كافة سنوات دراسته التى انهاها بالحصول على ليسانس الحقوق، ليبدأ حياته الوظيفية بالعمل فى قضايا الدائرة السنية، وتدرج بسرعة فى العديد من المناصب القضائية المهمة حتى اختير لمنصب النائب العام وهو مازال شابا.

فى ذلك الوقت كانت مصر خاضعة للاحتلال الانجليزى، ومن خلال عمله فى مطبخ القضاء، وايضا من خبرات والده وجده حدد عبدالخالق ثروت بدقة معالم مستقبله السياسى، واقتنع بانه مرهون برضا الانجليز عليه، فبالغ فى خدمتهم، وبالفعل نجح فى كسب ثقتهم، فعينه المستشار الانجليزى مالكوم مكلريث الذى كان يشغل منصب النائب العام فى الحكومة المصرية سكرتيرا له، بل وجعله مندوبا عنه فى قضايا الاحتلال الانجليزى، ومن جهود عبدالخالق ثروت المخجلة فى هذا المنصب انه حضر ممثلا للجيش الانجليزى فى القضية التى رفعها على صحيفة (المؤيد) وصاحبها الشيخ على يوسف وعامل التلغراف توفيق كيرلس ولكن لسوء حظهم وحظ مندوبهم عبدالخالق ثروت برأت المحكمة الشيخ على يوسف وصحيفته.

عبدالخالق ثروت عين فى منصب وزير الحقانية (العدل) عام ١٩١٤، ومن خلاله بدأ يناوىء الجهود الوطنية التى كان يقوم بها حزب الوفد برئاسة سعد زغلول لتحرير البلاد لدرجة انه قيل انه الذى حرض الانجليز على نفى سعد زغلول، ففضلا عن الإخلاص فى خدمة الانجليز لم يتورع ثروت عن الوقوف ضد ارادة الشعب المصرى فى التحرر، وطالب الانجليز صراحة ابان ثورة ١٩١٩ بفرض إدارة مباشرة للقضاء على الاضطرابات، لذلك كان طبيعيا ان يخرج ثروت من وزارة العدل الى وزاوة الداخلية لكى يتمكن من خدمة الانجليز بشكل أمثل، فواصل جهوده فى قمع الشعب المصرى واقترف كافة الاجراءات العنيفة المنافية لتقاليد الدستور فى سبيل احكام قبضته التى هى قبضة الانجليز على البلاد، ولم يكن يتردد فى الاستعانة بالاحتلال البريطانى لفرض الاحكام العرفية، والدليل انه طلب من السلطات البريطانية اتخاذ إجراءات عقابية بمقتضى الاحكام العرفية ضد مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى لمجرد آنه أرسل برقية من خلال صحيفة (اللواء) الى السلطان فؤاد رأى فيها ثروت تطاولاً على الأسرة الحاكمة لمجرد أنها ذكرت اسم أحد الأمراء مصحوباً بوصف الأمير السابق!

لذلك فقد كان عبدالخالق ثروت جديرا بان يصفه سعد زغلول قائلا (يقتل الحرية فى الصدور ويطفىء جذوة الحمية فى القلوب ويملأ المعاقل والسجون من الأحرار، ويجعل جزاء الهتاف للاستقلال الإعدام بالحديد والنار).

فى عام ١٩٢٢ قبل عبدالخالق ثروت ان يتولى رئاسة الوزارة، وبذلك قطع اجماع السياسيين المصريين الذين اتخذوا من رفض هذا المنصب وسيلة للضغط على الانجليز حتى يقبلوا بالتفاوض حول استقلال مصر، وبالفعل ظل هذا المنصب شاغرا شهرين بعد استقالة عدلى يكن، فما كان من الانجليز الا ان جاءوا برجلهم القوى والمطيع عبدالخالق ثروت الذى أمعن فى مصادرة حرية الصحافة ومنع العديد من اجتماعات السياسيين الذين يطالبون بالاستقلال الكامل، وكان يصدر أوامره اليومية للصحف بالامتناع عن نشر العديد من القضايا والأخبار والمواضيع لدرجة أن مراسل صحيفة (الديلى هيرالد) وصف

تعامله مع الصحافة قائلاً (إن صحف مصر سواء أكانت وطنية أو إنجليزية مكممة تمامًا، وان جميع المعلومات التى تستقيها كل الصحف تقريبا تصدر عن رجلين أو ثلاثة يعبرون عن سياسة المندوب السامى البريطانى وعبدالخالق ثروت).

وفضلا عن ذلك فانه واصل تطبيق الاحكام العرفية بشكل مستبد وفى عهده كان الشباب يساقون افواجا للسجون لمجرد التعبير عن المشاعر الوطنية أو تأييد الزعيم سعد زغلول.

وإلى جانب مصادرة اجتماعات المعارضة واحتجاجات الشباب وتعطيل الصحف المناهضة لسياسته، لم يتردد عبدالخالق ثروت فى تطبيق الأحكام العرفية بشكل متعسف على اقطاب العمل السياسى فى تلك الفترة ومنهم السيدة صفية زغلول التى حبسها فى بيت الأمة ومنع أعضاء حزب الوفد من مجرد زيارتها.

كل تلك الإجراءات التعسفية التى جعلت كافة القوى السياسية فى مصر تتحد ضده لم تشفع لعبدالخالق ثروت لدى أسياده الإنجليز فبعد مرور أشهر قليلة على تشكيل وزارة مارس فيها كل أشكال القهر على الشعب المصرى بدأت سلسلة من الاغتيالات للرعايا الانجليز فى مصر.. وكانت اغتيالات منظمة لم تستطع اجراءات ثروت ايقافها، فأثار عليه الحكومة البريطانية وجعلها تضحى بتعاونه معها، مما مهد لتداعى وزارته، وفى تلك الازمة وجهت اليه صحيفة (التايمز) البريطانية انتقادات لاذعة، بل واخذت عليه ما ظن طوال عمره انه يرضى الإنجليز عليه وهو مناهضة القوى الوطنية التى تؤيد الزعيم سعد زغلول. ورغم أن ثروت لم يبد اعتراضًا على هذا الهجوم، بل وقابله بالعديد من أساليب التهدئة والتماس المعاذير كاى عميل فشل فى مهمته، الا انه تحت ضغط الانجليز والقوى الوطنية المصرية اضطر الى الاستقالة فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٢٢ بعد انقضاء تسعة اشهر فقط على توليه مقاليد الحكم فى البلاد.

عبدالخالق ثروت عاد للعمل السياسى مرة اخرى عام ١٩٢٦ عندما اختاره عدلى يكن لمنصب وزارة الخارجية، وبعد عام واحد تولى رئاسة الوزارة للمرة

الثانية وواصل خدمته للانجليز بشكل أعمق وأكثر خبرة من خلال المفاوضات التى أجراها معهم حول وضعهم فى مصر، فقد قدم فيها بصفته رئيسًا للحكومة المصرية تنازلات وصلت إلى حد أنه أقر التواجد الاستعمارى البريطانى فى مصر، واعتبره حقيقة لا مناص منها، وبمقتضى ذلك وافق على بقاء قوة عسكرية بريطانية فى مصر، وان يكون لهذه القوة مستشاران فى الحكومة المصرية أحدهما مالى والآخر قضائى، وكذلك وافق على أن يكون تعليم الجيش المصرى وتدريبه قاصرًا على الضباط الإنجليز وبأساليب بريطانية، وربط سياسة مصر الخارجية بتوجهات السياسة البريطانية وكل ذلك يدلل على انه ظل على اخلاصه للانجليز وضد ارادة الشعب المصرى فى الاستقلال حتى نهاية مشواره السياسى.

شارع بعدالخالق ثروت يبدأ من ناحية شارع رمسيس بمبنى نقابة المحامين التى تتفرد بكونها أنشط نقابات مصر انفعالا ومشاركة فى القضايا الوطنية، ومنذ فترة احتضنت الاعتصام الذى نفذه المثقفون والفنانون لدعم الشعب الفلسطينى، كما خرج منها حمدين صباحى وحسنين عضوى مجلس الشعب الى غياهب السجون اثناء مشاركتهما فى مظاهرة تندد بالعدوان الامريكى على العراق مارس ٢٠٠٣ - ثم مبنى نقابة الصحفيين الجديد الذى يتميز ببذخ معمارى واضح وينتظر افتتاحه بالشارع فى نفس مكان مبنى النقابة القديم ويواجه كنيسة الطائفة الارمنية بالقاهرة كما يجاور مبنى نادى القضاة الذى رغم انه ليس على المستوى المعمارى لجارته إلا أنه قادر على ان يحفظ هيبة القضاة بالشارع.

العمارة الضخمة التى يملكها بنك الاستثمار العربى بالقاهرة تقع على ناصية شارع «شمبليون» أمام الشركة المصرية للاستثمار البحرى، وبعدهما تظهر بشارع عبدالخالق ثروت واجهة مبنى أنيق وهادىء يضم مقر السفارة السويسرية بالقاهرة الذى يجاور مركزًا قديمًا لخدمة السيارات وعمارة تزهو شرفاتها بأناقة وزخرفات أسلوب عمارة بداية القرن العشرين.

بعد تقاطع شارع طلعت حرب يبلغ النشاط التجارى بالشارع ذروته من خلال عدد هائل من المحلات منها اللوفر وتيك تك التميمى وسنيور اميجو وموندياناء ووسطها يستقر مقر شركة (المقاولون العرب) بجوار محطة وقود يجرى تجديدهما الآن، وتقع على مدخل صحيفة (الحياة المصرية) ومكاتب شركة الشبراوى، وعلى الناحية المقابلة تطل العمارة التى كانت تحتوى على المقر القديم لصحيفة (الأهالى) ومجلة (اليسار) وباقى مطبوعات حزب التجمع قبل ان تنتقل الى مكانها الحالى فى شارع كريم الدولة.

مكتبة الهيئة العامة للكتاب تواجه على تقاطع شارع شريف مكتبة دار المعارف، وبعدهما مكتبة الشعب تحرس ممرا قصيرا ينتهى بعمارة تضم البيت الفنى للمسرح ومجلة ابداع التى يتولى رئاسة تحريرها الشاعر الكبير أحمد عبدالمعطى حجازى.

بنك القاهرة يتوسط بالشارع العديد من المحلات التجارية ومنها تورست شوب وشادى ولاكى توز، وجميعها تمهد لظهور واجهة كافيتريا الكاب دور التى تعتبر المكان المفضل للعديد من شباب الفنانين والمثقفين والصحفيين ومن ابرز روادها القدامى الفنان الراحل «رشدى أباظة» وقال أحد العاملين القدامى بها إنه كان كثيرًا ما لا يجد ثمن مشروباته ويضطر الى تحرير شيكات وهمية لصاحب الكافيتريا اليونانى.

محل حلاوة يحتل بالشارع الطابق الأرضى من عمارة ضخمة تتوج تقاطع شارع عماد الدين، وتواجه مبنى لا يقل ضخامة يملكه المصرف العربى الذين ينافس بالشارع بنك مصر والبنك العربى الافريقى.

جروبى يعتبر من أقدم وأعرق المحلات فى الشارع بل وفى القاهرة بشكل عام، فقد تم تأسيسه عام ١٩٠٩، وهو يمتاز بأناقة عمارته ويشتمل على مطعم كبير وصالة لتناول المشروبات، وكان قديما يحتوى على حديقة كبيرة ارتادها العديد من ألمع السياسيين والمثقفين والمفكرين فى بداية القرن العشرين منهم الزعيم سعد زغلول وأقطاب حزب الوفد المصرى، وداخلها انعقدت الجلسات والندوات التى مهدت وصاحبت ثورة ١٩١٩.

البنك الوطنى المصرى بعمارته الزجاجية المتطاولة يمهد لنهاية الشارع التى سرعان ما تصنعها باقتدار عمارة انيقة تغازل بجمال فتياتها تمثال إبراهيم باشا الذى يستعد للقفز فى قلب ميدان العتبة.

* * *



شارع منصور

يبدأ شارع منصور باربع نخلات قصيرة تتوسطها شجرة جميلة، لتكون معاً ما يشبه حديقة صغيرة رغم الاهتزازات، حيث تقع مباشرة فوق فوّهة مترو الانفاق فى مستهل رحلة تحت أرض القاهرة تبدأ من الشارع. .الحديقة رغم ضيقها الواضح وارتباكها أمام ازدحام تقاطع شارع المبتديان إلا أنها تحفظ لشارع منصور جزءاً ولو ضئيلاً من تاريخه الملكى العامر بالحدائق النادرة والقصور والجولات المبهجة التى كانت تقوم بها أميرات مصر وحسناواتها فوق أرضه.

شارع منصور يوازى شارع قصر العينى، وهو شريان حيوى يربط ميدان التحرير باحياء المنيرة والسيدة زينب وفم الخليج وأطلال مدينة الفسطاط، وعلاقته بالمترو الذى يتجول فى أعماق أرضه الآن علاقة قديمة، بدأت فى بواكير ظهور القطارات فى مصر، والى فترة قريبة كان المترو او القطار يتحرك فوق ارضه بحرية مطلقة متجها إلى حلوان على حافة القاهرة، وفى تلك الفترة كان الشارع يعرف باسم (سكة حديد حلوان).

قبل المترو فوق الارض او تحتها، كان شارع منصور يتميز بهدوء مخملى، فقد كان جزءاً من المنطقة المفضلة لسكن الامراء ورجال الحكم بسبب متخامتها لقصور جاردن سيتى والقصر العالى، لذلك اختارها الخديو اسماعيل سكناً لبناته الثلاث، وبنى لهن فيها ثلاثة قصور، الأول لابنته «فائقة» التى تزوجها مصطفى باشا بن اسماعيل باشا المفتش، ومحله الآن وزارة التربية والتعليم التى تقع على بعد خطوات من أرض الشارع، والثانى منحه لابنته جميلة التى تزوجها محرم باشا ابن كنج شاهين باشا، واثناء الحرب العالمية الاولى انتقلت اليه

المدرسة السعيدية الثانوية لأن مبناها الاصلى بالجيزة حولته الحكومة البريطانية الى مستشفى للجنود الانجليز، وبموقعه الآن وزارتا الاسكان والتموين ـ أما القصر الثالث فقد خصصه لابنته توحيدة وبردهاته الفخمة اصبح منطقيا أن يؤول الشارع على مستوى التاريخ والاسم الى الخديو اسماعيل واسرته، فمنصور الذى أطلق اسمه على الشارع فى بدايته وقبل أن يتحول الى (سكة حديد حلوان)، وعاد إليه مرة اخرى بعد ان اختفى المترو تحت الارض، هو نفسه منصور باشا الذى تزوج توحيدة ابنة الخديو اسماعيل فى القصر الذى يقع عند التقاء شارع منصور بشارع الفلكى، ومحله الآن وزارة الانتاج الحربى.

بعد أن يتجاوز شارع منصور تقاطع المبتديان تطل على واجهته لافتة محل (القاضى الخطاط) الذى يعرض بضاعته ولوحاته فى عرض الشارع، وهى بضاعة موسمية، ومرتبطة بالتقلبات السياسية، حيث أنها تبلغ ذروة رواجها أثناء الانتخابات البرلمانية، اما أبرز زبائنها الدائمين فهم أصحاب المحلات الجديدة.

بجوار خطاط القاضى الذى يبدو سعيدا فى الشارع بسبب انتخابات المجالس المحلية ـ محل (عالم الألبان) الذى يتنافس مع جاره (ألبان الفردوس) فى حراسة ومراقبة قسم شرطة المنيرة، وفى حضور محل الدواجن وايضاً دار الفاروق للنشر والتوزيع التى تقع على الناحية الأخرى من الشارع.

مدرسة بيبى جاردن للغات تحاول بقدر الامكان والمبالغة فى الألوان إثبات خصوصية مبناها فى الشارع، ولكنها تبدو متواضعة جداً بسبب قربها من مبنى الخزانة العامة الذى انشىء عام ١٩٥٢ ويشكل مع ضريح سعد زغلول ووزارة الانتاج الحربى رؤوس مثلث بزاوية منفرجة، ،مجمل مساحته من ارض الشارع، وتتوسطه تقريباً محطة سعد زغلول اولى المحطات التى تقع تحت الارض من ناحية حلوان فى مترو الأنفاق وهى منطقة من أكثر مناطق القاهرة ازدحاماً بالناس ووسائل المواصلات خصوصاً بعد انتهاء ساعات العمل الحكومى مباشرة، لانها مركز او نقطة اقلاع لعدد هائل من موظفى العديد من الوزارات والهيئات التى تقع فى المساحة الفاصلة بين شارعى منصور وقصر العينى ومنها وزارات التعليم والانتاج الحربى والاسكان والهيئة العامة لقصور الثقافة.

وابرز معالم هذا المثلث وربما شارع منصور كله خصوصاً على المستوى السياسى والشعبى هو ضريح سعد زغلول الذى اقيم فى هذه المنطقة باكتتاب شعبى شهير، وروعى فى مبناه ان يكون على الطراز الفرعونى ليكون لكل المصريين، كما كانت ثورة ١٩١٩ نموذجاً تاريخيا وربما نادراً لاتحاد كافة طوائف الشعب المصرى، وهو مقام على مساحة تقدر بـ (٥٢٥) متراً، ومحاط باعمدة ضخمة من الجرانيت تشبه الى حد كبير أعمدة المقابر والمعابد المصرية القديمة، كما ان سقفه مصنوع من الجرانيت الفاخر.

وكما أن سعد زغلول أثار حنق الملك والانجليز فى حياته، فإن ضريحه أثناء إنشائه أثار رعبهما، فقد توقعوا ان يتحول بالاضافة الى تمثالى سعد زغلول إلى مصدر لإشعال الشعور الوطنى والحركة القومية، فضلاً عن أن الملك نفسه أعلن غيرته من هذا الضريح، فقد راجت الشائعات فى ذلك الوقت عن أن السراى الملكية اعلنت رفضها لضريح سعد زغلول وتمثاليه متحججة بأنه ليس لكل من محمد على الكبير مؤسس الأسرة الملكية، وابراهيم باشا غير تمثال واحد، كما أن الخديو إسماعيل ليس له تمثال اصلاً، فكيف يكون لسعد تمثالان وضريح بهذه الفخامة؟!!.

مصلحة الضرائب العقارية تقع فى مواجهة ضريح سعد فى مبنى على الطراز الإنجليزى يناسب وظيفتها تمامًا، وبالقرب منها المبنى القديم لمجلة الاذاعة والتليفزيون، وكان قبلها مملوكاً لمؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، ونهايته تشكل ناصية لشارع حسين حجازى.

وهو شارع قصير يربط بين (منصور) و (قصر العينى) واسمه يرجع إلى لاعب كرة القدم الشهير حسين حجازى الذى سافر لانجلترا قبل الحرب العالمية الاولى، وبلغت مهارته أن اختارته انجلترا ضمن فريقها القومى فى مباراة ضد أسبانيا، ورأس اول فريق مصرى فى دورة الألعاب الاوليمبية عام ١٩٢٤ فى باريس ثم عام ١٩٣٠ فى مدينة انفرس البلجيكية، ولعب فى أندية السكة الحديد والأهلى والمختلط (أى الزمالك) واعتزل عام ١٩٣١.

وقبله كان الشارع يحمل اسم محمد باشا سعيد وهو أحد ابرز الساسة المصريين فى بواكير القرن العشرين، فقد عُين وزيراً للداخلية عام ١٩٠٨ فى وزارة بطرس غالى باشا وعندما اغتيل غالى عام ١٩١٠ ترأس الوزارة حتى عام ١٩١٢ وكان ضمن وزراء سعد زغلول، وفى عام ١٩١٩ ألف ما يعرف بوزارة السبعة التى كادت ترديه قتيلاً فقد القيت عليه قنبلة فى محطة جناكليس بالاسكندرية، وكان ذلك ذروة رفض الشعب لهذه الوزارة التى قبلها محمد سعيد فى ظروف حساسة وربما مخجلة وبعد عدة استقالات ترجع الى عدم تصريح الإنجليز للوفد المصرى بالسفر إلى باريس لتقديم مطالب مصر فى مؤتمر الصلح. ثم اشترك محمد سعيد فى وزارة سعد زغلول الاولى عام ١٩٢٤، وتوفى عام ١٩٢٨ .

تلى ناصية شارع حسين حجازى فى شارع منصور ناصية شارع سعد زغلول وفيه بيته الذى كان يقيم فيه وعرف بعد ثورة ١٩١٩ ببيت الأمة حيث كانت تفد إليه الجموع وتنبعث منه صيحات التحرر المطالبة بحقوق البلاد، وبعد وفاة سعد زغلول اشترته الحكومة مع بيت آخر كان يملكه فى بلدته بمبلغ (١٨) ألف جنيه، شاملة ما بهما من منقولات، وهو مبلغ ضئيل حتى بالنسبة لأسعار ذلك الوقت، وربما يرجع ذلك الى انها منحته لزوجته السيدة صفية زغلول حتى وفاتها.

أما الناحية الاخرى من شارع منصور أمام الناصيتين، وحتى تقاطع شارع مجلس الشعب فيحتلها جدار احد القصور الثلاثة لاسماعيل باشا المفتش الذى كان - فى عهد اسماعيل - وزيراً للمالية ومفتشاً لعموم الاقاليم، مما مكنه من جمع ثروة طائلة ظهرت ضخامتها بعدما غضب عليه والد زوجته الخديو اسماعيل، وقبض عليه فى ١٤ نوفمبر ١٨٧٦ وارسله منفياً إلى دنقلة بالسودان، فقد ترك اسماعيل المفتش ثروة ربما بالغ الناس فى تقديرها بعدما انقلب عليه الخديو إسماعيل , فقد قيل إنه ترك ثلاثين ألف فدان من اجود الاراضى، ومجوهرات قُدرت بأكثر من ٦٥٠٠٠ جنيه، وأسهماً واوراقاً مالية بأكثر من نصف مليون جنيه وكان يعيش فى ترف وصل الى أن مروحة إحدى زوجاته بلغ ثمنها (١٥) الف جنيه (بما يقارب ثمن منزلى سعد زغلول)، اما مظلتها فتجاوزت



(٢٤) الف جنيـه.. وكل ذلك وقت ان كـانت الدولة المصـرية واقـعـة فى إفـلاس كامل!!

وفضلاً عن ذلك فإن اسماعيل باشا المفتش كان له من الزوجات الشـرعيات والسرارى ستاً وثلاثون، وكل واحدة منهن يخدمها عدد كبير من الخدم والجوارى لدرجـة أن عـدد جـواريه كـان (٧٠٠) جـارية. كمـا كـان يملك عـدداً مـن القـصـور، أهمها هذا القصـر، الذى حلت فيه بعده رئاسـة الوزراء ثم وزارة المالية، ثم وزارة الخزانة، ورغم انه الان خاضع باشراف وزارة الثقافة لإعمال ترميم كامل، الا أن واجهته توحى بالاجواء الاسطورية لقصور الف ليلة وليلة.

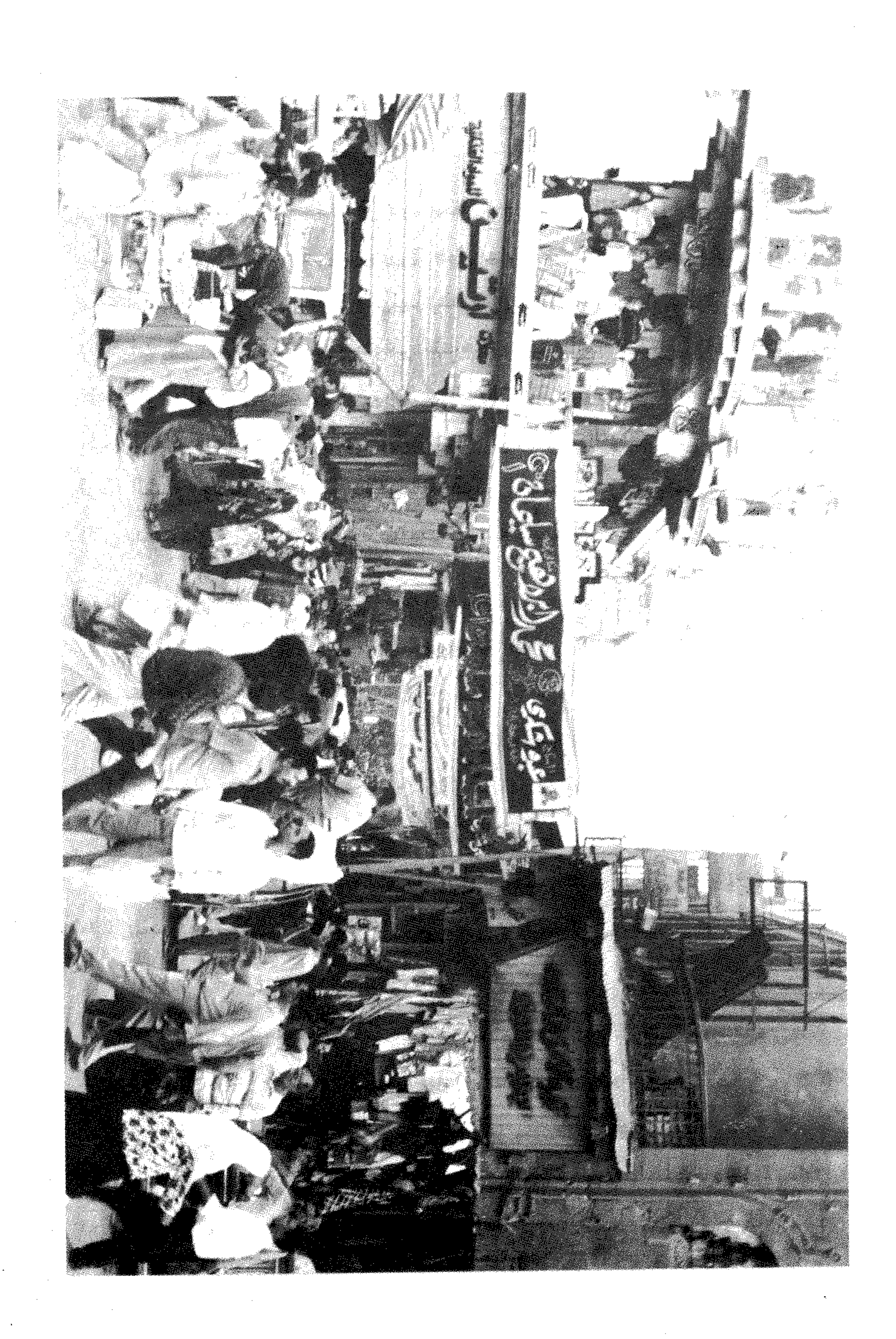
وبالقـرب من هذه المنطقـة من الشـارع، كـان هناك مـقـهى له شـأن كبيـر، هو مـقـهى (أبو شنب) الذى كـان المكان المخـصص للقـاء مندوبى الصـحف العـربيـة والأجنبية ايام الملكية، وكانوا يجتمعون فيه بسبب قربه من مـجلس الوزراء الذى كان مقره فى قصـر اسماعيل باشا المفتش، ومن الطـريف ان رواد هذا المقهى من الصحـفـيين كانوا يشـتـرون الاوراق المهملة فـى سـلال المسؤولين او الموظفين فى رئاسة الوزراء كل حسب طاقته، وكان سعر السلال يتحدد حسب منصب ونفوذ صـاحبهـا، ولان اوراق السـلال عـادة مـا تكون ممزقـة فإنهم كانوا يـجـمـعـونهـا الى بعضها، ثم يلصقونها على ورقـة بيضاء كبيرة بالنشا الذى كان يبيعه بالقرب من شـارع منصـور مـحل لصنع الطرابيش، وعندمـا يكتـمل لصق الاوراق يقـرأهـا الصـحفى ويسـتنتج منهـا الاخـبـار فى جـريدته.. وهكذا كـانت تصنع اخبـار تلك الأيام.

فى مواجهة قصـر المفتش فى شارع منصور عمود حجرى يبدو انه آخر مـا تبـقى من قصر قديم، وبعده مصلحة تحقيق الادلة الجنائية التى تواجه بدورها أطلال قصر قديم لم ينجح الساتر المصنوع من شرائح البلاستيك فى اخفاء قدر الاهمـال بل والدمـار الذى يتعرض له، وبالقـرب منه قصـر آخر مبنى على طراز عصر النهضـة الاوروبى ويعانى اسفله من طلاء لا يناسب عـراقته وهو يقع على ناصية شارع الشيخ ريحان التى تفتح على مكتبة الجامعة الاميركية للكتب النادرة

والمجموعات الخاصة وبالقرب منها ضرائب عابدين ومحل الجرائد الذى يقع على ناصية شارع محمد محمود.

شارع منصور فى مجمله خال من المساكن والمحلات التجارية، فمعظم منشآته مؤسسات رسمية، ومنطقى جداً ان تتحول نهايته من ناحية ميدان باب اللوق الى ساحة لتناول الطعام من أبرز معالمها (فسخانى الحرمين) و (سندوتش ابو على) و (كباب حمادة) و (كشرى وحلوانى اشرف) وغيرها من مختلف المأكولات التى تغذى رواد الشارع للوصول الى ذروة نهايته التى تقع بين اجزاخانة الفلكى ومحل انيق للزهور ربما يكون الغرض من بضاعته اليانعة هو الترحم على التاريخ المديد لهذا الشارع وساكنيه، وقبل ذلك صنع قوس اخضر ومزهر يكمل دائرة الشارع التى بدأت باربع نخلات صغيرة صنعت حديقة يانعة!!

* * *



شارع الجيش

افتتح شارع الجيش بالقاهرة فى شكله وامتداده الحالى فى أوائل ثلاثينيات القرن الماضى وفى تلك الفترة الملكية من تاريخه اطلق عليه اسم الأمير فاروق تقديرا أو رهبة من مستقبله السياسى المرموق كمرشح لاعتلاء عرش مصر وهذا ماتم فعلاً فقد اصبح فاروق ملكا لمصر غير ان ذلك لم يوطد هيبته ويمكنه من شرف الاحتفاظ بالشارع للأبد فبمجرد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ سارع قادتها الى الإطاحة باسم فاروق من فوق عرش الشارع ونصبوا بدلا عنه اسم الجيش الذى خلعه والذى مازال يحتل الشارع إلى الآن.

قبل الافتتاح الملكى كان الشارع عبارة عن زقاق ضيق وعشوائى يعرف باسم (حارة العسيلى) ويرجع فضل تخطيطه على هيئته الراهنة الى عثمان باشا محرم وزير الاشغال فى حكومة حزب الوفد الذى بدأ العمل فيه عام ١٩٢٦ وانتهى منه عام ١٩٣٠ بهدف مرورى هو تسهيل سبل الاتصال بين حى العباسية وقلب القاهرة - وفى سبيل الحفاظ على استقامته الحالية التى سمحت بتحقيق هذا الهدف بالشكل الأمثل اكتسح عثمان باشا محرم أجزاءً كبيرة من المبانى والدكاكين التى كانت تتصارع فوق أرضه - ويبدو ان ذلك جر عليه انتقادات شديدة يدلل عليها أن شق هذا الشارع تزامن مع اعتماد اول تشريع قانونى ينظم كيفية البناء فى شوارع القاهرة من حيث تحديد الطرز والارتفاعات وغير ذلك وعلى ضوء هذا القانون اقامت وزارة الاوقاف فى ذلك الوقت بعض عماراتها على مدخل الشارع.

ورغم دقة تنظيم هذا الشارع وحماس عثمان باشا محرم فى تنفيذه إلا أن تخطيط الشارع منذ افتتاحه وإلى الآن مازال يحظى بانتقادات المعماريين والمؤرخين، لأن الكثير من عماراته ومنشآته قامت على قطع صغيرة من الاراضى هى التى بقيت من تنظيمه الاساسى دون ضم اجزاء اخرى اليها حتى يمكن الوصول الى مسقط افقى ملائم، فضلاً عن أن الكثير من هذه القطع مثلثة الشكل تمامًا، لذلك فمنظر مبانيها يبدو غير مألوف للأعين، وكان العلاج الملائم لهذا القصور ـ حسب رأى المعمارين- هو قيام حكومة الوفد بنزع ملكية شريط من الأرض بعرض ٣٠ مترا على جانبى الشارع، ثم إعادة بيعه مرة اخرى بأثمان مرتفعة وبالقيود والشروط الملائمة، لتفادى تلك المناظر المشوهة لجمال الشارع والمنافية للروح التى شق من أجلها، وفى نفس الوقت كان يمكن تعويض جزء عظيم من مصاريف نزع الملكية لارض الشارع الاساسية.

يبدأ شارع الجيش من ميدان العتبة، وهو فى هذا الجزء يبدو متأثرًا تمامًا بنشاط العتبة التجارى خصوصًا فى الملابس، فهو ساحة ضيقة تتنافس فوقها محلات (البيت المعمور) و(المدينة للملابس) و(عجيبة للملابس الجاهزة) و(شركة الاتحاد) التى تغرى زبائنها بأغانٍ حماسية تندد بجرائم «آرييل شارون» رئيس الوزراء الإسرائيلى.

غير أن أهم مظاهر بداية الشارع ناصية عمارة عريقة تتوّجها قبة فى منتهى الدقة والجمال فوقها أربعة تماثيل تحمل شيئا على شاكلة الكرة الارضية، وفى مواجهتها محل زجاجى من دور واحد يبيع البراويز الخشبية والتحف ومختلف انواع الورود البلاستيكية، هذه العمارة مملوكة لشركة اورينت وشموخها فى الشارع يظهر مدى الاهمال الذى يعانى منه المبنى المملوك لشركة جوفيال والذى يقع بجانبها مباشرة.

بعد الملابس يفتح الشارع ذراعيه لتنافس محلات الكيماويات وورق الكرتون، على ايقاعات خافتة ولكنها ظاهرة تعزفها بعض المحلات الانيقة المتخصصة فى النجف والتحف والمشغولات الخزفية بكافة أنواعها وكذلك حلوانى «تسيباس» الشهير، وبعض محلات بيع الأدوات الكهربائية التى تتوسطها الشركة المصرية

للمعدات الكهربائية، وفى هذا الجزء من الشارع تطل واجهة محل احذية صلاح الخولى فى مبنى شديد التصدع.

فى وسط الشارع تقريبا يقع ميدان باب الشعرية الذى يرجع اسمه الى طائفة من البربر كانت تسكن المنطقة ويقال لها (بنو الشعرية)، وقديما كانت المياه المتدفقة للخليج المصرى تشق هذا الميدان محملة بمختلف أنواع السفن التى تنقل البضائع من مصر الى الحجاز عبر البحر الأحمر، وفوق هذا الميدان بالضبط بنى الفاطميون قنطرة كانت تنقل الناس من الشرق الى الغرب فوق مياه الخليج، وكانت مرتفعة تسمح بمرور المراكب والسفن من تحتها، كما بنى الفاطميون على مشارف المنطقة التى يحتلها ميدان باب الشعرية فى وسط شارع الجيش منظرة قصر اللؤلؤة، وهى من أشهر مناظرهم، ومن أجمل قصورهم وأكثرها إبداعًا وزخرفة وجواهر، كما كان أحد اشهر متنزهات الكرة الارضية فى زمانه، وقد سكنه الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى، ثم سكنه الوزير برجوان عام ٣٩٠هـ، ثم هدمه الحاكم بأمر الله ونهب انقاضه، وتكفيراً عن ذلك قام ابنه الظاهر لإعزاز الله باعتقال هادميه وبناه مرة اخرى وخصصة لنزهة الخلفاء والأمراء الفاطميين الذين كانوا يصلون اليه من خلال سرداب يبدأ من قصرهم الشرقى الكبير، وفى أيام الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى زاد الخوف من النزارية الذين كانوا يرون ان نزار ابن المستنصر أحق بالخلافة من اخيه الخليفة المستعلى بالله، فاضطر الافضل الى سد هذا السرداب الملكى.

بعد ذلك أهمل قصر اللؤلؤة وبنى عامة الناس مساكنهم إلى جواره بالقرب من المنطقة التى يحتلها الميدان الآن، لكنه سرعان ما عاد الى رونقه أيام الخليفة الأمر باحكام الله ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين.

وكما أن صلاح الدين الايوبى هو الذى وضع كلمة النهاية فى تاريخ الدولة الفاطمية، فانه هو نفسه الذى نزع هيبة ومجد الملك عن قصر اللؤلؤة، بل وحوله الى مجرد سجن كبير لآخر الخلفاء الفاطميين وهو العاضد لدين الله ورغم أنه فى تلك الفترة كان منطقيًا أن يهمل القصر تمهيدًا لزواله من الوجود، لكن الغريب أن بساتينه الشاسعة واليانعة تحولت إلى أول موطن لزراعة الحشيش فى مصر.

ففى تلك الفترة كان نبات الحشيش حديث الظهور فى الشرق والعالم، ويرجع اكتشافه الى شيخ صوفى يدعى حيدر وينتمى إلى بلدة (تستر) بخراسان، وكان قد اتخذ لنفسه زاوية فى جبل وبصحبته جماعة من الفقراء، وفيها انقطع عن الناس عشر سنين لا يدخل عليه الا الانسان المكلف بخدمته.. وفى ذات يوم شديد الحرارة خرج الى الصحراء منفردا، وبعد فترة عاد - رغم حرارة الجو - متهلل الوجه منشرحا، وتبسط مع اتباعه ومريديه فى الكلام بعد صمت دام عشر سنوات، فسألوه فأخبرهم أنه وجد نباتًا قطف منه أوراقا وأكلها فحدث له ارتياح وانتعاش، وبعد ذلك أرشدهم الى موضع النبات، فعرفوا انه نبات القُنَّب، فأمرهم باستعماله واوصاهم بألا يطلعوا عليه أحدًا من عامة الناس، وأن يخفوه عن ذويهم، ومن يومها أخذ أتباعه يستعملونه حتى مات عام ٦١٨هـ بعد أن أوصاهم بان يزرعوا منه فوق ضريحه - وشاع أمر هذا النبات المخدر فى خراسان وباقى بلاد فارس وعرف باسم «حشيشة الفقراء» نسبة للجماعة الصوفية، ثم انتقل إلى العراق فى أيام المستنصر العباسى عام ٦٢٨هـ، ثم داهم الشام، ومنها انتقل الى حدائق قصر اللؤلوة الذى كان يقع على مشارف ميدان باب الشعرية فى وسط شارع الجيش.

كل ذلك كان قبل أن يكتشف علماء الدين رجال السياسةو القضاء أن نبات الحشيش يشكل خطورة على الإنسان ، ويبدأوا فى شن الحرب عليه وحض الناس على الامتناع عن تناوله، وان كان ذلك جاء بعد فترة كبيرة جعلت عقوبة زراعة الحشيش حتى عام ١٩٢٨ مجرد اقتلاع نباتاته وغرامة عشرة جنيهات للفدان المزروع فيه!!

بعد ميدان باب الشعرية يبدو شارع الجيش فقيرًا ومحبطًا بالنسبة لراغبى التجول بين المحلات التجارية، فهو يبدأ بجدار كالح ربما يكون آخر ما تبقى من سور قصر اللؤلؤة، وبجواره أربعة محلات مغلقة بشكل دائم، وفى مواجهتها على الناصية الاخرى من الشارع مبنى متهالك حفر داخله بشكل متعسف وعشوائى مقهى يتحسر ليس فقط على جدرانه المتآكلة، ولكن أيضا على ندرة الزبائن.

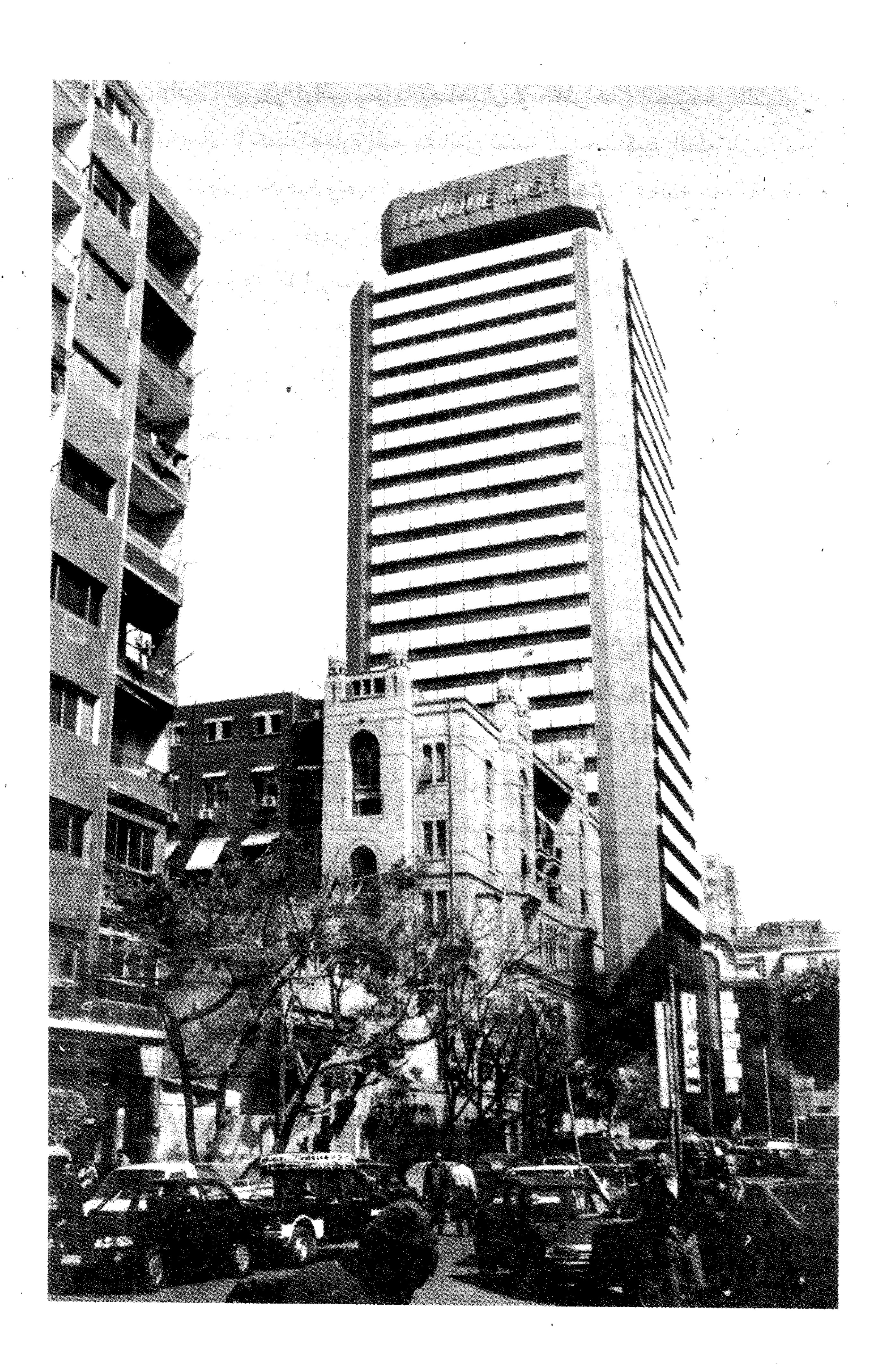
كشرى وادى النيل وحلوانى سوريا يجاهدان لإنعاش هذا الجزء من الشارع، غير ان ما يحبطهما تلك العمارة النحيلة التى تشبه الى حد كبير القلم الرصاص ومساحتها لا تتجاوز حجرة وحيدة وضيقة، وتحتها مباشرة ماسح احذية نظرًا لغياب الزبائن لا يكف عن ترديد أغنية شعبية يقول مطلعها (أنا اللى كلى جروح/ ومن الزمان مجروح/ انا الزمان هدنى/ ولا حد بيودنى/ ولما اقول آآه/ الناس تقول الله).

على أنغام ماسح الأحذية المطرب تطل فى الشارع عمارة رغم أناقتها القديمة إلا أن واجهتها تحولت مع الإهمال الى شىء يعانى القبح الذى يخففه قليلاً مقام الشيخ محمد البهلول العصيانى الذى يقع فى مواجهتها مباشرة ويبدو ممتعضا من د. ممدوح محمد محفوظ الذى استغل واجهته للاعلان ـ فى عرض شارع الجيش ـ أنه اخصائى جراحة على أعلى مستوى.

بعد المقام يحاول الشارع استعادة أناقته من خلال واجهة عمارة فريدة تتميز بأسلوب العمارة الاوروبية وتحتها مقهى ارستقراطى يبدو ان صاحبه تكاسل عن تسميته، وعمارة ازيلت بعض طوابقها حتى لا تنهار، وشركة الدهان للتجارة والتوزيع التى تذكر بالمنطقة الكيماوية فى أول الشارع، ومدرسة خليل اغا الثانوية التى تقع داخل مبنى شديد الصلابة والأناقة يعود الى العصر الذهبى لاسرة محمد على، وسينما فريد شوقى التى تنافسها على الناحية المقابلة من الشارع سينما مصر.

بالتحديد فى ميدان الجيش نصل إلى نهاية الرحلة مع الشارع، وهو مكون من عدد من العمارات القديمة ونافورة معطلة لسبب غامض، وحولها بعض عمال اليومية الذين يفترشون أرض الشارع فى انتظار من يمكنهم من عمل، وينظرون بحسرة الى إدارة مشروعات الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة التى تقع بجوارهم مباشرة، وكذلك إلى محل مجوهرات تؤذى معروضاته عيونهم المتعبة إصلاً.

* * *



شارع رشدى

ليت حسناوات شارع رشدى يعرفن سر الارض التى يتجولن عليها، فبالتأكيد سيتواضعن كثيرا، وسترتبك خطواتهن قبل ان يغبن فى تفكير طويل وعميق حول عبرة التاريخ ورحابة الشوارع، فكعوبهن الرشيقة وأزياؤهن الأنيقة وعطورهن الفواحة تختال بثقة على نفس الطريق الذى كان مرتعا للحمير على مدى سنوات طويلة، فشارع رشدى (الساحة سابقا) من ابرز شوارع القاهرة التى تؤكد ان الشوارع جديرة بتجاور التواريخ والعهود والبشر على اختلاف ألوانهم وتعانق الإنسان والحيوان.. حسناء فاتنة تتجول فى مكان كان مربطا للحمير.. هذا بالضبط ملخص تاريخ الشارع.. الذى يزينه الآن عدد من المحلات الانيقة تتألق فى عيون رواده على ايقاع سيل من السيارات المسرعة، أما ماضيه فقد كان سوقًا لمختلف أنواع الحمير.

شارع رشدى أحد الشرايين التى تربط بين اثنين من أهم ميادين القاهرة، هما العتبة والتحرير، والمنطقة التى يحتل جانبًا منها الآن لم تكن حكرًا فقط على سوق الحمير التى كانت تعقد يوميًا بعد صلاة العصر، بل كانت أيضا مرتعًا لمختلف أنواع الجمال، فقد كانت بها رحبة التبن التى كانت تستقبل قوافل «الجمال» المحملة بالتبن الذى كان من أهم بضائع القاهرة فى هذه الفترة، ومن هذه الرحبة كان يباع للزبائن الذين كانوا يأتون من مختلف أنحاء مصر والشرق.

رحبة التبن مازالت روحها ترفرف بالشارع حتى الآن، فاسمها يتصدر أحد الشوارع القريبة منه، وقبل الحمير كانت المنطقة التى يتوسطها الشارع جزء من

بستان ابن ثعلب، وهو فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الشريف الجعفرى احد أمراء مصر فى عهد الملك العادل الأيوبى شقيق صلاح الدين، وآل هذا البستان بعده لابنه الذى يبدو انه لم يكن شغوفًا بوجاهة امتلاك بستان فى قلب القاهرة، فباعه للملك الصالح نجم الدين أيوب الذى اهتم به وجعله منتزها للأمراء وأنشأ فى جزء منه الميدان الذى عرف باسمه.

وبفضل جهود الصالح نجم الدين وولعه بالحدائق والبساتين والقصور أصبحت المنطقة بما فيها أرض الشارع افخم مناطق القاهرة، غير انها لم تستمتع بتلك المكانة طويلا، فقد داهمها الملك المعز عز الدين التركمانى- فى أول عهد الدولة المملوكية- وأمر باطلاق يد الدمار والخراب فى دورها وحوانيتها وحدائقها وكذلك الميدان الصالحى، كما أمر بألا يترك بها باب مفتوح، كل ذلك لان منجميه دسوا له ان امرأة ستكون سببا فى قتله وسط تلك المنطقة، والغريب ان هذا ما تم فعلا، فقد قُتل عز الدين التركمانى باوامر امرأة هى شجرة الدر ولكن فى مكان بعيد عن المنطقة والشارع.

عند دخول الفرنسيين مصر فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى كان جزء كبير من المنطقة التى يتوسطها شارع رشدى الآن غارقًا تحت بركة ماء كان تعرف ببركة الفوّالة، وقد ظهرت بجلاء فى خرائط الحملة الفرنسية، وتم تخليدها فى الشارع والمنطقة باطلاق اسمها على شارع صغير يربط الآن شارعى قصر النيل ورشدى، ويلتقى بشارع رحبة التبن، ويبدو ان سبب تسميتها (بركة الفوالة) يرجع الى تجارة الفول التى كانت رائجة فى المنطقة بالطبع بسبب وجود رحبة التبن وساحة الحمير.

الشارع ظل سنوات طويلة - تخليدًا لذكرى سكانه القدامى من الحمير- يُعرف بشارع الساحة، أى ساحة الحمير، وهو اسم شعبى فرضه نشاط الشارع القديم على محليات القاهرة فى ذلك الوقت، ولكن فى بدايات القرن العشرين وبعد أن اصبحت المناطق المحيطة بالشارع فى الأزبكية وعابدين أبهى مناطق القاهرة وداخلها مقر حكم مصر، اصبح من المخجل استمرار هذا الاسم، فتم تغييره فوراً وأطلق على الشارع اسم حسين رشدى باشا، وبالفعل كان اسمًا سياسيًا يليق

بالتحول العمرانى والسياسى والفنى الذى كانت تحياه المنطقة، فقد كان رئيسا لوزراء مصر فى اخطر فترات تاريخها الحديث، وهى الفترة التى تفصل بين الحرب العالمية الأولى واندلاع ثورة ١٩١٩.

ولد حسين رشدى فى أسرة ارستقراطية كبيرة فوالده محمود حمدى كان من أثرياء القاهرة وشغل العديد من المناصب المهمة، منها محافظ القاهرة، ووكيل وزارة الداخلية، وبفضل ذلك تعلم حسين رشدى فى واحدة من اعرق جامعات باريس هى جامعة السوربون التى جصل فيها على شهادة الحقوق.

حسين رشدى عاد من باريس فى أول القرن العشرين وافتتح مكتبا للمحاماة نال شهرة كبيرة، ثم عمل مفتشاً، ثم قاضياً فى المحاكم المختلفة، ومن ساحات القضاء انتقل إلى عالم السياسة، فعُين وزيرا للمالية فى حكومة بطرس باشا غالى عام ١٩٠٨، ثم وزيرا للخارجية فى حكومة محمد سعيد باشا بجوار سعد زغلول الذى شغل فيها وزارة الحقانية عام ١٩١٠.

وبالتحديد يوم ٥ ابريل ١٩١٤ أصبح حسين رشدى رئيسًا للنظار - أى وزراء مصر - لأول مرة، وضمت حكومته عدداً من المع سياسى مصر فى هذه الفترة وهم عدلى يكن للخارجية و عبد الخالق ثروت للحقانية وإسماعيل صدقى للزراعة ويوسف وهبة للمالية.

ومع إعلان الحماية البريطانية على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ اعاد تشكيل هذه الحكومة أو النظارة، بعد ان تغير اسمها ليصبح (وزارة) وظل رئيسا لها طوال عهد السلطان حسين كامل وحتى تولية السلطان فؤاد عام ١٩١٧.

وفى نفس العام شكل حسين رشدى وزارته الثالثة التى ظلت حتى ثورة ١٩١٩ بقيادة الزعيم سعد زغلول، وبعد الثورة شكل وزارته الرابعة والاخيرة وضم لها اقوى الشخصيات السياسية فى ذلك الوقت، غير أنها فشلت فاضطر الى الاستقالة بعد أيام معدودة من تشكيلها.

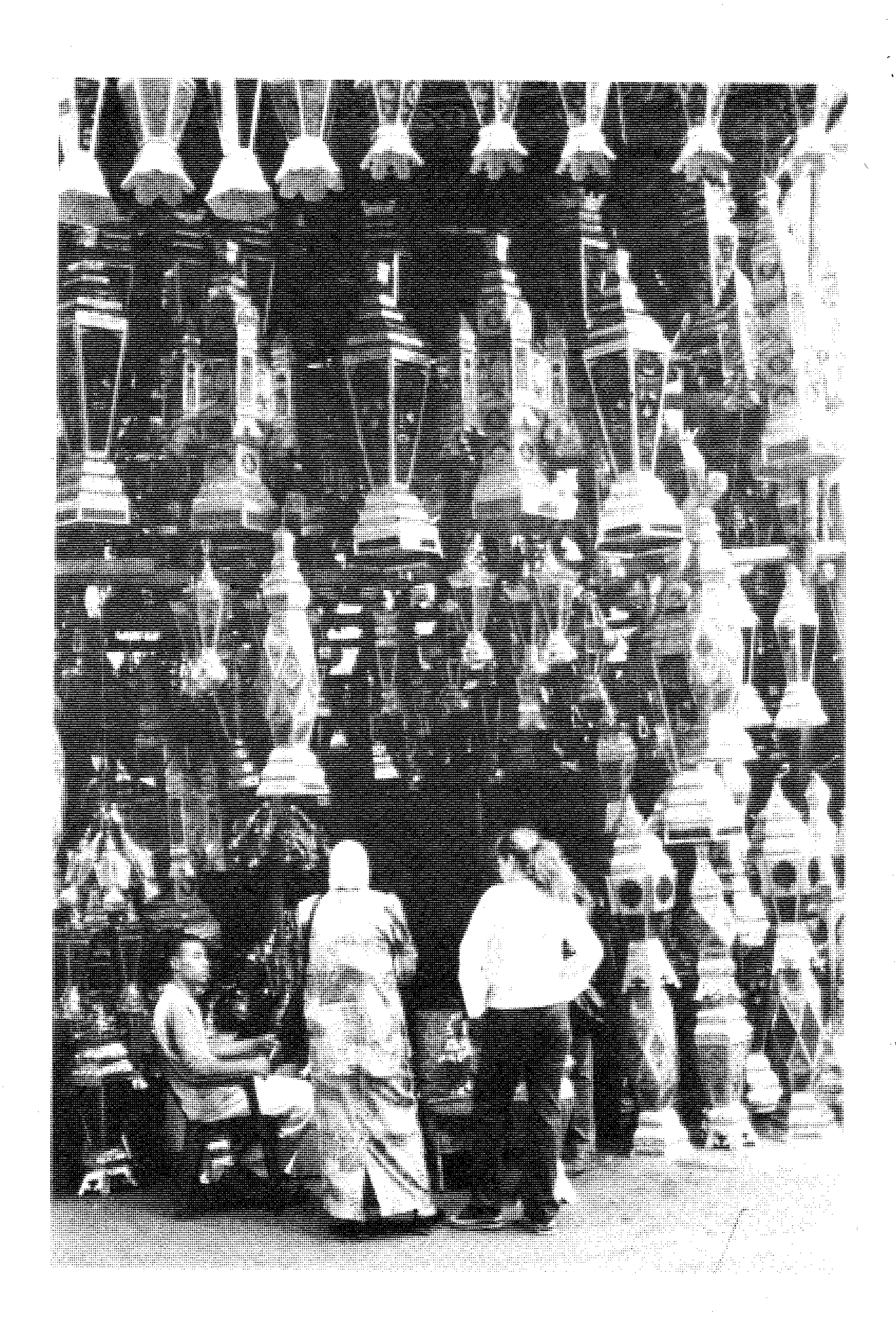
فى عام ١٩٢٢ عُين حسين رشدى رئيسا للجنة الدستور، ثم رئيسا لمجلس الشيوخ عام ١٩٢٦، الذى ظل به حتى توفى عام ١٩٢٨، لينهى رحلة حافلة بالعمل

السياسى سطر فيها العديد من المواقف الوطنية، لعل أبرزها أنه تقدم خلال وزارته الأولى بمذكرة للانجليز طلب فيها (إيجاد جنسية مستقلة للمصريين) أى طلب تحديد (هوية وجواز سفر للمصريين) إلا ان بريطانيا العظمى رفضت، كما طالب رشدى بالسفر إلى لندن لبحث المستقبل السياسى لمصر، وهذا أيضا تكسر على أعتاب الحكومة البريطانية التى رفضته بشدة، مثلما رفضت طلب سعد زغلول ورفاقه لتمهد لاندلاع لثورة ١٩١٩.

يبدأ شارع رشدى من تقاطع شارع عبدالعزيز بمبنى برتقالى ضخم هو أهم محلات عمر افندى بالقاهرة واسمه يرجع إلى تاجر تركى كان أول مالك لمحلات عمر أفندى، فلما قامت الحرب العالمية الأولى صفيت أملاك الأتراك فى مصر فاشترى هذا المحل تاجر فرنسى اسمه أورزدى ولكنه احتفظ باسمه الأصلى نظرا لشهرته التجارية، وبعد الثورة تم تأميمه، وبالقرب من عمر أفندى شركة موبيليات الأهرام، وجراج أنشىء حديثا مكان بيت قديم مازالت انقاضه تتفاخر بتاريخها الطويل أمام محل عبدالعزيز المصرى للصناعات الطبية.

صيدلية وصفى ومكتبة القرآن وصالح إبراهيم للموبيليات تواجه بالشارع أرضا فضاء مملوكة لورثة الحاج جمعة اسماعيل، وبعدها مباشرة على الناحية الاخرى تطل واجهة المركز التجارى العراقى الذى رغم اغلاقه منذ بداية تسعينات القرن الماضى مازال أبرز محلات المنطقة، ويحتل جانبا من الدور الارضى لعمارة ضخمة كانت تضم مقر حزب وصحيفة (الاحرار) قبل أن ينتقل الى مكانه الجديد فى كوبرى القبة إثر شجار قضائى طويل بين الحزب وشركة الأقطان المصرية التى مازالت تحتل طابقين فى العمارة.

بعد أن يمر الشارع من تقاطع شارع الجُمهورية الذى يواصل امتداده الى قصر عابدين- تتواجه على ناصيتيه محكمة عابدين باعمدتها الراسخة التى تحصن مبناها المهيب، وعمارة ضخمة عامرة بالمحلات التجارية بجوار الشركة الدولية للتوريدات الهندسية، وتسالى المنى، ومصطفى على للاضاءة الذى تأسس بالشارع عام ١٩٤٥.



بنك القاهرة يقع بالشارع على ناصية حارة الفوالة فى مواجهة حارة الكفاروة، وبالقرب منه شركة الشرقية للتجارة الدولية وشركة مصر إيطاليا للدراجات التى تبدأ النشاط التجارى الاساسى للشارع وهو بيع الدراجات وقطع غيار الموتوسيكلات.

الفهلوى لقطع غيار السيارات ومكتب صحيفة (الناس) للإعلانات القضائية يتواجهان فى الشارع بالقرب من حارة الشقاقين وجامع الساحة الإسلامية الذى اسسه محمود على محمد حسن، وهو نفسه مالك شركة الادوات الصحية التى تقع تحت الجامع مباشرة على ناصية شارع السيد محمد طاهر وفى مواجهة مبنى قديم وقصير به مكتبة السلام وأبو الجوخ للدراجات وتلك المنطقة من الشارع مزدحمة بالدراجات مما يذكر بتاريخ الشارع القديم، حين كان سوقًا لواحدة من أوائل وسائل المواصلات فى التاريخ.

وسط محلات الدراجات بالشارع هناك أرض فضاء داخلها سيارة متهالكة وعلى واجهتها لافتة ضخمة تعلن ان صاحبها يهدد من يقترب منها بالقضاء، وبالقرب منها اجزخانة مصر الجديدة ومحل كمال الخياط فى عمارة ضخمة تقع على ناصية شارع محمد فريد، وبالقرب منها فرنسيسكان الاراضى المقدسة وكنيسة سان جوزيف التى تعد أكبر كنائس مصر والشرق الأوسط.

أمام محطة الوقود بالشارع عمارة ضخمة ومزدحمة بالمحلات اقيمت حديثا على انقاض بيت قديم اتخذته السيدة (روزاليوسف) التى كانت تلقب بسارة برنار الشرق، بعد ان اعتزلت التمثيل وفيه اصدرت مجلة (روزاليوسف) التى تحمل اسمها، وبسبب ذلك لقيت فى بدايتها سخرية لاذعة بل واستخفافا من كبار الكتاب فى ذلك الوقت ومنهم إبراهيم عبدالقادر المازنى الذى وصف المجلة واسمها بانهما (مجرد نزوة طارئة) فردت عليه روزاليوسف بشجاعة قائلة (الأستاذ لا يريد إلا أن يسميها نزوة، ولتكن كذلك. اعتقد ان كل عمل مجيد يكون فى أوله نزوة طارئة ثم يتحول الى فكرة فإذا رسخت اصبحت يقينًا فجنونًا).

وبالفعل كان لها ما ارادت فبعد ست سنوات من مواصلة الصحافة فى شارع رشدى أصدرت من نفس المكان صحيفة يومية حملت اسمها أيضا عام ١٩٣٥ وترأس تحريرها د. محمود عزمى وكان من أبرز كتابها عباس محمود العقاد ورياض شميس وكامل الشناوى، غير أن هذه الصحيفة سرعان ما توقفت ليس لأنها كانت نزوة كما قال المازنى، ولكن لأن المعلم حسن الفهلوى موزع الصحف الشهير فى ذلك الوقت كان يتسلم النسخ المطبوعة من صحيفة (روزاليوسف) ويلقيها كما هى مربوطة فى ركن قهوته التى كان يتخذها مقرًا لنشاطه وكانت تقع على مشارف شارع رشدى فى شارع الفوالة. وسبب ذلك أن صحيفة (روزاليوسف) كانت ضد حزب الوفد، بينما كان المعلم حسن الفهلوى- الذى يوجد محل باسمه فى الشارع. وفديًا متعصبًا، ويروى أنه اقسم برأس والده ان يقتل هذه الصحيفة فى مهدها لأنها تهاجم حزبه، وبالفعل بر بقسمه وتوقفت صحيفة (روزاليوسف) عن الصدور ولم تبق سوى مجلتها التى كانت وما زالت واحدة من أهم المجلات التى تصدر فى مصر.

* * *



شارع قصر النيل

يبدأ شارع قصر النيل - فى قلب القاهرة- بميدان الإسماعيلية الذى أطلقت عليه ثورة يوليو (ميدان التحرير) وحرمته من احتضان تمثال بانيه ومخططه الخديوى اسماعيل باشا الذى لسوء حظه وصل تمثاله من إيطاليا بعد الثورة بثلاثة أيام، ويمر شارع قصر النيل بميدان وتمثال سليمان باشا الذى سمته الثورة أيضا ميدان طلعت حرب، وينتهى بميدان مصطفى كامل الذى يختلف عن معظم ميادين القاهرة الشهيرة فى أن ثورة يوليو أبقت اسمه كما هو ربما وجلاً أو خجلاً من مهابة تمثال الزعيم الشاب الذى يتوسطه، ذلك التمثال الذى اكتتب الشعب المصرى بجميع طبقاته وافراده عام ١٩١٠، عقب وفاته المبكرة بعد ان فضح الانجليز أعلن على العالم تفاصيل الجريمة الشنعاء التى ارتكبها عساكر الانجليز ضد الابرياء من فلاحى قرية دنشواى بدلتا مصر، وعام ١٩٣٨ قررت الحكومة المصرية نصب تمثاله فى هذا الميدان تخليدا لذكرى كفاحه، وايضا لتكون طلعته الشامخة وكلامه الحماسى آخر ما يطالعه رواد شارع قصر النيل (ان من يتسامح فى حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى ابد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان)، هكذا كتب الزعيم مصطفى كامل منذ ما يقرب من قرن على قاعدة تمثاله الذى يقع فى نهاية شارع قصر النيل ومقارنة سريعة وعابرة بين خطبته الحماسية تلك وما يكتب اليوم على جدران الشارع نفسه تكشف الفارق بين مجتمع القاهرة الثقافى والاجتماعى والسياسى فى مطلع القرن العشرين، وحالة هذا المجتمع الآن فى مطلع القرن الواحد والعشرين، فقد اعتبر اديب مغمور جدران عمارة شركة مصر للتأمين فى أول قصر النيل لوحة مجانية

للإعلان عن احد اعماله، ايسيرًا على قراءته يعمم اعلاناته على مختلف شوارع القاهرة وجدرانها، وربما يرجع ذلك الى انه ضاق بتجاهلهم لإبداعاته (القيمة) فقرر ان يخطها على الجدران وبذلك يحقق الشهرة العريضة التى ربما تفوق شهرة نجيب محفوظ . والفوز بالخلود مثل غيره من المصريين القدامى الذين تركوا أسماءهم على جدران لا تختلف كثيرًا عن هذه الجدران التى يكتب عليها . فاعلن فى قصر النيل انه قد تمت طباعة (سيدى المسيح عفوا) لأديب الشباب محمود عبدالرازق عفيفى ليس ذلك فقط بل وتفضل علي قرائه من رواد قصر النيل وساكنيه بالاعلان عن المكتبات التى خصها ببيع كافة مؤلفاته وهى حسب الترتيب الذى ارتضاه على الجدران مكتبات التحرير والعتبة والعباسية والفجالة وهذا يدل على انه لم يترك مكتبة الا وفاض عليها من سيل كتبه وابداعاته فهذه المكتبات التى ذكرها تشكل معظم المكتبات العامة والخاصة المهمة فى مصر!.

بين الميادين الثلاثة وتماثيلها وأسماء اصحابها القدامى والجدد شهد شارع قصر النيل جزءاً مهما من تاريخ مصر الحديث، ابتداء بالوالى الاعظم محمد على باشا وانتهاء باللحظة الراهنة، فالقائد ابراهيم باشا . ابن محمد على الكبير وخليفته . يعتبر اول من فكر فى تعمير المنطقة الممتدة الان على مشارف شارع قصر النيل، وكان ذلك ضمن خطة محكمة لتجميل الشاطىء الشرقى لنيل القاهرة، وتلك الخطوة كانت جريئة فى ذلك الوقت - حيث ان تلك المنطقة كانت عبارة عن ارض وعرة ومزدحمة بالبرك والمستنقعات . مهدت لإنشاء البناء الذى اخرج شارع قصر النيل للوجود . وكان مؤسسة حكومية على درجة عالية من ألأهمية والحساسية وهى ثكنات الجيش المصرى.

وبعد أن تولى اسماعيل باشا حكم مصر، امر بالتوسع فى تعمير هذه المنطقة المحيطة بثكنات الجيش، وكلف كبير مهندسى مصر فى ذلك الوقت على مبارك بتحويل تلك المنطقة الى واجهة حضارية للقاهرة، فحدد ٦١٧ فداناً كأقصى اتساع للحى الجديد الذى يتوسطه شارع قصر النيل وكان بعضها خصوصاً الأراضى المتاخمة للنيل الان منطقة خربة ومزدحمة بكثبان الأتربة والبرك والمستنقعات التى كانت تستفحل بعد فيضان النيل، تلك المنطقة تم تخطيطها

جيداً وشقت فيها الشوارع والحارات على خطوط مستقيمة اغلبها متقاطع على هيئة زوايا قائمة على طريقة الشوارع والميادين الاوروبية عشق «إسماعيل» الأول الذى اودى بعد ذلك بماضيه ومستقبله السياسى، ودكت هذه الشوارع بالحجر ونظمت على جوانبها الارصفة ومدت تحت ارضها انابيب المياه وارتفعت المصابيح لإنارتها لتكون من اولى مناطق القاهرة التى اضيئت لياليها، فاصبحت كما قال على مبارك مخططها (من أبهج أخطاط القاهرة واعمرها وسكنها الأمراء والاعيان).

وبمجرد الانتهاء من رصف شوارع وارصفة هذه المنطقة التى كانت ومازالت قلب القاهرة النابض، قام اسماعيل بمنح ارضها للذين يرغبون فى تشييد المبانى على ضفاف شوارعها بشرط الا تقل تكلفة العمارة عن ٢٠٠٠ جنيه، وذلك - كما هو واضح من ضخامة المبلغ - بهدف ضمان بناء عمارات كبيرة عصرية يتوفر فيها الذوق الرفيع والصلابة، وفى عام ١٨٧٤ بلغت مساحة المبانى ٧٥٢ فداناً احتلت شبكة الطرق منها ٣٠ فى المئة وشغلت المبانى ٣١ فى المئة والباقى حدائق شاسعة تمثل الاحتياطى للتوسع العمرانى، وهكذا ظهر شارع قصر النيل تظلله المبانى الضخمة وتحيط به وتتخلله الحدائق من كل جانب، وإن كان معظم مظاهر تلك الابهة قد اختفى الان خصوصاً الحدائق سواء فى البيوت او الميادين ولم يبق منه سوى جمال وروعة العمارات على جانبيه، فمعظمها - وخصوصاً القديم منها - شرفاتها ومشربياتها مزينة برسومات واشكال فى منتهى الجمال والدقة، وتكاد تنطق بأصالة واخلاص المعمارى الذى انشأها، أما مداخلها وواجهاتها فهى دليل على انها صنعت بإيدى فنان ماهر وعبقرى، وأن جمال ورقة المبانى - كان منذ مئة عام فقط - غاية فى حد ذاته وليس مجرد حليه يمكن الاستغناء عنها!!

فى البداية كان قصر النيل شارعاً عسكرياً حيث كان المقر الرسمى لقوات الجيش المصرى، وهذا الموقع الاستراتيجى لعب دوراً سياسياً وعسكرياً خلال احداث الثورة العرابية، خصوصاً وأنه كان قريباً جداً من المقر الدائم لحكم مصر فى هذه الفترة وهو قصر عابدين الذى انشأه الخديو اسماعيل كبديل للقلعة

التى ظلت المكان المفضل لحكام مصر على مر العصور منذ أن بناها صلاح الدين الايوبى - وكذلك لم يكن شارع قصر النيل بعيداً عن شارع قصر العينى بكل ما فيه من مبان عامة كانت مقراً للوزارات بجانب المجلس النيابى، وقصور خاصة كانت مقراً للامراء ورجالات الحكم فى تلك الفترة.

تلك المكانة العسكرية والسياسية جعلت شارع قصر النيل مطمعاً لكل القوى الاستعمارية الغربية التى كانت تخطط لاحتلال مصر، فقد كان بمثابة قلعة القاهرة وحصنها واحكام السيطرة عليه يعنى ضمان استسلام كافة البقاع المصرية وهذا ما تم حرفياً على ايدى الانجليز فعندما وصلت قوات الاحتلال البريطانى الى القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بعد هزيمة العرابيين فى موقعة التل الكبير كان أول اجراء عسكرى وسياسى اتخذته هو المسارعة باحتلال ثكنات الجيش المصرى فى شارع قصر النيل. وكان ذلك رسالة واضحة للشعب المصرى وللعالم بأنها أتمت احتلالها للقاهرة، بل ومصر كلها، وبناء على هذه الخطوة بدأ القادة الانجليز يخططون لحل الجيش المصرى ،بمساعدة الخديو توفيق الذى اصدر مرسوماً خديوياً فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ يقضى بحل الجيش وتسريح الجنود وكان ذلك بعد خمسة ايام فقط من الاحتلال الانجليزى للقاهرة، وقد أرجع البعض استجابة توفيق السريعة والغريبة لمطلب المستعمر بحل الجيش الوطنى الى رغبته فى معاقبة الضباط المصريين على واقعة تجمهرهم فى شارع قصر النيل وتوقيعهم على عريضة تندد فيها باحوال الجيش المصرى وقدموها إلى رئيس الوزراء او ناظر النظار فى هذه الفترة - وقد وقعت هذه المظاهرة فى أول فبراير ١٨٨١ وكانت الشرارة الاولى لمظاهرة قصر عابدين الشهيرة التى وقعت فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ وكانت ذروة ثورة العرابيين وفيها واجهوا الخديو وطالبوه بالمسارعة باصلاح أحوال الجيش المصرى.

وبعد أن فشلت ثورة عرابى اصبح شارع قصر النيل وثكناته مرتعاً لقوات الاحتلال البريطانى، تعيش فيه وتتجول وتمارس بلطجتها على رواده وساكنيه، وفى قلب زواياه تحيك المؤامرات التى تمكنها من دوام اغتصاب مصر ونهب ثرواتها، وهكذا ظل شارع قصر النيل يعانى من مرارة احتلالين أحدهما عام

وشامل لكل أنحاء مصر، والاخر خاص ومباشر واشد وطأة وهو إقامة الإنجليز فوق أراضيه ـ الى ان جاء يوم ٣١ مارس ١٩٤٧ لينقذه ويفك اسره ويعيده سالماً وربما منهكاً الى المصريين، ففى هذا اليوم انسحبت القوات البريطانية وتركت قصر النيل للابد_ ومثلما عانى هذا الشارع من قسوة الاحتلال المباشر، فأنه دون شوارع القاهرة كان له شرف احتضان المنطقة التى اعلن من فوقها زوال الاحتلال الانجليزى، فقد صعد الملك فاروق فوق ثكناته ورفع علم مصر عالياً فى الموقع نفسه الذى اغتصبه علم بريطانيا العظمى سنوات طويلة، وكان يرتدى بدلته العسكرية كدليل على إعادة الاعتبار للجيش المصرى الذى أجبر على مغادرة هذا الثكنات.

وكما أن أول قرار للانجليز بعد دخولهم القاهرة هو احتلال شارع قصر النيل وثكناته، فإن اول قرار اتخذته الحكومة المصرية بعد الجلاء كان اعادة الجيش المصرى إلى ثكنات قصر النيل وقد ظل بها حتى تمت ازالتها ونقل القوات المسلحة إلى منطقة اخرى كانت هى أيضاً مرتعاً للقوات الانجليزية وهى منطقة معسكرات العباسية.

وفور هدم ثكنات قصر النيل اتخذت المنطقة التى كان يرتع فيها جنود الاحتلال مكانتها كقلب القاهرة وبواباتها واقيم على مشارفها مبانى الجامعة العربية وفندق هيلتون النيل ومبنى الاتحاد القومى الذى بُنى فى الاصل ليكون مقراً لبلدية القاهرة، ثم تحول الى مقر الاتحاد الاشتراكى_ وبالوراثة تحول منذ السبعينات ليصبح المقر الرئيسى للحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم.

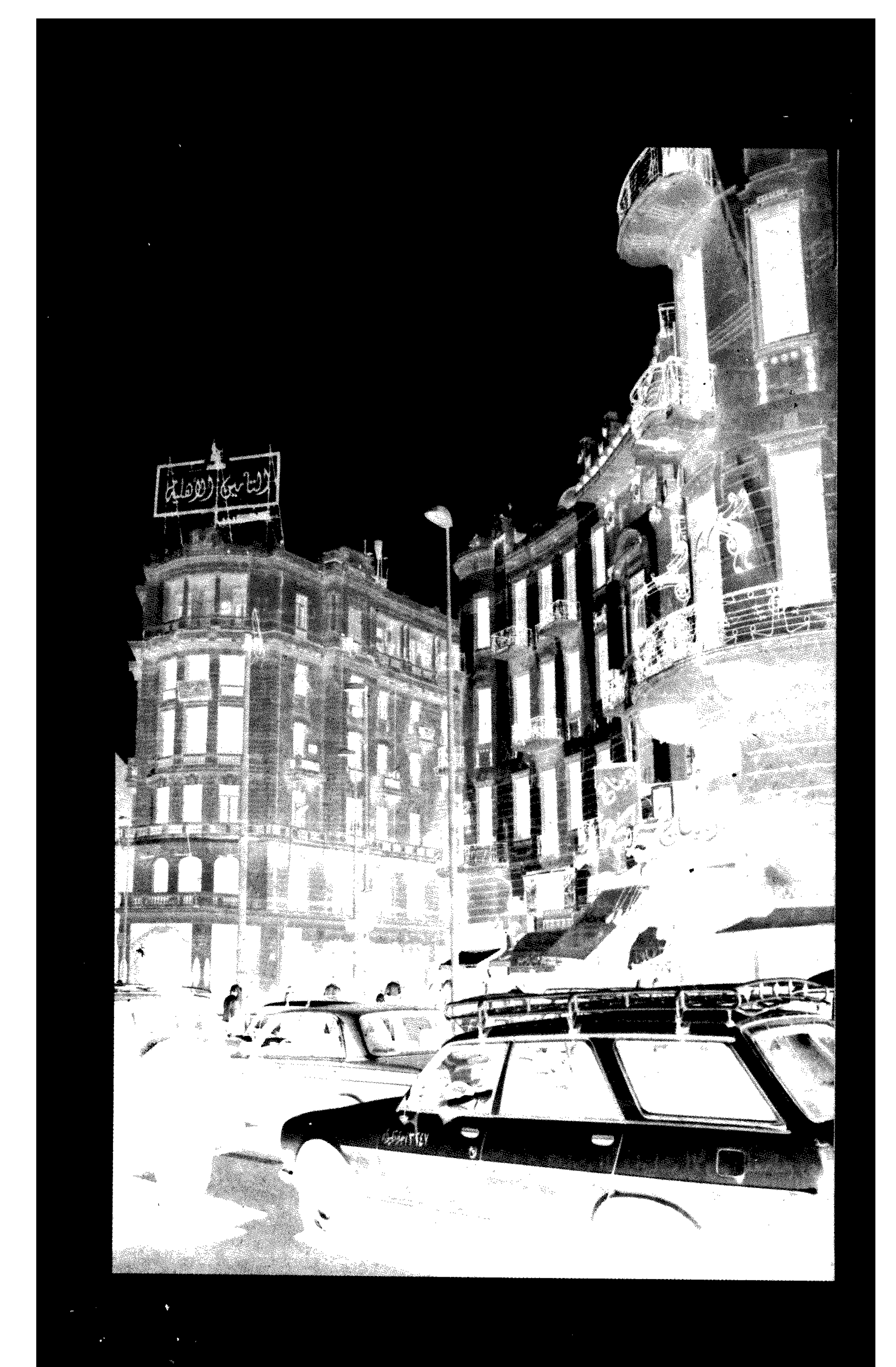
وبعد هدم الثكنات العسكرية تحول شارع قصر النيل الى ما يشبه السوق التجارية الكبيرة وشهد زحفاً من مشاهير تجار مصر فى تلك الفترة خصوصاً من اليهود فتنافست على جانبيه محلات صيدناوى وداوود عدس وبنزايون وبعضها قائم حتى يومنا هذا.

شارع قصر النيل يعتبر الآن احد الشرايين الرئيسية فى قلب القاهرة، فهو يربط بين ميدانين من اهم ميادينها وأكثرها ازدحاماً، وهما ميدان العتبة حيث السوق الشعبية، وميدان التحرير حيث الممر اليومى لمعظم سياسى مصر، وحيث

المتحف المصرى وهو البؤرة التى يتجمع فيها - يومياً - السياح من مختلف انحاء العالم_ بلغ طول هذا الشارع لحظة تشييده او تخطيطه حسبما قال زكى مبارك حوالى ١٠٦٠ متراً، ولكنه بمرور الأيام وزيادة العمران على جانبيه اخذ يتوغل ناحية العتبة الى ان بلغ حوالى ١٣٠٠ متر.

ولعل أهم ما يميزه بجانب مبانيه والأحداث السياسية والعسكرية التى شهدها هو بقاء اسمه لقديم رغم مرور ما يقرب من قرن وثلث على انشائه وتلك حادثة تعتبر نادرة وعجيبة بالنسبة لشوارع مدينة مثل القاهرة حيث التغيير والتبديل هو القانون السائد والمعتمد، وسبب هذه التسمية أنه بالقرب من واجهته المطلة على النيل شيد محمد على قصراً لابنته نازلى هانم عرف بقصر النيل لانه كان متاخماً له من ناحية الشرق، ورغم أن هذا القصر هدمه سعيد باشا وبنى فى موقعه (قشلاق) او ثكنات قصر النيل العسكرية الا أن اسمه مازال يتصدر الشارع.

فى مواجهة مبنى شركة مصر للتأمين الذى شيد عام ١٩٠٠ فى أول شارع قصر النيل تجد ساحة عمومية لانتظار السيارات بسعر رمزى، هذه الساحة تخفى تحتها اطلال حياة حافلة ويانعة، فقد اقيمت مكانه قصر انشأته اسرة هدى شعراوى كان يكمل استدارة ميدان التحرير ويطل مباشرة على المتحف المصرى،وبجوار اتساع هذه الساحة يطل على استحياء باب ضيق وانيق يلاصق الخطوط الجوية السعودية، ويناسب مكانته كواجهة لمطعم سياحى قديم وفى نفس الوقت كمدخل لقاعة متميزة لعرض اللوحات التشكيلية شهدت وتشهد العديد من اعمال الفنانين التشكيليين المصريين والعرب، وهى لذلك لا تخلوا دائماً من نقاد الفن التشكيلى والمهتمين به. وتعرض الآن بعض لوحات الفنان المتميز فتحى عفيفى، القاعة تجاور بالشارع دار ميريت التى اسسها الكاتب والمثقف محمد هاشم وتعتبر اهم دور نشر الاعمال الادبية وخصوصا المبدعين الشباب فى مصر , كما تجاور مسرح يعتبر من أقدم مسارح القاهرة هو مسرح وسينما قصر النيل الذى كان المكان المفضل لحفلات أم كلثوم ويعرض الآن مسرحية (زكية زكريا تتحدى شارون) وهى المسرحية التى قدمت إسرائيل بشأنها


التامين الاهلية

احتجاجاً للسلطات المصرية، لأن بطلها «إبراهيم نصر» يصر يومياً ومن موقعه فى شارع قصر النيل على تجسيد حقيقة رئيس الوزراء الاسرائيلى «آريل شارون» فيظهره على انه معتد أثيم لا يفعل شيئاً سوى إرهاب الناس!

قبل ميدان طلعت حرب فى وسط شارع قصر النيل تطل الخطوط الجوية الملكية الاردنية وعلى مشارفه مقهى (جروبى) الذى انشىء عام ١٨٩٠ ومازال يتمتع بمكانة مرموقة بين مقاهى القاهرة، وبعد هذا الميدان يتواجد على ناصيتى قصر النيل بنك أبوظبى الوطنى ومحلات صيدناوى التى تعتبر من أقدم محلات القاهرة، وكانت مملوكة لرجل اعمال يهودى قبل ان يتم تأميمها مع غيرها من ممتلكات اليهود فى مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

وبعد هذا الميدان تتوالى فى هذا الشارع العتيق الخطوط الجوية العراقية والفرنسية والليبية ومحلات الصالون الاخضر وشالون التى تأسست عام ١٨٦٨ وغيرها قبل ان تقف امام ستديو (بيلا) وهو من اقدم ستديوهات تصوير الفنانين فى مصر، فقد تأسس منذ ما يقرب من مئة عام وتخصص منذ البداية فى تصوير الوجوه الجديدة فى السينما والمسرح والتليفزيون ,وهو عبارة عن قبو ضيق فى مدخل عمارة قديمة ويحتوى على مكتب استقبال يتصدره جهاز كمبيوتر وعلى يمينه قاعة تصوير كلاسيكية داخلها ماكينة تصوير عمرها من نفس عمر الاستديو نفسه اى حوالى مئة عام، وبجانبها حامل طرابيش لم يعد يستعمل بالطبع ولكن يبدو انه ترك مكانه منذ سنوات ليدلل على تاريخ المكان، وفى الركن المعتم من هذه القاعة يستقر دولاب الافلام وهو دولاب عتيق مجرد رؤيته تعطيك انطباعاً سريعاً عن مشقة مهنة التصوير فى الايام الغابرة، حيث كانت الصورة الواحدة تصور على فيلم باكمله وتجمع الافلام فى هذا الدولاب استعداداً لتحميضها الذى كان لا يقل صعوبة.

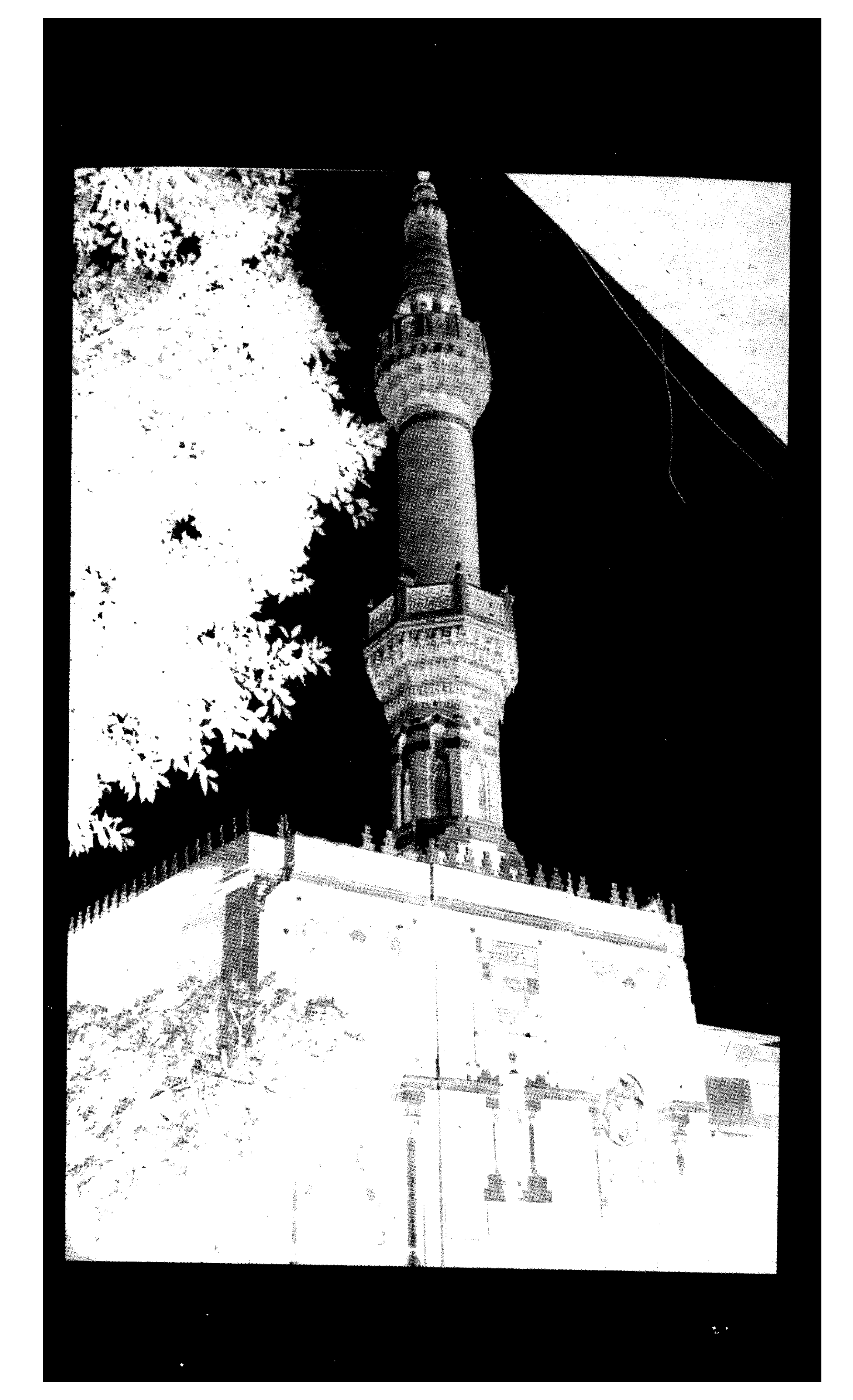
جدران هذا الاستديو شهدت أسرار وارتباكات البدايات الأولى لمعظم رواد السينما والمسرح العربى، وكاميراته تعاملت مع وجوههم ربما لاول مرة، فقد صور به كوجوه جديدة فاتن حمامة وهند رستم ومحمود المليجى وفريد شوقى وعمر الشريف وغيرهم الكثير، ومؤسسه هو محمد محيى الدين أحد رواد مهنة

التصوير فى مصر فهو من اوائل المصريين الذين عملوا بها بعد أن كانت حكراً على الأجانب وخصوصاً اليونانيين، ويتولى مسؤولية الاستديو الان اشرف محيى الدين الذى ورث عن والده مهنة التصوير وتخصصه فى تصوير الوجوه الجديدة من الفنانين ـ ويقول (جميع فنانى مصر جاءوا إلى ستديو بيلا ففضلاً عن انه من أقدم ستديوهات التصوير فى القاهرة وربما فى الشرق الاوسط فهو يقع فى شارع قصر النيل الذى يتاخم معظم المناطق المهمة فى مدينة القاهرة) . وعن الوجة الجديد الذى صوره وتنبأ له بمستقبل فنى حافل قال (الفنانة نرمين الفقى فمنذ ان وقعت عليها عيناى عرفت أن لها مستقبلاً كبيرًا فى عالم السينما والمسرح والتليفزيون) ـ وعن الوجوه السينمائية التى يحب ان يصورها دائماً قال (هناك الكثير مثل لوسى ولكن اجملهن على الإطلاق وجه «يسرا» الذى اتمنى أن أصوره كل لحظة).

ويؤكد اشرف محيى الدين أن جميع الفنانين يأتون إلى ستديو (بيلا) فى شارع قصر النيل حتى اليوم رغبة فى الانضمام الى قائمته العريقة والاستفادة من إمكانياته الفنية التصويرية فى بداية مشوارهم الفنى . والحقيقة التى لم يذكرها محيى الدين أن الفنانين يحرصون على التواجد فى هذه الاستديو والتقاط صور به فى بداياتهم وعندما تظهر نجوميتهم وتكبر ينقطعون عنه او يكادون وكأنه يذكرهم بويلات وربما تنازلات البدايات!!

وبالقرب من ستديو (بيلا) تقع درة شارع قصر النيل، وهى عبارة عن عمارة فى منتهى الأناقة والفخامة مبنية على طراز عمارة عصر النهضة الاوروبية وكانت مملوكة لثرى ايطالى كان يقيم فى القاهرة قبل خمسينات القرن الماضى. شرفاتها مشغولة بأشكال فنية دقيقة، وجميع واجهاتها مزركشة بالاحجار الصغيرة الملونة، وفى وسطها بالضبط خط مالكها الايطالى اسمه باللغة العربية وبخط كوفى قديم مازال يتمتع بنضارته وجماله حتى اليوم ـ هذه العمارة يبدو أنه تم تأميمها فى الخمسينات فهى الآن ضمن املاك البنك المركزى المصرى ولم يبق من سكانها القدامى سوى ساكن واحد اصر على عدم مغادرة شارع قصر النيل.

* * *



شارع عبدالسلام عارف

شارع عبدالسلام عارف (البستان سابقا) يبدأ من قلب ميدان التحرير بالقاهرة وينتهى عند شارع الجمهورية بالقرب من قصر عابدين التاج المعمارى والملكى الذى شهد عز أسرة محمد على باشا، ثم شارك فى مراسم خلعها وكبوتها الاخيرة. وقبل ان يتبوأ شارع عبدالسلام عارف مكانته الحالية كواحد من أبرز شرايين وسط القاهرة الحديثة عاصر تقلبات هائلة واحتضن منشآت وحدائق وملاعب الملوك والسلاطين والأمراء، ومر بالعديد من التقلبات السياسية والاجتماعية والجغرافية التى تركت بتناقضها بصمات غائرة فى تاريخه وملامحه.

على مدى مئات السنين كانت أرض الشارع الا قليلاً جزءًا عزيزًا من نهر النيل، وكان سكانه عبارة عن خليط متجانس من الحيوانات النهرية، وضيوفه تلك المراكب والسفن البدائية التى كانت تبخر فيه محملة بالبضائع الى البحر الأحمر حيث الحجاز أو البحر المتوسط حيث بلاد الفرنجة.

وبين سنتى ٣٣٠هـ و٥٦٠ هـ انحسرت مياه النيل تجاه الغرب فى مجراها الحالى، وظهرت أرض الشارع بعد ان غادرها سكانها القدامى للأبد.. كانت فى البداية أرضا عامرة بالمستنقعات والبرك بسبب تعرضها كل عام لفيضان النيل لذلك لم يصبر على السكن بها سوى صغار الفلاحين الذين استغلوا ابتعاد الحكام والأمراء والاعيان عنها واستهانتهم بارضها البكر وتحايلوا على زراعتها بشكل موسمى، أى بعد ان يجف فيضان النيل مباشرة، معتمدين على طريقة

زراعية بدائية كانت تعرف باسم «التلويق» وهو نثر أرضها اللينة ببذور المحاصيل الزراعية، ثم طمرها بجذوع الاشجار التى كانت تجرها الحمير والثيران ثم تركها حتى تجف ويمن الله بمحصولها. كانت طريقة قاسية ومرهقة لا يقوى على ممارستها سوى من لا يجدون قوت يومهم ورغم ذلك نجحت فى زراعة أرض الشارع والمنطقة المحيطة به على مدى سنوات، غير انها لم تجلب الخير والاستقرار لمنفذيها من فقراء الفلاحين، بل عجلت بطردهم نهائيا من أرض الشارع، فنجاحها فى انتاج اطنان المحاصيل الزراعية لفت نظر الامراء والاعيان الى خصوبة وحسن موقع تلك المنطقة البكر، فهبوا اليها مدججين باسلحتهم ونفوذهم وطردوا منها صغار الفلاحين الذين اكتشفوها، أو فى أفضل الاحوال حولوهم الى خدم مطيعين فى مزارعهم وحدائقهم ومنشآتهم التى اقاموها فى الشارع والمنطقة ومنها بستان ومنشأة القاضى الفاضل وبستان ومنشأة الكتبة وغيرهما الكثير_ لكن هؤلاء الفقراء خلدوا ذكرهم فى المنطقة كلها واصبحت حرفتهم الشهيرة اسمًا لها (باب اللوق).

أبرز المنشآت والبساتين التى ظهرت بالمنطقة التى يتوسطها الشارع الآن بعد (تلويق) صغار الفلاحين بستان منشأة ابن ثعلب التى اشتراها السلطان الصالح نجم الدين الايوبى وأقام فيها الميدان الذى عرف باسمه، وكذلك منظرته التى كانت من أضخم دور وقصور القاهرة. وفى عام ١٤٢١م انشأ الصالح نجم الدين على الخليج المصرى قنطرة عند باب الخرق الذى حرف الى الخلق، وكان الغرض الاساسى من هذه القنطرة تسهيل الترويح عن السلطان وخاصته.

فمن خلال العبور عليها كان السلطان الأيوبى يفر من أسوار القلعة حيث أعباء وجفاف الحكم الى طراوة وانفراج أرض الشارع، فالميدان الصالحى الذى اقيم به تم اعداده وتأمينه جيدا لكى يكون ساحة متسعة يمارس فيها السلطان اللعب والمرح مع فرسانه الذين كان معظمهم من المماليك البحرية، وهم انفسهم الذين اغتصبوا الملك بعده من ابنه توران شاه وزوجته شجرة الدر، وفى هذا الميدان كانت اللعبة المفضلة للسلطان ومماليكه هى لعبة (الأكرة)، وهى رياضة فروسية كانت تمارس من فوق ظهور الخيل، وملخص سباقها هو قذف كرة

بالمضارب حتى تسقط فى (الأكرة) أى الحفرة المعدة لها، ومنها اتخذت اسمها، وهى تشبه الى حد كبير رياضة الجولف.

بعد سقوط الدولة الأيوبية على أيدى مماليك الصالح نجم الدين نقل الظاهر بيبرس ميدان اللعب الى أول الشارع فى منطقة يحتلها ميدان التحرير والجزء الشمالى من حى جاردن سيتى، وتحتوى الآن على ميدان ومجمع التحرير وجامع عمر مكرم، وظل هذا الميدان مخصصا للعبة الاكرة وغيرها من سباقات الفروسية حتى عهد السلطان العادل كتبغا الذى يبدو انه كان يبالغ فى الحفاظ على أمنه الشخصى فقد نقل ميدان الفروسية إلى حمى القلعة.

أما ميدان الصالح نجم الدين أيوب وباقى أرض الشارع فقد بنى بها الظاهر بيبرس دورًا سكنية ليس للمصريين أو امراء المماليك، ولكن لفلول الأعداء التتار الذين بقوا فى الشام بعد ان هزم قطز جيوشهم الجرارة، فقد كتب بيبرس الى نوابه بالشام يأمرهم باكرام فلول التتار المستأمنين، وبعث اليهم بالخلع والهدايا، كما أمر بعمارة دور فى أرض الشارع لإنزالهم فيها، وبالفعل وصل منهم إلى القاهرة قرابة الألف فارس بنسائهم وأولادهم فى يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة عام ٦٦٠هـ_ وقد وصف المقريزى وبعده على مبارك مشهد استقبالهم قائلا (خرج السلطان الى لقائهم بنفسه ومعه العسكر، فلم يبق احد حتى خرج لمشاهدتهم، فاجتمع عالم عظيم، وكان يوما مشهود، فأنزلهم السلطان فى الدور التى كان قد أمر بعمارتها من اجلهم، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك (يقصد أرض الشارع والمنطقة) وحملت اليهم الخلع والخيول والأموال، وركب السلطان إلى الميدان (بأول الشارع) واركبهم معه للعب الأكره، واعطى كبراءهم امرات، فمنهم من عمله امير مئة ومنهم دون ذلك، وأنزل بقيتهم منزلة البحرية، وصار كل منهم من سعة الحال كالأمراء، وفى خدمته الاجناد والغلمان، وافرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم، وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الإسلام).

منذ هذا الاستقبال تزايد التتار بالمنطقة التى يتوسطها الشارع حتى عرفت بهم، فعندما بلغ التتار ما فعله بيبرس مع اخوانهم، هبوا الى مصر جماعات جماعات وكان يقابلهم بيبرس بإحسان مبالغ فيه ويسمح لهم بالسكن بالمنطقة،

وكـان أبرزهـم رسل الملك بركـة خـان ابن عم هولاكـو الـذين قـدمـوا إلى مـصـر وأكرمهم بيبرس وانزلهم وزوجاتهم وأولادهم بالمنطقة التى يتوسطها الشارع الآن واقام لهم احتفالا عظيمًا وصار يركب كل سبت وثلاثاء للعب الأكره معهم فى الميدان الذى شيده على مشارف الشارع.

ميدان بيبرس ظل يمارس نشاطه الرياضى حتى هدمه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأنشأ بأرض الشارع والمنطقة المحيطة بستانا كبيرا زرعه بالفواكه والزهور والاشجار التى جلبها خصيصًا من الشام، وكان هذا البستان يمتد غربا الى شاطىء النيل، ومنحه الناصر الى الأمير قوصون فأنشأ فيه اسطبلاً للخيول التى كانت تتمتع بمكانة كبيرة أيام المماليك.

بفضل بستان الناصر عانت المنطقة كثرة البساتين والحدائق فى المنطقة على مدى عهود سلاطين دولة المماليك البحرية، ولكن بعدهم ربما بسبب الانشغال بالصراع على السلطة وقعت بما فيها أرض الشارع من الخراب لدرجة انها صارت أشبه بأول عهدها عندما انحسرت عنها مياه النيل، وكانت عبارة عن مجموعة من البرك والمستنقعات المهملة حاول الفلاحون من قبل زراعتها فطردوا منها.

وظلت أرض الشارع تعانى ثقل الأهمال والتدهور حتى بواكير القرن التاسع عشر، مما شجع مسؤولى بلدية القاهرة فى ذلك الوقت على ان يتجاهلوا ماضيها الملكى والزراعى، ويجعلوها مكانا للقاذورات والروائح المتخلفة من المدابغ التى نقلوها من جنوب ميدان باب الخلق، الى المنطقة التى تلاصق الان تقاطع الشارع مع شارع شريف.

وفى بداية عهد الخديو اسماعيل هبت على المنطقة رياح الازدهار والفخامة مرة اخرى، فتخلصت للابد من قاذورات ومخلفات المدابغ، وردمت بركها ومستنقعاتها الراكدة، وتم تقسيمها فى شوارع مستقيمة ومتقاطعة ابرزها الشارع الذى اتخذ اسمه الأول من بستان السلطان الناصر بن قلاوون وقيل بستان ابن ثعلبى.

بعد أن رفع ضباط حركة يوليو ١٩٥٢ شعارات الكفاح الثورى والقومية والوحدة كان الشارع يتهيأ لاستقبال مرحلة جديدة.. مرحلة خلع فيها طراوة الملكية ووقارها المبالغ فيه، ليواجه عاريا خشونة الثورية وانفعالها الذى لا يتورع احيانا عن أراقة شلالات الدماء.

فى تلك المرحلة اطلق على الشارع اسم عبدالسلام عارف ثانى قادة الثورة العراقية وقائد اللواء العشرين الذى اطاح بالملك فيصل وخاله ووصيه عبدالاله ورئيس حكومته نورى السعيد، وكذلك هو الذى ألقى البيان رقم واحد للثورة العراقية عام ١٩٥٨، ثم انقلب على عبدالكريم قاسم واصبح رئيسا للجمهورية العراقية، غير ان نجاحه فى تلك المهام الثورية على أهميته التاريخية لم يكن السبب فى منحه شارعا بأهمية البستان فهناك العديد من الزعماء الذين قاموا بأفعال ثورية مشابهة ولم تطلق أسماؤهم على شوارع القاهرة، فذلك يرجع بشكل مباشر الى صداقة عبدالسلام عارف الشخصية بالرئيس جمال عبدالناصر ومبالغته فى التبشير بالفكر الناصرى فى أرض الرافدين لدرجة أنه كان يقلد عبدالناصر فى كل شىء، وتلك كانت مأساته التى دفعت عبدالكريم قاسم الى ان يتنكر له ويبعده من السلطة رغم انه هو الذى نفذ الثورة، ثم أدت الى موته عندما تحطمت به الطائرة بعد ان نجح فى الانتقام من اعز اصدقائه ورفيقه فى الثورة عبدالكريم قاسم، بل وأهدر دمه قبل ان يتفرغ لمهام منصبه كرئيس ثورى - والأدق ناصرى - للعراق.

شارع عبدالسلام عارف من الشوارع النادرة الممنوحة لأسماء رؤساء دول بالقاهرة ولم يكتف بحمل اسم صاحبه، فلوحاته تتسع أيضا لمنصبه، فاسمه الرسمى هو (شارع الرئيس عبدالسلام عارف) وكأن الرئيس جمال عبدالناصر اعتقد انه يكفى لإرضاء صديقه المخلص عبدالسلام عارف ان ينصبه رئيسًا على أحد شوارع القاهرة بعد أن أبعده عبدالكريم قاسم بسبب ناصريته عن قيادة الثورة، وبعد أن خلعه الموت من رئاسة العراق!!

يبدأ الشارع من قلب ميدان التحرير بعمارتين متقابلتين تواجهان فندق النيل هيلتون وزاوية المتحف المصرى، وبعدهما تطل بالشارع بجوار محطة الوقود

واجهة مبنى انيق تظلله الأشجار من كل جانب ويحافظ على طراز العمارة الأوروبية، وهو معهد جوته الثقافى الألمانى. وجوته كما هر معروف واحد من أهم شعراء الانسانية على مر التاريخ، وقد حرصت السلطات الألمانية على اختيار اسمه لهذا المعهد الذى يقيم العديد من الأنشطة الثقافية والفنية تخليدا لشغفه بالثقافة العربية.

أمام معهد جوته يمتد سور اسمنتى حول أرض فضاء مملوكة لشركة الشرق للتأمين وتنتهى بعدد من العمارات بها مقر الجمعية المصرية التاريخية التى تأسست عام ١٩٤٥ ويرأسها الآن د. رؤوف عباس وذلك قبل انتقالها الى مقرها الجديد بمدينة نصر والذى تبرع به الشيخ سلطان القاسمى حاكم الشارقة.

نادى الدبلوماسية المصرية يتوج تقاطع شارع طلعت حرب، وهو من أقدم نوادى القاهرة فقد أسس بالشارع قبل الحرب العالمية الأولى. وكان يعرف باسم نادى محمد على، وشهد العديد من جلسات ومنتديات الأسرة المالكة والوزراء وزعماء الاحزاب ورجال الاقتصاد، وكانت شروط القبول فيه فى منتهى القسوة، لدرجة انه كان من المستحيل أن يقبل واحدًا من عامة الشعب، وفى عام ١٩٥٦ تغير اسمه لنادى التحرير ثم اقتصر على رجال الهيئات الدبلوماسية العربية.

شركة مصر للتأمين تحتل الضفة الاخرى من ناصية شارع طلعت حرب أمام عمارة ضخمة طابقها الارضى يستضيف احد مقار شركة مصر للطيران، وبعدها عدد من العمارات تحافظ على الأسلوب المعمارى القديم من حيث ارتفاع الجدران واتساع الشرفات العامرة بالزخارف وبمختلف انواع النباتات، وقبل ذلك من حيث الرغبة فى جمال العمارة على حساب الكسب المادى الذى يعد أهم ملامح المبانى الحديثة.

سنتر التحرير التجارى بمبناه الضخم يقع على تقاطع شارع مصطفى أبوالدهب وأمام اتساع واجهته تتكمش محلات الرواس والاهرام، كما ان تعدد محلات السنتر حرم الشارع بشكل عام من المحلات التجارية الصغيرة.

جراج البستان الذى يقع قبل تقاطع شارع يوسف الجندى - صاحب جمهورية زفتى الشهيرة - بُنى بالشارع مكان قصر البستان الذى سكن فيه الأمير فؤاد قبل أن يصبح سلطانا ثم ملكا على مصر، وفيه عقد أول اجتماعات مجلس إدارة جامعة القاهرة حينما كان رئيسًا لها، وبعده أصبح هذا القصر مقرًا للجامعة العربية قبل ان تنتقل الى مبناها الحالى المواجه لمقر وزارة الخارجية القديم.

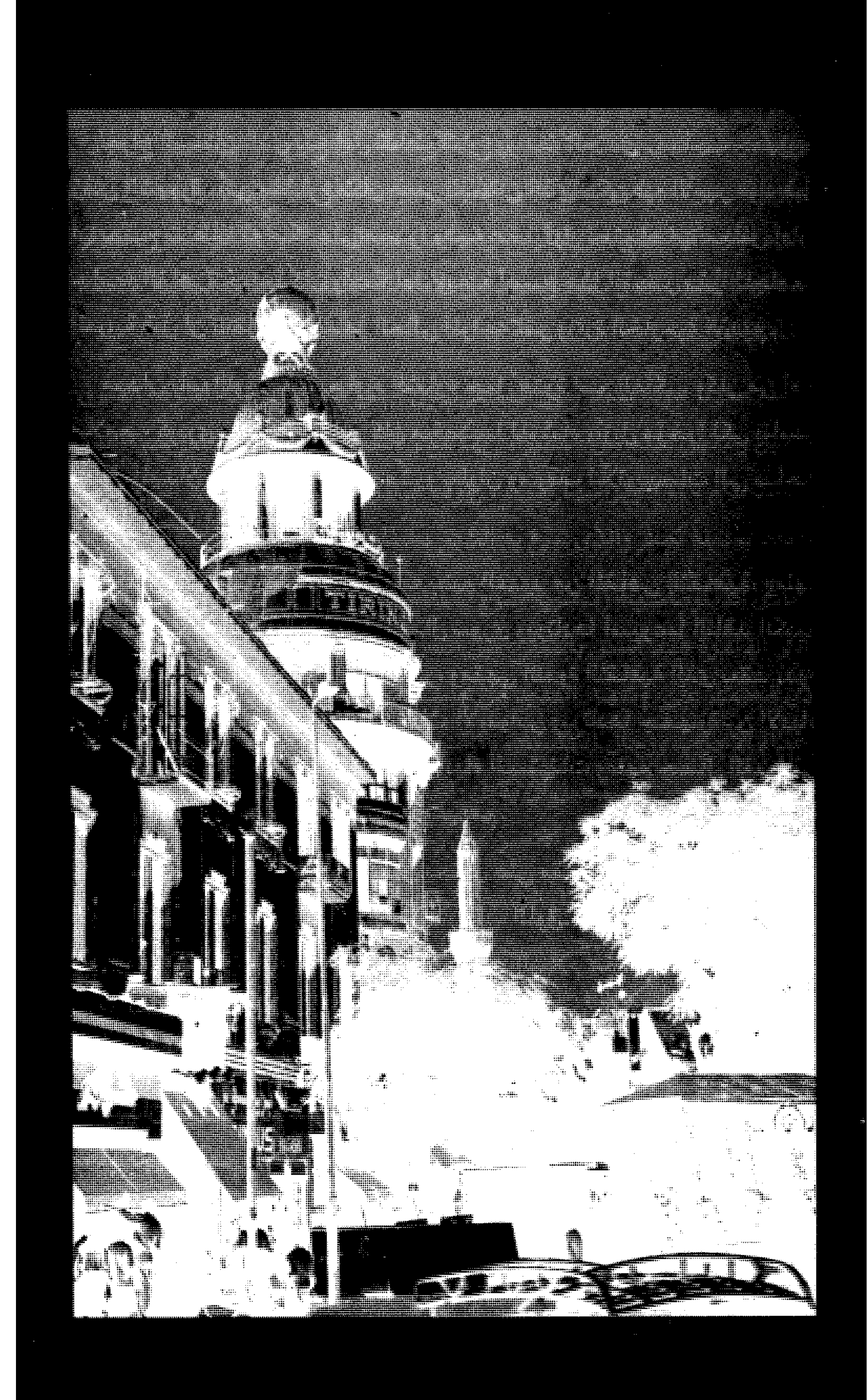
ميدان باب اللوق الذى يجاوره الشارع حمل فترة اسم الفلكى، وكان من أهم ملامحه كوبرى حديدى اخضر كان مخصصا للمشاه وأزيل مؤخرا لكى يناسب تحول الميدان من محطة لاقلاع مترو حلوان وموقف للاتوبيسات الى ساحة لانتظار السيارات.

ميدان باب اللوق يشتهر الآن بأنه يضم العديد من المقاهى الثقافية، ومنها سوق الحميدية التى يملكها رجل أعمال سورى ويرتادها أسبوعيا الناقد الكبير فاروق عبدالقادر وعدد من أدباء مصر، ومقهى الندوة الثقافية الذى يعقد ندوة أسبوعية يشرف عليها الروائى علاء الأسوانى ويرتادها جمهرة من الأدباء الشبان، وكانت قبلهم المكان المفضل لأدباء الستينات ومنهم جمال الغيطانى ويوسف القعيد وعبدالرحمن أبوعوف وغيرهم.

عند ناصية شارع مظلوم الذى كان يحتوى على مقر صحيفة «الأهرام» ومقهى اللواء الشهير يتخلص الشارع من ميدان باب اللوق، غير أنه يتسع مرة أخرى لاحتضان ميدانه الخاص، ميدان (الرئيس عبدالسلام عارف) الذى يصنعه بعد المرور بمقر وزارة الأوقاف وتقاطع شريف وعدد هين من العمارات أبرز محلاتها مكتبة الكيلانى ووسطها حارة أبوالسباع وحدايد طنطاوى.

ميدان عبدالسلام عارف تحيط به فتحات مترو الأنفاق التى توصل لمحطة محمد نجيب وأهم منشآته مسجد الطباخ الذى يوحد بين الفخامة والاناقة وصلابة البناء، وبعد الميدان يبدأ النشاط التجارى بالشارع متأثرًا بنشاط حى العتبة القريب، ولكنه سرعان ما يتوقف لينتهى الشارع أمام امتداد شارع الجمهورية.

* * *



شارع كلوت بك

بمجرد أن تبدأ أولى خطواتك فى شارع (كلوت بك) من قلب ميدان رمسيس بالقاهرة حيث مدخله الضيق والمزدحم، أو من نهايته المتسعة فى ميدان العتبة الخضراء ستدخل مباشرة فى اجواء وعوالم وأسلوب حياة وعمارة تنتمى إلى القرن التاسع عشر وتحاول بقدر الامكان أن تبدو متماسكة وصلبة أمام هجوم بعض المظاهر العشوائية واسلوب العمارة الحديثة. على جانبى الشارع تنتصب بواكى رغم عوادى الزمن مازالت تشهد على صلابة فنون بناتها الأوائل، وعلى أكتافها تقف أسقف من الخشب المشغول الذى يحمل راضيًا أو مجبرًا شرفات لوكاندات أو فنادق صغيرة كانت حافلة ذات يوم بالحسناوات حتى أربعينات القرن الماضى، وهى الآن أماكن الراحة المفضلة. نظرا لرخص ثمنها وتواضعها. لابناء اقاليم مصر المختلفة الذين تضطرهم الظروف للمبيت فى القاهرة ليلة او اثتين. داخل البواكى تستقر واجهات الوكالات التجارية القديمة التى تحولت الآن الى محلات صغيرة لبضائع يعود بعضها الى القرن التاسع عشر، أما أرضية الشارع فيتجاور على أرصفتها باعة الفاكهة والخضروات وعربات الوجبات السريعة من الفول والطعمية والكبدة بشكل. رغم عشوائيته الظاهرة - يبدو مطمئنا وراسخًا لدرجة الاعتقاد بأن هؤلاء الباعة يفترشون الشارع منذ مئات السنين.

شارع (كلوت بك) بدأ العمل به فى ستينات القرن التاسع عشر ضمن مشروع تجديد وتخطيط منطقة الازبكية وافتتحه الخديو اسماعيل عام ١٨٧٣ وهو الآن يعانى الملل والضجر ويرهقه الحنين الى ماضيه الحافل، لأن الحاضر يشغله فى

أشياء لا تتوافق مع تكوينه، فالشارع يئن تحت عجلات مختلف انواع المواصلات التى تربط بين ميدانين من أهم ميادين القاهرة هما العتبة ورمسيس، وعلى نقيض ذلك كان الشارع فى بدايته - أواخر القرن التاسع عشر - معدا للسهر والسمر ومختلف انواع المتع، حيث اتخذه جنود الاحتلال الانجليزى مكانًا دائمًا ومفضلا للمتعة والمرح.

تبدأ قصة هذا الشارع بسيرة صاحبه كلوت بك الطبيب الفرنسى الذى اخلص فى خدمة الشعب المصرى واسس أول كلية للطب فى مصر والشرق.

ولد (أ . ب كلوت بك) فى مدينة جرينوبل الفرنسية لأسرة شديدة الفقر عام ١٧٩٣ وعاش طفولة بائسة غير أنها لم تقف حائلاً دون تحقيق أمنيته فى دراسة الطب، وان كانت الظروف قد اضطرته للعمل (صبى حلاق) فى مدينة مارسيليا ليستطيع تدبير تكاليف الدراسة، وبعد تخرجه عمل لفترة طبيبًا حرًا إلى أن تعرف على تاجر فرنسى كان محمد على باشا كلفه بالبحث عن طبيب للجيش المصرى، وكانت تلك فرصة لا تعوض للطبيب الشاب الذى تقف الإمكانيات المادية المتواضعة دون تحقيق طموحاته الطبية، وبالفعل جاء كلوت بك الى مصر عام ١٨٢٥ فعهد اليه محمد على بتنظيم الادارة الصحية للجيش المصرى التى كانت قد أُنشئت قبل وصوله بخمس سنوات، وللقيام بعمله الجديد على خير وجه صدر قرار بتعيينه رئيسا لاطباء الجيش وهذا القرار من الوثائق التاريخية المهمة التى مازالت محفوظة حتى اليوم ، ونصه كالتالى:: (يعين الحكيم (الطبيب) كلوت بك مفتشا لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية (وزارة الدفاع) وعضوًا بمجلس شورى الاطباء وناظرا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى، مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء (الاطباء) والاجزاجية (الصيادلة) ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته).

فى ذلك الوقت كان محمد على باشا منهمكاً فى تحديث مصر ونقلها من القرون الوسطى الى مشارف العصر الحديث معتمدًا على علماء أوروبا، وكانت الخانكة مقرا للمعسكر العام للجيش المصرى، فأشار «كلوت بك» على الوالى الطموح بإنشاء مستشفى عسكرى فى منطقة «أبى زعبل» التى كانت تقع بجوار

المعسكر، وبالفعل وافق الباشا وانشأ المستشفى الذى اصبح بعد ذلك مستشفى عاما لمعالجة الجنود، ونموذجا للمستشفيات التى انشئت بعده فى مصر وربما فى كافة بلدان الشرق.

خطوة كلوت بك الثانية والمؤثرة فى سبيل تطوير الطب فى مصر، كانت اقترح إنشاء مدرسة لتخريج اطباء من المصريين، وقدانشئت هذه المدرسة بجوار المستشفى العسكرى فى ابى زعبل عام ١٨٢٧ وتولى ادارتها كلوت بك، وهى المدرسة التى ترجع اليها بداية النهضة الطبية فى مصر فقد سمحت للطبيب الفرنسى بالتوسع فى اهتمامه بالصحة، فحول المستشفى من مكان لعلاج الجنود وحدهم الى علاج لكل المرضى، وعند بداية عمل المدرسة اختار مئة تلميذ من طلبة الازهر، وعين لهم عددا من خيرة اطباء فرنسا واوروبا ليدرسوا لهم علوم التشريح والجراحة والباطنة والصحة والصيدلة والطب الشرعى والطبيعة والكيمياء وامراض النساء، وهى علوم تكاد تكون مجهولة لأهل القاهرة فى ذلك الوقت، كما عين فى المدرسة اساتذة لتدريس اللغة الفرنسية للطلبة الازهريين، وجعل لكل استاذ مترجمًا الى العربية، وكانت تلك الخطوة بداية كلية طب قصر العينى.

بعد خمس سنوات من انشاء المدرسة بدأ المصريون يجنون ثمار أعمال كلوت بك، فقد تخرجت الدفعة الاولى من الاطباء المصريين الازهريين، وتم توزيعهم على مستشفيات ووحدات الجيش المصرى، ومنهم اختير عشرون طبيبا ليعملوا معيدين للدروس، اذ كان الاستاذ الاجنبى يلقى دروسه بالفرنسية، ثم يتولى هؤلاء إعادتها على الطلبة بعد ترجمتها الى العربية، ومن هنا جاء اسم وظيفة (معيد) الذى مازال ساريا فى الجامعات المصرية حتى الآن، كما تم اختيار ١٢ من النابهين وتم ارسالهم فى بعثة الى فرنسا لإتقان علوم الطب والصيدلة ولما عادوا عينوا أساتذة فى مدرسة الطب.

وفى عام ١٨٧٣ تم نقل المدرسة والمستشفى الى قصر العينى - وهو مكانها الحالى - لتكون اقرب إلى القاهرة وخدمة عامة الناس، والحقت بمدرسة الطب

مدرسة خاصة بالصيدلة، ثم مدرسة للقابلات والولادة اختير لها مجموعة من الفتيات الحبشيات والسودانيات وكذلك تم إنشاء مستشفى صغير خُصص لأمراض النساء.

ورغم كل هذه النجاحات إلا أن الوالى عباس الاول وقف حائلا بسياساته المتعجرفة دون مواصلة مشروع كلوت بك، فأهملت مدرسة طب قصر العينى وتم توزيع طلابها للعمل فى الجيش، واضطر هو نفسه الى مغادرة مصر والعودة الى فرنسا.

ولكنه عاد مرة أخرى بعد أن تولى سعيد باشا واستدعاه لإعادة مدرسة الطب الى سابق عهدها، وحضر افتتاح المدرسة الذى اقيم عام ١٨٥٦، غير أن تلك العودة يبدو انها تأخرت كثيرا، فسرعان ما تدهورت صحته فاضطر الى العودة الى فرنسا، ومات هناك بعد عامين بالضبط من عودته وبالتحديد فى اغسطس ١٨٦٨ لينهى مشروعا طبياً طموحاً لم يتوقف فقط عند إنشاء مدرسة للطب رغم اهميتها، بل انشأ مجلسا للصحة البحرية فى الاسكندرية، وعندما انتشر وباء الجدرى فى مصر اقترح اعتماد اسلوب التطعيم، وبه انقذ ٦٠ ألفًا من الأطفال المصريين الذين كانوا يموتون كل عام، وعندما انتشر وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٣٠ -اشرف على مقاومته هو وتلاميذه وكافأه محمد على بالإنعام عليه بلقب (بك).

كلوت بك فضلاً عن نبوغه فى مهنته له مؤلفات عدة فى الطب والتاريخ، أهمها كتابه القيم (لمحة عامة عن مصر) الذى تمت ترجمته الى العربية، وهو كما يؤكد العديد من المؤرخين والباحثين من اهم مراجع وصف الحياة المصرية خلال الفترة التالية للحملة الفرنسية على مصر طوال عهود محمد على وعباس وسعيد، وقد كرمته فرنسا بمنحه وسام (اللجيون دوتور) من درجة فارس، وعضوية أكاديمية الطب الملكية فى باريس والعلوم فى نابولى، ومن ناحية اخرى كان جديرا بان يمنحه الشعب المصرى اسم واحد من اهم شوارع القاهرة، وتمثالاً نصفيا فى كلية طب قصر العينى التى اسسها.

«كلوت بك» كان يحب القهوة المصرية وقد بالغ فى وصفها وتقاليد شربها فى كتابة (لمحة عامة عن مصر) وكما عادة الصلحاء من الناس كان يكره فتيات الليل، ويصفهم بأحط الالفاظ، غير أنه كان من النادرين الذين تعرضوا لانتقام بدا قاسيا منهن , ليس فى شخصه أو حياته، ولكن من شارعه، فقد حولنه على مدى ما يقرب من النصف قرن إلى ساحة لممارسة البغاء الرسمى الذى لم يحرم فى شارعه سوى فى اربعينيات القرن الماضى .

فى هذه الفترة اخترقت خطوط ترام القاهرة شارع كلوت بك، وصار مزدحما بجنود الاحتلال الانجليزى وطالبى الأنس والفرفشة الذين كان لا يجد الواحد منهم صعوبة فى الحصول على الحسناوات اللاتى كن يتخذن من دور الشارع اسرة مخملية لهن.

شارع (كلوت بك) فى هذه الفترة كان أسير قبضة قوية وشريرة تسيطر على ما يدور فيه، وهى قبضة قاطع طريق اسمه ابراهيم المغربى، كان عميد شارع كلوت بك وسيده والحاكم بأمره فيه وكان يخشاه الجميع وأولهم قوات الشرطة لقوة نفوذه الذى كان يستمده من ماله المبذول لكبار رجال الشرطة الاجانب فى ذلك الوقت ومنهم هارفى باشا حكمدار القاهرة، وفيلبيدس السورى الذى كان يوصف بالرهيب، وسانتى الايطالى، وبفضل تواطؤ هؤلاء كان المغربى يجلد ويسجن ويقتل احيانا اى واحد يتمرد عليه سواء من الزبائن او من النساء اللاتى كان يملكهن ولا يستطعن فكاكًا من قبضته القوية المسيطرة بالرشوة لرجال الشرطة.

وقد ظل إبراهيم المغربى يمارس الجرائم فى شارع كلوت إلى أن جاءت النهاية التى تناسبه تمامًا فى عشرينيات القرن الماضى فقد اكُتشف أمر رشوته لرجال الشرطة وعزل حكمدار القاهرة هارفى باشا، ومات هو فى السجن ذليلاً وفقيرًا بعد أن كان أحد أثرياء القاهرة.

منذ أربعينات القرن الماضى توقف شارع (كلوت بك) عن نشاطه القديم وهو الآن من أهم الشوارع التى تربط بين ميدان رمسيس والقاهرة القديمة من خلال

ميدان العتبة الخضراء، وان كان مازال عامرًا بالعديد من اللوكاندات القديمة التى رغم تواضعها الشديد وافتقادها لعزها ونضارتها مازالت عامرة بالنزلاء خصوصا من ابناء القرى والنجوع البسطاء، ومنها لوكاندة (المنتزه الكبرى) ذات المبنى الذى يتميز باللون الاصفر الفاقع، وقبابه تنتمى للقرون الوسطى ولوكاندة الشبيبة المصرية، ولوكاندة السلام التى رغم تداعيها تحاول ان تحافظ على موقعها فى الشارع، غير انها تبدو مرتبكة امام أحدث عمارات الشارع التى يملكها د. يوسف وهيبة مسيحة . وبالقرب منها افخم لوكاندة بالشارع وهى ابسانديد الجديدة التى تتميز بطرازها الانجليزى وبشبابيكها المتلاصقة التى تدلل على ضيق الحجرات وتزينها كرانيش صفراء، ومما يكرس جمال عمارتها ذلك الباب القديم المقفل بجانبها، والذى يبدو انه آخر ما تبقى من وكالة تجارية قديمة.

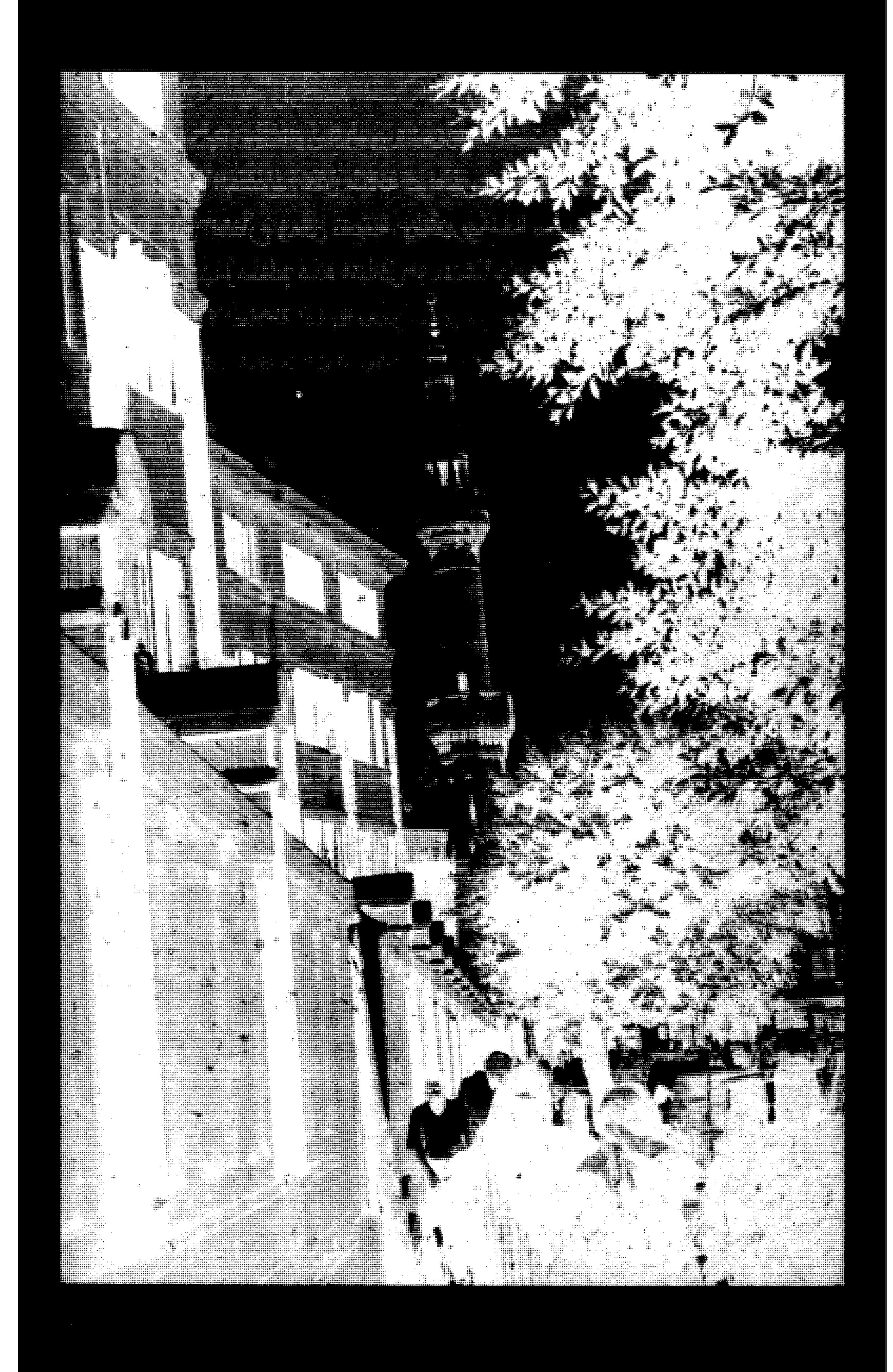
لوكاندة العهد الجديد تقع جنوب الشارع ويبدو اسمها مخالفًا لتاريخها القديم، وبجوارها مباشرة محل الايطالية للادوات الكهربائية وعلى الناحية الاخرى لوكاندة سوهاج الكبرى التى يقول صاحبها السوهاجى الاصيل انه بناها حديثا لابناء الصعيد ليس من راغبى النزهة فى القاهرة ولكن من البسطاء الذين تضطرهم الظروف الى المرور على هذه المدينة الصاخبة لقضاء مصالحهم.

ويبدو أن تلك الحماسة التى ابداها صاحب لوكاندة سوهاج لأهله لا ترجع فقط للكرم، ولكن أيضا لجذب الزبائن فإحدى وربما اهم وسائل الجذب الفندقى فى هذا الشارع هو العمل او التخصص فى منطقة جغرافية أو مدينة بعينها، ويدل على ذلك ان هناك لوكاندة لأبناء الشرقية والدقهلية وغيرها.

بعد فندق أبناء سوهاج هناك «فندق راديو» الذى يبدو أن صاحبه تكاسل عن الاهتمام به فطلى واجهة واحدة منه وترك الباقى للتآكل والتصدع وانتظار الانهيار وهو ينتمى الى طراز العمارة الانجليزية القديمة وبالطبع كان زاهيًا ومتلألأ حينماً كان من الأماكن المفضلة لحسناوات أربعينات القرن الماضى، وبجواره لوكاندة الشرق التى يواجهها اقدم محلات صنع وبيع الشيشة فى مصر، ويمكن اختبار جودة منتجاته فوراً بمجرد الجلوس على المقهى المجاور له والذى

يجاور فندق النسيم ولوكاندة العدل التى ربما يرجع اسمها الى طلب النجدة من اختناق مدخلها، وصالون الزهور للحلاقة المخصص للرجال والذى قيل إن فى بدايات القرن العشرين كان مكانه كوافير حريمى شهير، ويعمل به عجوز يبدو ساخطًا على الشارع وعلى نفسه، وبالقرب منه صيدلية مارمرقس لصاحبتها د سلوى حبيب ومعظم هذه المبانى او المنشآت جميعها تشكل قطعة من الماضى السحيق التى لا علاقة لها بالعصر سوى من خلال أكشاك التليفونات والعمارات الحديثة وكذلك خطوط المواصلات التى داهمت شارع كلوت بك بشدة فى الفترة الاخيرة.

* * *



عابديـن

حى عابدين أقدم أحياء القاهرة الاوروبية التى أسسها الخديو اسماعيل فهو يحمل اسم قصرها الملكى الذى انتزع مقر الملك من قلعة صلاح الدين الايوبى بعد أن هيمنت عليه قرونا عديدة ، وسكنه الباشوات والأمراء وكبار التجار وخليط من الاجناس التى استعانت بها الاسرة العلوية لانجاز مشروعاتها التحديثية وايضا التى دستها القوى الاستعمارية لتسهيل استنزاف خبرات مصر وتعطيل استقلالها كما ان اسمه يرجع الى القائد الذى استعان به محمد على فى القضاء على المماليك وتثبيت اركان حكمة فى مصر .

غير أن مجاورة الحى لقصر عابدين الذى كان بمثابة خشبة مسرح سياسى ازدحمت بكافة الوجوه التى تحكمت فى مقدرات الشعب المصرى معظم أيام الاسرة العلوية جعلته اشبه بكواليس مظلمة وهامسة لمسرح متلألىء بمعنى انها اخضعته لدور المطبخ المتسع والغامض الذى انضج وجهز كل ما يحتاج اليه لاعبو القصر أو الخشبة وعلى راسهم ولاة وملوك الاسرة العلوية ، ابتداءً من طهى أشهى المأكولات وتطريز أفخر وأندر الملبوسات الملكية وانتهاء بتدبيج المعلومات والوشايات اللازمة للقرارات والمراسيم التى اتخذوها طوال أكثر من مائة عام لذلك فإن الحى شهد حتى التخمة ذروة مجد وتألق وبذخ الاسرة العلوية، ثم اصطلى بنار انكسارها وزوالها الى الأبد .. شهد وشارك فى مواكب الخديو اسماعيل وهو يؤسس القاهرة على طراز افخم العواصم الاوروبية وتنسم عطور ضيوفه من السلطان العثمانى حتى لوردات وأمراء أوربا كما صنع وروّج الحقائق والشائعات التى غاصت فى ادق تفاصيل حياتهم.

الأغوات كانوا أبرز وأنزه سكان الحى فى بداية هبوب الرياح الملكية عليه، وكان يسمح لهم بمصاحبة نساء عليه القوم فى كافة شئونهم بما فيها ملازمتهن اثناء الاستحمام فلا خوف منهم لأنهم والسيدات سواء فهم كما يدل اسمهم " خصيان " فقدوا ذكورتهم منذ الطفولة وكان أشهرهم فى الحى " خليل أغا " خادم الخديو اسماعيل ووالدته " الوالدة باشا " وبفضل عطاياهما أصبح من كبار أثرياء مصر فى ذلك الوقت فقد امتلك أوقافًا هائلة ضمنها عمارات سكنية فى حى القلعة كانت معروفة باسمه وإلى الآن توجد مدرسة باسمه فى العباسية.

ملابس خليل أغا كان يختارها الخديو اسماعيل بنفسه فهو خادمه الخاص الذى كان يقدم له فنجان القهوة ويؤدى له كل حاجاته الشخصية فى طاعة وخضوع لأن الطاعة بالنسبة لمهنته لا تكفى بل يجب ان يؤدى مراسم الخضوع لأفندينا ولى النعم فينحنى عند المثول بين يديه ، ويتراجع الى الوراء عندما يأمره بالانصراف .

وكان زيه الرسمى عبارة عن بدلة اسطمبولى سوداء ذات أزرار مقفولة حتى العنق وقميص أبيض ذى ياقة واساور منشاة وعريضه بزراير، ذهبية أما الحذاء فهو من الجلد الأسود اللامع الذى يتناسب مع الطربوش الأحمر .

موضة الأغوات انتشرت فى قصور امراء وباشاوات الحى والقاهرة برمتها فى عهد الخديو اسماعيل ولكن لم يستطيع احدهم تقليد زى «خليل أغا» ، ليس لارتفاع ثمنه بالطبع ، ولكن خشية الاتهام بمنافسة أزياء خدم الخديو فقد كانت الأسرة العلوية تحرص على التفرُّد والتميز عن الشعب فى كافة شئونها الخاصة ومما يروى فى ذلك انه بمجرد أن صنعت الراقصة «شفيقة القبطية» لنفسها عربة تشبه عربة الخديو عباس حلمى الثانى قامت قيامة قصر عابدين ، غير أن الخديو المسكين لم يستطيع منع الراقصة من التشبه به وذلك لأن كرومر المندوب السامى البريطانى او الحاكم الفعلى لمصر فى ذلك الوقت منعه بقسوة حتى يثبت للمصريين سيطرته عليه ، أما الملك فؤاد فقد أعد لنفسه ركائب ملكية من سيارات الرولزرويس والموتوسيكلات واختار لونا أحمر مميزًا حرَّم استخدامه على الشعب .

سعيد ذو الفقار كان أشهر باشاوات حى عابدين فى بداية تاريخه الملكى ، فقد كان كبير الأمناء فى قصر عابدين وكان قصره فى شارع «قوله» وعند بابه كان يجلس بشكل دائم أغا بيده عصا غليظة يهش بها اطفال الحى، فقد كان الأغوات بسبب أناقتهم وطراوتهم المبالغ فيها عرضة لعبث صبيان الحى الذين كانوا يعاكسونهم حتى يسمعوا أصواتهم الناعمة ما كما كان الأغا أجرودى لا ينبت الشعر فى لحيته او شاربه والشىء العجيب ان هؤلاء الاغوات كانوا لا يذكرون اسماءهم الحقيقة لذلك لم يعرف منهم سوى القليل ومنهم «خليل اغا» و«كافور الاخشيدى» الذى تولى ملك مصر وكانت له مع المتبنى وقائع شهيرة سجلها فى عدد من القصائد.

أعيان حى عابدين من المصريين كانوا يتقربون لقصر عابدين ببعض الهدايا الموسمية ومنهم أحد التجار الذى كان يرسل كل عام اثنى عشر أردبا من القمح قبل موسم عاشوراء هدية للخديو اسماعيل حتى يصنع منها "العاشورة" على عادة المصريين كما كان الخديو يرسل الى جيرانه فى الحى صوانى الأطعمة الفاخرة فى غرة شهر رمضان وليلة القدر وكذلك الحلوى فى عيد الفطر .

وفى نفس الوقت كان أبناء الحى من المصريين على عداء تام مع سكانه من الباشاوات الأتراك والشراكسة الذين بدأوا يبنون قصورهم على أرضه الى جانب بيوت وقصور المصريين فى عهد اسماعيل مثل قصر «سلطان باشا» والد هدى شعراوى الذى كان يمتد فى الحى من جامع شركس إلى شارع هدى شعراوى وفى جزء من أرضه الآن وكالة أنباء الشرق الاوسط كما كان قصر محمود حمدى الفكلى وقصر احمد عرابى باشا فى يالمنطقة التى يتوسطها ميدان الفكلى الآن وبالقرب منها كان قصر محمود باشا سليمان والد محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر فى العهد الملكى .

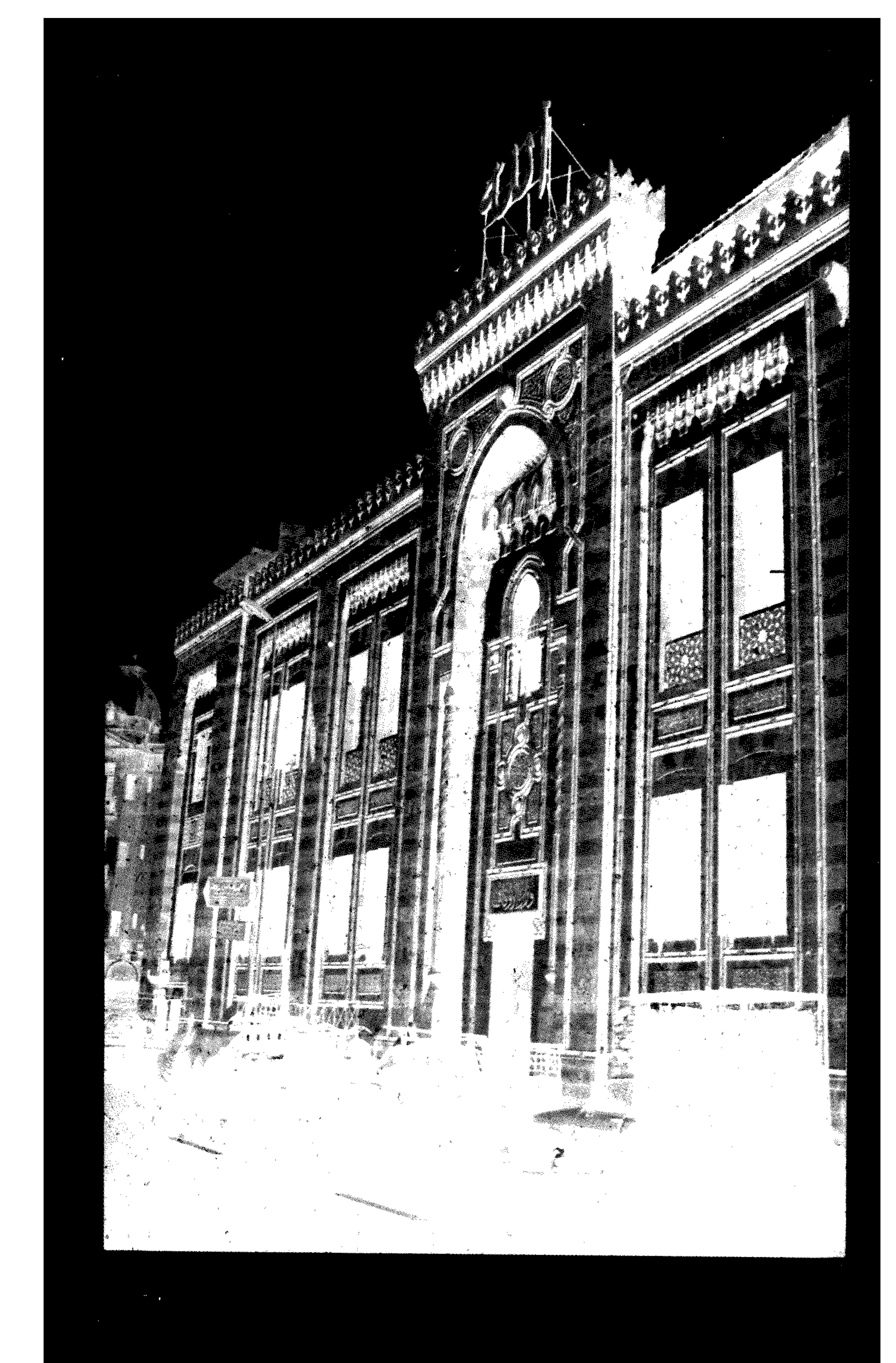
غير أن قصور ومعاملات باشاوات الأتراك فى الحى كانت لها سمات خاصة من أهمها جلوس الأغوات أمام أبوابها ورفض اصحابها التعامل مع ابناء البلد بل واحتقارهم ومما يدلل على ذلك انه عندما بنى احدهم قصره فى شارع قوله بجوار بيت احد التجار تعمد ان يعزله تماماً عن بيت هذا الرجل البلدى ، فبنى

جدراً عالياً حجب الشمس والهواء عن بيت التاجر الذى بجميع الطرق أن يقنعه بهدم الجدار لكنه رفض بغطرسة شديدة متباهياً ومهدداً بنفوذه التركى ، فاضطر التاجر الى اللجوء للحيلة والدهاء وحاربه بنفس الاسلوب، فى ذلك الوقت من عادة الخديو توفيق المرور بأرض الحي فى طريقه لمحطة باب اللوق فانتظر التاجر موكبه الخارج من قصر عابدين وفى يده جاموسة ضخمة وبمجرد ان اقترب الموكب منه أمر صبيانه بذبح الجاموسة فى عرض الشارع فانبثق الدم وتوقف الموكب فأطل توفيق من عربته ليرى ماذا يحدث واستدعى التاجر ليعرف سبب ذبحه للجاموسة أمام الموكب، فأخبره انها احتفال بقدومه وان سيوزع لحمها على الفقراء وبمجرد ان طرب الخديو لهذا الإطراء أشار التاجر إلى جدار الباشا الذى حرمه من الشمس فالتفت توفيق الى المكان واصدر امراً فورياً بهدم الجدار .

حى عابدين فى بداياته كان ساحة ساخنة لأسرار الأسرة العلوية، بما فيها التى لا تتورع عن انتهاك شرفها ويكون مكان وقوعها حجرة نوم الخديو أو الملك، ومن أكثر منه تعرضت سيرتهم لانتهاك حكايات أبناء الحى الأميرة زينب ووالدها الخديو اسماعيل فقد روى أبناء الحى عن مجونها وتحررها ومغامراتها العاطفية الملتهبة كما تناقلوا قصصا متعددة عن القهوة المسمومة التى اعتمد عليها الخديو اسماعيل فى الخلاص من أعدائه ومعارضيه كما تناقلوا قصصاً تشبه الاساطير عن مغامراته النسائية .

الاميرة زينب كانت تمر يومياً من أرض الحى فى عربة ملكية مغلقة الأبواب ومسدلة الستائر كانت تعرف باسمها ونظرا لشهرتها وإعجاب الناس بها استغلها أحد اهالى الحى فى إقامة مشروع تجارى در عليه ربحاً كثيرًا، فقد قام بصناعة عربة تشبهها تماماً واطلق عليها اسم الاميرة زينب وخصصها لزفاف العرسان من داخل الحى وخارجه فذاع صيته وكثرت أمواله وتوافد عليه العرسان من كافة أنحاء القاهرة .

زفة عرائس الحى فى عربة الأميرة زينب كانت تتميز بشكل خاص فقد كانت العروس تركب هذه العربة الملكية مع أمها وأخواتها ثم يبدأ الركب فى التحرك



من منزل العروس مخترقا الشوارع التى يختارها أصحاب الفرح حتى يصل الى جامع السيدة زينب ويعود تصحبه الدفوف والأغانى، وكان من العادات أن يتقدم فتوة الحى ركب الفرح على ارض حَيِّه , فاذا دخل حيّاً آخر فلابد أن ينسحب ويسلم القيادة لفتوة هذا الحى واذا حدث خلاف بين الاثنين يتحول الفرح الى مذبحة .

أمين المالطى كان اخر فتوة يشهده الحى , وكان يتمتع بالحماية الإنجليزية أيام الامتيازات الأجنبية , ورغم بطشة المتكرر بأبناء الحى لم يكن من حق البوليس المصرى التعرض له إلا فى حضور القنصل البريطانى الذى اضطر الى نفيه الى جزيرة مالطا بعدما اعتدى على احد الرعايا الأجانب، غير ان هذا العقاب لم يزده الإ تطاولا وغيّاً بل وراح يتباهى بانه نفى الى نفس الجزيرة التى نفى إليها الزعيم سعد زغلول .

حى عابدين فى بدايته الملكية كان عامرًا - كما هو الآن - بالمحلات الصغيرة , وأشهرها محل عبد الله الذى كان بالقرب من بيت الزعيم مصطفى كامل وتوجد به الآن مدرسة عابدين الابتدائية، وإلى جانب الكتب القديمة كان متخصصًا فى بيع الأفيون الذى كان يستعمل فى الطب الشعبى, وكذلك الحشيش الذى كان مباحًا تداوله فى ذلك الوقت، وكان اهل الحى يعرفونه باسم" ابو النوم"

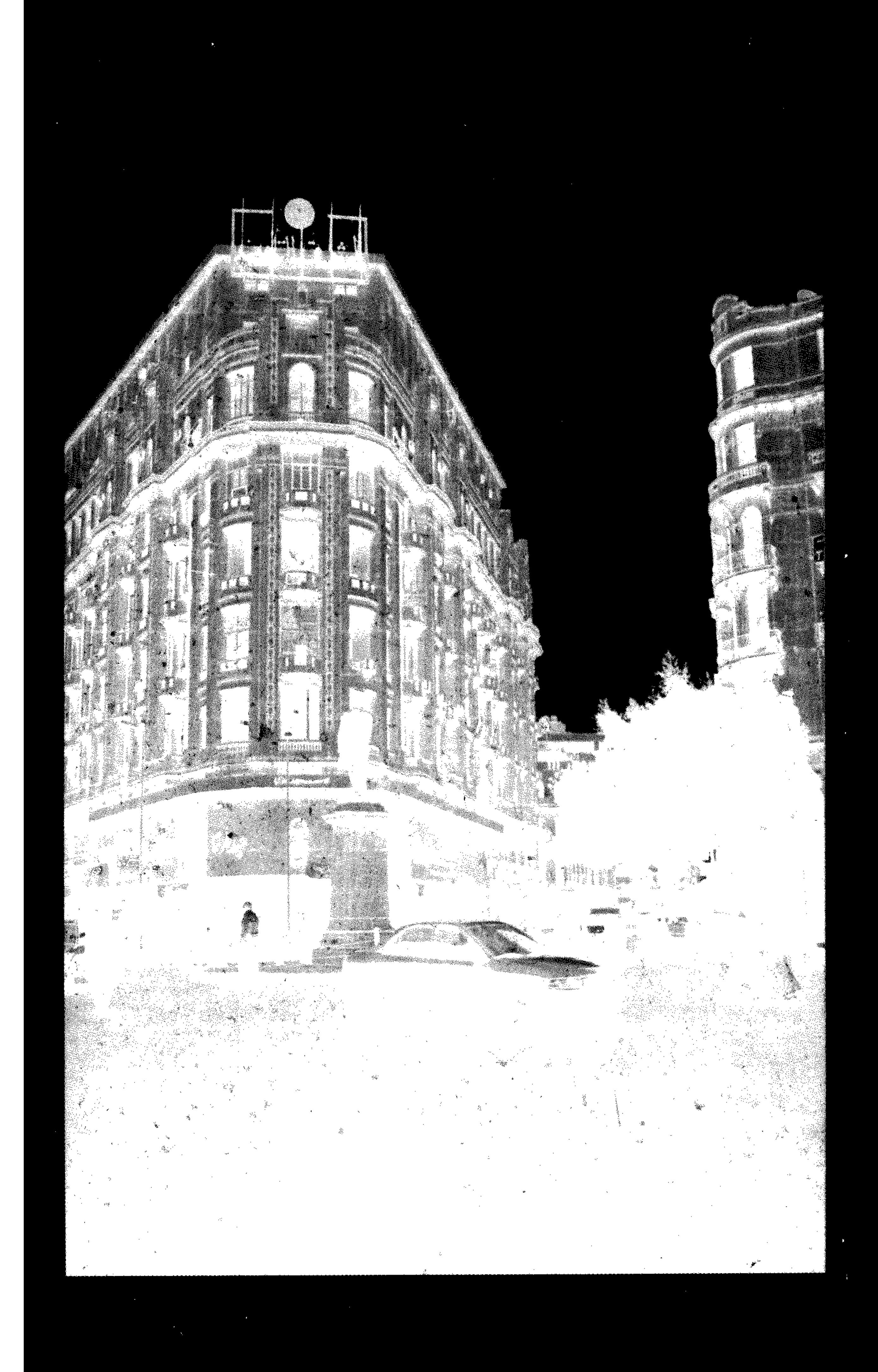
الحمير كانت أهم وسائل مواصلات الحى بجوار عربات الباشاوات والأمراء, وكان منها الملاكى والاجرة , والأولى كان أصحابها يبالغون فى الاهتمام بها ويضعون على ظهورها البرادع الفاخرة , وبسبب ذلك كانت صناعة البرادع من أشهر الصناعات فى القاهرة وكانت تصنع من القطيفة لحمير السادة من أبناء البلد وشيوخ الطوائف اللذين كانوا يقيمون سابقًا للحمير فى أرض المحمودى شرق القاهرة.

وكان سباق الحمير من أشهر المحافل الرياضية بالقاهرة بل كان عند ابناء البلد أهم من سباق الخيل الذى كان يرتاده أبناء الذوات. أما حمير الأجرة فقد اشتهرت فى القاهرة ايام الحملة الفرنسية حتى ان نابليون بونابرت اعد لها

مواقف خاصة على نواصى الشوارع وفى الميادين مثل السيارات بالضبط، كما حدد عدد حمير كل موقف وجعل لها تسعيرة ثابتة بسبب عراك العساكر الفرنسيين مع الحمارين نتيجة تفاوت الاجرة , ومما يروى من حكايات وطرائف الحمارين انهم هم الذين اطلقوا على يعقوب صنوع لقب " ابو نظارة زرقا" لانه كان يضع نظاره على عينيه وهو يركب حميرهم , ويبدو ان اللقب اعجبه فقد روجه لدرجة انه اطلق على مجلته .

حى عابدين عرف جنسيات شتى انجليزية ويونانية وفرنسية وايطالية وتركية وارمنية ومن اشهر سكانه الاجانب الفنان " سانتوس" رسام مجلة " السياسة " الاسبوعية وصاحب الرسومات الشهيرة التى صاحبت مقالات الشيخ عبد العزيز البشرى , ورسام الكاريكاتير الشهير "صاروخان" و " ينى" صاحب اقدم حانات حى عابدين وابنته " ماريكا " التى كانت تتميز بجمال خارق دفع ابراهيم بك حفيد الزعيم احمد عرابى الى التردد يوميا على حى عابدين والمكوث بالساعات فى حانه ينى انتظارا لنظرة عابرة من ابنته ماريكا. كما سكن فى الحى الخياط الايطالى "او مندو" الذى قدم من روما خصيصا ليصنع ملابس السلطان حسين كامل الذى تولى العرش بعد عزل الخديو عباس حلمى الثانى بمعرفة الانجليز وكان حسين كامل عصبى المزاج شديد الغضب ولا يتورع عن القضاء على خصومه بكافة السبل وقيل انه قام هو وشقيقه الأمير حسن بإغراق إسماعيل باشا المفتش وزير المالية وصاحب افخم قصور الحى تحت كوبرى قصر النيل حتى لفظ أنفاسه الأخيرة عندما غضب عليه والدهما الخديو إسماعيل.

* * *



شارع صبرى أبو علم

شارع صبرى أبو علم يبدأ بتمثال السياسى والاقتصادى المصرى الشهير طلعت حرب ، وينتهى وسط ميدان السياسى والمناضل العراقى عبد السلام عارف، وكلاهما خاض حياة سياسية واقتصادية ثورية حافلة وغريبة كانا فيها أشبه برجل صعد بعناء وصبر وتمهل قمة جبل شاهق ثم فجأة انسحق من فوق ذروته جثة هامدة، فقد استهلا مشوارهما السياسى و الاقتصادى من قلب أرضية الدفاع عن هموم البسطاء وحقوقهم وكرامتهم، وبلغا ذروة النضال بتأسيس بنك مصر بالنسبة للاول ونجاح الثورة العراقية بالنسبة للثانى ،ثم انتهيا معا الى ما يشبه المأساة الاغريقية، فالاول مؤسس الاقتصاد المصرى-مات محروما وجائعا وسط ظلمات حوارى اوروبا والثانى تجرع مرارة الموت حرقا او انفجارا . لو صحت التسمية . بعد ان قاد الثورة الدموية التى اطاحت بالملك وحاشيته من على عرش العراق والحياة برمتها.

تمثال طلعت حرب نصب فى أول الشارع بعد ثورة يوليو١٩٥٢ مكان تمثال الضابط سليمان باشا الفرنساوى مؤسس الجيش المصرى الحديث فى عهد محمد على باشا، وميدان عبدالسلام عارف فى آخرالشارع كان يعرف باسم ميدان البستان نسبة الى بستان أقامه المماليك فى هذه المنطقة، وبينهما يمتد الشارع فى قلب القاهرة الاوروبية التى شيدها الخديو اسماعيل ليربط بين مركزها السياسى والخدمى المتمحور حول ميدان التحرير وقصر عابدين، ومركزها التجارى والفنى المتمثل فى الأزبكية والعتبة.

الشارع كان قديما يعرف باسم"جركس" وهو مملوكي قليل الشأن لم يتعرض المؤرخون لسيرته وأقرب مبررات إطلاق اسمه على الشارع هو جامعه الذى يقع لليوم فى منتصفه تقريبا،وبعد عام١٩٤٧م آل اسم الشارع الى صاحبه الحالى السياسى الشهير محمد صبرى أبو علم.

صبرى أبوعلم ينتمى إلى اسرة من كبار الملاك..هو شخصيا كان يملك ٥٠٠ فدانا من أجود الاراضى الزراعية، وبدأ مشواره السياسى وسط شبيبة حزب الوفد..حزب الاغلبية فى هذه الفترة، وشغل منصب السكرتارية العامة للوفد من عام ١٩٤٣ حتى وفاته فى فترة كانت من أخصب فترات العمل السياسى فى الوفد وربما فى مصر كلها، وبفضلها اكتسب شعبية كبيرة واحتضنت صحفه كافة الاتجاهات والتيارات الفكرية، والسياسية، فانتقل الوفد من ضيق ومحدودية الحزب الى رحابة "جبهة" شعبية التقت داخلها او داخله القوى السياسية المناضلة-فى ذلك الوقت- من أجل الاستقلال والديمقراطية والعدل الاجتماعى.

نشاط ورحابة الوفد بفضل جهود صبرى ابو علم اثارت قلق بل وغضب اسماعيل صدقى - رئيس الوزارة المصرية فى ذلك الوقت - فشن حملة المصادرات الشهيرة التى عصفت بكافة صحف حزب الوفد عام ١٩٤٦، واعتقلت أبرز كتابه وقياداته الشبابية، غير ان صبرى أبو علم الذى عرف عنه الاصرار والشجاعة لم يستسلم وواجه اجراءات صدقى المتعسفة بإصدار جريدة "صوت الامة" التى حافظت على التراث الليبرالى للوفد،وواصلت النضال من أجل الاستقلال والديمقراطية،كما نشط اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التى ضمت ممثلين من الجامعات والمدارس ومشايخ الازهر الشريف، ودعمت قيادة الوفد فى مواجهت بطش اسماعيل صدقى ، فطالب الزعيم مصطفى النحاس باجراء انتخابات جديدة حرة، وهذا يعنى اسقاط نظام اسماعيل صدقى،كما كتب د.عزيز فهمى مههدا "اما أن يكون هذا وطننا واما ان يكون وطنا لأعوان الانجليز" قاصدا بذلك بالطبع اسماعيل صدقى وأعضاء وزارته.

صبرى أبو علم خريج كلية الحقوق واختاره الزعيم مصطفى النحاس وزيرا للعدل فى وزارته السادسة التى استمرت من ٢٦ مايو ١٩٤٢ حتى ٨ أكتوبر عام

١٩٤٤ وكانت اطول وزاراته وأشدها خصومة للملك ، ومن خلالها أعد أبو علم أهم انجازاته وهو قانون استقلال القضاء الذى أصدرته حكومة الوفد فى ١٠ يوليو ١٩٤٣ ،كما منحت رجال القضاء قطعة أرض مساحتها الفى متر مربع وعشرة الاف جنيه لاقامة ناديهم.

استقلال القضاء كان انجازًا كبيرًا فى هذا الوقت.وقت الهيمنة الاجنبية والمحاكم المختلطة وفساد الملك وحاشيته،لذلك فقد ظل أبو علم يفخر به طوال حياته ، غير ان ما حدث للقضاء بعد ثورة يوليو ربما قض مضجعه فى مماته ، فقد كان أولاده وأقاربه اول ضحايا قانون ١٩٦٩ الذى شرع لفصل القضاة بغير الطريق التأديبى، وبالفعل انهيت خدمة العديد من القضاة لمجرد انهم استجابوا لرئيس ناديهم المستشار ممتازنصار عندما طالب القضاة بعدم الانضمام للاتحاد الاشتراكى حفاظا على استقلال القضاء ونزاهته ،ومنهم المستشار يحيى ابو علم نجل صبرى ابو علم والمستشار محمد أبوعلم احد أقاربه.

صبرى أبوعلم اثناء شغله للوزارة اصطدم مع السراى الملكية غير مرة ، ومنها انه اعترض على تعيين القصر الملكى لثلاثة مستشارين فى قلم قضايا الحكومة وأصر على أن تعيين القضاة من اختصاص رئيس الوزراء النحاس باشا، فما كان من القصر إلا أن أصر على موقفه، وزادت الجفوة بل والعداء بين حكومة النحاس والملك واحتد أبوعلم على حسن يوسف ممثل القصر وأعلن انه متمسك بوجهة نظره مهما كانت العواقب فلم يجد القصر الملكى مهربا من الرضوخ لطلبات الحكومة ووزيرها.

أبوعلم اشتغل بالمحاماة وقيل إنه كان لا يترافع سوى فى القضايا التى يتأكد من أحقية أصحابها،وفى اليوم الرابع من شهر ابريل عام ١٩٤٧ ارتجت القاهرة بخبر وفاته وتجاورت الجماهير العريضة مع زعماء الامة فى تشييع جنازته من جامع الكخيا القريب من ارض شارعه ،ورثاه عدد من صفوة كتاب مصر ومفكريها ومنهم طه حسين ومحمد مندور ومحمد هارون وحافظ شيحا، كما نعاه الشاعر على محمود طه بقصيدة طويلة.

شارع صبرى أبوعلم يعد ضمن اهم شرايين مركز القاهرة التجارى والفنى ويبدأ من ميدان طلعت حرب وتمثاله بعدد من المحلات منها صيدناوى وهان مون والعجيل ورمسيس للسياحة الذى يقف على ناصية شارع البستان، وبالقرب من مقهى البستان الشهير الذى يعد من الأماكن المفضلة للأدباء فى القاهرة سواء كانو من العرب او المصريين ، وكان ابرز رواده القدامى الشعراء محمود درويش وأمل دنقل وعبد الوهاب البياتى والكتاب يحيى الطاهر عبد الله وابراهيم اصلان وعبد الحكيم قاسم وبهاء طاهر وخيرى شلبى وغيرهم الكثير. ومن هذا المقهى الفقير الى حد ما خرج المثقف الكبير ابراهيم منصور فى حراسة او دعم يوسف ادريس معلقا على صدره لوحة كبيرة تعلن ببنط بارز رفض معاهدة السلام مع اسرائيل فور زيارة الرئيس السادات للقدس،وبالقرب منها والشارع اقتيد منصور بجرم لوحته الرافضة الى غياهب السجون.

بطريركية الأرمن الكاثوليك تعانق فى الشارع مئذنة جامع الرحمة فى منظر بديع يؤكد ان الشوارع كفيلة بتحقيق أبلغ آيات التسامح وإصلاح ما أفسده غلاة المتعصبين.

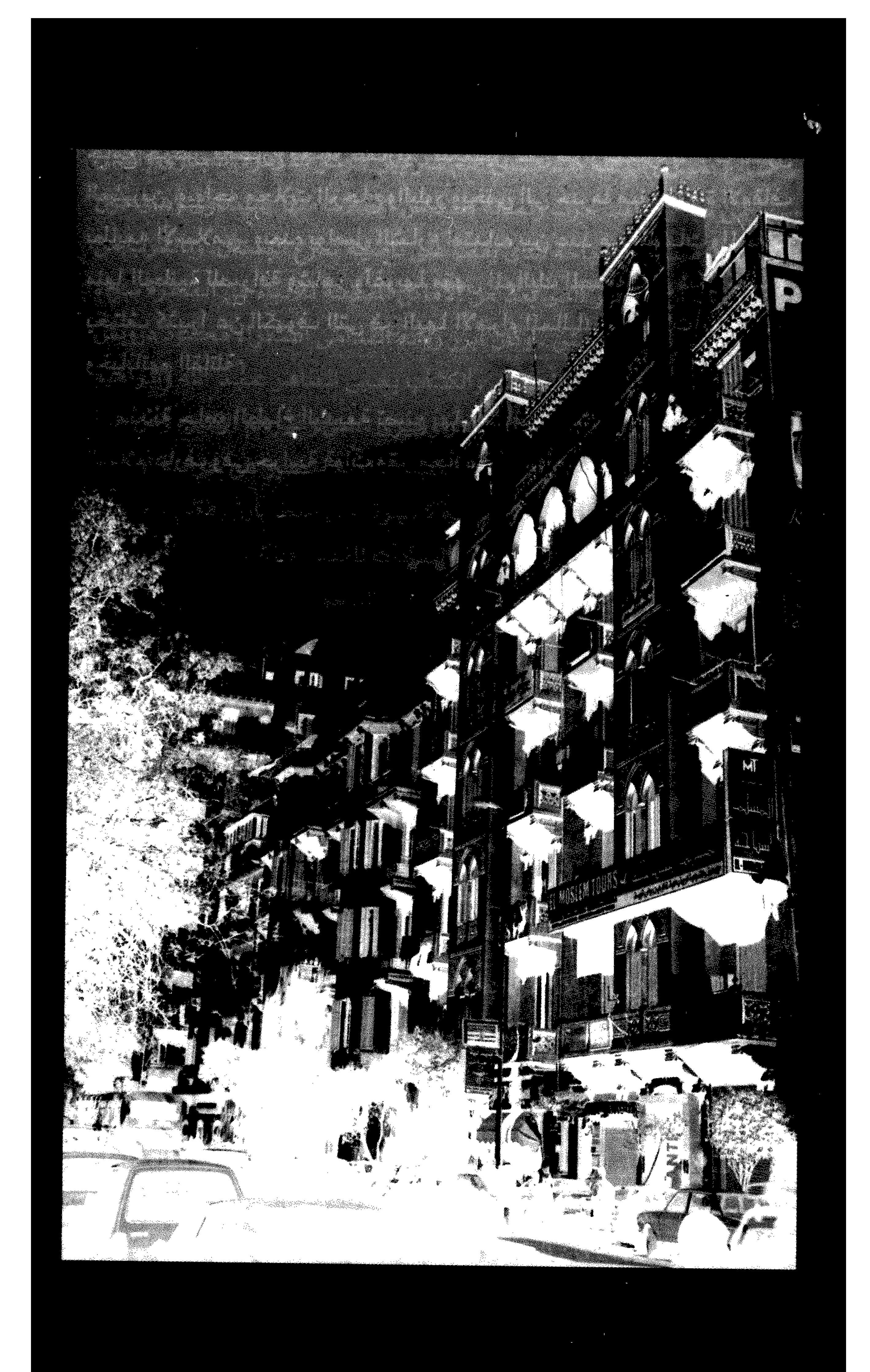
صحن جامع الرحمة بالشارع عامر دائما بالادباء الشبان الذين يأتون من اقاليم مصر المختلفة طمعا فى زيوع القاهرة واضوائها ويمنعهم ضيق ذات اليد من الحصول على مسكن للاقامة، وبالقرب منه تطل على ارض الشارع ناصية ممر القاضى الفاضل الذى تم رصفه ومنع السيارات من المرور فيه مؤخرا.

معظم سكان الشارع الآن من الطبقة المتوسطة الراقية وتجار وسط القاهرة، اما سكانه القدامى فقد كان بينهم الكثير من الرعايا الاجانب والاسر العربية التى هاجرت الى مصر من بلاد الشام، ومنهم سليم حداد والد الشاعر الشهير فؤاد حداد الذى كان يسكن بالقرب من جامع الرحمة وجاء الى مصر من قرية عبية اللبنانية قبيل الحرب العالمية الاولى وعمل استاذا فى جامعة فؤاد الاول - القاهرة حاليا - ونظرا لانه نال شهادة فى الدراسات التجارية من الجامعة الامريكية ببيروت فقد كان العضو رقم واحد فى نقابة التجاريين المصرية.

جامع جركس بالشارع يجاور عمارتين بديعتين على طراز عمارة بدايات القرن العشرين ،ويواجه محلات الزجاج والبلور ويخفى الى حد ما مبنى وزارة الاوقاف بطابعه الاسلامى. وبعده يواصل الشارع امتداده بين عدد من المنشآت والمحلات منها الوطنية للصرافة وشاهر وأغربها مقهى المماليك المصمم على شكل كهف لا يختلف كثيرا عن الكهوف التى فر اليها الامراء المماليك من ويلات مؤامراتهم وخياناتهم القاتلة.

مئذنة جامع الطباخ البديعة تصنع نهاية شامخة للشارع وسط ميدان عبد السلام عارف وفى حراسة قوات مقر محافظة القاهرة.

* * *


EL MOSLEM TOURS

شارع محمد محمود

شارع محمد باشا محمود يبدأ بواجهة اميركية تعد احدى ممالك الطبقة الارستقراطية فى مصر، فهى تجاور المطاعم العالمية ومبانى الجامعة الاميركية بالقاهرة، وينتهى بخلفية شعبية معظم سكانها من ابناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة التى انهارت فى العقود الاخيرة.. وبغض النظر عن التنافر الواضح بين البداية والنهاية، فإن موقع الشارع الاستراتيجى فى قلب القاهرة الاوروبية وفر له تاريخا طويلا، وجعله عرضة لتغيرات، وتقلبات طبيعية وبشرية كثيرة ففى البداية . خصوصا من ناحية الواجهة الاميركية- كانت ارض الشارع ضمن المجرى الذى تدفقت فيه مياه النيل قرونا عديدة، وعندما انحسرت مياه النيل فى القرنين السادس والسابع الهجريين ظهرت ارض الشارع وما حولها وعرفت باسم ارض اللوق، لأن الفلاحين كانوا يعتمدون فى زراعتها بعد انتهاء فيضان النيل الذى كان يغمرها على التلويق، أى بذر البذور فيها ثم ضغطها بألواح الخشب حتى تختفى فى باطن الارض الموحلة.

بعد انتصار الجيش العربى الاسلامى بقيادة السلطان قطز فى موقعة عين جالوت انتقلت أرض الشارع والمنطقة المحيطة إلى مرحلة جديدة، أخلتها من أهل البلد من فلاحى التلويق، ومنحتها لفلول الاعداء، فقد اختارها السلطان الظاهر بيبرس قاتل السلطان قطز لإقامة جنود وعائلات التتار الذين انضموا إليه بعد دحر قادتهم فى عين جالوت.

بيبرس لم يعتقل فلول التتار فى ارض الشارع والمنطقة، ولكنه فقط سمح لهم

بالعيش فيها تحت نظره حتى يأمن شرهم،وبعده ازدهرت ارض الشارع فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومن تلاه من سلاطين المماليك البحرية.

الشارع ظل يعانى أوضاعاً بائسة على مدى قرون عديدة، شهدت زوال دولة المماليك وضم مصر الى التاج العثمانى بعد ما فتحها السلطان سليم الاول. مع اجتياح قوات الحملة الفرنسية للقاهرة بدأت بشائر الاهتمام بأرض الشارع، فقد اختار القادة الفرنسيون منطقة قريبة منه وانشأوا فوقها معهدهم العلمى.

المعهد العلمى الفرنسى مازال باقيا حتى الان، لا يفصله عن الشارع سوى مبنى الجامعة الاميركية، ورغم ان تشييده فى هذه المنطقة نبه الى الاهمية الاستراتيجية للشارع، الا ان وجوده على حافته لم يغر الناس بالعيش به، فهذا تأجل حتى بدأ الخديو اسماعيل يحلم بتشييد عاصمة على أفخر الطرز المعمارية الاوروبية.

بعد مشاورات طويلة اختار الخديو اسماعيل أرضا من الشارع والمنطقة المحيطة لتحقيق حلمه الاوروبى وليجعلها قلبا لعاصمته الحديثة، فأمر بردم وازالة البرك والمستنقعات والقاذورات منها، ثم شرع فى تنظيمها واعادة تخطيطها فى شوارع مستقيمة متقاطعة فى زوايا قائمة فى اغلب الاحيان، وابرزها تخطيط شارع محمد باشا محمود، كما انشأ فيها عدة ميادين اكبرها واهمها ميدان التحرير الذى يقع فى بداية الشارع، كما انارها بفوانيس الغاز.

الشارع يعرف الآن باسم محمد باشا محمود، وهو أحد الرجال البارزين فى تاريخ مصر الحديث، فقد كان له دور مهم فى ثورة ١٩١٩ واجتمع فى منزله يوم ١٨ سبتمبر عام ١٩١٨ الزعماء سعد زغلول وعلى شعراوى وعبدالعزيز فهمى واحمد لطفى السيد لدراسة موقف مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وفى ١٣ نوفمبر ذهب سعد زغلول وعلى شعراوى وعبدالعزيز فهمى بناء على هذا الاجتماع الذى تم فى بيت محمد محمود لمقابلة المعتمد البريطانى ومطالبته بالتصريح لهم بالسفر الى اوروبا لعرض طلبات مصر على مؤتمر الصلح بفرساى.

محمد باشا محمود كان ضمن الوفد المصرى الذى سافر بعد ذلك الى اوروبا لعرض القضية المصرية، وقيل انه ابن احد الاثرياء الذين رشحهم الانجليز للجلوس على عرش سلطنة مصر بعد سقوط الامبراطورية العثمانية، وحسب تلك الرواية كانت يتباهى قائلا انا ابن الذى رفض ملك مصر.

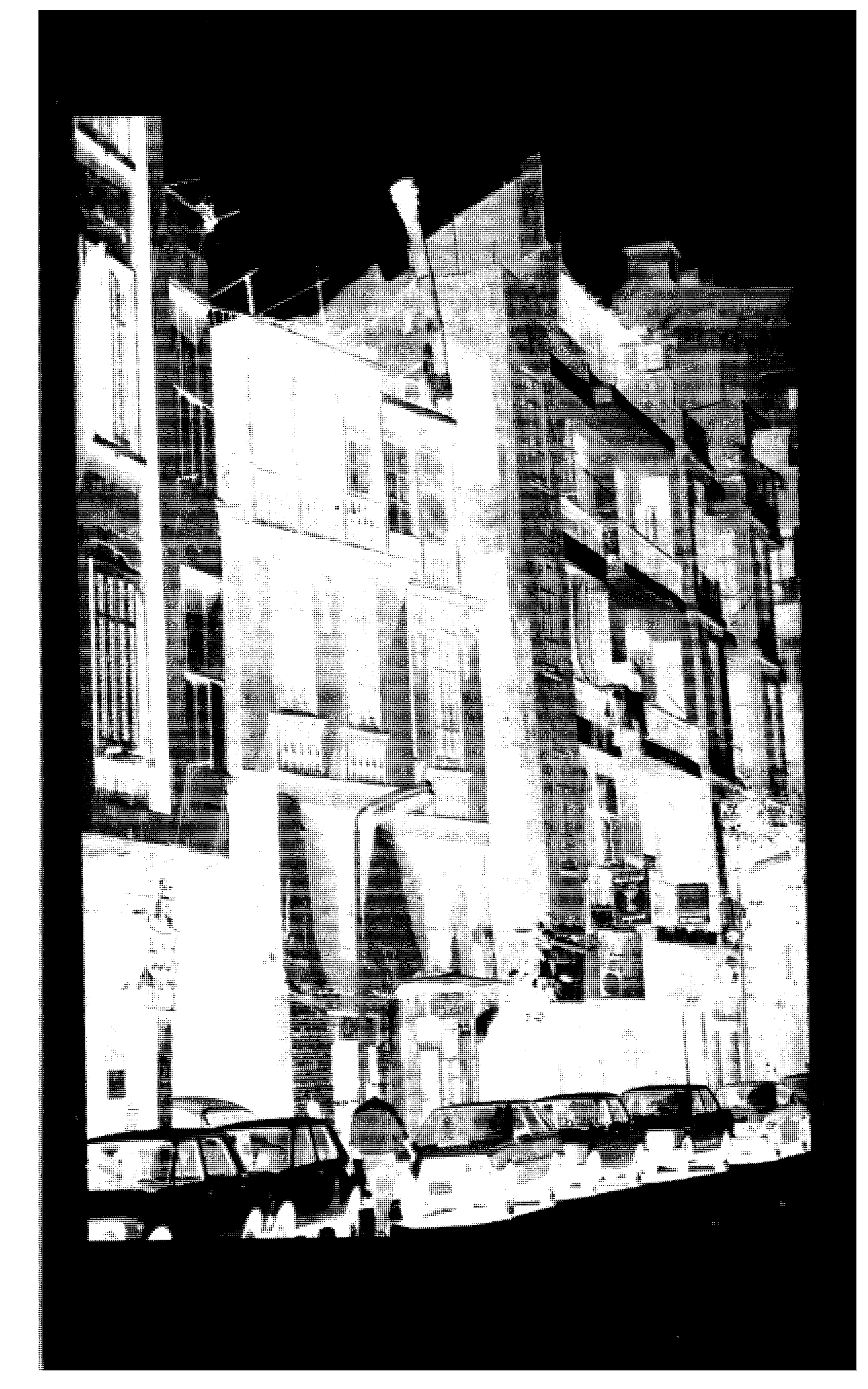
وبعد الافراج عن سعد زغلول وزملائه بفعل اندلاع ثورة ١٩١٩، ارسل الوفد محمد باشا محمود الى الولايات المتحدة للدعاية للقضية المصرية، غير انه بعد عودته استقال من الوفد على اثر الخلاف الشهير بين سعد زغلول وعدلى يكن على رئاسة وفد المفاوضات، لذلك عندما الف عدلى بكين حزب الاحرار الدستوريين كان محمد محمود وكيله ونائبه، تم تولى رئاسة الحزب بعده.

محمد باشا محمود ألف وزارته الاولى عام ١٩٢٨ وقام بالمفاوضات حول استقلال مصر مع هندرسون وزير خارجية بريطانيا، وهى مفاوضات انتهت بالفشل، كما ابرم اتفاقية توزيع مياه النيل بين مصر والسودان، والف وزارته الثانية عام ١٩٣٧ وبعدها انتقل لرئاسة المعارضة فى مجلس النواب الى ان توفى عام ١٩٤١.

الشارع يبدأ بجانب من مبانى الجامعة الاميركية وعدد من محلات الوجبات السريعة الاميركية ورغم ان هذا الجزء من الشارع اميركى قلبا وقالبا وخاضع تماما لسطوة حسناوات الجامعة الاميركية الا انه دائما ما يضج بمظاهرات حاشدة تنطلق من قلب الجامعة منددة بالسياسات الاميركية والمجازر الاسرائيلية.

مدارس ليسيه الحرية بباب اللوق تواجه بالشارع مكتبة الجامعة الاميركية فى مبناها الاسمنتى الخالى من اى بادرة جمال، وبعدها تخف قبضة الطابع الاميركى على الشارع، لتهب عليه روائح الطبقات الشعبية من خلال عدد من الشرفات الانيقة التى تنتهى بمأمورية ضرائب عابدين وبائع جرائد يتصدر واجهة سنترال باب اللوق.

* * *



بــاب اللــوق

لكل مكان علامة واضحة ترتبط وتدلل عليه وتكون مثل البصم، وبمجرد ان يذكر اسم المكان تقفز الى الذهن كشاهد عليه دون غيره من الامكنة علامة مصر على مر التاريخ هى نهر النيل الذى يشقها من الجنوب الى الشمال، وعلامة صحراء الجيزة الاهرامات التى تقف شاهداً على تاريخ مجيد ، وعلامة القاهرة الازهر الشريف وقلعة صلاح الدين .

أما علامة ميدان " باب اللوق وشارع الفلكى " فقد كانت ذلك الكوبرى العلوى الضيق والانيق الذى كان مخصصاً لنقل المشاة من الجانب الايسر الى الايمن والعكس .. جسم هذا الكوبرى كان من الحديد المطلى باللون الاخضر الغامق ، كان ضخماً رغم ضيق المساحة المخصصة للعبور فيه ، وكان ارتفاعه شاهقاً حتى بالنسبة لشخص يتمتع بصحة طيبة ، ولم تكن هناك حاجة ملحة لوجوده خصوصاً ان مساحة ميدان اللوق مضافاً إليها عرض شارع الفلكى ضيقة الى حد ما وكان سهلاً على أى شخص ان يجتازها فوق الارض بنوع من الحرص فى المرور من امام السيارات المندفعة .

ولكن يبدو ان دقة وصرامة تنظيم مرور القاهرة كانت تستدعى، وجوده ورغم انه اطيح به مثل غيره من كبارى القاهرة القديمة مثل كوبرى ابو العلا الا انه مازال حتى الان يتراقص او ينتصب فى مخيلة كل من عبر فوقه أو حتى شاهده.

«باب اللوق» رغم ضيقه يعتبر من أهم الميادين فى قلب القاهرة فهو المعبر الآمن للوصول الى قصر عابدين كما أن المساحة الفسيحة والمنعشة رغم الزحام

حيث تتنفس فيها حسناوات الجامعة الامريكية هرباً من المحاضرات داخل اسوار الجامعة التى تقع امامه مباشرة ، ورغم أن المؤرخين اختلفوا فى مسألة نسبة باب اللوق الى ابواب القاهرة الشهيرة إلا انهم اتفقوا على الظروف التاريخية التى أدت الى تسميته " باب اللوق " حيث أكدوا أن المنطقة التى يقع فيها الان كانت ارضا زراعية وكان يغمرها فيضان النيل قبل بناء السد العالى بالطبع ، وعندما ينتهى الفيضان يقوم الفلاحون بتلويق هذه الارض مثل غيرها من البقاع المصرية ، والتلويق هو تجريف الأرض بجزوع خشبية بدائية كانت تجرها الحيوانات وكان يركبها الفلاحون ليس بغرض التنزه ولكن من اجل الضغط عليها حتى تتمكن من جرف اكبر قدر ممكن من الطمى الخصب وتوزيعه بالتساوى على الارض حيث كانت فائدته للزرع بمختلف انواعه تفوق الاسمدة التى يستخدمها الفلاحون الان فضلاً عن انه كان خالياً من الكيماويات الفتاكة للزرع وللانسان ، وكانت هذه العملية الموسمية تسمى " اللوق " ومن هناء جاء اسم " باب اللوق " .

شارع الفلكى اطول الشوارع التى تخترق ميدان اللوق وقد سمى بهذا الاسم نسبة لمحمود الفلكى او محمود باشا حمدى الفلكى الذى ولد عام ١٨١٥ فى عهد النهضة العظمى التى بدأها محمد على باشا ، وكانت ولادته بقرية الحصة بمديرية الغربية واهتم اخوه بتربيته فأدخله المدرسة التى انشاها محمد على فى الاسكندرية وعمره أقل من عشر سنوات وبالتحديد عام ١٨٢٤ ثم انتقل الى مدرسة " المهندس خانه " فسبق اقرانه وتخرج فيها ، ولانه كان من اوائل الناجحين قيدوه استاذا مساعداً للعلوم الرياضية ونال رتبة ملازم وكان من تلاميذه على باشا مبارك وتعلم الفرنسية التى ترجم منها عدة كتب فى رياضات وتعمق فى دراسة علوم الفلك على يد علماء من فرنسا ثم قام بتدريسها لتلاميذ مدرسة المهندس خانه ومنهم إسماعيل باشا الفلكى .

ابتكر محمود الفلكى علم التقويم السنوية فوضع تقويماً عام ١٢٦٤ هجرية قارن فيه بين التواريخ الهجرية والميلادية والقبطية وبين مواقع الشمس والقمر طوال السنة ، ومنذ ذلك الوقت عرف بين الناس باسم " الفلكى " الذى ارتبط به

طوال حياته وبعد مماته وقد أعد رسالة عن عمر الاهرام والغرض من إنشائها وموقعها .

وفى عام ١٨٧١ عين محمود الفلكى ناظراً لمدرسة المهندس خانه ثم ناظراً للرصد خانه وشارك فى المؤتمرات الفلكية فى باريس والبندقية ، وكان محمود الفلكى الذى سمى الشارع باسمه يقيم فى نفس شارع الفلكى وظل منزله بهذا الشارع فترة طويلة حيث اقام فوق سطح منزلة " مزولة " لقياس ساعات النهار ولكنها رفعت بعد وفاته .

وفى عام ١٨٥٠ ميلادية قرر عباس الاول حاكم مصر انذاك تنظيم دار للرصد " رصد خانه " التى انشأها محمد على باشا فأرسل ثلاثة من المهندسين النابغين الى باريس للتخصص فى الفلك هم محمود الفلكى وتلميذاه إسماعيل الفلكى وحسين افندى إبراهيم اللذان أتما دراستهما فى المهندس خانة ، وعاش محمود الفلكى تسع سنوات يدرس الفلك والرياضيات فى دار الرصد فى باريس ثم فى باقى اوروبا ونبغ حتى نشر ابحاثه فى المجلات الاوروبية ومنها " رسالة التقاويم العربية قبل الاسلام " والتى حقق فيها مولد الرسول صلى الله عليه وسلم واخرى عن " المغناطيسية الارضية " نشرها عام ١٨٥٦ ميلادية وعاد الى مصر عام ١٨٥٩ فى عهد الخديو سعيد باشا فأنعم عليه برتبة امير لاى وعهد اليه بوضع خريطة مفصلة لمصر فوضع خريطة جامعة للوجه البحرى لم يسبقه اليها أحد واخرى للصعيد ثم الاسكندرية ، وبعد ذلك بدأ مشوار المناصب العليا فتولى نظارة الاشغال العمومية عام ١٨٨٢ ميلادية فى وزارة اسماعيل باشا راغب وهى الوزارة التى عين فيها أحمد عرابى باشا ناظراً للجهادية والبحرية ثم أعيد اختياره وزيرًا " ناظراً "للمعارف فى حكومة نوبار باشا يوم ١٠ يناير ١٨٨٤ ميلادية حتى وفاته يوم ١٩ يوليو عام ١٨٨٥ .

واختاره الخديو اسماعيل - كأول مصرى - وكيلا لرئيس الجمعية الجغرافية الخديوية التى انشئت عام ١٨٧٥ وكان الغرض منها العناية بالابحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها ، وهى الجمعية التى اختار لها اسماعيل باشا العالم

الالمانى جورج شونفرت كأول رئيس لها ويعتبر محمود باشا الفلكى من أنبغ من انجبتهم مصر الحديثة فى علمى الفلك والرياضيات.

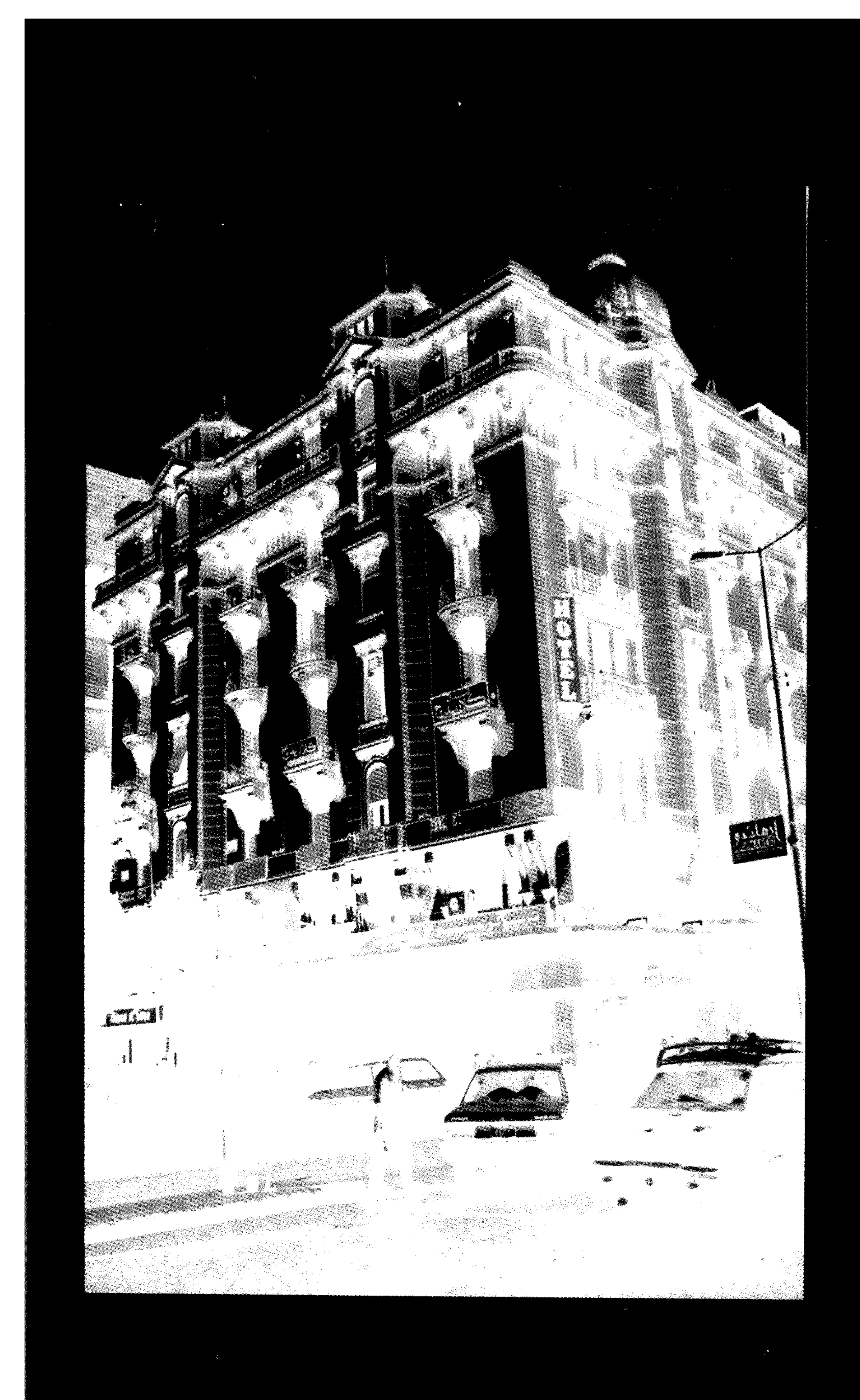
لميدان باب اللوق وشارع الفلكى تاريخ طويل فقد كانا قبل الدولة الأيوبية بستاناً يعرف ببستان الشريف بن ثعلب ، واشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بثلاثة الاف دينار مصرى من الامير حصن الدين ثعلب الجعفرى فى شهر رجب سنة ٦٤٣ هـ وجعله ميدانا سمى بالميدان الصالحى وانشأ فيه مناظر جميلة تشرف على النيل قبل ان ينشئ الخديو إسماعيل ميدان الإسماعيلية . التحرير حالياً " وصار يركب إليه ويلعب فيه بالكرة حسب قول المؤرخ العظيم المقريزى وكان عمل هذا الميدان سبباً لبناء قنطرة كان يقال لها قنطرة الخرق، وكان موضعها مخصصاً لسقائى القاهرة وظل هذا الميدان المكان المفضل للعب ملوك مصر بالكرة والتخفف من اعباء الحكم ابتداء من الملك الصالح الى ان انحسر ماء النيل وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على جانبه القريب من النيل ميداناً اخر ظل متنزها ومكانًا للهو ملوك مصر إلى سنة ٧١٤ هـ حيث أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بإعادته الى سيرته الأولى بستاناً مستغلاً بعده عن النيل واحضر من دمشق سائر أصناف الشجر ومعها بعض البستانيين فغرسوها فى باب اللوق فصار بستاناً عظيماً .

واستمرت منطقة باب اللوق مشهورة ببستانها طوال حكم المماليك ثم أخذت تتدهور ويلحق بها الخراب حتى لدرجة أصبحت بركاً ومستنقعات لدرجة أنه اسبحت اليها مدابغ القاهرة ذات الروائح الكريهة .

لكن الحال لم تستمر طويلا فعندما انشأ الخديو إسماعيل نظارة الأشغال العمومية عام ١٨٦٤ بجوار ميدان باب اللوق ثم نقل المدابغ الى منطقة الفسطاط وتم تخطيط المنطقة كلها بشوارع مستقيمة ومتقاطعة وعصرية مازالت باقية حتى ألان ، ومن أشهرها شارع البستان الذى يقع به مقهى البستان الذى كان موطناً لأدباء الستينيات فى مصر ومنهم الشاعر امل دنقل والروائى يحيى الطاهر عبد الله والشاعر عبد الرحمن الابنودى وغيرهم ، وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم محمد عبد السلام عارف أحد قادة الثورة العراقية وفيه كان يقع

قصر البستان الذى سكنه الأمير فؤاد قبل ان يصبح ملكاً على مصر وهو القصر الذى أصبح مقراً للجامعة العربية قبل أن تنتقل إلى مبناها الحالى .

* * *


HOTEL

شارع شريف

خمسون عاماً قضاها عم عبد العال فى شارع شريف ليس كساكن فى أحد مبانيه مثل أبناء الصفوة المصرية القديمة التى كان هذا الشارع من أماكنها المفضلة ، ولكن كمتجول بين جنباته ، من أقصاها إلى أقصاها.. خمسون عاماً ولم تكن المحصلة صفراً فقد أخذ منه وأعطاه.. أخذ منه زهرة العمل والصحة والاقتراب من الاهل ، ومنحه مكاناً متميزاً فوق ناصيته اليمنى.. خمسون عاماً اخلص فيها عم عبد العال بل وأفرط فى الاخلاص لشارع شريف لدرجة أنه صار شبيها به ومؤشراً حساساً لرحلته المديدة التى تقلب خلالها بين التألق والخفوت وفى النهاية صار علامة حية وبارزة تميزة عن باقى شوارع القاهرة فلو تصادف يوماً ولم ير رواد شارع شريف عم عبد العال جالساً على ناصيته ربما ظنوا أنهم أخطأوا العنوان ودخلوا شارعاً آخر .

عبد العال محمد عبد العال بائع جائل فى حوالى السبعين من عمره، طويل الى حد ما ، ونظراته المطمئنة دليل واضح على انه خبر الحياة وعركها ثم زهدها عن قناعة أصلا من قنا وجاء الى القاهرة فى أربعينيات القرن الماضى شابا يافعا يسعى وراء لقمة العيش وبناء على نصيحة ذوى الخبرة من ابناء العم الذين سبقوه الى القاهرة توجه مباشرة الى شارع شريف فقد كان . فى ذلك الوقت . مركزاً تجارياً بالمعنى الحرفى للكلمة وساحة يفضلها الناس عادة لتجوالهم وتنزههم وهذا منتهى أمل بائع جائل.. ميدان فسيح فى اوله وفندقان متقابلان فى نهايته وعلى ضفتيه لا تنقطع افواج الرواد أو الزبائن خصوصاً من النساء وهن المستهلك الاكبر لبضاعة عم عبد العال فهى من الخمسينيات عبارة

عن تشكيلة متنوعة من ادوات الزينة وإن تقلصت الآن لتصبح مجموعة من " الامشاط " و " الفلايات " و " بنس الشعر " التقليدية .

فى السنوا ت العشر الاولى كانت حياة عم عبد العال رغيدة وأقنعته بحكمة قراره ترك الصعيد والاستقرار على نواصى شارع شريف .. زبائنه كرماء أو كريمات وبضاعته رائجة ومن ريعها استطاع ان يتزوج وينجب اولاده الثلاثة ، ولكن بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ بدأ عم عبد العال يحس بأن هناك خطراً ما يهدد الشارع، بدأت المسألة بهمسات زبائنه من رواد شارع شريف الذين كانوا من أثرياء القوم همسات غاضبة وملتاعة فقد كانوا يرتجفون على ممتلكاتهم وعز تمتعوا به طويلاً، والحقيقة أن أثرياء شارع شريف لم يعانوا من مرارة الانتظار طويلاً فسرعان ما تحول الهمس الى اجراءات معلنة وعنيفة تجسدت فى تأميم عدد من أهم وأفخم عمارات وقصور الشارع ومنها عمارة عبود باشا التى حسب قول عم عبد العال أممها المشير عبد الحكيم عامر بنفسه، ويبدو أن عم عبد العال كان متعاطفاً جداً مع ذلك الاقطاعى القديم فها هو ينتقد الثورة بحسرة " أمموا الرجل اللى كان ضامنا مصر كلها .. أى والله كانت الحكومة لما تحب تستلف كان يضمنها فى بنوك الدنيا كلها " .

بعد ذلك دخل شارع شريف مرحلة جديدة من تاريخه وبدأ روريدًا رويدًا يترك أهميته لشوارع أخرى وعم عبد العال يتابع تحوله بدهشة بل وباستغراب هاتفاً « يا خفى الالطاف نجنا مما نخاف " غافلاً عن ان التأثير الأول والأهم للاحداث او الثورات السياسية عادة ما يكون على الشوارع والامكنة لذلك فإنه بقراءة متأنية للمبانى والحارات والازقة يمكن معرفة التاريخ الحقيقى للامة.. أى امة وقد كان القدماء يجسدون ذلك بشكل أكثر جلاء وربما حدة تناسب طبيعتهم ، فقد كان أول ما يفعله الحاكم او الملك الجديد هو البدء فى تخطيط مدينة جديدة تخصه وكأن المدينة القديمة بشوارعها وأزقتها وحواريها ومبانيها وربما ناسها تظل تابعة للحكم او العقد القديم .

لم يغادر عم عبد العال شارع شريف مطلقاً مثل غيره من البائعين الجائلين واستعان على ندرة الزبائن بالتطلع الى واجهات عماراته ومبانيه "كلها مبنية على

الطراز الايطالى ومتلاقيش زيها فى أى شارع وفضلاً عن ذلك فإن هذه العمارات كانت شاهداً على ماضيه التليد الذى شهد أحلى أيام عمره والذى يعيش على ذكرياته ويتمسك بها تمسك من لم يجد فى حاضره شيئًا مفرحاً فما هو الا تمهيد تراجيدى لنهايته المتوقعة، فأولاده شربوا صنعته وكبروا وبدلا من ان يبحثوا عن وسيلة تسمح له بتقاعد يليق به ، صاروا ينافسونه على نواصى شارع شريف.. اشترى كل واحد منهم بضاعة من نفس نوع بضاعته وأخذوا يتجولون حوله وبمجرد ان يهل زبون فى اول الشارع يندفعون اليه وعم عبد العال ينظر اليهم بحسرة ليس فقط لقسوة عقوقهم له ولكن لان قيم التجارة التى تربى عليها لم تكن تسمح بهذا النوع من المنافسة وفى النهاية كان طبيعياً ان يسقط عم عبد العال صريعاً لجلطة دماغية كانت جديرة بأن تدفعه الى مغادرة شارع شريف ولكنه اصر على مواصلة جلسته اليومية على ناصيته " أنا مش هسيب الشارع ده الاعلى القبر " ويبتسم " ليت الحكومة توافق على ان الواحد يندفن هنا " وعن زبائنه يقول " زبائن مين ؟ .. ما راحوا فين وفين لما اشوف الواحد فيهم وكلهم بقوا زى المتحنطين ..اللى بيعدوا على دلوقت شباب فلتان مش لاقى حد يلمه وكلهم بيتشروا من ولادى ومبيرضوش يشتروا منى قال ايه انا موضة قديمة " .

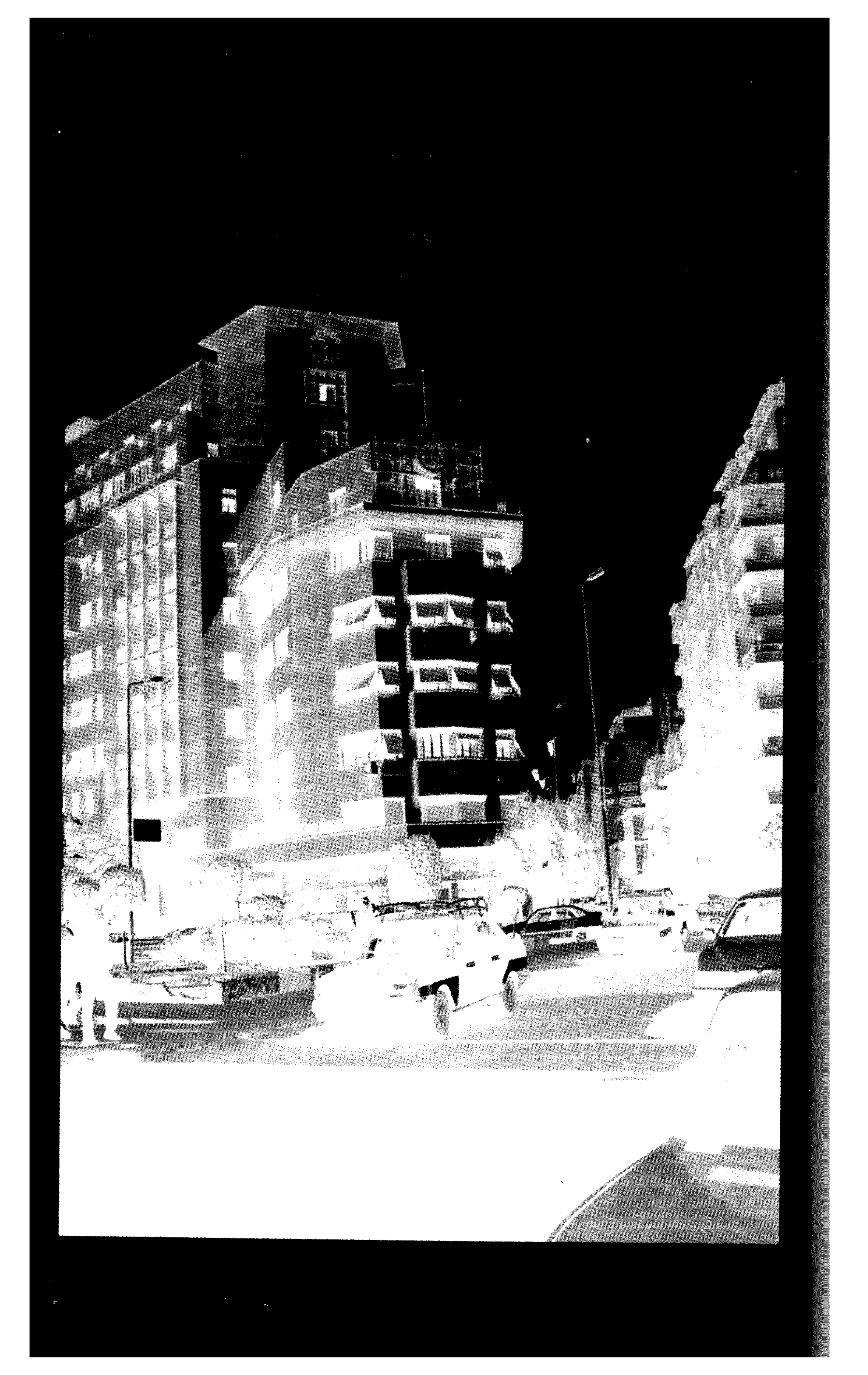
شارع شريف .. يبدأ بمقر وزارة الاوقاف وخلف " نصبة " عم العال مباشرة تطل به واجهة قصر مازال يتمتع بنوع من الزهو والفخامة رغم تراكم السنوات والاتربة والتجاهل، هذا القصر يشكل فى شارع شريف ما يشبه المفارقة على اكثر من مستوى فهو مبنى على الطراز الاسلامى وبانيه مهندس فرنسى ويبدو أن مالكه الاصلى او الاول كان يخشى ان تؤول ملكيته للحكومة بعد وفاته أراد ان يدافع عنه فكتب على واجهته عبارة تقول " هذا القصر لأحفادى وأحفاد أحفادى " ولكن هيهات فهو الان تابع لوزارة الثقافة وبالتحديد هيئة الاثار ليس باعتباره قصراً لاحد الاثرياء القدامى ولكن باعتباره اثراً إسلامياً .

صاحب هذا القصر اختلف رواد سكان شارع شريف حوله فبعضهم ومنهم عم عبد العال قال إنه كان ملكاً لمحمود سامى البارودى رفيق الزعيم أحمد عرابى فى ثورته ومنفاه، اما البعض الآخر وهم بالتأكيد أقرب الى الحقيقة

ومنهم موظف الآثار فقد اكدوا أن هذا القصر شيده البارون الفرنسى الذى خطط بناء على اوامر الخديو إسماعيل العديد من الشوارع والميادين مثل شارع طلعت حرب وميدان الاسماعيلية " التحرير " وباقى مدينة القاهرة الحديثة ، وقبلها كان قد خطط مدينة باريس حسبماً يؤكد موظف هيئة الاثار المصرية ، وكان قد شيد هذا القصر لإقامته الخاصة وتعمد ان يكون على الطراز الاسلامى وليس الاوروبى حتى لا يتنافى مع الطابع الاسلامى لعمارة القاهرة وقد آلت ملكية هذا القصر بعد البارون الفرنسى الى رجل اعمال يهودى وعندما احس بأن الرئيس جمال عبد الناصر ينوى طرد اليهود من مصر سارع الى بيعه ولكن يبدو انه لم يتمكن إلا من بيع الممر الملاصق لواجهته فقط وبالفعل تم تأميم هذا القصر مثل غيره من املاك اثرياء اليهود ، وقام رجل الاعمال المصرى الذى اشترى الممر بإنشاء محل لبيع التحف والهدايا يفتح على شارع شريف وجداره الخلفى ملاصق لواجهة القصر. وعندما أصبح هذا القصر مقراً لبنك الاسكندرية اراد البنك ان يزيله لكى يبنى مكانه عمارة كبيرة مثل غيره من بنوك المنطقة ، وبالفعل استصدر قراراً عاجلاً بذلك لكن قبل ان يبدأ الهدم استطاع ورثة المالك أو المالكة الجديدة لمحل التحف الذى ينتصب على الواجهة ان يثبتوا ان هذا القصر من المبانى الاثرية فى القاهرة وبالفعل نجحوا فى أن يوقفوا هدمه ودفعوا وزارة الثقافة الى ان تضمه الى اثار القاهرة ليبقى الوضع كما هو عليه رغم غرابته.. القصر قائم كما هو كأثر تاريخى اسلامى مملوك للدولة وواجهته يحتلها محل لبيع التحف تملكه سيدة يبدو أنها آخر ورثة التاجر الذى اشترى الممر.

شارع شريف الان نقطة فاصلة بين سوق العتبة الشعبى والمراكز التجارية فى شارع طلعت حرب وميدان التحرير حيث السوق المفضل لابناء الطبقة الوسطى .

الشارع بالطبع ليس من شوارع القاهرة الرئيسية ولكن فى نفس الوقت لا يمكنك التجول فيها دون أن تمر به ، يبدأ من باب اللوق بمبنى وزارة الاوقاف ويتقاطع من شوارع صبرى أبو علم ورشدى والمساحة وقصر النيل وعبد الخالق ثروت حتى يصل فى نهايته الى شارع ٢٦ يوليو وقبل ان يحمل اسم " شريف "



كان يسمى " شارع المدابغ " وفاء لروائحها التى كانت تزكم أنوف رواده وهو من الشوارع النادرة فى القاهرة التى ابقت الثورة على أسماء أصحابها من السياسين القدامى، وربما لان شريف باشا هو الاب الشرعى للدستور المصرى وصاحب التاريخ السياسى الحافل والمشرف فقد ولد بالقاهرة فى نوفمبر ١٨٢٦ وتلقى تعلميه فى المرحلة الاولى فى مصر ثم سافر للالتحاق بالمدرسة العسكرية فى فرنسا والتحق بعد تخرجه بخدمة الجيش الفرنسى، وعندما عاد الى مصر عمل ياورا لرئيس أركان حرب الجيش المصرى الكولونيل " سيف " الضابط الفرنسى الذى عمل مع محمد على باشا وأنشأ جيش مصر على أسس حديثة، وظل شريف يترقى فى سلك الجندية حتى وصل الى رتبة الفريق فى عهد الوالى سعيد باشا .

بدأ شريف باشا حياته المدينة والادارية عندما تولى عام ١٨٥٤ فى عهد سعيد باشا منصب " باشمعاون الوالى " وهى وظيفة أقرب الى اختصاص رئيس الوزراء بعد أن الغى سعيد باشا وظيفة الكتخدا أى المسئول الثانى بعد الوالى وفى عهد اسماعيل باشا أسند اليه فى عام ١٨٦٧ وكالة المجلس المخصوص وكان مجلساً يضم خمسة عشر عضوا من الاعيان وكبار الموظفين ويرأسه الخديو نفسه، وفى عام ١٨٧٥ تولى شريف رئاسة مجلس شورى النواب ووقع عن الحكومة المصرية معاهدة إلغاء تجارة الرقيق عام ١٨٧٧ .

ارتفع نجم شريف عندما كلفه الخديو اسماعيل بتشكيل النظارة أى الوزارة فى أبريل عام ١٨٧٩ ولكن هذه الوزارة انتهت بخلع إسماعيل وتولية ابنه توفيق، غير انه عاد الى رئاسة الوزارة فى يوليو ١٨٧٩ وشغل بجانب الرئاسة وزارتى الداخلية والخارجية وهى الوزارة الدستورية الاولى فى تاريخ مصر لانها بدات وضع أسس الحياة النيابية فى مصر وانشأت مجلساً نيابياً حقيقياً يشرف على الامور المصرية ، وعندما وجد شريف رفضاً لذلك من الخديو استقال بعد شهر ونصف فقط وبالتحديد يوم ١٨ أغسطس عام ١٨٧٩ واقترب من الجبهة الوطنية واصبح صديقا للعرابيين الذين رفضوا استمرار تغلغل النفوذ التركى الشركسى فى أمور البلاد، ولذلك عندما نجح العرابيون فى إسقاط وزارة رياض باشا استدعى

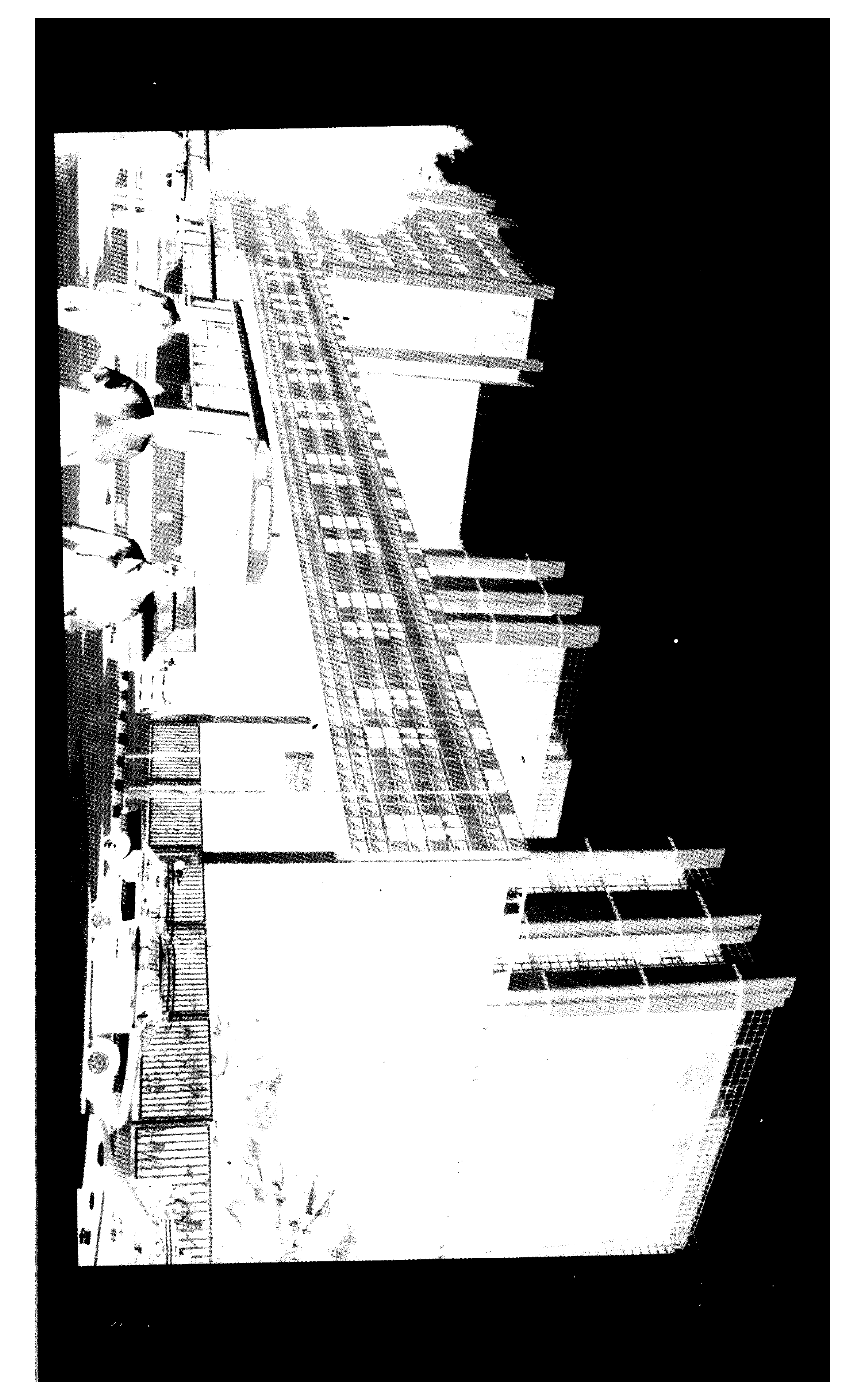
الخديو توفيق محمد شريف باشا بناء على طلب العرابيين لتشكيل الحكومة وهو ما يظهر نجاح الزعامة الشعبية الوطنية لاول مرة فى فرض مرشحها الوطنى العتيد صاحب المواقف الشريفة ضد التدخل الاوروبى فى امور مصر .

وبالفعل شكل شريف وزارته الثالثة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ليواصل جهوده من أجل ترسيخ الحياة النيابية.

ورغم ان شريف باشا وضع يده فى يد العرابيين ليقودوا مصر فى طريق الاستقلال والدستورية وتقليص دور القصر إلا انه كان من بين اهدافه منع استمرار تدخل العسكرين فى شئون السياسة، لذلك أمر بإخراج قادة الثورة العرابية «أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى» بقواتهم من القاهرة وبالفعل استجاب عرابى وانسحب بقواته من العاصمة الى منطقة راس الوادى بين الاسماعيلية والسويس، كما رفض شريف بعض مطالب العسكريين وفى عهده تم انتخاب اول مجلس لشورى النواب على اساس دستور ١٨٦٦ فى ديسمبر ١٨٨١ وعندما حرم هذا المجلس من حق مناقشة الميزانية حدث انشقاق بين شريف والعرابيين فقدم استقالته وشكل محمود سامى البارودى وزراته الاولى فى ٤ فبراير ١٨٨٢ وكان البارودى وزيرا للحربية فى وزارة شريف الثالثة، وبعد ذلك تصاعدت أحداث الثورة العرابية وتسارعت وسارت الامور الى انهيار وكان لابد من الانقاذ فتم استدعاء شريف باشا لتشكيل الحكومة فشكلها فى ٢١ أغسطس ١٨٨٢ ولكن لم تنجح المحاولة فسرعان ما دب الخلاف بين شريف باشا وسلطات الاحتلال عندما حاولت بريطانيا إخراج مصر من السودان بحجة عجزها عن سداد اعباء استمرار قوات مصر هناك خلال الثورة المهدية ، ورفض شريف باشا مطلب الانجليز بإخلاء السودان لانه كان يرى فى هذا تهديداً للحدود المصرية الجنوبية.

شريف باشا استقال يوم ٧ يناير ١٨٨٤ حتى لا ينفذ مطالب الانجليز بسحب الجيش المصرى من السودان وقال مقولته المشهورة " لو تركنا السودان فإن السودان لن يتركنا "

* * *



قصر العينى

«منتجع الأمراء» «ساحة الموظفين» بين هذين الوصفين المتناقضين مهنيًا وماديًا وعرقيا مر شارع " قصر العينى " برحلة تاريخية طويلة وتقلبات حادة انتهت به الى احتلال موقع عمادة شوارع القاهرة فى النواحى السياسية والامنية والطبية والتعليمية فعلى ضفتيه الآن أهم مراكز صنع القرار السياسى فى مصر ولو على المستوى الشكلى وهى مجالس الوزراء والشعب والشورى وعلى حوافه القريبه تقع وزارات الداخلية والتعليم والاسكان ويحتوى على عدد لا يستهان به من المؤسسات الصحفية والنقابية والثقافية والتعليمية منها نقابة الاطباء ومؤسسة " روز اليوسف " والهيئة العامة لقصور الثقافة والمعهد العالى للتعاون الزراعى ومسرح السلام وأكبر مؤسسة علاجية فى مصر وهى كلية طب القاهرة المتمثلة فى مستشفى قصر العينى الذى سمى الشارع باسمه .

شارع قصر العينى يمتد من منطقة فم الخليج وسور مجرى العيون حيث اطلال مصر القديمة الى قلب ميدان التحرير حيث وسط القاهرة ، ويبدأ بقصر عتيق تلاعبت به الايام والعهود الى أن استقر به الحال فى مستشفى ، وينتهى بمبنى انشئ عام ١٩٥٠ على شكل نصف دائرة اكملت استدارة ميدان التحرير ، وهو " مجمع التحرير " اضخم اماكن تجمع الموظفين فى مصر .

ونبدأ بقصة القصر ليس فقط لأن الشارع يحمل اسمه ولكن لانه سبب وجوده وبين اركانه دارت الاحداث والمناقشات التى بنيت على أساسها المنطقة برمتها فقد كانت قبله غارقة تحت احد فروع النيل وعندما انحسر الماء عنها

كانت عبارة عن خليط عشوائى من المستنقعات والبرك وبعض المزارع التى اقامها المغامرون وراغبو الخلوة بعيداً عن صخب القاهرة القديمة ، هذا القصر انشأه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم الذى ينتهى نسبه الى قاضى قضاة الحنفية بدر الدين محمود العنى الذى ترجع اصوله الى قرية « عينتاب» شمال مدينة حلب بسوريا وهى الان تقع داخل الاراضى التركية .

العينى تولى منصب " الحسبة " فى شبابه وبعد ذلك تولى قضاء الحنفية عدة مرات ، وكان مقرباً من السلطان المملوكى المؤيد شيخ وبعد هذه المرحلة الطويلة من سوريا الى مصر ومن القضاء الى الحسبة توفى بدر الدين العينى عام ٨٥٥ ودفن بالمدرسة المعروفة باسمه بشارع محمد عبده خلف الجامع الازهر بالقاهرة وتزوج ابنه عبد الرحيم من ابنة خوند الاحمدية التى ولدت له طفلا جميلا سماه شهاب الدين أحمد ، وكان شهاب يشبه جده فى الوله بالقرب من الولاة والامراء والتشبه بهم ، وارتفع شأنه فأنعم عليه السلطان خوشقدم بإمارة تقدمه الف وهى اعلى الرتب العسكرية فى الجيش المصرى فى ذلك الوقت ، وقربه اليه وجعله مسئولا عن اسطبلات السلطان وعندما عينه اميراً للمحمل - أى الحج - بدأ شهاب الدين يفكر فى بناء قصر يناسب مكانته الجديدة بين صفوة رجال الحكم فى مصر ، وبالفعل انشأ على شاطئ النيل قصراً عظيماً ينافس فخامة قصور الامراء والسلاطين ويعد بمثابة التحفة الفنية النادرة ، فقد اعتنى به اعتناء من وجد فى اركانه وزواياه وشرفاته وحدائقه تخليداً قيماً لأسرته، وبالفعل كان له ما اراد واصبح اسم اسرة بفضل هذا القصر يتصدر واحدا من أهم شوارع القاهرة وكذلك أكبر المؤسسات الطبية ليس فى مصر وحدها ولكن فى الوطن العربى كله ، ومن المفارقات التاريخية ان هذا الشارع هو إحدى بؤر السياسة فى مصر وكأنه يحرص على مواصلة تحقيق رغبة مؤسسه فظل غاصا برجال الحكم والسياسة فى مصر حتى الان وربما لسنوات طويلة قادمة .. هذا القصر التاريخى قام سلطان البلاد خوشقدم لافتتاحه وزيارته حتى يسجل التاريخ ان أول من دخل هذا القصر لم يكن شخصاً عادياً ولا حتى أميراً بل سلطان البلاد وحاكمها وبالفعل استجاب السلطان وافتتح القصر وقضى يوماً

كاملاً بين جنباته ، ويبدو أنه كان يوماً بديعاً ومنعشا وربما ساخنا فقد أنعم السلطان على أحمد العينى بعده مباشرة برتبى الامارة العسكرية وولاه أمور السلطنة المصرية بأسرها .. لكن الايام لم تدم طويلا لأحمد شهاب الدين العينى فبعد أن كان يطلق عليه عزيز مصر وبعد أن هيأ نفسه بالفعل لان يكون سلطاناً للبلاد تغيرت احواله بل وانقلب الى النقيض امور السلطنة المصرية عام ٨٨٢ هجرية ، فقد أمر السلطان بالقبض عليه وضربه بيده ٢٠ ضربه بالعصا حتى اغمى عليه ونهب العامه قصره اثناء القبض عليه وبعد ان وعد السلطان بسداد ٢٠ الف دينار كل شهر افرج عنه ولكنه سرعان ما أعيد القبض عليه لتأخره فى السداد وبعد هذه الازمة ظل العينى بعيداً عن الوظائف العامة وان ظل مقرباً من السلطان كواحد من الاعيان إلى أن توفى قيتباى وتولى قنصوه الغورى السلطنة فقبض عليه مره اخرى والزمه بسداد بعض الأموال لكنه هرب الى مكة ثم الى المدينة المنورة ، ودفن بالبقيع عام ٩٠٩ هجرية ليتحول قصره الى أملاك الدولة، ولم يبق له سوى اسم الشارع كعزاء مناسب لحياة طويلة بدأت على ضفاف النيل وانتهت بالمدينة المنورة .

وقبل أن يصبح القصر كلية للطب مر بعده مراحل فبسقوط الدولة المملوكية وتحول مصر الى ولاية عثمانية منذ ١٥١٧ م استولى بكوات المماليك على القصر وحولوه إلى مكان للنزهة ثم الى قصر للضيافة ثم الى مكان للحبس الجبرى يقيم فيه من يغضب عليه الأمراء وأحياناً كان يتحول الى مكان لنفى الوالى نفسه إذا عزله أمراء المماليك.

وفى أواخر عصر بكوات المماليك كان كبيرهم إبراهيم بك ينزل فى قصر العينى اغلب وقته ، حتى وصلت حملة بونابرت الى مصر عام ١٧٩٨ ليدخل قصر العينى مرحلة جديدة من تاريخه ، وفى هذه الفترة وقبل وصول الحملة الفرنسية مباشرة حدثت فتنة كبيرة بين المماليك فهاجموا قصر العينى ونهبوا ما فيه وخربوه ثم احرقوه ولكن بونابرت استعمل قصر العينى بعد ذلك كمستشفى لجنود وضباط الحملة ، وعندما انقض الشاب سليمان الحلبى " على كليبر فى

مقر قيادته بقصر محمد بك الالفى فى الازبكية وقتله بالخنجر نقل الفرنسيون جثمان كليبر الى حديقة هذا القصر ودفنوه فيه.

وفى اعقاب ذلك مر القصر بفترة اهمال أنهاها محمد على بإنشاء مدرسة حربية عام ١٨٥٢ ومن هذه المدرسة بدأت مسيرة هذا القصر مع الطب والاطباء فى عهد محمد على ، الذى أمر بالحاق شخصين من اغوات الحريم بمدرسة الطب فى ابى زعبل التى انشاها كلوت بك لتعليم الطب والجراحة لخدمة سيدات العائلة الحاكمة احدهما محمد الشافعى الذى ارسله محمد على باشا لاستكمال دراسة الطب فى فرنسا بعد ذلك واصبح اول مصرى يتولى رئاسة مدرسة طب قصر العينى .

وفى عام ١٩٢٥ تم انشاء جامعة فؤاد الاول محل الجامعة المصرية التى انشئت عام ١٩٠٨ وانضمت مدرسة الطب فى قصر العينى الى الجامعة الجديدة وفى عام ١٩٢٩ تم تخصيص ٤٤ فدانا بجزيرة الروضة لاقامة مستشفى جديد وكلية طب جديدة وسمى المستشفى باسم فؤاد الاول وتولى الاشراف على انشائه الطبيب المصرى على باشا ابراهيم الذى كان مديراً للجامعة واستمرت عملية البناء الى ما بعد ١٩٥٢.

واذا كانت نقطة بداية هذا الشارع وهى مبنى القصر العريق قد جاء استجابة لرغبة أحمد العين المترفة فى التشبه بالامراء والاثرياء وبمباركة سلطان البلاد ذاته فإن نقطة نهاية هذا الشارع انشئت لتحقيق غرض وظيفى بحت وهو حشر موظفى مصر فى مكان واحد وبحيث يسهل السيطرة عليهم فقد كان تفرقهم فى اماكن عديدة يحدث ارتباكات شديدة فى الدول ، تلك النقطة تتجسد فى مبنى مجمع التحرير الذى انشئ فى فبراير ١٩٥٠ ويقف الآن كشيخ وقوى على حافة ميدان التحرير ، وشكله شبه الدائرى يعطى انطباعاً بأنه يحتضن او يرحب بزواره.

صمم مبنى " مجمع التحرير " مهندسو مصلحة المبانى العمومية التى كانت تابعة لوزارة الاشغال وقت إنشائه وقد حرصوا على ان يكون تصميمه على

الطراز العربى وعلى هيئة حرف «V» زاويته منفرجه ومقسم إلى ثلاثة أقسام وتكلف بناؤه مليون جنيه شاملة ثمن الارض التى تبلغ مساحتها ٤٥٠ متراً مربعاً مواد البناء التى كانت عبارة عن ١٥٠٠ طن من الحديد وثلاثة الاف طن من الاسمنت و ١٥ مليون طوبة من نوعية الطوب المفرغ لعزل الصوت والرطوبة عن حجراته الداخلية وقام بالعمل فيه اربعة الاف عامل من حمالين وبنائين ونجارين وحدادين وعمال خرسانة وسباكين ، ويبلغ ارتفاعه ٥٥ متراً ويتكون من أربعة عشر طابقاً بها ١٤٠٠ حجرة وبه اربعة سلالم وعشرة مصاعد و ٦٠ دورة مياه كما أن له اربعة مداخل رئيسية جميعها مراقب بكاميرات، ويبلغ عدد شرفاته أكثر من ١٤٠٠ شرفه اشهرها على الاطلاق تلك التى انتحر منها ريئس الهيئة العامة للنقل النهرى .. احدى هيئات المجمع، الذى القى بنفسه من الطابق الحادى عشر بالمجمع اثناء التحقيق معه ومع سكرتيرته واحد المقاولين بمباحث الاموال العامة التى تحتل الدورين العاشر والحادى عشر بالمجمع ، وكانت المباحث قد القت القبض على هذا المسؤول الكبير و اثناء انتظار التحقيق غافل الحراس والقى بنفسه من تلك الشرفة الشهيرة وسط ذهول المارة .

ولأن مبنى مجمع التحرير مزدحم دائماً بالمواطنين وبالمصالح الحكومية فقد كان هدفا للعديد من العمليات الارهابية ومنها محاولة تفجيره التى حدثت عام ١٩٧٦ وقادها أربعة ليبيين هم " عماد الدين عبد الله ابو رقيق وأحمد راف الله مغرب و طريان مستور محمد ومطراوى نمر مطراوى " ولكن هذه المحاولة احبطت وتمت محاكمة المتهمين امام المحكمة العسكرية، وفى عام ١٩٩٢ شهد المجمع محاولة تفجير اخرى لكنها احبطت ايضا وتم القبض على مخططيها. ومثلما كان مبنى المجمع مكانا لتصوير فيلم " الارهاب والكباب " الذى يعد اهم افلام الفنان عادل امام فإن تاريخه يزخر بقدر من الدراما والطرافة يفوق الفيلم ذاته منها انه فى عام ١٩٨٣ فوجئ المسؤلون عنه بأن أحد السعاة يستخدم حجرة مديره كمنزل له ولأسرته بعد ان اصبحت شاغرة بوفاة المدير . القصة بدأت بعد أن تشاجر الساعى مع زوجته التى ضاقت بالحياة فى حجرة ضيقة هى واولادها الثلاثة فخرج الساعى الى عمله بالمجمع وفى نيته عدم العودة

للمنزل او الحجرة وبعد انتهاء ساعات العمل كانت الفكرة قد اختمرت فى رأسه ففتح حجرة المدير الذى كان قد توفى قبل ايام وبات فيها ليلته وكانت الليلة الاولى التى يتمتع فيها بنوم هادئ بعيداً عن منغصات زوجته لذلك قرر الاقامة نهائياً فى حجرة المدير ، وبعد عدة ليال انضمت اليه الزوجة والاولاد وعاشت الاسرة حياة سعيدة فحجرة المدير واسعة وبها جميع الاجهزة الكهربائية فضلا عن انها فى وسط القاهرة.. ميدان التحرير امامها مباشرة وشارع قصر العينى يحتضنها من الجانب الغربى واستمر الحال عدة سنوات قبل ان يكتشف المسؤلون ان اسرة كاملة تقيم بشكل دائم فى حجرة احد المديرين ويبدو ان هذه التجربة اغرت الكثير ففى عام ١٩٩٤ كررها حرفيا احد موظفى الشؤون الاجتماعية بالمجمع .

اما اطرف حكايات مبنى المجمع الذى يقع على ناصية شارع قصر العينى فبطلها " مجنون المجمع " كما يطلق عليه العاملون به وهو مدرس اعتاد الطواف وسب ولعن كل من يقابله وبالتحديد احدى الموظفات حيث كان يحبها وتعاهدا على الزواج ولكنها رفضته بعد ذلك ومن ساعتها وهو يداوم على الطواف فى المجمع يومياً على امل الالتقاء بمحبوبته لكى يتمكن من سبها امام الجميع .

ولعل أهم ما يميز شارع القصر العينى بجانب مؤسساته السياسية والحكومية انه يعد بمثابة حائط برلين فى قلب القاهرة ، فهو يفصل بين منطقة شعبية سواء بالنسبة لسكانها الذين ينتمى معظمهم الى الطبقة المتوسطة والفقيرة او بالنسبة لزوارها فأغلبهم من البسطاء وابتاع الطرق الصوفية الذين يأتون إليها للتبرك بضريح السيدة زينب. وفى المقابل او على الجانب الاخر من شارع قصر العينى تستقر منطقة جاردن سيتى وهى المكان التاريخى للاستقراطية المصرية وتتميز بوجود عدد هائل من الفيلات والقصور وإن كان هذا الشارع اقرب الى المنطقة الاخيرة جاردن سيتى على مستوى الاسم فقصر بدايته قصر العينى كان الشرارة الاولى فى عمران هذه المنطقة . فبفضل وجود هذا القصر اختار امراء أسرة محمد على هذه المنطقة الجديدة فى ذلك الوقت حيث كان مجرى النيل يتهادى فوقها حتى العصر المملوكى ليقيموا قصورهم الفخمة وكان اولهم الفاتح

إبراهيم باشا بن محمد على وقد بنى " القصر العالى " الذى كان يحده نهر النيل من الغرب وشارع قصر العينى من الشرق .

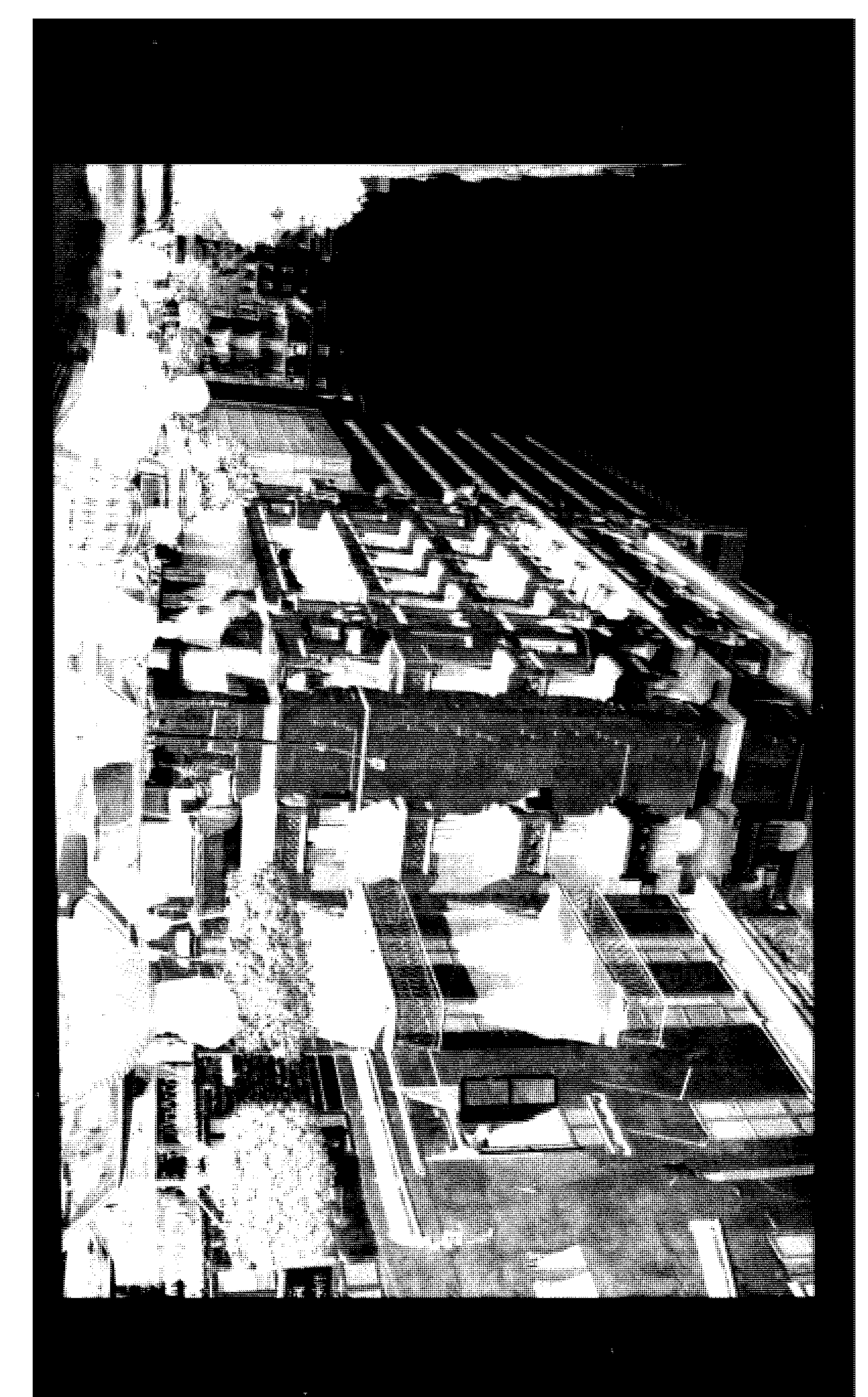
وفى اواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديو اسماعيل ابن ابراهيم باشا لوالدته عن القصر العالى مع الارض الملحقة به وهى الان حى جاردن سيتى وطبقاً لصك التنازل تم تحديد القصر ومساحته غرباً بساحل النيل وشرقاً بالطريق الموصل الى بولاق ومصر القديمة - شارع قصر العينى الآن-وجنوباً بالطريق الفاصل بين ارض القصر العالى وقصر النيل ، وشمالاً قصر اخيه أحمد باشا .

وفى أغسطس ١٨٧١ أصدر إسماعيل باشا أمراً بكتابة حجة "مستند تمليك " باسم زوجته الثالثة لبناء سراى جديدة هى سراى الاسماعيلية فى المنطقة التى كانت واقعة بين كوبرى قصر النيل وشارع التحرير الآن وحديقة أحمد باشا وطريق الشيخ يوسف الموصل الى القصر العالى ومصر القديمة.

ومن هذا يتضح ان منطقة جاردن سيتى الحالية كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غرباً وشارع قصر العينى شرقاً هى : " القصر العالى وقصر أحمد باشا وسرى الاسماعيلية التى تكلفت وحدها ٢٠١٢٦٠ جنيهاً بأسعار القرن التاسع عشر.

وموقع هذه السراى يشغله الآن مجمع التحرير وبالقرب منها كانت تطل شرفة قصر الامير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل ، وقد تحول بعد ذلك الى مقر لوزارة الخارجية المصرية .

* * *



هدى شعراوى

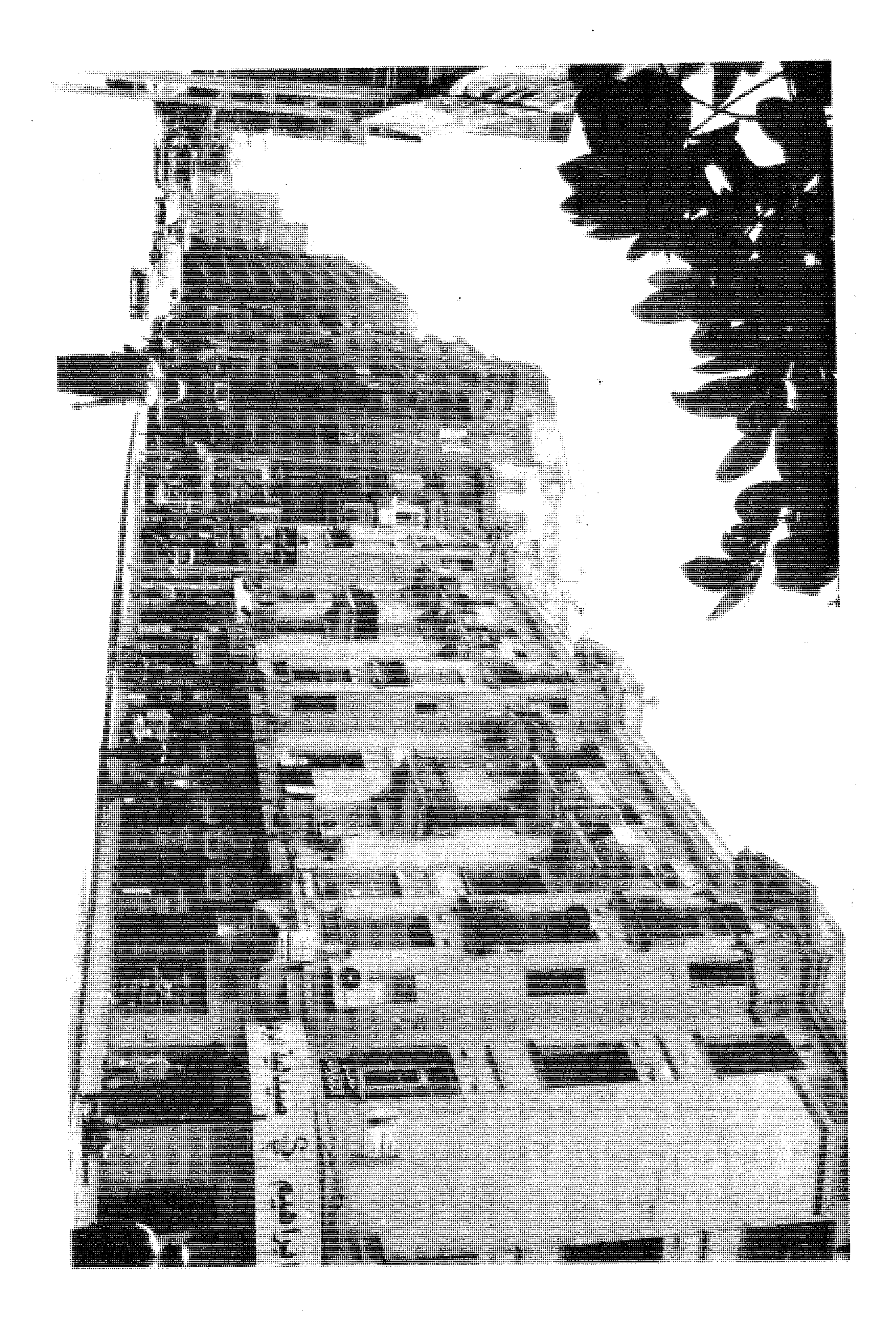
شارع هدى شعراوى يبدو على مستوى الموقع والتاريخ والاسم صالحا للاقتراب من روح واحدة من أهم وأعقد فترات تاريخ مصر الحديث، وهى الفترة التى بدأت بتأسيس مصر الحديثة على ايدى محمد على باشا وحفيده الخديو اسماعيل وانتهت بانطلاق الكفاح السياسى والشعبى من أجل استقلال مصر وانقاذها من الاحتلال الانجليزى، فالشارع يقع فى قلب القاهرة الحديثة التى بناها الخديو اسماعيل على طراز أفخر المدن الأوروبية، كما يفصل ويصل بين شارعى سليمان باشا طلعت حرب حاليا وشريف باشا، وكلاهما من الرعايا الأجانب الذين اعتمد عليهم محمد على وحفيده اسماعيل فى بناء مصر الحديثة، فالاول اصوله فرنسية والثانى تركية، والاثنان أخلصا لمصر وآمنا بقضية شعبها وانصهرا فيه، وتركا بصمات واضحة على تاريخه ، فسليمان هو مؤسس أول جيش مصرى خالص وصميم فى عهد محمد على، وبه انهى عقودا وقرونا اعتمدت فيها الحكومات المصرية على جيوش كان قوامها الاساسى من الاجانب والمرتزقة سواء من المماليك أو من رعايا الدولة العثمانية . اما شريف باشا فهو احد أبرز أعلام تاريخ مصر الحديث، وأبوالدستور المصرى، ورئيس أول وزارة دستورية تشهدها مصر عام ١٩٧٨ .

والشارع كان ضمن الرقعة التى شهدت معظم المظاهرات والثورات الشعبية ضد الاستعمار الأوروبى فقد تجولت فيه جموع مظاهرة عام ١٩٠٨ التى انطلقت للاحتجاج على قرار جيش الاحتلال الانجليزى باستعراض قواته وأسلحته فى ميدان عابدين القريب من نهاية الشارع، وكذلك مظاهرة عام ١٩٠٩ التى

استمرت أربعة أيام واندلعت على اثر اصدار الاحتلال الانجليزى لقانون يقيد حرية الصحافة وقادها الصحفى أحمد حلمى جد الشاعر الشهير صلاح جاهين، كما ان أرض الشارع نظرا لقربها الشديد من فندق سافوى مقر القيادة العسكرية البريطانية فى القاهرة فى بواكير القرن العشرين احتضنت جموع المشاركين فى ثورة ١٩١٩ وصاحبته السيدة هدى شعراوى قادت يوم ١٦ مارس ١٩١٩ أول مظاهرة نسائية تشهدها مصر طوال تاريخها.

الشارع يبدأ من ناحية ميدان التحرير بمقهى ستيلا المتخصص فى المشروبات الرخيصة، وينتهى بمبنى وزارة الاوقاف، وكان يعرف فى بدايته باسم الشيخ حمزة لوجود ضريح فى أوله يحمل نفس الاسم الذى ربما يرجع إلى احد دراويش الصوفية المهملين فلم يهتم اى من المؤرخين بترجمة سيرته، أما اسم الشارع الحالى هدى شعراوى فيبدو جديرا به، فهو يرتبط بالعديد من المظاهرات والاحداث السياسية التى شاركت فيها، فقد ظلت هدى شعراوى زعيمة للحركة النسائية المصرية منذ عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٤٨ فان أرضه تتوسط تقريبا قصرين شهدا سنوات طفولتها وزواجها ثم سنوات نضالها الأول قصر والدها سلطان باشا الذى يقع بالقرب من نهاية الشارع وهدم فى سبعينات القرن الماضى وانشىء مكانه احد الجوامع النادرة فى القاهرة الأوروبية_ أما القصر الثانى فهو قصر زوجها على باشا شعراوى الذى كان يقع فى نهاية شارع قصر النيل من ناحية ميدان التحرير، وتحول بعده إلى متحف ومعرض للفنون الجميلة، ثم هدم ومكانه الآن ساحة لانتظار السيارات.

هدى شعراوى صاحبة الشارع ولدت وعاشت فى اسرة ارستقراطية عريقة وواسعة الثراء، فوالدها محمد سلطان باشا كان من أغنى اغنياء صعيد مصر وإلى الآن توجد عزبة باسمه، وزوجها وابن عمتها على شعراوى كان أغنى من والدها كما كان احد زعماء ثورة ١٩١٩ فقد ذهب مع سعد باشا زغلول وعبدالعزيز بك فهمى إلى دار الحماية البريطانية عام ١٩١٨ للمطالبة بالتصريح لهم بالسفر إلى أوروبا لعرض قضية استقلال مصر أمام مؤتمر الصلح الذى



عقد فى باريس، كما كان وكيل الوفد الذى انابه الشعب المصرى فى التقدم لعرض قضية استقلال مصر ورئيسه فى غياب سعد زغلول.

هدى شعراوى الارستقراطية العتيدة ورائدة النهضة النسائية فى مصر والمدافعة بضراوة عن المساواة بين الجنسين وممثلة مصر فى العديد من المؤتمرات النسائية العالمية حُرمت من العيش فى اسرة مستقرة، فقد انفصلت عن زوجها بعد سبع سنوات عامرة بالخلافات، غير ان سنوات الانفصال كانت اخصب مراحل عمرها، فقد حفظت خلالها القرآن الكريم، واجادت اللغتين الفرنسية والتركية إلى جانب العربية، واكتشفت ان تعليم المرأة هو الحل لانقاذها ونيل حقوقها، وخاضت حروبا طويلة للمساواة بين الجنسين فى الوظائف العامة، وظلت زعيمة للحركة النسائية المصرية حتى وفاتها فى عام ١٩٤٧.

الشارع بشكل عام يحافظ على أسلوب عمارة القاهرة الأوروبية من حيث اتساع المداخل والشرفات والاعتناء بالزخارف والاشكال الفنية فى المبانى وسكانه فى الغالب خليط من ابناء الطبقة المتوسطة والعليا التى ترجع اصولها الى الأسرات التى انتقلت للقاهرة من الريف بعد التحديثات المعمارية التى انجزها الخديو اسماعيل_ ويبدأ من ناحية قصر عابدين بواجهة تحافظ على طراز العمارة الإسلامية وهى خلفية مبنى وزارة الاوقاف التى تواجه على أرض الشارع مثلثا اخضر وانيقا يتوسطه عمود إنارة وتحتل زواياه ثلاث اشجار وارفة رغم التلوث والضجيج، وتكون معا ما يشبه مدخلا مشجَّرا لمقهى المنظر الجميل.

مقهى المنظر الجميل عامر دائما بالادباء الشبان لذلك يبدو مناسبا للتعرف على النشاط الادبى للشارع، فرغم انه خال تماما من المؤسسات الثقافية الرسمية، الا انه ضم عددا من أشهر مقاهى الادباء والمثقفين فى مصر، ومنها مقهى سوق الحميدية الذى يقع على مشارفه، وشهد الكثير من مناقشات ضيوف الناقد الكبير فاروق عبدالقادر الذى يجلس فيه كل يوم احد من كل أسبوع ومنهم الروائى السعودى عبدالرحمن منيف والمسرحى السورى سعد الله ونوس والشاعر العراقى سعدى يوسف وغيرهم_ وكذلك مقهى الندوة الثقافية الذى يشهد كل

خميس اجتماع الروائى علاء الاسوانى مع عدد من شباب الادباء والمثقفين وفيه هجم احد ضباط الشرطة على علاء الاسوانى والقاه على الأرض أثناء تفريق المظاهرات التى رجت القاهرة احتجاجا على الحرب على العراق، أما مقهى ستيلا فى نهاية الشارع فمشروباته محجوزة دائما لفقراء الادباء.

* * *



شـارع سليمان الحلبى

شارع سليمان الحلبى دوبريه سابقا يبدأ بمقدمة فنية سينمائية يدعمها ماضى حكايات شارع عماد الدين وينتهى بسوق لقطع غيار السيارات جدير بمجاورة جفاء وجدية شارع رمسيس، ويمتد على حافة منطقة الازبكية التى كانت بحيرة حتى منتصف القرن التاسع عشر، وصارت متنزها طبيعيا وفنيا فى نهاياته، والتهمها حريق القاهرة عام ١٩٥٢ وسكانه الحاليون خليط من صغار التجار وبقايا ابناء البلد الذين سارعوا للسكن به للفوز بالامتيازات التجارية والفنية والطبقية التى وفرتها التجديدات والاضافات العمرانية والخدمية التى انجزها الخديو اسماعيل وبفضلها صار الشارع على بعد خطوات من مركز قاهرته الاوروبية.

الشارع كان ضمن بؤرة القاهرة الفنية المسرحية والسينمائية والغنائية التى ارتبطت بشارع عماد الدين قبل ان تنحسر عنها الاضواء بعد حريق القاهرة ثم تنتقل نهائيا الى مكانها الحالى فى شارع الهرم وارتاده وسكنه وجلس على مقاهيه على مدى سنوات العديد من رواد التمثيل والغناء العربى، غير ان اهميته تنبع من شىء آخر اقرب للدم منه للفن فأرضه تحفظ حتى الان صفحة أليمة من فصول الصراع بين الشرق والغرب، رغم انها سطرت بمداد من دم قبل قرنين كاملين الا انها مازالت صالحة لقراءة ما يدور فى العالم حتى هذه اللحظة ففيها رفع الغرب ممثلا فى الحملة الفرنسية نفس شعاراته البراقة وهى الحرية والاخاء والمساواة ليحتل الشرق ممثلا فى مصر وبلاد الشام ويزعم تخليصها من الاستبداد والجهل والخرافة!!

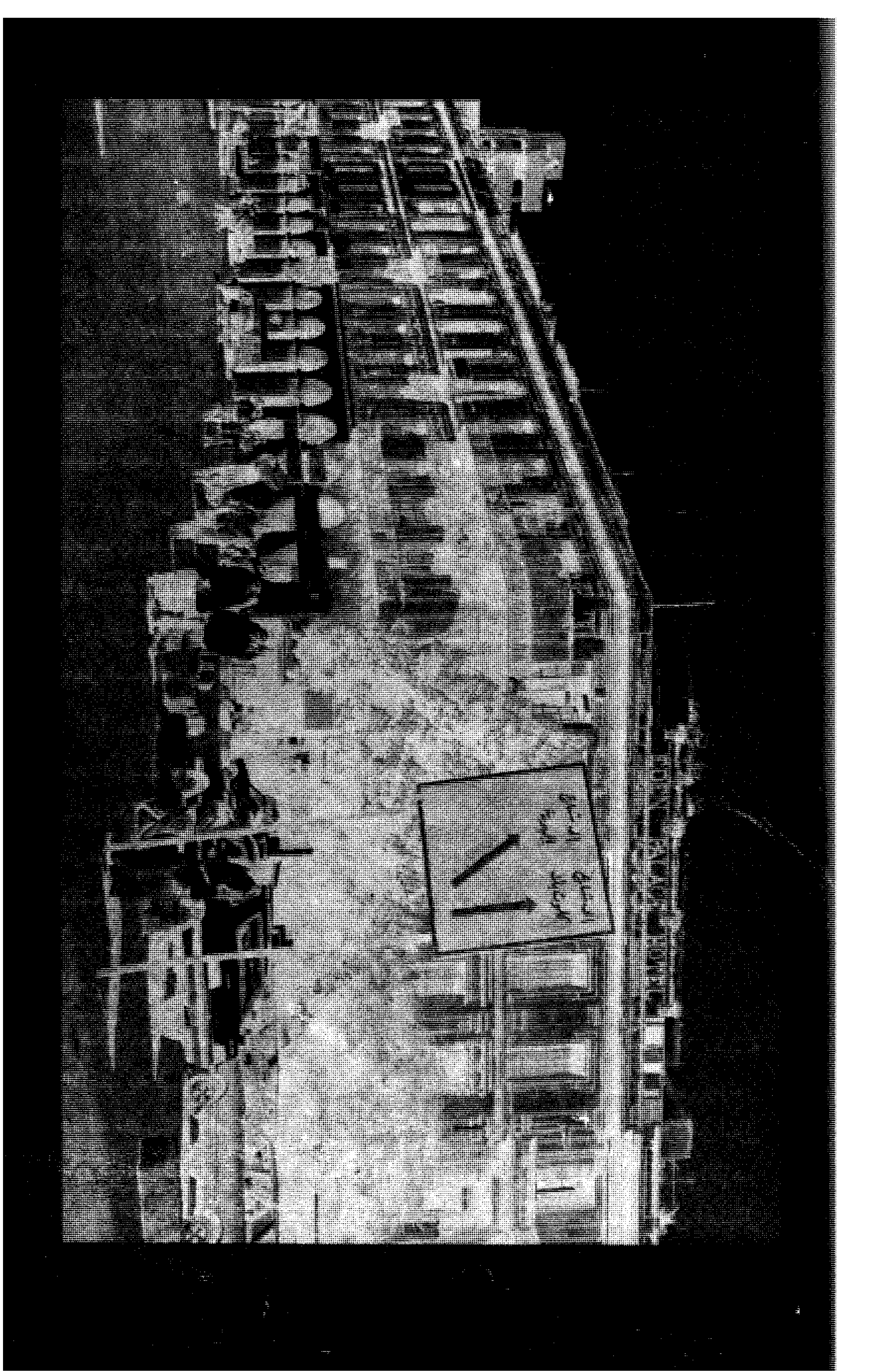
شاب أهوج ومهووس بالخرافات -على حد وصف الغزاة- اغتال بخنجر صدىء ومسموم رسول الحرية والمساواة المبعوث من قبل الحضارة الغربية لانقاذ الشرق العربى وتنويره، هذا ملخص قصة الشارع من وجهة النظر الفرنسية.

الشاب هو سليمان الحلبى صاحب الشارع الحالى، ورسول الحرية الغربية هو الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية على مصر بعد رحيل او هرب نابليون بونابرت والقصة التى بدأت من الشارع وانتهت اليه نبدأها بمشهد النهاية.. نهاية كليبر ونهاية سليمان ولحسن الحظ انه وقع ايضا على حافة الشارع.

فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ كان الجنرال كليبر قد تجاوز أرض الشارع وبدأ يتفقد احوال قصر الالفى الذى يقع على حافته وكان مقرا لقيادة الحملة وكان القصر - المحاط بحديقة يمتد الشارع فى جانب من مكانها الآن - مدمرا بفعل احداث ثورة القاهرة الثانية - وكان كليبر ينوى بعد ترميمه ان يضيف اليه قطعة ارض مكانها الحالى ثلث الشارع من ناحية عماد الدين وبينما هو يتفقد مع احد مهندسيه احوال القصر اقترب منه شاب يضع على رأسه بإهمال واضح عمامة خضراء هذا الشاب هو سليمان الحلبى وظنه كليبر متسولا او احد ضحايا قمعه لثورة القاهرة فقال بعجرفة وبعامية ركيكة «مافيش» غير ان الشاب واصل تقدمه بلا تردد وحينما لاحظ كليبر انه يمد يده اليسرى ظن انه يريد تقبيل يديه فقرر ان يمكنه من ذلك الشرف على مضض وبمجرد ان مد يده اخرج الشاب يده اليمنى ليس لمصافحته كما توقع ولكن لطعنه بالخنجر الذى كان يخفيه بين ملابسه.

سليمان الحلبى طعن كليبر فى صدره وبطنه وتقريبا قبل ان يجتاز اسوار القصر وارض الشارع هاربا كان قائد الحملة الفرنسية قد فارق الحياة للأبد.

سليمان الحلبى أُعدم بوسيلة همجية تماما، بناء على حكم نطق باللغة الفرنسية، ولعل ترجمته الى العربية تظهر الى اى مدى حقق جيش الحملة شعارات الحرية والمساواة والاخاء والعدالة فقد نطق كلماته قاضى الحملة وحكم على الحلبى بـ حرق يده اليمنى وبعد ذلك يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور، وما تحكم يده عليه، يكون حلالا للجمهور الفرنساوى!!



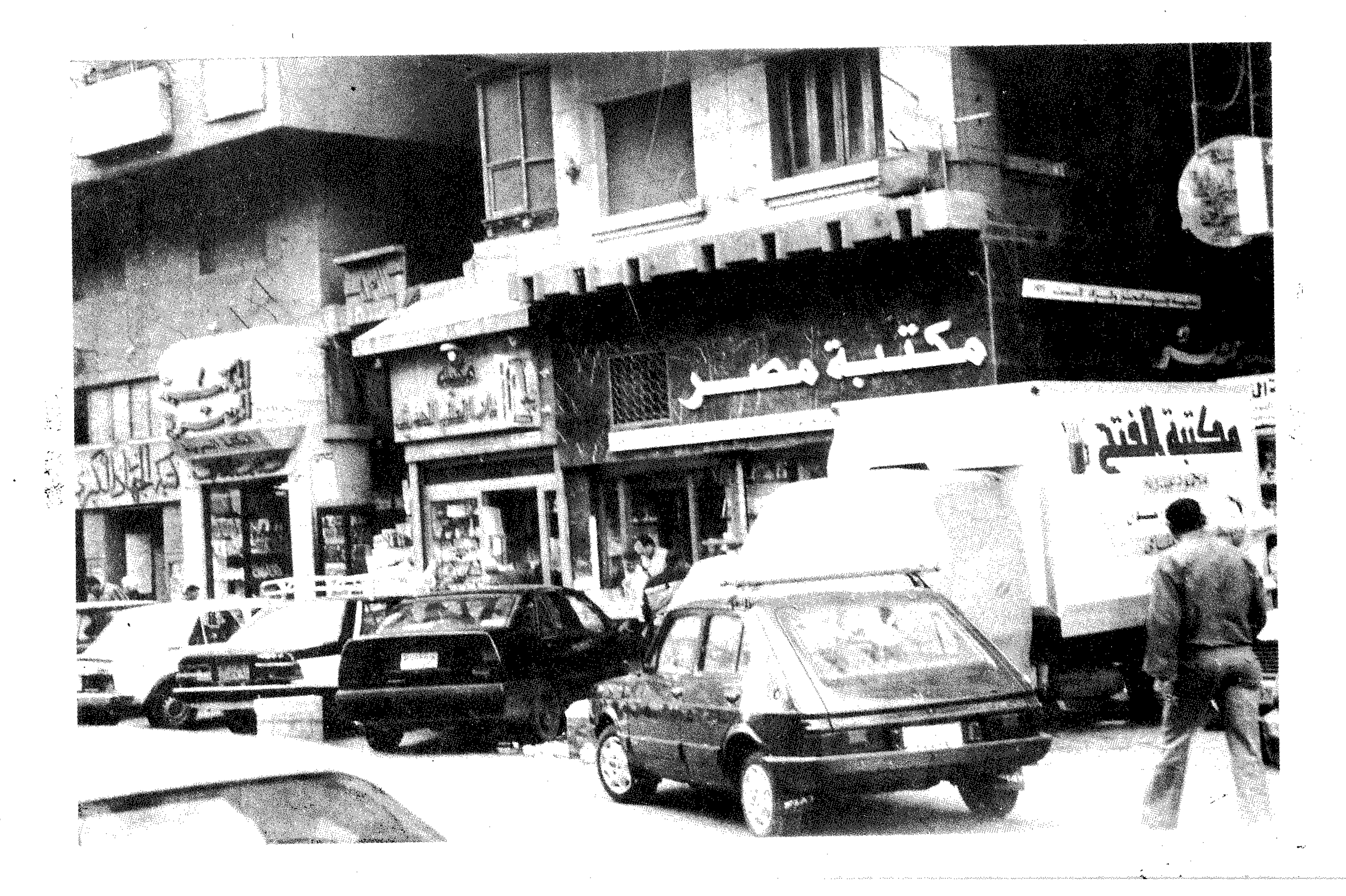
سليمان الحلبى ولد عام ١٧٧٦ فى مدينة حلب السورية لاب كان يعمل فى تجارة الزيد وحياته ارتبطت كليا بالقائد الفرنسى كليبر، فلولا انه قتله بالقرب من الشارع لمر فى صمت مثل غيره من ملايين البسطاء، ولعل المقارنة بينهما تكشف عمق الفجوة والتناقض بين حياة الشرق الخاضع والغرب الغازى، فبينما كان والد سليمان يفكر فى عمل يضمن حياة مستقرة لابنه كان كليبر قد انهى دراسته للهندسة المعمارية والتحق بجيش ملكة بلغاريا، وبينما كان كليبر يقتحم مدينة الاسكندرية غازيا وقاتلا، كان الحلبى ينتقل بين غزة ويافا والمدينة المنورة وحلب طلبا للعلم والرزق وبينما جاء كليبر الى القاهرة لسبب معلن وبراق هو تطبيق شعارات الحرية والاخاء والمساواة وانقاذ أهل مصر من ويلات الجهل ولسبب خفى وحقيقى هو مجد اقامة امبراطورية فرنسية فى الشرق، دخل سليمان القاهرة فى ملابس رثة لهدف بسيط هو حسب نص التحقيقات الفرنسية معه المغازاة اى الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل تحقيقه ظل يتابع كليبر من شارع الى شارع ومن قصر الى قصر حتى تمكن منه فى ارض الشارع الذى يحمل اسم الحلبى.

اما جنازة الاثنين فقد عمقت الفارق بينهما بشكل يصعب وربما يستحيل رأبه فقد خرجت جنازة كليبر من ارض الشارع تتقدمها كتائب جنود المدفعية والمشاة الذين نكسوا بنادقهم ووضعوا اشرطة سوداء على اكمامهم، بينما كانت الطبول تدق دقا جنائزيا خافتا، كما ان نعش كليبر حُمل على مركبة تجرها الجياد وفوقه سيف كليبر وقبعته وشارته والسكين التى طُعن بها، وخلفه انتظم قادة الحملة وأعيان القاهرة وتجارها وعلماؤها فى طابور طويل بدأ من ارض الشارع وتبعه طابور آخر من طوائف الصناع من كل صنف ولون.

هذا الموكب الجنائزى المهيب خرج من ارض الشارع ومر من الازبكية والناصرية قبل ان يصل الى تل العقارب بالقرب من جامع احمد بن طولون وهناك ظهرت مراسم جنازة مناقضة جنازة سليمان الحلبى، فبمجرد ان أنزل نعش كليبر تقدم محافظ القاهرة اليونانى واطاح اولا برؤوس طلاب الازهر الاربعة الذين اثبتت التحقيقات «العادلة» انهم عرفوا بعزم سليمان على اغتيال

كليبر ولم يبلغوا السلطات الفرنسية، ثم تقدم المحافظ الهمام من سليمان المقيد بالحديد وبدأ تنفيذ الحكم الفرنسى حرفيا أولا وضع يد سليمان فى المجمرة حتى احترقت، ثم اقعده على الخازوق حتى مات.

* * *


مكتبة مصر
مكتبة الفتح

كامل صدقى / الفجالة

مدخل شارع كامل صدقى (الفجالة) محاط بثلاثة فنادق عتيقة شديدة التواضع هى (راديو بالاس ورمسيس والشعب) وجميعها سواء على مستوى اسلوب العمارة او التاريخ تنتمى الى أواخر القرن التاسع عشر فهى تتميز باتساع حجراتها ورحابة وبروز شرفاتها والمبالغة فى طول شبابيكها وارتفاع جدرانها. ومن ناحية اخرى فإن تاريخ بنائها وايضا مستوى الخدمة التى تقدمها يتوافق تماما مع لوكاندات شارع كلوت بك التى كانت مخصصة لممارسة البغاء بشكل رسمى اى بحراسة الحكومة وموافقة القانون حتى أربعينيات القرن الماضى.

تلك الفنادق يدلل اسم آخرها (لوكاندة الشعب) على نوعية روادها الآن، فهم فى الغالب من بسطاء قرى مصر البعيدة الذين تضطرهم ظروف الحياة للمبيت ليلة او ليلتين فى القاهرة لذلك فإن واجهاتها على الشارع وايضا الاساطير العجيبة والمضحكة التى يرددها اهالى القاهرة عن ظروف الاقامة فيها لا تغرى بالتأكيد اى زائر يطمع فى رحلة قاهرية مريحة وممتعة.

يبدأ شارع كامل صدقى (الفجالة) من ميدان رمسيس اكبر ميادين القاهرة من حيث الاتساع والازدحام فهو يستقبل يوميا الملايين من زوار العاصمة من أقاليم مصر المختلفة بسبب وجود محطة السكة الحديد فى قلبه وينتهى الشارع بزقاق ضيق يلفظ انفاسه الاخيرة عند أعتاب حى باب الشعرية.

الفجالة شارع تجارى قلبا وقالبا وكما انه يبدأ بثلاثة فنادق هى نموذج حى لاسلوب الفندقة فى تلك المنطقة فإنه عبر امتداده الذى يصل الى الف وخمسمائة متر مقسم الى ثلاثة اجزاء كل واحد منها خاضع لسيطرة نشاط

تجارى معين .الاول مخصص فى الغالب للمكتبات وهى المصدر الاساسى لشهرة الشارع وأهم أسباب تميزه فلا يوجد بين شوارع القاهرة ما يضم هذا العدد من المكتبات التى تتجاور على جانبيه. والقسم الثانى رغم انه لا يخلو من المكتبات الا ان السيادة فيه لمحلات الادوات الصحية والسيراميك.اما الجزء الثالث فهو خليط عشوائى من المحلات والمقاهى الضيقة وانغام ورش الحدادة وإصلاح السيارات.

بدأ تاريخ شارع الفجالة قبل الفتح الاسلامى لمصر فهو يقع على مشارف بستان المقس الذى كان يحتل المساحة التى تفصل الان بين ميدانى رمسيس والعتبة وعند الفتح الاسلامى كان بالقرب من المساحة كانت عبارة عن قرية تعرف باسم (ام دنين) انشأ بها الامير ابوبكر محمد بن طفح الاخشيدى بستانا سمى البستان الكافورى وبموقعها الان شارعا كلوت بك وباب البحر الذى يلاصقه عند ميدان رمسيس .وفى ايام الفاطميين كانت المساحة التى يتوسطها الان تعرف بأرض الطبالة ويرجع اسمها الى قصة شهيرة ملخصها ان الخليفة المستنصر بالله الفاطمى كان يطمع فى التغلب على العباسيين بغرض توحيد الخلافة فى مصر ونظرا لضعف العباسيين نجح فى ان يخطب باسمه اربعين اسبوعا فى صلاة الجمعة على منابر بغداد وابتهاجا بهذا الانتصار غنت بين يديه واحدة من اشهر مطربات او طبالات عصره ابياتا شعرية منها:

بنى العباس ردوا

ملك الآمر معد

ملككم ملك مستعار

والعوارى تسترد

فطرب المستنصر بالله جدا وكان اسمه معد وامر على الفور بأن تمنح الطبالة جميع الاراضى التى يتوسطها الشارع الآن.

فى بداية عهد الدولة الايوبية كانت المنطقة التى يتوسطها الشارع خارج زمام أو سور القاهرة الفاطمية فأمر صلاح الدين الايوبى وزيره الشهير بهاء الدين

قراقوش الاسدى الذى دمر العديد من الاهرامات فى سبيل انشاء القلعة والذى يعد الى الان مثالا للحاكم القاسى والمستبد بأن يبدأ بناء سور جديد للقاهرة وفى ذلك الوقت كان بالقاهرة سوران الاول كان من الطوب اللبن وبناه جوهر القائد مؤسس القاهرة حول المنطقة التى حددها له الخليفة الفاطمى فى المغرب عندما شد الرحال لفتح مصر وبالفعل عسكر فيها وبنى الجامع الازهر والقصر الفاطمى والسور الثانى بناه بالطوب اللبن ايضا امير الجيوش بدر الجمالى عام ٤٨٠ هـ .

أما السور الذى بناه قراقوش وكانت بقاياه حتى نهاية القرن التاسع عشر بالقرب من الشارع فقد كان من الحجر النحيت وكان الغرض منه ضم القاهرة الاولى وامتداداتها الى قلعة صلاح الدين الايوبى التى صارت مقرا لحكم مصر بسور واحد يحيط به ويحميه خندق غائر، وداخل هذا السور من ناحية ميدان رمسيس بنى الايوبيون على مشارف الشارع قلعة المقس التى كانت أرصفها عبارة عن بركة كبيرة تطل على النيل مباشرة فقد كان النهر يمر من هذه المنطقة قبل انحساره فى مجراه الحالى وهذه القلعة ظلت شامخة بالقرب من الشارع الى ان هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبدالله المقسى وانشأ مكانها حديقة كبيرة وقيل انه عثر تحت برجها على كنز كبير.

اما من ناحية باب الشعرية فقد كانت بالشارع قرية صغيره تعرف باسم (كوم الريش) وتحولت بفعل هجر اهلها لها الى تلال عالية ظلت تنغص اهالى القاهرة بقذارتها واوكارها التى تحولت الى مكمن للصوص والخارجين على القانون على مدى سنوات طويلة وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر حاولت تنظيم الشارع وازالت جانبا من هذه التلال وظلت بقاياها بالشارع الا ان ازالها على مبارك وزير الاشغال فى عهد الخديو اسماعيل كما انشأ بالشارع مقرا لمدير السكة الحديد ومستوصفا طبيا وقد وصف على مبارك جهود حكومته فى تجميل الشارع والمنطقة قائلا (انتظمت هذه الخطة من ابتداء ترعة الاسماعيلية الى سور البلد عرضا ومن جامع اولاد عنان - جامع الفتح - الذى يقع بالقرب من الشارع الان الى بوابة الحسينية طولا وبيعت الاراضى المملوكة للحكومة وبُنى

فيها وفى غيرها من ارض الاهالى مبان هائلة وقصور فاخرة تحيط بها بساتين نضرة وحدائق مستحسنة وانقسمت الى حارات منتظمة وشوارع معتدلة فأصبحت نزهة للناظرين وبهجة للطالبين وكثرت الرغبة فى سكنها لحسن موقعها وجودة هوائها وارتفعت قيمة ارضها حتى بلغ ثمن المتر المسطح فى ارضها نحو الثمانين قرشا بعد ان كان لا يساوى قرشا واحدا) . وبالتأكيد ستزداد بهجة على مبارك الذى كتب هذا الكلام منذ ما يزيد على القرن ونصف بالمكانة التى وصلت اليها المنطقة التى نظمها الان فسعر المحل الذى لا يتجاوز عشرة امتار فيها يقدر بالملايين الآن.

اسم الفجالة اطلق على الشارع والمنطقة منذ حوالى مئتى عام، ويرجع الى أن المنطقة كانت تشتهر بزراعة الخضروات وخصوصا الفجل الذى يبدو أنه كان جزءا رئيسيا على موائد المصريين فى هذه الفترة، اما اسم كامل صدقى فقد اطلق على الشارع فى أواخر اربعينيات القرن الماضى، وهو النقيب الحادى عشر فى تاريخ نقابة المحامين المصريين وكان وزيرا بارزا فى حكومة الوفد عام ١٩٤٠.

الثلث الاول من الشارع مزدحم بعدد هائل من ابرز ناشرى وموزعى الكتب فى مصر، وأقدمهم بالشارع (الفجالة) التى انشئت فيه عام ١٩١٩، ونهضة مصر التى تأسست عام ١٩٣٨، ومكتبة مصر التى أسسها سعيد جودة السحار شقيق الاديب الراحل عبدالحميد جودة السحار عام ١٩٣٤ وهى ناشر كافة روايات نجيب محفوظ والمكتبة المصرية عام ١٩٤٠، أما أحدثها فهى دار المعارف التى افتتحت فى الشارع فى الستينات ودار الغريب ومكتبة الاهرام ومكتبة الجهاد التى تجاورها بالشارع مكتبة العهد الجديد، ويرجع فضل تحويل الشارع الى ساحة للمكتبات الى اسرة زيدان الشامية، فقد انشأ فيها ابراهيم زيدان ابن عم جورجى زيدان عام ١٨٨٩ واحدة من اقدم مكتبات مصر فى العصر الحديث هى مكتبة الهلال.

الشارع الى فترة قريبة كان من الاماكن المفضلة لسكن التجار والمثقفين الشوام فى القاهرة، ومنهم عائلة قطاوى اليهودية التى كانت تمتلك جزءا كبيرا من ارض الشارع، ومن اشهر الشخصيات الفنية والثقافية التى سكنته السيدة


STABILO

روزاليوسف وفى طفولتها خرجت منه وتوجهت مباشرة الى احد المسارح لتعمل ممثلة وهى تصف هذه التجربة قائلة: (كنت لم اتجاوز الرابعة عشرة حينما خطر لى ان امثل، وكانت تربطنى صلات مع اصحاب تياترو شارع عبدالعزيز وذهبت يوما الى هناك وانتقيت فستانا من المخمل الاسود الموشى بالقصب والترتر، ثم رجعت الى منزلى الصغير بالفجالة، وهناك اسدلت شعرى على كتفى وخططت وجهى بعد ان ارتديت هذا الفستان الذى كانت تلبسه سابقا ممثلة دور (مارى تيودور) وكان ذيله يصلح لكنس المسرح، ثم خرجت الى الطريق أتهادى فى جلال ملكات الجمال واجتزت شارع الفجالة فكلوت بك، فميدان العتبة الخضراء حتى التياترو وتبعنى نفر من الناس، كما أحسنت كنس الشارع بذيل فستانى (الخفافى) ولم انتبه الى كل هذا، اذ كان كل ما يغمر رأسى أنى اسير فى ثياب الملكة مارى تيودور. وبعد هذه التجربة المثيرة التى ادت الى كنس الشارع صارت روز اليوسف من اشهر ممثلات مصر، ولقبت بسارة برنار الشرق.

صيدلية الفجالة بالشارع تجاورها دار الاستقلال وتواجهها مكتبة الشرق والمؤسسة العربية الحديثة ودار المعارف وحسين فهمى لتجارة الورق ودار قباء ودار الفتح التى تجاور بضعة محال صغيرة تظللها الاشجار، وبعدها تبدأ محلات ادوات الصرف الصحى والسيراميك فى الشارع ومنها انور بسطا للادوات الصحية وفتحى سليمان للسيراميك وشريف عفيفى لجميع انواع السيراميك، وسيراميكا كليوباترا التى تحتل جانبا من عمارة فى منتهى الاناقة تزاحمها فيها محلات اولاد فخرى عبدالنور.

المكتبة العربية الحديثة وكذلك نهضة مصر تحاول ان تعيد الكتاب الى هذا الجزء من الشارع ولكنها سرعان ما تنزوى امام سيراميك مقار وشركة روما ومحل توفيق موسى الذى يواجهه بالشارع مبنى قديم آيل للسقوط وبالقرب منه مبنى آخر لا يقل قدما وانهيارا وبعده محل الشهيد مار جرجس وغصن الزيتون وكل منهما متخصص فى السيراميك، وتظهر مشارف نافورة مياه معطلة تتوسط ميدانًا عشوائيًا يبدأ منه شارع الظاهر ويمر منه شارع الفجالة الى نهايته المحبطة التى تبدأ بعمارة ضخمة وقصر قديم ومهمل يحمل رقم ٣٩ ويئن تحت

ثقل ورشة إصلاح السيارات التى تمارس عملها وهى تابعة للهيئة العامة لمرفق الصرف الصحى.

وأمام القصر يبدأ رصيف الشارع فى التآكل تمهيدا لتلاشيه فى نهايته، وبعده تظهر واجهة لبيت صغير ومتواضع داخله المستوصف الشرقى التابع لجمعية دار الشفاء وعمارة لا محالة آيلة للسقوط، بعدها كنيسة دار المحبة التى تصنع ـ ربما عن غير قصد- مع مسجد الاخلاص الذى يواجهها مباشرة نموذجا لتعانق الاديان ثم تلك الحديقة الصغيرة التى تحاول قدر الامكان مقاومة الزمن.

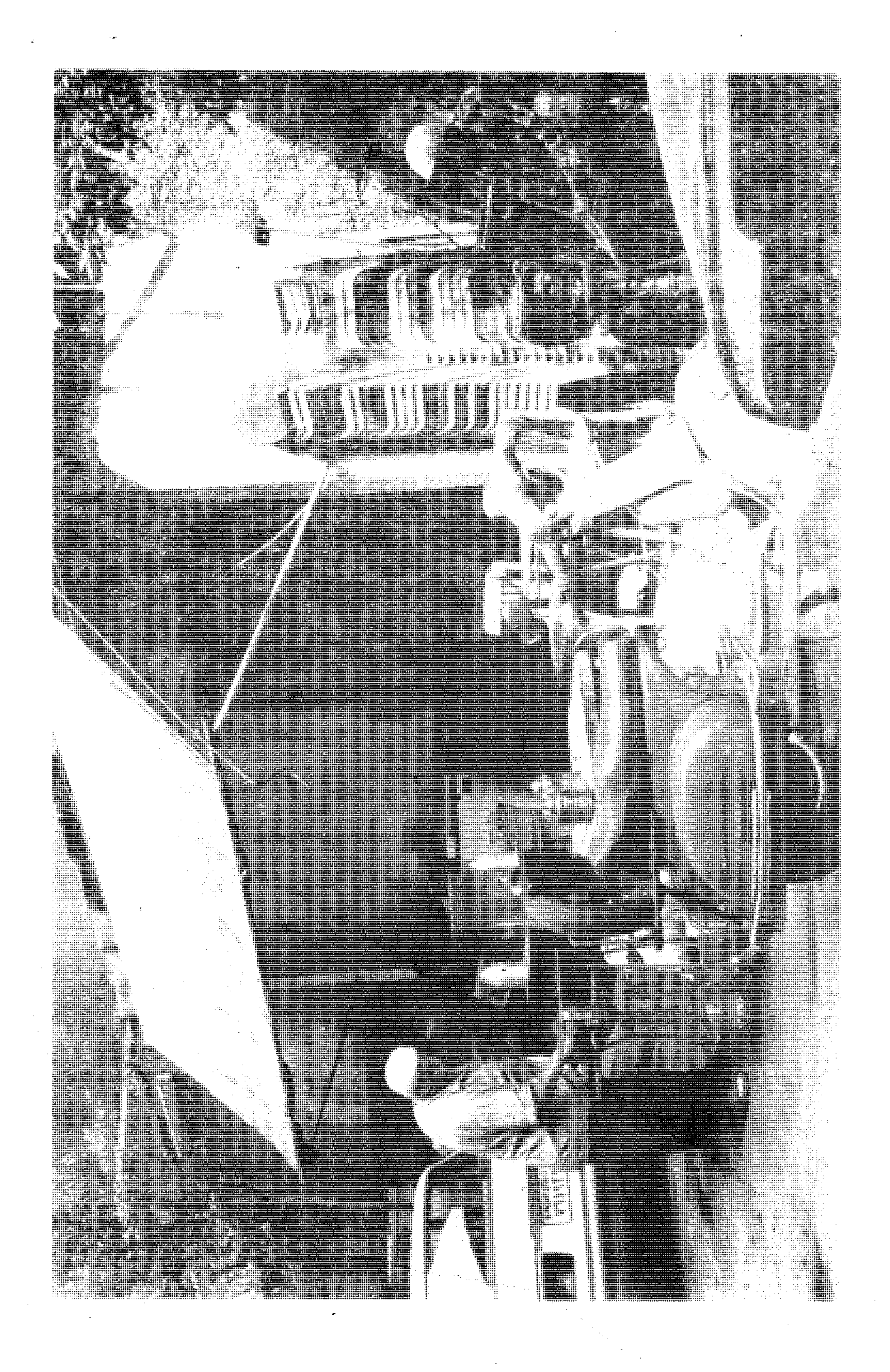
وسط محلات السيراميك التى سرعان ما عادت للشارع بقوة محل شوب رايت للحلويات وهو يحتل الدور الاول فى عمارة حديثة مملوكة لشركة الائتمان التجارية وبيت تجمله بلكونات نصف دائرية ويعانى هجر اصحابه والتهديد الواضح بالانهيار.

بعد هذا البيت يتحول الشارع الى ما يشبه المنطقة العشوائية حيث البضائع ومعدات الورش والخضروات مفروشة على ارض الشارع بشكل بدائى لا يختلف كثيرا عن القرون الوسطى.

كوفى شوب الحاج عبده اليهودى بغض النظر عن مفارقة اسمه يحاول بألوانه الزاهية تجميل هذا الجزء من الشارع، وهو مملوك لعبده جابر نائب البرلمان عن دائرة باب الشعرية الذى يبدو انه ضليع فى الشارع على المستوى التجارى فهو يملك عددًا آخر من المحلات.

المرجيحة وفوقها وحولها جيش من الاطفال تقع قبل مدرسة الناصر الابتدائية التى يضيق الشارع بعدها ويتحول الى زقاق فى أوله حداد بدائى وسيدة عجوز تجلس أمام بيت متواضع جدا وبعدهما مقام الست مريم بنت السلطان وعدد من المحلات والمقاهى العتيقة تمهد لنهاية الشارع الذى يتوقف أمام جامع سيدى على.

* * *



نجيب الريحانى

شارع نجيب الريحانى يمر بعدد من الشوارع والحارات أبرزها عماد الدين قبل ان يصل الى نهايته على أعتاب شارع كلوت بك، ازدحام الشارع الدائم ليس اختيارا ولا يعود لاسباب ترفيهية، ولكنه مفروض فرضا على سكانه ورواده أولا لأن الشارع رغم ضيقه وافتقاره للاستقامة يعتبر أحد الشرايين الحيوية التى تربط بين امتدادات القاهرة الاوروبية المتمثلة فى شوارع رمسيس وعرابى وعماد الدين، واحياء القاهرة القديمة وخصوصا باب الشعرية، ويشبه وضع الشارع الراهن مخزنًا كبيرًا يستقبل يوميا آلاف المشترين من كافة انحاء مصر نظرا لأنه متخصص فى بيع الاجهزة الكهربائية الثقيلة خصوصا المحركات والمولدات وماكينات رفع المياه.

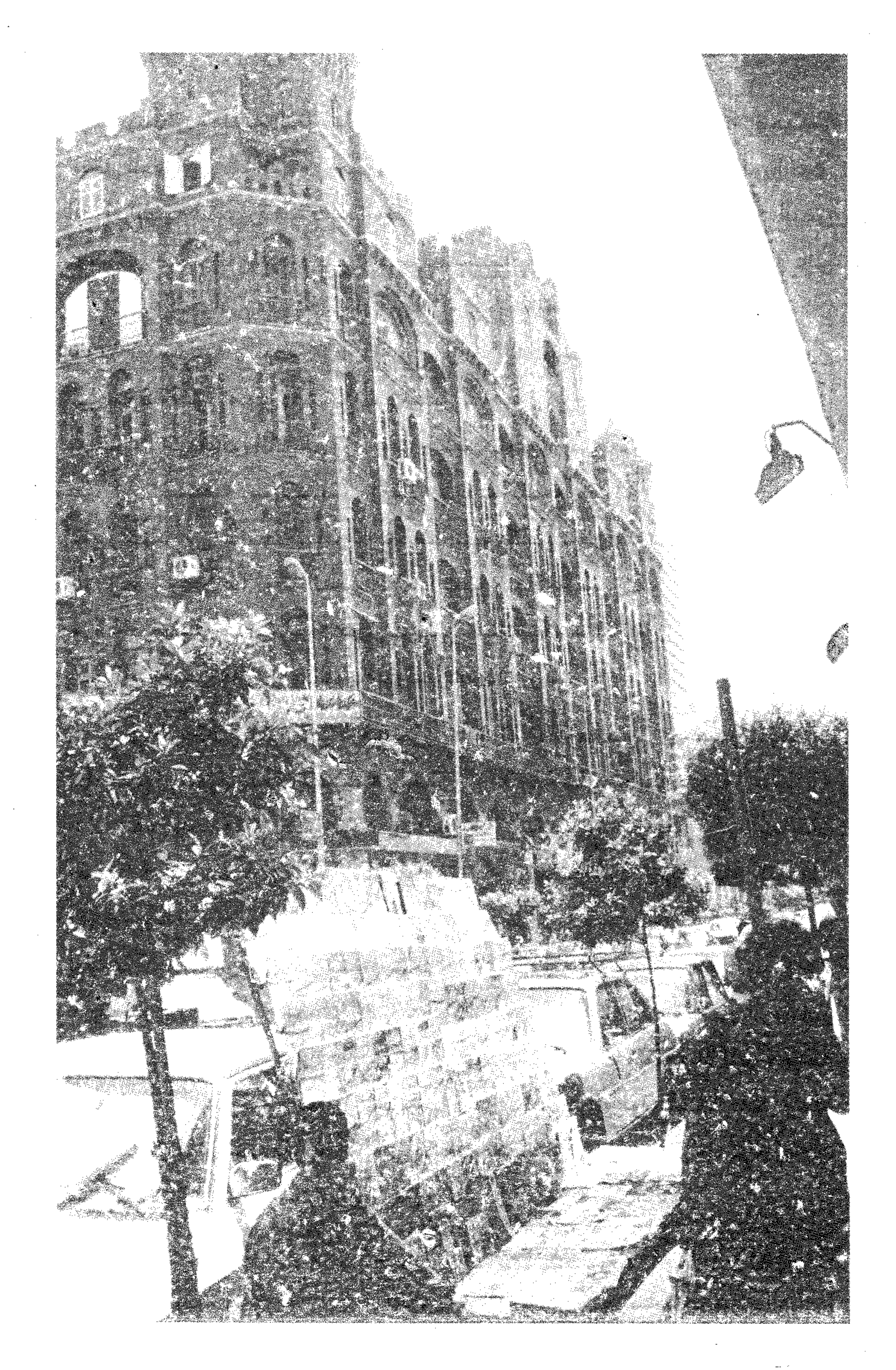
كان الشارع يُعرف حتى عهد قريب باسم وش البركة لأنه كان الحد أو الشاطىء الشمالى لبركة الازبكية التى ردمها الخديو اسماعيل عام ١٨٦٤ وشيد فوقها حديقة شاسعة جعلها متنزها لقاهرته الاوروبية، وكانت قد اتخذت اسمها من الامير ازبك الذى ترجع اصوله الى مماليك السلطان الاشرف برسباى، فهو الذى أعاد حفرها ووصلها بنهر النيل وشيد قصره على حافتها عام ٨٨٠ هـ كما أحاطها برصيف، وبلغ ما أنفق على عمارتها والمنطقة المحيطة بها بما فيها ارض الشارع مئتى الف دينار، وبعده شرع الناس يبنون على حافتها القصور الفاخرة والدور الجليلة حتى صارت أشبه بمدينة كبيرة ومنفصلة عن القاهرة الفاطمية عام ١٤٩٥م.

نهـر النيل على أيام بركـة الازبكيـة كـان يشق أرض الشـارع عند المنطقـة التى يتقاطع فيها الان مع شارع عماد الدين وفى آخر ناحية شارع كلوت بك كان يمتد بسـتـان المقس الذى شـيـد على انقـاض قـرية أم دنين التى تـعـد الاصل المعمـارى للمنطقـة المحيطة بالشـارع وربما لكافة احياء وشـوارع القاهـرة، فقـد كانت عـامرة بالدور والحـوانيت والاسواق لدى الفـتح العربى الاسـلامى لمصـر، وداخل أزقـتـهـا قسم عمرو بن العاص غنائم فتح مصر على بطون قوات جيشه.

اطلق اسـم الفنان نجـيب الريحـانى على الشـارع بعـد ثورة يوليـو ١٩٥٢ التى اطاحت بالعديد من اسمـاء شوارع القاهـرة القديمة ونصبت مكانهـا اسمـاء تناسب توجهها السياسـى وتخفى الى الابد اسـماء ملوك وامراء ورجـال الاسـرة العلوية أو رجـال العـهـد البـائد حـسب وصف ضبـاط الثـورة. جـاء التـغـيـيـر على حـسـاب خصوصية الشوارع وزعزع ارتباط تواريخها بأسمـائها، كما أهدر جهود مؤسسيها الأوائل وأبرزهـم الخـديو اسـمـاعـيل الذى أسـس القـاهـرة الحـديثـة على أحـدث اساليب العمارة والتخطيط إلا أن ضباط ثورة يوليو لم يتورعوا عن رفع اسمه من على اثنين من أهم شـوارعهـا وميـادينهـا وهمـا شارع وميدان التحـريرـ أمـا اسـم نجيب الريحـانى فلم يطلق على الشـارع لاسبـاب سيـاسـية مثل العـديد من الشـوارع المهمة، ولكن خضـوعـا للنشاط الفنى الحـافل الذى غـادر موقـعه الاول فى ميدان الاوبرا القريب من نهاية الشـارع وانتقل رويدا رويدا الى المنطقة المتـاخمـة للشارع وخصوصا منطقة عماد الدين.

الفنـان الرائد نجـيب الريحـانى ولـد فى حى باب الشـعـرية القـريب من نهـاية الشـارع عـام ١٨٩٠ لأسـرة جـاءت الى مـصـر من العـراق، والتـحـق فى طفـولتـه بمدرسـة الفـريـر الفـرنسيـة، غيـر أنه اضطر للعمل وهو فى الخـامـسـة عشـر من عمره ليعول اسرته بعد وفاة والده اليـاس الريحانى الذى كان يعمل تاجـرا للخيول وتوفى بعد ان داهمه افلاس مفاجىء.

استـغل الريحـانى اتقـانه للغة الفـرنسـية وعـمل فى البـداية فى بنك الكريدى ليونيه وفيه التقى برفيق مشواره الفنـى عزيز عيد وكان يقسم وقته بين العمل فى



البنك وصقل مواهبه الفنية بالمداومة على مشاهدة العروض المسرحية ـ وحينما انتقل للعمل فى شركة كوم امبو بدأ يفكر فى الانضمام كهاو للتمثيل الى احدى الفرق الفنية الشهيرة فى ذلك الوقت، وبالفعل انطلق الى مقر فرقة جورج ابيض غير ان مديرها سليم ابيض اخبره بانكسار واضح ان الفرقة موشكة على الافلاس وتفكر فى وقف نشاطها نهائيا، فما كان من نجيب الريحانى الذى كان يتميز بحساسية مفرطة الا ان اخرج من جيوبه المتهدلة كل ما ادخره من العمل فى شركة كوم امبو وقدمه الى مدير فرقة جورج ابيض وبالفعل ساعدت مدخرات الريحانى التى لم تزد على خمسين جنيها فى انقاذ فرقة جورج ابيض غير ان التضحية بها ضاعفت ورطته فهو لم ينضم للفرقة واضطر هو ورفيقه عزيز عيد الى الالتحاق بفرقة عكاشة التى كانت معروفة بالعروض الدرامية المحزنة سرعان ما تركا العمل وجمعا بعض هواة التمثيل فى ذلك الوقت وكونا فرقة تمثيلية حملت اسم عزيز عيد وضمت بالاضافة اليهما كلا من امين عطاالله وحسن فائق وروزاليوسف وامين صدقى.

عمل الريحانى فترة فى فرقة عزيز عيد ثم غادرها بعد ان حصره عيد فى اداء الادوار الكوميدية البسيطة وانتقل الى فرقة كازينو ابيه دى روز غير انه غادره هو ايضا وراح يفكر فى عمل مسرحى يليق بمواهبه وغير مقيد بما كان مفروضا على المسارح فى هذه الايام وهنا ظهرت شخصية كشكش بيه التى كان يهدف بها الى تصوير مغامرات العمد واخترع لها فى عروضه قرية وهمية اسمها كفر البلاص وهى شخصية طيبة وساذجة وبريئة الى ابعد حد واهل قريتها مثلها يعيشون سعداء بعيدا عن زيف المدينة وخداعها وبها رمز الريحانى الى بسطاء الشعب المصرى فى ذلك الوقت وحقق نجاحا منقطع النظير وضعه على ذروة رواد تجديد التمثيل المسرحى العربى فى ذلك الوقت كما كانت نقطة البداية الحقيقية للريحانى فى تقديم العديد من الاعمال المسرحية ثم السينمائية التى لم تتوقف سوى بوفاته عام ١٩٤٩.

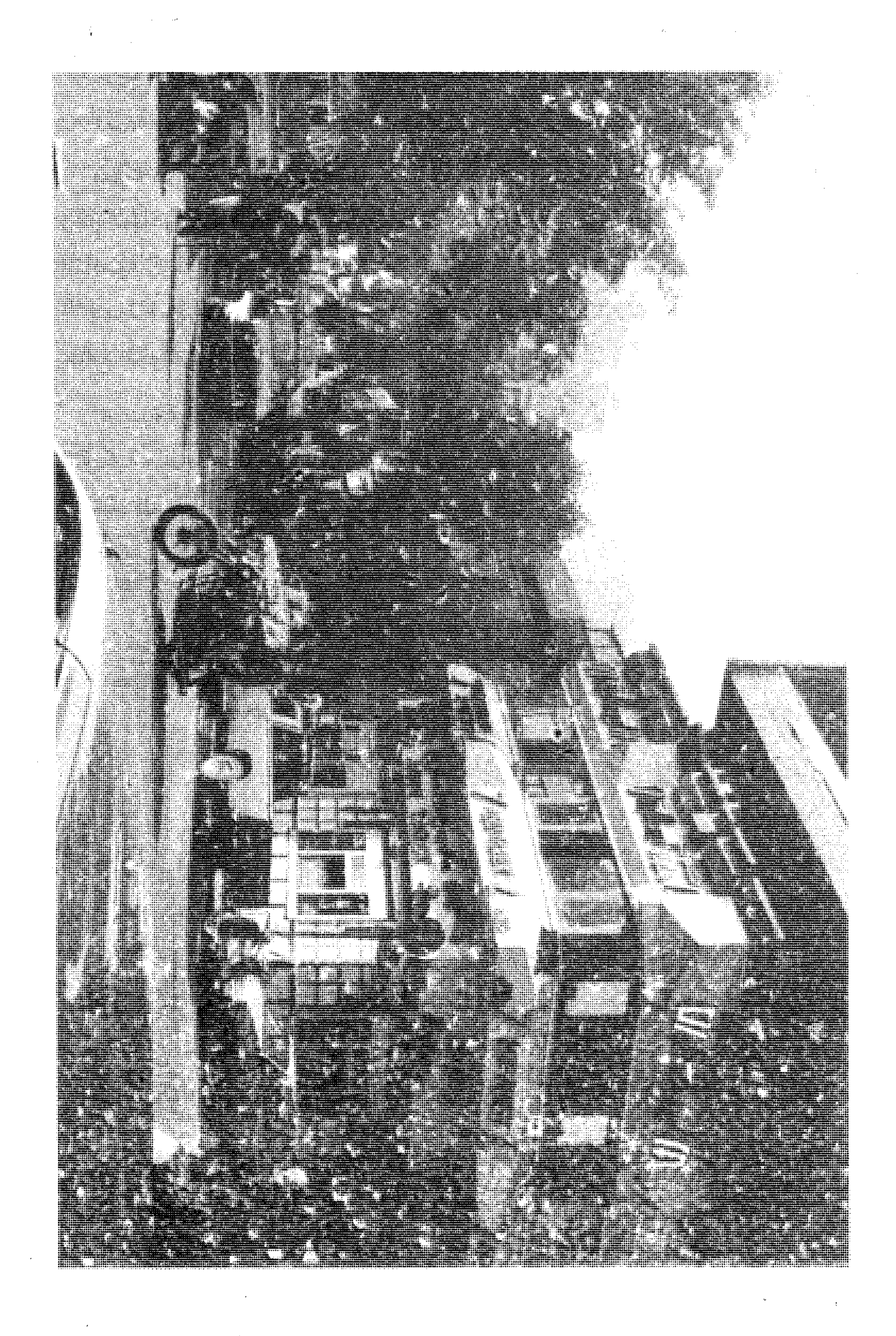
أما شارع نجيب الريحانى فسيبدأ بعدد من المحال ابرزها تسالى رمسيس والشركة الهندسية للمقاييس وجميعها تواجه مقر صحيفة الجمهورية وباقى

مطبوعات دار التحرير للطبع والنشر وبعدها تطل واجهة حلوانى القصر الذى يحاول بقدر الامكان ان تكون عمارته على هيئة قصر فعلى.

شركة قرية برج العرب تتصدر عمارة تقع على ناصية شارع عماد الدين وتبدو رغم اتساعها متواضعة جدا امام نصاعة رخام واجهة شركة الرضا التى تقع على الناصية الاخرى وبعدها يبدأ بكثافة النشاط التجارى الاساسى للشارع وهو بيع الاجهزة الكهربائية الثقيلة التى تبلغ ذروة تراكمها على ارضه امام قبة ومئذنة جامع الخواص والشاذلى.

الحديقة الصغيرة التى قيل إنها آخر ما بقى على حاله من شواطىء بركة الازبكية محاطة بالبضائع من كل جانب وبعدها تتوالى بواكى الشارع مع محال الاتحاد للمحركات الكهربائية ومعرض السقا قبل ان يصل الى نهايته امام فندق القاهرة.

* * *



شارع شامبليون

شارع شامبليون يبدأ من ميدان التحرير مركز القاهرة المرورى والسياسى والتجارى بقطعة ارض تواجه المتحف المصرى، وينتهى بخلفية مبنى دار القضاء العالى وواجهة المبنى الجديد لنقابة الصحفيين، أما تاريخه فيرتبط ارتباطا وثيقا بالغرب الاوروبى، سواء فى جانبه الاستعمارى المستغل والكريه، أو فى جانبه العلمى والحضارى والانسانى المشرق، فالشارع يمتد فى قلب القاهرة الحديثة التى بناها الخديو اسماعيل حسب تخطيط يحافظ على نفس مواصفات أعرق المدن الاوروبية، وعلى مشارفه رفرف العلم الانجليزى فوق ثكنات قصر النيل ليعلن للعالم ان مصر وقعت فى شرك الاحتلال البريطانى، واسمه يرتبط بالفرنسيين ويذكر بحملتهم على مصر، وفى نفس الوقت ينتمى الى الجانب الحضارى المشرق فى الغرب.

هناك دائما جيوش المستعمرين الغربيين القاتلة والمستغلة للمنطقة العربية، وهناك ايضا وسط حشود هذه الجيوش اشخاص نادرون تمسكوا بإنسانيتهم وعاملوا ابناء الشعوب المستعمرة بما يليق بعراقة حضارتها، وعلى رأس هؤلاء العالم شامبليون صاحب الشارع الذى كره باريس ووقع فى غرام القاهرة.

حب جان فرانسوا شامبليون لمصر لم يكن مقصورا على تاريخها وآثارها، وإنما أولا لشعبها ـ يقول المؤرخ جان لاكويتر: نراه يهتم بشغف كبير بهذا الشعب الوريث البعيد لتاريخ كله عظة ـ الا ان حالته الحالية تؤثر فيه بعمق ـ وكان شامبليون لا يتحرج اثناء حياته اليومية فى صعيد مصر من تقديم نصائحه

للفلاحين لكى يتفادوا المضايقات التى كانوا يتعرضون لها من قبل السلطات المحلية، أو لكى يتفادوا تسديد بعض الضرائب المجحفة وعلى الرغم من أن ذلك لم يكن ليخفى عن عيون جواسيس محمد على باشا.

ومن ناحية اخرى بذل شامبليون كل ما فى وسعه للحفاظ على الآثار المصرية القديمة من النهب، فى الوقت الذى كانت المعابد القديمة تفكك وتستخدم أحجارها لتشييد المصانع ومنها مصنع السكر، وعندما علم شامبليون بأنه تم تدمير ثلاثة عشر معبدا من اجمل واقدم معابد مصر ونهب كنوزها كتب مذكرة لمحمد على باشا قال فيها انه من مصلحة مصر ان تعمل حكومة سموكم على الحفاظ الكامل على الصروح والمبانى الاثرية الذى تسبب هدمها فى اثارة الاسى فى اوروبا كلها.

ولد شامبليون يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٧٩٠ فى مدينة فيجاك الفرنسية لأب كان يعمل بائعا متجولا وام ذات اصول برجوازية كانت تعانى من المرض والأمية ،وبينما كان شامبليون يطلق العنان لصرخة ميلاده وسط الاحراش الفرنسية، كانت ارض الشارع مجرد ضاحية مهملة تفصل وتصل بين مياه نهر النيل، ومياه بركة الازبكية التى كانت محاطة بأفخر قصور الامراء المماليك، كما كان محمد على باشا - جد الخديو اسماعيل مؤسس الشارع والقاهرة الاوروبية- مجرد ضابط فى الحامية التركية، ولم يكن يحلم بحكم مصر.

وفى عام ١٧٩٤ شهد شامبليون وهو فى الرابعة من عمره حشود جماهير الثورة الفرنسية فى الميدان العالى وهى تصرخ «تحيا الجمهورية» ويومها سقطت بالقرب منه ثلاثة رؤوس بشرية بفعل المقصلة التى نصبتها الثورة لاعدام اعدائها وسط فرحة الجماهير.

وفى سن الثامنة التحق شامبليون بالمدرسة العمومية، غير انه على عكس المتوقع لمواهبه لم يكن سعيدا ولا ناجحا فيها، لذلك سرعان ما منحه مدرسوه لقب التلميذ البليد والسيئ، فقد كان يبغض كل ما يتعلق بالحساب، كما انه ضعيف فى الاملاء، وتسبب ذلك فى تكرار معاقبته، فضلا عن انه كان يتميز

بشخصية سريعة الغضب وغير مرتبة، وربما يرجع ذلك لكونه اخر العنقود، فداخل الاسرة كان يتمتع بتدليل اخوته، وخارجها كان يكتوى بنار سلطة مدرسيه.

شامبليون لم يكن يحب والده، غير انه وهو فى الرابعة عشرة من عمره كتب قصة قصيرة حكى فيها عن شخص عجوز وزع ثروته كلها على ابنيه واذا به يجد نفسه وحيدا بعد ان نبذه ولداه واصبح معدما، فنصحه أحد الاصدقاء باللجوء الى الحيلة بأن يعلن انه حصل على كنز كبير وانه سيترك هذا الكنز لاكثرهما حنانا عليه، فاسرع الاثنان بالالتفاف حوله، وعند وفاة هذا الاب المسكين لم يجد ولداه بجوار جثته سوى هراوة غليظة ومعها ورقة تحتوى على عبارة تقول هذا سلاح لتأديب الآباء الحمقى لعلاجهم من غبائهم!

هذه القصة بالطبع لم تكن تعبر قط عن العلاقة التى كانت قائمة بين جاك شامبليون وأولاده وآخرهم العالم الجليل إلا اذا عكسنا مضمونها، فهو لم يتكفل بعدم بتعليم شامبليون، بل لم يمكنه من العيش معه، فعاش معظم سنوات شبابه مع اخيه.

وفى عام ١٨٢٢ نجح شامبليون فى فك رموز حجر رشيد وحقق معجزته التاريخية التى اذهلت العالم وفتحت عيونه على اسرار اللغة والحضارة الفرعونية.

وفى ذلك الوقت كانت الحضارة الفرعونية تبهر العالم كله، غير انها كانت عصية على الفهم. ماذا تقول هذه الحضارة وبأى لغة وما الذى كانت توحى به رموزها ومقابرها الشامخة، لم يكن أحد يجيب اجابة شافية، تعددت الفرضيات والتفسيرات وبقى الدرس المصرى عصيا على الفهم، يشده بعضهم فى اتجاه السحر، ويدفعه البعض ناحية الرمز، ويجذبه اخرون نحو العقلانية، وفى جميع الحالات ظل هذا الدرس الغامض هائما فوق صفحة النيل ووسط ظلمات المقابر مستريحا وربما ساخرا من افتراضات علماء الآثار التى تتزاحم حول تفسيره دون طائل،حتى انقذه شامبليون بالتوصل لقراءة صحيحة لرموز اللغة الهيروغليفية على حجر رشيد.

معجزة شامبليون التى كان لها فضل كشف اسرار الحضارة الفرعونية وتأسيس علم المصريات فى اعرق جامعات اوروبا لم تأت فجأة على طريقة «وجدتها وجدتها» بل جاءت نتيجة لصبر وبحث طويل ومرهق، فعظمة شامبليون لا تكمن فى أنه نصب نفسه صانعا للمعجزات، ولكن فى أنه عرف كيف يجمع ومضات النور التى انجزها علماء المصريات قبله لتصبح كشفا هائلا، وفى أنه كان يجمع فى شخصه المكتشف الدؤوب والرائد الملهم والوارث لاعمال اسلافه، كما انه اسس مشروعه على الدراسة والبحث بجانب مقدار هائل من الحدس وحسن التوقع.

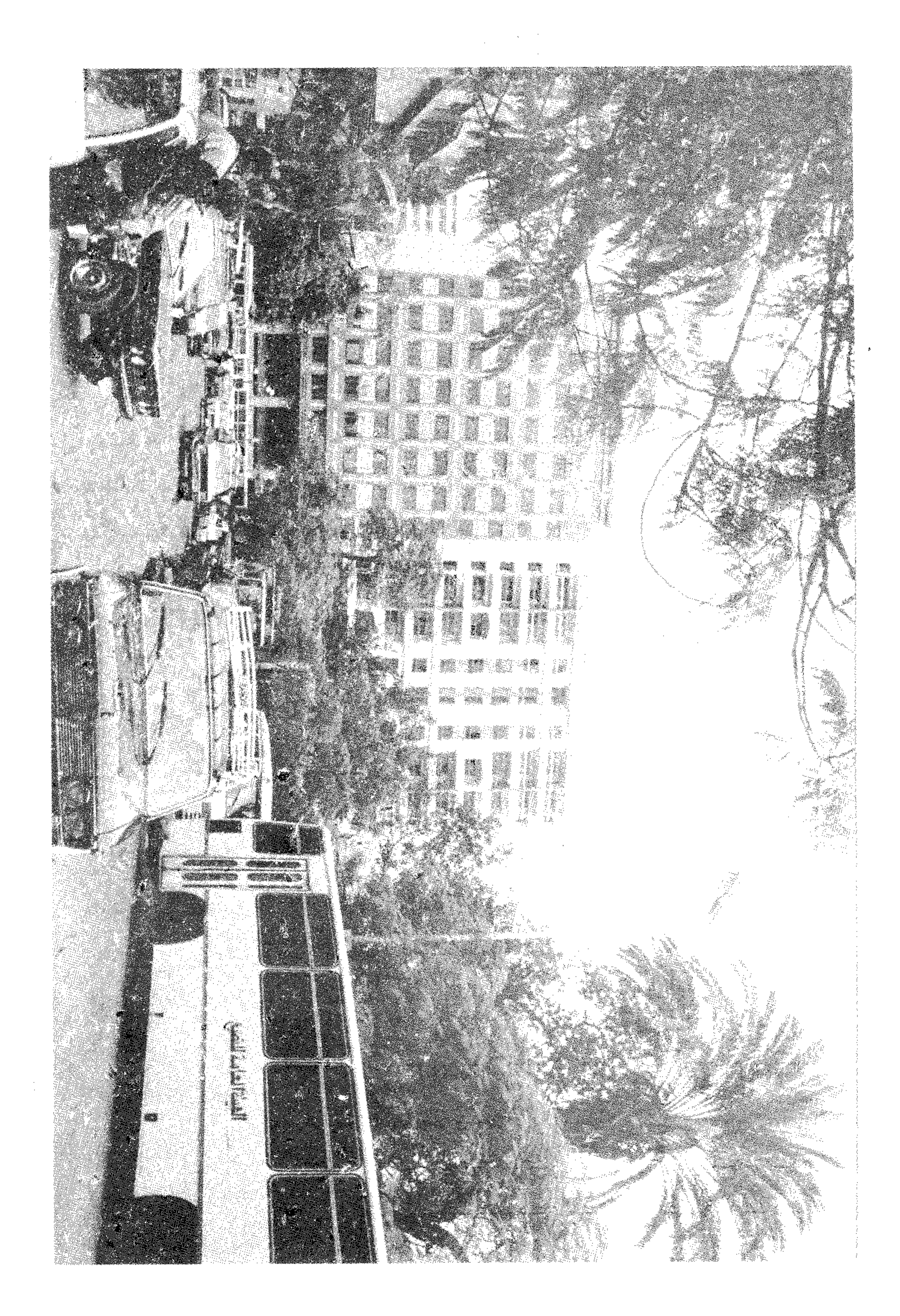
شامبليون وصل الى مصر ليواصل ابحاثه واكتشافات كنوز الحضارة الفرعونية عام ١٨٢٧ واستقبله محمد على باشا فى قصره، كما منحه كافة الصلاحيات للبحث والتنقيب عن الاثار الفرعونية وبمجرد نزوله فى ميناء الاسكندرية نصب عليه احد الشحاذين، فقد اوهمه أنه مكفوف وقال له بفرنسية متقنة «صباح الخير يا مواطن اعطنى شيئا فأنا لم افطر بعد وعندما ناوله بعض النقود الفرنسية وبخه الاعمى وصاح فيه هذه النقود لا تصرف هنا، فما كان من شامبليون المرعوب إلا ان استدان قرشا تركيا من احد مرافقيه وناوله له بسرعة.

شامبليون عاش فى مصر سنة ونصف لم يتوقف خلالها عن التنقيب عن الآثار الفرعونية ابتداء من اهرامات الجيزة حتى معابد الاقصر واسوان، وخلال هذه الفترة لم يشك كما هى عادة الاوربيين من حرارة الطقس، بل شعر بأنه ابن اصيل لارض مصر فها هو يقول: اتحمل الحرارة بافضل ما يكون يبدو انى ولدت فى هذا البلد - ويجد الفرنجة انى شديد الشبه بأهله، شاربى اسود اللون على افضل ما يكون، واصبح طوله محترما ويعمل على تأكيد ملامحى الشرقية وبالمناسبة فقد اكتسبت بالفعل العادات المحلية واشرب العديد من فناجين القهوة وادخن ثلاث شيشات فى اليوم___ واخلط كل سحبة نفس برشفة من القهوة ذات الطعم اللذيذ.

شامبليون غادر الاسكندرية الى باريس وفى يوم ١٢ يناير عام ١٨٣٢ وسقط اثناء لقاء مع احد الاصدقاء نصف مشلول، غير انه تحامل على نفسه ووضع

كتاب قواعد اللغة المصرية قبل ان يفارق الحياة فى فجر الرابع من مارس عام ١٨٣٢.

* * *



شارع أمين سامى

شارع أمين باشا سامى يبدأ من الحافة الجنوبية الشرقية لحى جاردن سيتى معقل الارستقراطية المصرية والاجنبية منذ عهد محمد على، والمكان المفضل لقصور أمراء الأسرة المالكة، وينتهى بكوبرى حديدى ضيق يفتح مباشرة على دنيا دراويش وفقراء حى السيدة زينب. ورغم انه يقف الآن بعيدا عن بؤر النشاط التجارى والفنى والسياسى بالقاهرة، إلا ان ارضه شهدت شخصيات واحداثا سياسية واجتماعية وعلمية فى عهود وفترات متباينة، وتبدو مناسبة للتعرف على جانب من شكل ومضمون الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية فى مصر ابتداء من بواكير العصر الحديث حتى اللحظة الراهنة. فى نهاية القرن الثامن عشر اختار قادة الحملة الفرنسية جزءا من أرض شارع أمين سامى ونصبوا فوقه مشانقهم التى اغتالت عددا من صفوة الشباب العرب الذين هبوا لطرد الفرنسيين من مصر .

أحزان مشانق الحملة الفرنسية لم تخيم طويلا على أرض الشارع وسكانه، ولكن افضت إلى مرحلة جديدة فى تاريخ مصر والشارع. مرحلة مناقضة اخفت الاحزان قليلا، وحاولت تحديث مصر حسب النموذج الأوروبى، كما غاصت حتى التخمة فى كل مظاهر البهجة والترف، وان كان ذلك على حساب التمهيد لاحزان اخرى، ففى عام ١٨٧٣ اختار الخديو اسماعيل أرض شارع أمين باشا سامى لتكون جزءا من السرادق الكبير الذى اقامه لزفاف انجاله واستمرت الافراح فيه اربعين يوما وتكلفت ملايين الجنيهات كانت من أبرز اسباب خواء خزانة الحكومة المصرية فى عهد اسماعيل.

أما عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ فيمثله فى أرض شارع أمين سامى المقر المركزى للهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة التى تعد من أهم المؤسسات الثقافية لثورة يوليو. كما ان الشارع ينتهى بواحد من أهم وانجح مشروعات المرحلة الراهنة وهو مترو الانفاق.

الشارع كان يعرف باسم المدرسة نسبة للمدرسة الناصرية القريبة منه وهى من أقدم مدارس مصر، وقد اطلق عليه اسم امين باشا سامى نظرا لجهوده العلمية والبرلمانية، وايضا كما يذهب بعض المؤرخين لانه كان يسكن بالقرب منه.

أمين باشا سامى صاحب الشارع ولد فى عام ١٨٥٧ وتخرج فى مدرسة المهندسين التى كانت تعرف باسم المهندسخانة عام ١٨٨٤ وبمجرد تخرجه عُين مدرسا للحساب والطبوغرافيا بمدرسة بنى سويف، وهناك اسس فرقة للمساحة، كما عمل مساعدا للضبط بمرتب شهرى قدره ٤٠٠ قرش، وهو مبلغ ضخم بمقاييس تلك الأيام.

أمين باشا سامى عاد من بنى سويف متوجا بنجاحاته التعليمية والوظيفية، وبطموحين الأول وهو علمى حققه فى انجاز عدد من المؤلفات أبرزها وأهمها تقويم النيل الذى أعادت طبعه مؤخرا دار الكتب المصرية، ويعد من أهم مصادر وابحاث تاريخ وعمارة القاهرة. أما الطموح الثانى فسياسى وتحقق الا قليلا عندما تم تعيينه عضوا فى مجلس الشيوخ قبل ان يغادر الحياة عام ١٩٤١.

شارع أمين سامى يبدأ من ناحية جاردن ستى بعمارات العرائس، وهى منشأة سكنية تضم مئات الشقق الصغيرة، وبنيت فى الأصل لانقاذ الشباب المتزوجين حديثا من ويلات البحث عن سكن فى مدينة مثل القاهرة، غير انهم حرموا منها فجأة وذهبت لمكاتب العديد من المؤسسات الخدمية والثقافية والعلمية والحزبية، ومنها الهيئة العامة لقصور الثقافة والشهر العقارى والعديد من مكاتب واستراحات الجامعات الاقليمية، وكذلك مقر حزب الأمة الذى لا يحظى بأى تأثير أو تقدير بين العاملين فى هذه العمارات، لدرجة انهم يسخرون من رئيسه صاحب حزب الأمة أحمد الصباحى حينما يرونه على أبواب المصاعد، وخصوصا من

المشروع الذى أعلنه لمقاومة البطالة، وهو مشروع صالون الحلاقة المتنقل، فقد قال احد العاملين إنه ظهر على شاشة التليفزيون المصرى وراح يقلب فى محتويات حقيبة حلاقة لكى يعرف الشباب المصرى الطريقة الناجعة والمبتكرة لمقاومة البطالة!

بعد تقاطع شارع الشيخ على يوسف، الصحفى الشهير وصاحب صحيفة المؤيد، تهب على شارع أمين باشا سامى روائح حديقة دار العلوم وعلى الناصية الاخرى تقع قطعة الارض المملوكة للمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ومن المصادفات الغريبة التى تدلل على ان الشوارع هى الكفيلة بإصلاح ما افسده الزمن وافاعيل البشر ان الارض التى يمتلكها الآن هذا المعهد كانت جزءا من الساحة المتسعة التى شنق عليها الفرنسيون سليمان الحلبى وزملاءه بعد قتل القائد الفرنسى كليبر.

المعهد العلمى للآثار الشرقية انشىء بقرار من الحكومة الفرنسية عام ١٨١١ وكان عند انشائه يقع فى شارع القلعة محمد على سابقا، ثم انتقل عام ١٨٨٤ الى بولاق، وفى عام ١٩٠٧ انتقل إلى مكانه الحالى بالشارع، كما انشئت بجواره مدرسة الحقوق الفرنسية. وفى عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى على مصر وضع المعهد تحت الحراسة واوقف نشاطه نهائيا حتى استئناف العلاقات السياسية بين مصر وفرنسا عام ١٩٦٣م.

حديقة دار العلوم بالشارع تفضى إلى جامع يحافظ على طراز العمارة الإسلامية القديمة على مستوى مئذنته الشامخة وزخارفه البديعة، وقد انشىء بالشارع بالجهود الذاتية للسيدة نبيهة هانم يكن .

جامع نبيهة هانم يعد من أبرز وأضخم منشآت الشارع، وهو يحتوى على مجمع إسلامى كامل يشتمل على عيادة طبية ومدرسة لتحفيظ القرآن ومجموعة تقوية لطلبة الثانوية العامة، وبه يبدأ النشاط العلمى والتربوى فى الشارع، فإلى وقت قريب كانت تجاوره كلية دار العلوم، وتواجهه الآن مدرسة طه حسين الابتدائية، وبعدها تطل واجهة مدرسة أمين سامى الاعدادية للبنات.

ازدحام هذه المنطقة من الشارع بالتلاميذ يذكر بازدحامها الكبير فى القرن التاسع عشر، ففى شهر يناير ١٨٧٣ بدأت منها مراسم زفاف انجال الخديو اسماعيل، وهم محمد توفيق بن اسماعيل الذى تزوج امينة بنت الهامى بن عباس حلمى الأول، وحسين كامل الذى تولى سلطنة مصر وتزوج من عين الحياة بنت أحمد بن ابراهيم باشا، وحسن باشا الذى تزوج خديجة بنت محمد الصغير بن محمد على الكبير، واخيرا فاطمة بنت اسماعيل التى تزوجت الأمير طوسون بن سعيد باشا بن محمد على الكبير.

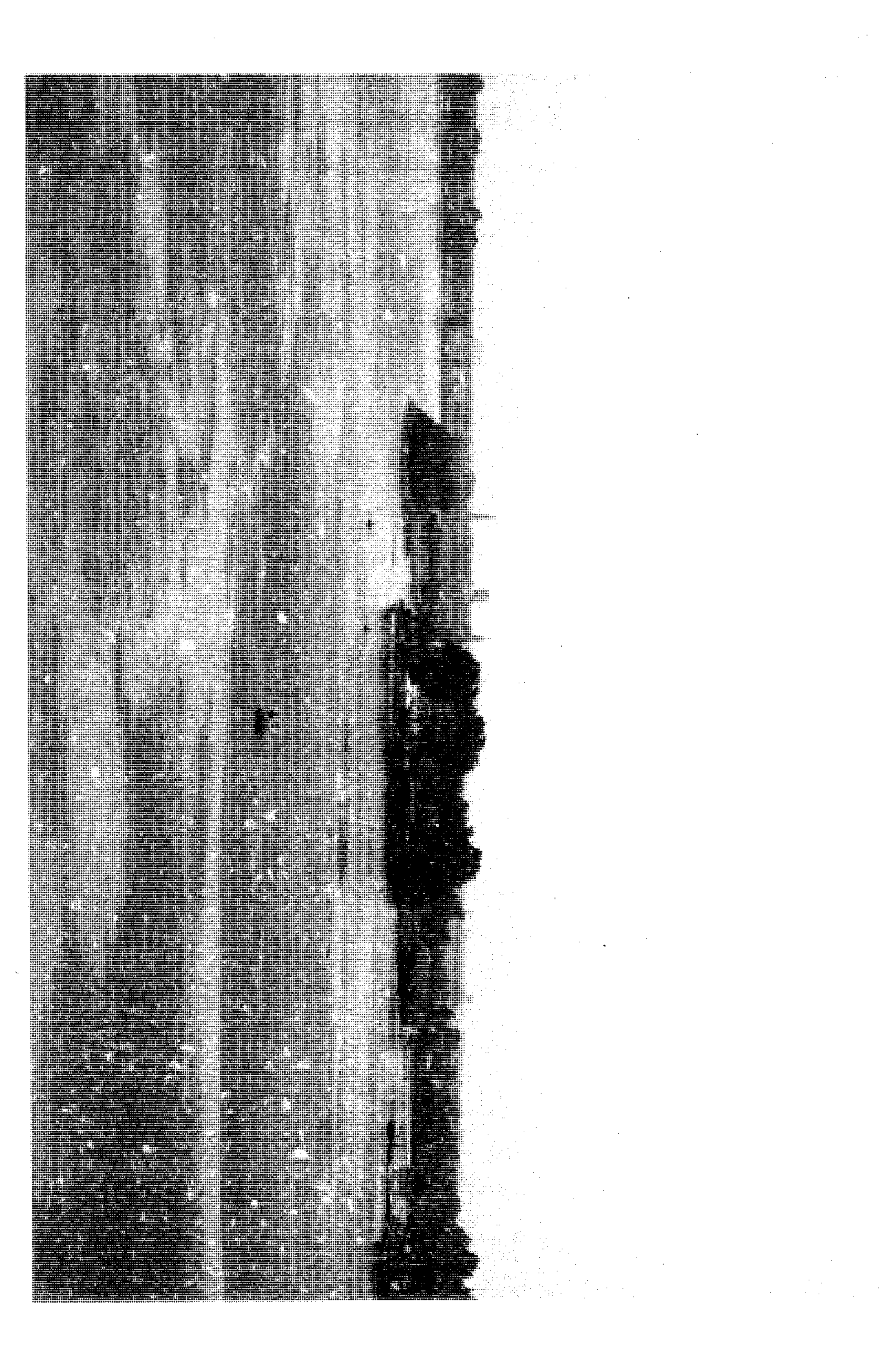
وقائع زفاف انجال اسماعيل من أرض الشارع تعد بمثابة الاساطير ومازالت سيرتها تتردد بين اهالى المنطقة حتى هذه اللحظة واليها ترجع تسمية المنطقة بالمنيرة فقد استمرت الافراح متلألئة أربعين يوما باعتبار عشرة أيام لكل فرح وبذل فيها من البذخ ما لا يصف كما قال الجبرتى وغيره من المؤرخين. وفى أول أيامها خرج جهاز امينة هانم زوجة محمد توفيق من القصر العالى الذى كانت تسكنه الوالدة باشا ام الخديو اسماعيل، وسير به من خلال ارض الشارع الى قصر القبة بحراسة الجنود ووسط جوقة موسيقية، وكانت محتوياته وهداياه موضوعة فى سلال مكشوفة فوق عربات مكسوة وفوقها مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس، كما يغطيها شاش فاخر يمسك باطرافه أربعة من الجنود لكل عربة، ويتبعهم كبار الضباط بملابسهم الرسمية، والسيوف مشهرة بأيديهم، حول الهدايا التى كانت عبارة عن مجوهرات من افخر انواع الماس البرلنتى والاحجار الكريمة، والذهب الخالص وارقى انواع المنسوجات المطرزة باللؤلؤ والزمرد وبعضها مطرز باسم العروس الاميرة امينة، كما ان الاوانى كانت من الفضة الخالصة، وعلى نفس هذا المستوى من البذخ كان شوار باقى الاميرات من حيث الفخامة.

أما هدايا اسماعيل لابنه العريس توفيق، فقد مرت هى ايضا من أرض الشارع وكانت عبارة عن سرير من الفضة الخالصة مثل الذى اهداه اسماعيل نفسه لاوجينى امبراطورة فرنسا فى حفل افتتاح قناة السويس، كما انه محلى بماء الذهب، واعمدته الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الاحمر والزبرجد

والفيروز_ هذا السرير كان إحدى هدايا اسماعيل لابنه، وهو بمفرده يبدو كافيا للدلالة على ان شارع أمين سامى شاهد عن قرب افلاس خزانة مصر والتمهيد لاستعمارها فى ثمانينيات القرن التاسع عشر.

صيدلية الامان ومنتجات الصفا للالبان يطلان بالشارع على حافة المنطقة التى زرفت شلالات الدموع على سليمان الحلبى وغيره من الشباب الذين قاوموا الحملة الفرنسية، ثم ابتهجت بافراح الانجال، وهما معا يمهدان لنهاية الشارع.

* * *



شارع أحمد عرابى

شارع أحمد عرابى أو عرابى فقط يبدأ من حافة شارع رمسيس بعمارتين حديثتين إحداهما أسطوانية والأخرى مربعة وتحتوى على كافتيريا ساعة صفا وتفتح مباشرة على ناصية شارع نجيب الريحانى وصحيفة «الجمهورية» وينتهى على أعتاب شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بأربع عمارات تنتمى إلى أسلوب عمارة عصر النهضة الأوروبى وتلتف حول ميدان ضيق ومزدحم دائما بالحسناوات، ويمتد وسط منطقة يهملها عادة مؤرخو القاهرة قديمًا وحديثًا نظرًا لأن نهر النيل قبل انحساره فى مجراه الحالى كان تقريبًا يشق أراضيها ويهددها سنويا بفيضانه، ونظرًا لابتعادها فى فترة سابقة عن مراكز التأثير السياسى والرواج الاقتصادى، فضلا عن أنها حتى بدايات القرن العشرين كانت تعانى إهمالا أمنيًا وخدميًا جعلها موطنًا للمواخير والحانات الرخيصة، وبعض بيوت البغاء التى كان مصرحًا بها حتى أربعينيات القرن الماضى.

الشارع قريب من حى الأزبكية، الذى كان العاصمة الفنية لمصر حتى حريق القاهرة عام ١٩٥٢، كما يعد امتدادًا طبيعيًا وخصوصًا ميدانه للقاهرة الأوروبية التى شيدها الخديو إسماعيل، وصاحب اسمه الأول هو الخديو توفيق بن إسماعيل الذى كان يتميز بشخصية ضعيفة سمحت له بالقبول بخزى الجلوس على عرش مصر مكان والده الخديو إسماعيل تحت حراب قوات الاستعمار الأوروبى يوم ٢٦ يونية عام ١٨٧٩ وبعد أن أمسك بزمام الأمور فى مصر رفض مرات عديدة تنفيذ طلب والده إسماعيل بالعودة من منفاه لكى يعيش آخر أيامه

فى مصر، كما لم يتورع عن خيانة جيشه والارتماء مرات فى أحضان الإنجليز الملطخين بدماء المصريين فى موقعة التل الكبير عام ١٨٨٢.

بعد ثورة ١٩٥٢ تخلص الشارع نهائيا من ثقل اسم الخديو توفيق، واستقبل فرحًا اسم عدو توفيق اللدود الزعيم أحمد عرابى، فى إجراء ثورى يمكن ضمه إلى أبرز المحاولات التى قام بها ضباط ثورة يوليو لإحياء وتخليد اسم أحمد عرابى والدفاع عنه ليس فقط باعتباره زعيمًا وطنيًا جاهر ربما لأول مرة بعصيان الأسرة العلوية والاستعمار الإنجليزى، ولكن لأن تمرده العسكرى وخروجه بقوات الجيش المصرى على طاعة الخديو وأعوانه الإنجليز كان بمثابة الرائد والمعلم لضباط ثورة يوليو الذين أطاحوا بعرش الأسرة العلوية وطردوا الإنجليز نهائيًا من الأراضى المصرية.

أحمد عرابى، الذى اقتنص اسم الشارع من غريمه وسيده السابق الخديو توفيق بفضل رغبة ضباط ثورة يوليو فى تأصيل تاريخى وشعبى لتمردهم العسكرى، مازال حتى الآن من أبرز الشخصيات المحيرة فى التاريخ المصرى الحديث، فالبعض اعتبر ثورته مجرد (هوجة) أو اعتراض أهوج وساذج غرضه الأساسى تحسين أوضاع ومرتبات الضباط المصريين فى الجيش المصرى الذى كانت الغلبة والقيادة فيه للضباط الأجانب وخصوصًا من الشراكسة، ودللوا على ذلك أنه طوال أحداث حركته لم يكف عن إعلان ولائه وخضوعه التام للخديو توفيق والباب العالى، حتى أنه عندما حاصر قصر عابدين بالجيش فى ذروة حركته أدى التحية للخديو توفيق وأغمد سيفه بناء على أوامره.

والبعض لم يتورع عن اتهامه بعمالة الإنجليز ومنهم الزعيم مصطفى كامل الذى اتهمه صراحة بالجهل والغباء ثم الخيانة والتمهيد لاحتلال مصر من قبل الاحتلال الإنجليزى، ودعم هذه الاتهامات القاسية والفجة بأن عرابى عندما عفا عنه الخديو وأعاده إلى مصر من منفاه فى جزيرة سيلان عام ١٩٠١ مدح الخديو وأشاد بإدارة الاحتلال الإنجليزى لمصر، بل وقال إن مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزى صارت قلعة للأمن والأمان.

أما أكثر المتحمسين لعرابى وحركته فقد اعتبروه زعيمًا وطنيًا شجاعًا جاهر بالثورة على الأسرة العلوية والاحتلال الإنجليزى فى وقت مبكر جدا، وإن كانوا اعترفوا بأن افتقاده للذكاء وحسن التدبير السياسى أوقعه ضحية لمؤامرات الخديو والإنجليز ودمر الجيش المصرى فى موقعة التل الكبير وفتح مصر على مصراعيها لقوات الاحتلال.

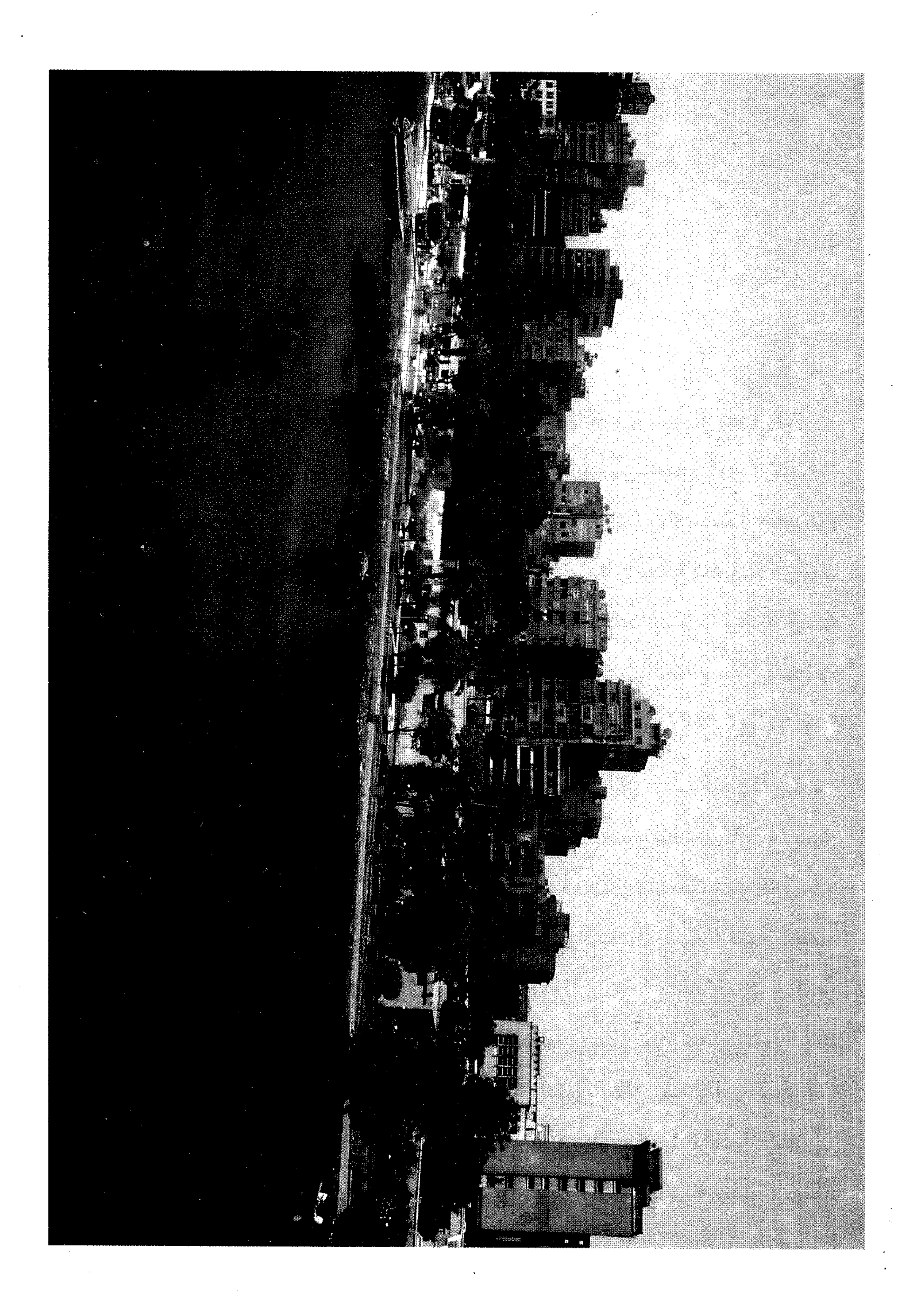
أحمد عرابى ولد عام ١٨٤١ فى إحدى قرى محافظة الشرقية لأسرة بسيطة قال عرابى فى مذكراته إن نسبها ينتهى للحسين بن على رضى الله عنه، فوالده الذى كان شيخ قريته هو محمد عرابى بن محمد وافى بن محمد غنيم الذى ينتمى إلى ذرية صالح البلاسى البطائحى الذى يعد أول من قدم إلى مصر من العراق، ويعود نسبه إلى ذرية الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، أما والدة عرابى فهى السيدة فاطمة بنت سليمان وتجتمع مع والده فى جده الثالث عشر إبراهيم مقلد.

أحمد عرابى كان الابن الثانى لوالده الذى تزوج اثنتين بعد والدته، ودرس فى كتاب القرية قبل أن ينتقل بعد وفاة والده بمرض الكوليرا للدراسة بالأزهر الشريف، وكان من أوائل الذين جندوا فى الجيش المصرى بعد أن أمر سعيد باشا والى مصر بتجنيد أولاد عمد ومشايخ القرى المصرية فى سلك الجيش لكى يحلوا محل الأتراك والشراكسة فى قيادة الجيش المصرى. وبفضل قربه من سعيد باشا وأيضا لإجادته للقراءة والكتابة على عكس معظم ضباط الجيش المصرى فى ذلك الوقت ترقى سريعًا حتى وصل إلى رتبة قائمقام (عقيد) وهو فى العشرين من عمره.

عرابى رفع لواء الدفاع من الضباط المصريين والمطالبة بمساواتهم بالضباط الجراكسة والأتراك بعد أن عاد من حملة الحبشة التى نال فيها الجيش المصرى هزيمة منكرة فى عهد الخديو إسماعيل، وقام بحركته أو ثورته وحاصر قصر عابدين بقوات الجيش وعرض مطالبه على الخديو توفيق فى حضور سفيرى

فرنسا وإنجلترا، ورد على غطرسة توفيق بجملته الشهيرة: «لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا وعقارًا، فوالله الذى لاإله إلا هو إننا لانورث ولانستعبد بعد هذا اليوم»، وأجاب الخديو صاغرًا مطالب ثورته ومنها إقالة وزير الجهادية عثمان رفقى الشركسى يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١، وفى عام ١٨٨٢ هزم الجيش المصرى تحت قيادته أمام الجيش الإنجليزى، دخل الإنجليز مصر وحوكم أحمد عرابى وزملاءه من الضباط المصريين وحكم عليهم أولاً بالإعدام، ثم خفف الخديو توفيق الحكم إلى النفى إلى جزيرة سيلان إلى الأبد، ولكن وبناء على وساطة إنجليزية عادعرابى إلى مصر عام ١٩٠١ ليودع الحياة بالقرب من الشارع الذى يحمل اسمه عام ١٩١١.

* * *



شارع جواد حسنى

شارع جواد حسنى يمتد بشكل أفقى ـ بمحاذاة نهر النيل ـ بين شارعى عبد الخالق ثروت وصبرى أبو علم ليربط بعض شرايين قلب القاهرة الأوروبية، وتاريخه ينقسم إلى ثلاث مراحل كل واحدة منها يمكن الاعتماد عليها كشاهد عيان على فترة كبرى فى تاريخ مدينة القاهرة، ومصر بشكل عام، ابتداء من فترة الباب العالى العثمانى والحملة الفرنسية قبل ظهور محمد على باشا كمؤسس لمصر الحديثة، ومرورًا بفترة تأجج النضال الوطنى ضد الاستعمار التى توجت بثورة ١٩١٩ وانتهاء بفترة القضاء نهائيا على النفوذ الأجنبى فى مصر.

فى المرحلة الأولى كان الشارع يعرف باسم ضريح الشيخ عبدالرحمن أبى السباع، وكان مجرد ممر ضيق وعشوائى تكتنفه الدور البدائية وسط منطقة محفوفة بالمستنقعات ومهددة بفيضان تهر النيل كل عام، وهى نفس المنطقة التى خطط فيها الخديو إسماعيل شوارع قاهرته الأوروبية. وفى المرحلة الثانية تأثر الشارع بإصلاحات الخديو المعمارية وانضم إلى شوارع عاصمته الأوروبية وأطلق عليه اسم واحد من رموز الكفاح المصرى فى بدايات القرن العشرين وهو الاقتصادى المؤسس طلعت باشا حرب. أما فى المرحلة الأخيرة فقد كان الشارع فى قلب إجراءات وقرارات ثورة يوليو ١٩٥٢ وأطلق عليه اسم أحد الأشقاء العرب الذين ضحوا بدمائهم فى سبيل الدفاع عن حق مصر فى تأميم قناة السويس.

الباشا الفلاح

أبو السباع صاحب اسم الشارع الأول لم يستدل على ترجمته ويبدو أنه كان أحد مشايخ الطرق الصوفية التى كانت منتشرة فى كافة أرجاء القاهرة أثناء المرحلة التاريخية الأولى للشارع وضريحه قائم حتى الآن بالقرب من الشارع داخل حارة ضيقة ناحية ميدان باب اللوق.. أما طلعت حرب باشا صاحب الاسم الثانى للشارع فمعروف كالشمس، فهو مؤسس الاقتصاد الوطنى المصرى الحديث وصاحب الإرادة الفولاذية والرؤية المستقبلية الثاقبة التى مكنته من تشييد العديد من المشروعات الاقتصادية والصناعية التى يقف على ذروتها بنك مصر وكان له الفضل الأكبر فى إنقاذ الاقتصاد المصرى من هيمنة واستغلال القوى الاستعمارية.

طلعت حرب ولد فى حارة قصر الشوق بالقاهرة الفاطمية لأسرة فقيرة، فقد كان والده يعمل موظفًا صغيرًا فى مصلحة السكة الحديد ودرس طلعت حرب مبادئ الإدارة والقانون فى مدرسة الألسن لكى يعمل محاميًا كما أراد والده، ولكنه اكتشف فى وقت مبكر أن طموحه يتجه للتجارة، غير أنه فى بداية مشواره التجارى والاقتصادى تجرع مرارة الفشل، فقد أخفق فى إدارة محل بقالة صغير فى العباسية كما تسبب فى إفلاس محل آخر للألبان. ولعل مرارة الفشل فى هذه المشاريع الصغيرة هى التى ألهمته الحرص الشديد حينما بدأ أولى خطواته فى تأسيس بنك مصر وبعض الشركات العملاقة التى لم يشهدها الاقتصاد المصرى قبله مثل شركتى الطيران والسينما.

أسرة طلعت حرب تنتمى إلى محافظة الشرقية وروح التاجر الصغير والفلاح المتواضع ظلت تلازمه طوال مسيرته، وكان يقيم فى بيت شديد البساطة والتواضع ولايلبس فى منزله إلا الجلباب الأبيض والعباءة ولا يأكل إلا الملوخية والبامية ولايشرب إلا السوبيا والقرفة والتمر هندى وعندما كان يتحرر قليلا من ثقل العمل والحسابات كان يلعب (الدومينو) ويستمع إلى الأغانى العربية وأحيانًا يقرأ بعض الأشعار خصوصًا أعمال أحمد شوقى وحافظ إبراهيم.

طلعت حرب رغم أنه مؤسس بنك مصر إلا أنه ظل لعدة سنوات لايتقاضى أى راتب من العمل به ولم يثنه عن ذلك إلا إصرار مجلس إدارة البنك على منحه راتبًا شهريًا نظير تفرغه التام للبنك، فقد كان لايعترف بالإجازات والعطلات الرسمية، وكان يتمتع بذاكرة رقمية أسطورية، فقد كان يكفى أن ينظر مرة واحدة لكشوف عملاء البنك حتى يختزن فى ذاكرته أرصدتها بالجنيه والقرش والمليم.

غير أن أهم مميزات طلعت حرب هى التطور والتجديد ورفض الجمود والتحجر على رأى أو فكر فرغم أنه أصدر كتابا ضد سفور المرأة ردًا على كتاب قاسم أمين الذى نادى بحرية المرأة إلا أنه كان على المستوى العملى أحد الذين ساهموا فى تحرير المرأة المصرية وتشجيعها على العمل بجانب الرجل، ومما يدلل على ذلك أن مدرسة الطيران التى أنشأها ساهمت فى تخريج أول طيارة مصرية هى (لطيفة النادى) كما أن ستديو مصر الذى أنشأه قدم العديد من مشاهير الممثلات والمطربات.

طلعت حرب أسس بنك مصر عام ١٩٢٠ وظل مشرفًا عليه بإخلاص من لايتوقع فراقه سوى بالموت، ولكن فى عام ١٩٣٩ عندما كان فى الثانية والسبعين من عمره فاجأته الظروف الدولية والمؤامرات الاستعمارية بضرورة مغادرة البنك الذى صنعه بنفسه للأبد، ففى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ اكتسح الجنود الألمان بولندا لتبدأ الحرب العالمية الثانية، وفى العام التالى كان (روميل) القائد الألمانى يدق أبواب الإسكندرية مثيرًا الرعب فى نفوس المصريين وخصوصًا عملاء بنك مصر الذين أسرعوا بسحب ودائعهم منه وحين لم يستطع تلبية طلباتهم اعتبر متوقفًا أو مفلسًا.

وأمام هذه الظروف التى مكنت القوى الاستعمارية من الانتقام من مؤسس الاقتصاد الوطنى المصرى لم يكن هناك مفر من تدخل الحكومة لإنقاذ البنك، ولكنها اشترطت لذلك تنحية المؤسس طلعت حرب، فلم يتردد العملاق الكبير فى الموافقة لإنقاذ المشروع الاقتصادى الرائد الذى وهب حياته لتنفيذه.

وفى ١٢ أغسطس عام ١٩٤١ أى بعد ثلاثة أعوام فقط غادر طلعت حرب الحياة ذاتها فقيرًا ومعدمًا فى بلدة النعناعية التابعة لمحافظة دمياط تاركًا اسم مصر على عشرات الشركات الوطنية الكبرى .

أما جواد حسنى فقد أطلق اسمه على الشارع بعد عام ١٩٥٦، وهو ذلك الشاب العربى السورى الذى ضحى بزهرة عمره ومستقبله فى سبيل التصدى للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وسقط شهيدًا فى مدينة بورسعيد. وكأن التاريخ يعيد نفسه حين اغتال الشاب السورى الأزهرى سليمان الحلبى الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية على مصر قبل جواد بمائة وستين عاما، وليحمل شارع آخر مجاور بالقاهرة اسم سليمان الحلبى.

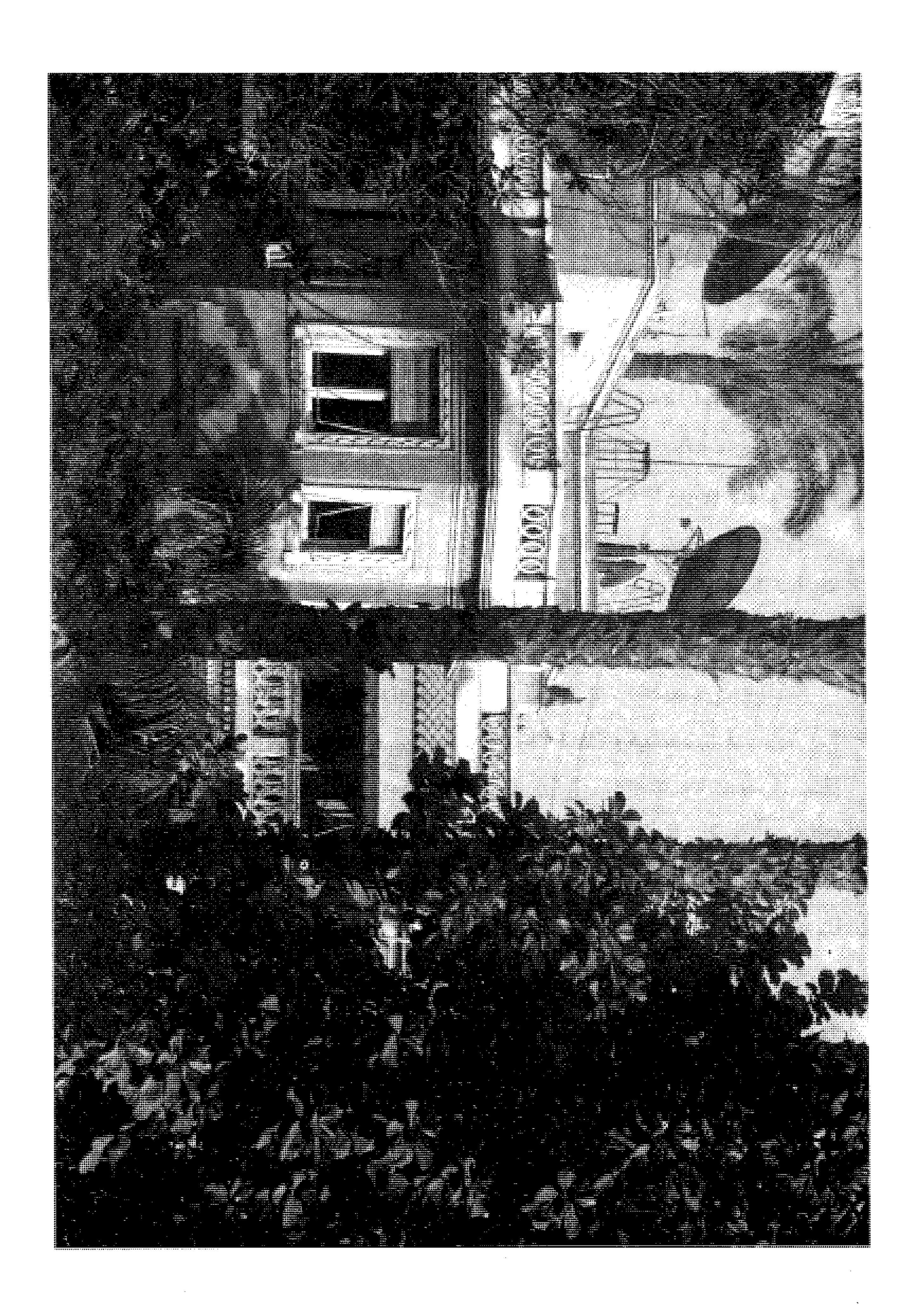
الشارع يبدأ بالمقر الأول للبنك المركزى المصرى، وهو مبنى مهيب ينتمى إلى عمارة عصر النهضة الأوروبى، ولو امتدت إليه يد الترميم فسيعود كما كان واحدًا من دور العمارة فى القاهرة الأوروبية.

مقهى «الكاب دور» يحتل الناصية المواجهة للبنك فى بداية الشارع. ونظرًا لرخص مشروباته، يعد من الأماكن المفضلة لشباب الأدباء والصحفيين، وكان فى السابق ضمن الأماكن الشهيرة للمطربين والممثلين.. وبجواره مباشرة تطل واجهة جامع الشهداء وروائح كبابجى الشرق.

مقهى المشربية ومحلات قمر الزمان ونادى طلعت حرب تمهد لأحد مقار بنك مصر الذى تأسس عام ١٩٢٠ وتم تأميمه عام ١٩٦٠ ليصبح مؤسسة عامة ملكًا للدولة، ثم أصبح شركة مساهمة فى ١٤ فبراير عام ١٩٦٦.

دار الحرية للصحافة تتصدر بالشارع عمارة ضخمة تجاور مكتبة هيلتون وخياط العريف ومبنى شديد الفخامة والاتساع يحتوى على مقر شركة السكر والصناعات التكاملية، وبالقرب منها كوافير أنيق يتصدره اسم الشاعر السورى الكبير أدونيس ويقع على ناصية شارع رشدى (ساحة الحمير سابقا) وبه يزداد الشارع اقترابًا من الشعب السورى قبل أن يصل إلى نهايته أمام مدرسة فتحية بهيج للبنات وشركة الشرق الأوسط وبالقرب من المقر القديم لصحيفة (الأهرام).

* * *



شارع زكريا أحمد

شارع زكريا أحمد أشبه بمرسى أو محطة وصول ومغادرة شعبية فرضتها الظروف وحاجات البشر قديمًا وحديثًا. يبدأ بمؤسسة صحفية ضخمة أراد ضباط ثورة يوليو ١٩٥٢ أن تكون لسان حال حركتهم التى أطاحت بعرش الأسرة العلوية وينتهى عند شارع فؤاد أو ٢٦ يوليو مركز القاهرة الأوروبية بساحة استغل شباب القاهرة - وخصوصًا من أبناء الطبقات المتوسطة والفقيرة - ازدحامها بالمطاعم والدور الفنية والترفيهية واتخذوها متنزهًا شعبيًا لهم.

الشارع فى مجمله يفتقر تمامًا للمؤسسات الحكومية وأبرز منشآته، بالإضافة إلى المؤسسة الصحفية وخلفية العمارات الخديوية الشهيرة والمقاهى - الجراجات المتسعة المعدة لاستقبال سيارات سكان الشوارع المحيطة بالمنطقة، فالشارع يكاد يخلو من السكان الدائمين فمعظم رواده جاءوا لمهام محددة فإما العمل فى محال قطع الغيار وورش إصلاح السيارات وإما التنزه فى الساحة الشعبية وإما مجرد المرور سريعًا من أرض الشارع إلى أى من الشوارع والأحياء المتاخمة له.

وضع الشارع الراهن كمرسى أو محطة إقلاع ليس وليد اليوم أو حتى عشرات العقود السابقة كما أنه لايرجع إلى جهود بشرية أو إجراءات حكومية تنظيمية تعمدت أن تجعله معبرًا للمناطق المحيطة به ولكنه يعود إلى ظروف طبيعية جغرافية ترجع إلى مئات السنين، فقد كانت أرض الشارع محاطة بمساحات الماء من كل جانب. صحيح أن الشارع لم يكن جزيرة خالصة ولكنه كان عبارة عن سرب بيوت منكمش وسط عدد من الشواطئ. كان نهر النيل يتاخمه من ناحية

الشرق وبالتحديد فى المنطقة التى يمتد فيها الآن شارع عماد الدين وبركة الفوالة التى كانت تغطى معظم مساحة القاهرة الأوروبية وظلت حتى زمن الحملة الفرنسية وكانت تمتد حتى آخره ومكان شاطئها الشمالى الآن شارع ٢٦ يوليو «فؤاد سابقا» فى نهاية الشارع. أما بركة الأزبكية التى ردمت عام ١٨٦٤ فقد كانت تمتد حتى بداية الشارع ومما يدلل على ذلك أن شارع نجيب الريحانى الذى تقع ناصيته فى بداية شارع زكريا أحمد كان يعرف حتى عهد قريب باسم «وش» أو وجه البركة لأنه يحتل نفس الموقع الذى كان يمتد فيه الشاطئ الشمالى لبركة الأزبكية.

الشارع كان يعرف فى بدايته باسم «جلال» الذى ربما يرجع إلى مؤسس ستديو جلال للإنتاج السينمائى أو إلى أحد سكان الشارع القدامى مثل أسماء العديد من شوارع القاهرة الشعبية، وعندما أخذت دور السينما والمسرح والغناء فى بدايات القرن العشرين تغادر موقعها فى الأزبكية وتنتقل إلى المنطقة المتاخمة للشارع وتحديدًا إلى شارع عماد الدين الذى يقع على حافته الشرقية أطلقت عليه بلدية القاهرة اسم الموسيقار زكريا أحمد لكى يتلاءم مع النشاط الفنى والحفلات الغنائية المقامة حوله طوال الليل.

زكريا أحمد شيخ الملحنين ومبدع الروائع لأم كلثوم وغيرها لم يكن من سكان الشارع كما لم يكن من أبناء القاهرة أصلا فقد نشأ وسط بيئة بدوية أصيلة فوالده الشيخ أحمد صقر ينتمى إلى إحدى القبائل العربية التى سكنت صحارى محافظة الفيوم منذ بدايات الفتح الإسلامى لمصر وهى قبيلة مرزبان بالفيوم. وكان من المتوقع أن يولد زكريا وسط مضارب البدو ويقضى حياته فى مطاردة الغزلان والتأمل فى تفاصيل الصحارى الشاسعة لولا أن والده قبل أن يتزوج أمه رأى فى المنام سيدة تقبل نحوه فى ملابس بيضاء وتعطيه قنديلا تؤثره به دون غيره من شباب القبيلة. وبعد أن احتار شيوخ القبيلة فى تفسير رؤيا ابنهم الغريب الأطوار اتفقوا على ضرورة سفره إلى القاهرة لزيارة ضريح السيدة زينب لعله يجد عندها تفسير رؤياه.

وبالفعل سحب الشيخ أحمد صقر «نبوته» الطويل وتوجه رأسًا إلى ضريح السيدة ثم طاف ببقية أضرحة أولياء الله الصالحين فى القاهرة، وبينما هو عائد إلى أهله وعشيرته محملا بسعادة زيارة ضريح السيدة وجد رجلين يتشاجران أحدهما ضعيف البنية ويبدو من ملابسه أنه من شيوخ الأزهر الشريف والآخر قوى ويبدو أنه من الشباب الأهوج الذى لايوقر شيئًا فما كان من الشيخ أحمد إلا أن انهال بنبوته على رأس الشاب حتى فر هاربا.

الشيخ الأزهرى كان اسمه الجندى وأعجب بالطبع بوالد زكريا وحاول أن يرد له جميل إنقاذه من علقة ساخنة بدعوته إلى مكتبه فى الأزهر وحين اطمأن لأصالة شهامته البدوية عينه موظفًا فى الأزهر الشريف بل وزوجه بفتاة من إحدى الأسر التركية التى يعرفها.

زكريا أحمد لم يكن الابن الأول لأمه فقد أنجبت قبله واحدا وعشرين ولدًا ماتوا جميعًا فى الأسبوع الأول لولادتهم لذلك عندما ولدته بعد حملها الثانى والعشرين رفض والده الذى كان قد بلغ الخامسة والستين من عمره أن يسميه قبل مرور الأسبوع المشئوم ثم سماه على اسم سيدنا زكريا عليه السلام.

زكريا الصغير التحق أولا بكتاب الشيخ (نكلة) القريب من منزل والده ويبدو أن اسمه الذى يعنى أصغر العملات المالية فى ذلك الوقت يعود إلى قيمة المبلغ الذى كان يحصل عليه كأجر لتعليم الأطفال، غير أنه لم يوفق فى تعلم الطفل زكريا أحمد فقد كان كثير الزوغان والشقاوة ومعاكسة زملائه. ولكى يوقف الشيخ «نكلة» استهتار الطفل زكريا أمر بتعليقه من قدميه فى «الفلكة» وراح يجلده بالمقرعة التى كانت عبارة عن «جريدة» خضراء ولكن بينما هو منهمك فى الجلد استدار الطفل زكريا ونهش ساق الشيخ «نكلة» فطرده من الكتاب فى الحال فأدخله والده الأزهر الشريف ولكن مسيرته الدراسية فى الأزهر لم تختلف عن شقاوته فى كتاب الشيخ نكلة، حفظ زكريا أحمد القرآن الكريم بقراءاته السبع ونبغ فى دراسة الفقه والنحو والصرف إلا أنه لم يتوقف عن معاكسة مدرسيه.

بدأ الشيخ زكريا أحمد مسيرته الفنية فى بطانة فرقة الشيخ إسماعيل سكر للإنشاد الدينى ثم انتقل إلى فرقة الشيخ على محمود. وفى إحدى حفلاتها توثقت علاقته بالشيخ سيد درويش ثم اتجه إلى تلحين قالب الطقاطيق الذى يعد من رواده فقد أضاف إليه الكثير ونقله من الجملة اللحنية الواحدة والمقام والإيقاع الواحد إلى جمل عدة فى أكثر من مقام وإيقاع غير أنه فى بدايته استغل هذا القالب فى تلحين أغان اتهمت بالخلاعة مثل «ارخى الستارة اللى فى ريحنا أحسن جيرانك تجرحنا» التى لعنته الصحف بسببها ووصفته بأنه من دعاة الفساد والخلاعة وقد تغنت بهذه الأغنية مطربتان هما منيرة المهدية ونعيمة المصرى، وقد وصف شيخ الملحنين تجربته معهما وغيرها مثل «اوعى تكلمنى بابا جاى ورايا» قائلا: أصابنى الكثير من اللعنات بسبب هذه الأغانى وكنت أبرر ذلك بقولى إن هذا ليس ذنبى وبسبب هذه الأغنيات أنشئ قلم الرقابة على الأغانى كما أنها كانت سببًا فى اعترافهم بى كملحن وفى ذلك الوقت كنت شابا فى الثانية والعشرين وكنت أشترى عشرات الصحف عندما تصفنى بالموسيقار زكريا أحمد فهذا اللقب كان يسعدنى جدا».

توقف زكريا أحمد نهائيا عن تلحين الأغانى الخليعة وفى عام ١٩٢٠ التقى بأم كلثوم فى إحدى الليالى الرمضانية فى السنبلاوين. وتجلت عبقريته فى تلحين الأغانى بعد مشوار طويل مع المسرح الغنائى فجميع أغانيه لأم كلثوم تعتبر إضافات جديدة للموسيقى العربية فقد جدد قالب الطقطوقة وحطم القيود التى جعلتها رتيبة ومملة، كما جدد ألحان القصائد المنظومة باللغة الفصحى، وأدخل القصة الملحنة فى أغانى مثل (أهل الهوى) و(حبيب قلبى وافانى) وكذلك أدخل الألحان البدوية فى أغان أم كلثوم فى فيلم «سلامة» وبلغت ألحانه لنجوم الغناء العربى فى ذلك الوقت «١٠٧٠» لحنًا منها ٦٥ لحنًا لأم كلثوم وظل زكريا أحمد يواصل إبداع درره اللحنية حتى يوم وفاته ١٥ فبراير ١٩٦١.

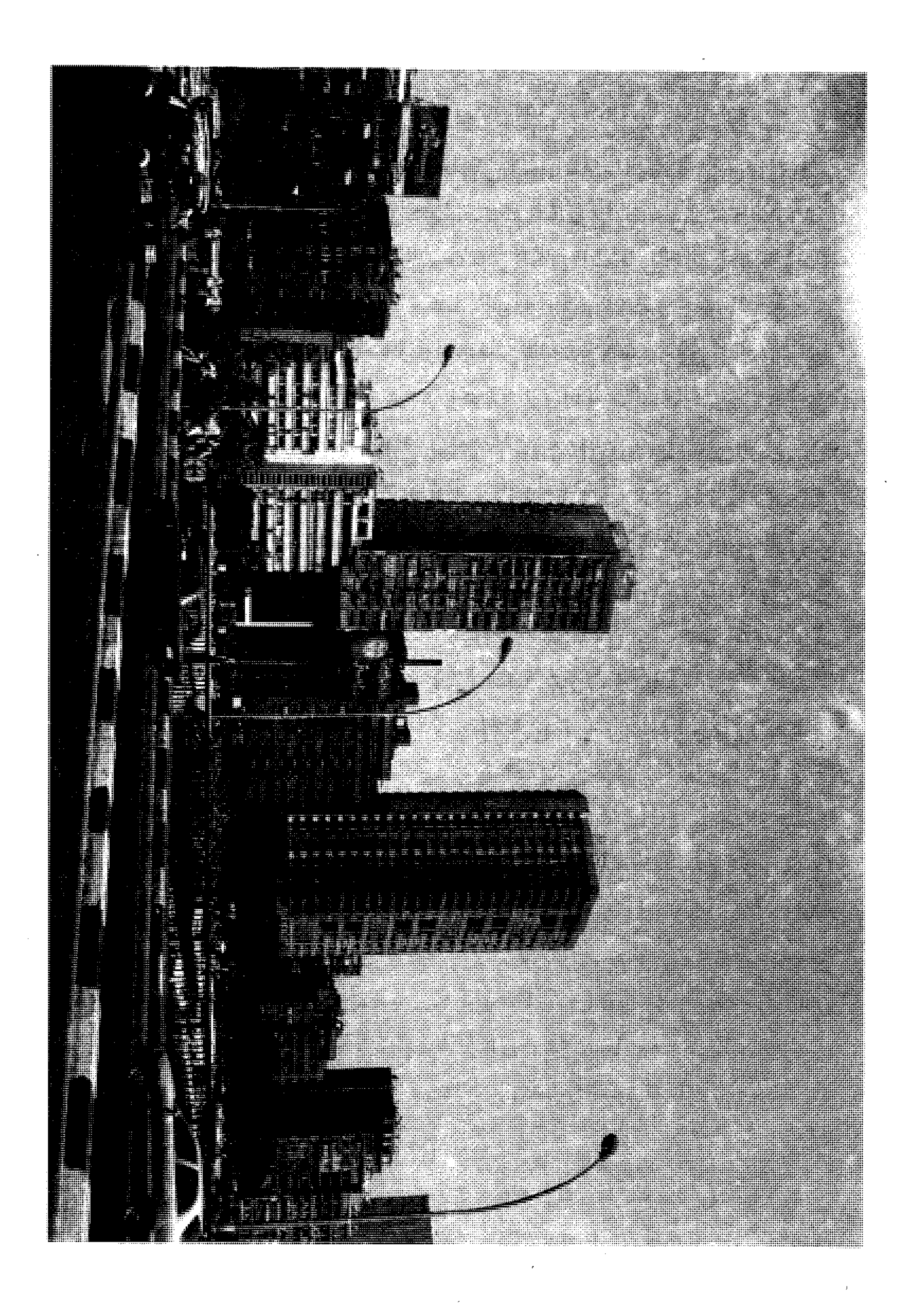
شارع زكريا أحمد كان فى بدايته ضاحية للقاهرتين الأوروبية والفاطمية ويبدأ الآن بدار التحرير للطبع والنشر التى تصدر عددًا من الصحف والمجلات

أبرزها «الجمهورية» وقد أنشئت فى الشارع عام ١٩٥٣ وكان أول رئيس لتحريرها صلاح سالم أحد ضباط ثورة يوليو ١٩٥٢ ومعه أنور السادات.

الشارع مع المنطقة المحيطة بالإضافة إلي الجراجات المتسعة عامر بالمقاهى الشعبية التى لاتكتفى بواجهاته ولكنها تفترش غالبية أرضه مستغلة خلوه من السيارات وأشهرها مقهى «بعره» التى تعتبر المكان المفضل للفنانين وخصوصًا من الكومبارس الذين يتخذونها مكانًا لانتظار من يكتشفهم من المخرجين والمنتجين غير أنه لايعدم دائما زيارات بعض النجوم وأشهر من ارتاده الفنان الراحل رشدى أباظة.

بعدناصية شارع سليمان الحلبى تختفى الخلفية المهيبة للعمارات الخديوية التى شيدها الخديو عباس حلمى الثانى ويبدأ الشارع فى الاتساع لكل مايخص فسحة شباب الطبقات المتوسطة الفقيرة من المطاعم وحتى دور العرض السينمائى والكازينوهات المتواضعة فتظهر به واجهات محال آخر ساعة والألفى الذى أنشئ به عام ١٩٣٨ وسينما كايرو والعديد من المقاعد المزدحمة بالحسناوات قبل أن يصل إلى نهايته على أعتاب شارع ٢٦ يوليو.

* * *



شارع عماد الدين

يعرف شارع عماد الدين حتى الآن بأنه شارع الفن ـ رغم أن شارع الهرم اغتصب منه هذه التسمية وذلك لأنه حتى بداية عشرينيات القرن الماضى ورغم الحريق الذى داهمه عام ١٩٥٢، كان ملتقى لكل رواد الفنون وناشئيها ومتلقيها سواء كانت فنونًا سينمائية أو مسرحية أو فولكلورية، وكانت تتطور وربما تتلاصق على جانبيه العديد من أعرق وأقدم دور العرض السينمائى والمسرحى فى مصر.

كان شارع عماد الدين يبدأ من شارع الشيخ ريحان فى حى عابدين حيث كان يوجد ضريح الشيخ «عماد الدين» الذى اختلف المؤرخون بشأنه، فبعضهم يقول إنه كان يعمل جمالاً فى عده الدولة الأيوبية والآخر يؤكد أنه كان الغلام المقرب من صالح الدين الأيوبى. وبمرور الأيام اندثر ضريح عماد الدين ولم يبق سوى جامعة الذى أعيد بناؤه.

فى عام ١٩٣٩ قررت الحكومة المصرية تكريم شخصية الزعيم الوطنى محمد فريد الذى كان قد توفى فى برلين عام ١٩١٩، ثم نقلت رفاته إلى مصر فى يونيو ١٩٢٠، وقسمت شارع عماد الدين العريق إلى قسمين أحدهما جعلت عليه اسمه القديم «عماد الدين» والآخر أطلقت عليه اسم «محمد فريد» تكريمًا لدوره الوطنى وهو يمتد من عابدين إلى شارع ٢٦ يوليو ـ فؤاد سابقًا ـ أما القسم الذي احتفظ بالاسم القديم فيمتد من شارع ٢٦ يوليو إلى شارع رمسيس.

وحسب تأكيد العديد من المؤرخين لم يكن شارع عماد الدين موجودًا حتى أواخر القرن التاسع عشر، وكانت مكانه مزارع وبساتين، وحينما اتسع العمران

شق فى هذا المكان الزراعى شارع بامتداد شارع عماد الدين القديم، ولما أنشأ البارون إمبان ضاحية مصر الجديدة «وكان اسمها فى البداية واحة مصر الجديدة» رغب فى ربطها بمدينة القاهرة فأنشأ خط مترو وكان يمر بشارع عماد الدين حتى يصل إلى شارع فؤاد، وقد نقل هذا المترو فيما بعد إلى شارع الجلاء حيث كان ينتهى عند ميدان عبدالمنعم رياض، ثم اختصر مساره منذ سنوات قليلة ليصبح عند ميدان رمسيس.

وفى عام ١٩١٠ بنى الخديو عباس حلمى الثانى فى شارع عماد الدين عددًا من العمارات الفخمة على الطراز الأوروبى عرفت بعمارات الخديوية «وهى حاليًا ملك شركة مصر للتأمين» وقد افتتح فى إحداها أول معرض لبيع السيارات الملاكى فى مصر، وكانت من إنتاج شركة رينو الفرنسية.

ومر تاريخ شارع عماد الدين منذ إنشائه حتى الآن بثلاث مراحل مختلفة وربما متناقضة، ففى البداية كان أهم معالمه ضريح ومسجد الشيخ «عماد الدين» وهذا يدلل على أن معظم مرتاديه كانوا من أقطاب وأتباع الطرق الصوفية، ولكن قبل بداية عشرينيات القرن العشرين انقلبت حاله ليصبح مسرحًا وساحة لفئة أخرى هى طائفة الفنانين، مسرحيين وسينمائيين ومؤلفين وموسيقيين وراقصين.

فقد اشتهر فى ذلك الوقت بوجود الكثير من المسارح ودور العرض، وقد كانت عامرة بالرواد حتى عام ١٩٦٧ ومن هنا جاءت تسميته شارع «الفن».

وتأكيدًا لذلك قدم المؤرخ فتحى حافظ ثبتًا تاريخيًا بالمسارح ودور العرض التى كانت تفتح أبوابها على جانبيه وبعضها موجود حتى الآن وإن كان قد اختار أسماء أخرى، ومنها سينما بيجال التى افتتحت عام ١٩١٢ وما زالت موجودة حتى الآن رغم تعرضها لحريق هائل العام الماضى ومسرح ماجستيك، وفى عام ١٩٦٠ تم ضمها إلى سينما بيجال، ومسرح الاجبسيانة الذى أنشئ مكان مقهى قديم وافتتحه الفنان نجيب الريحانى عام ١٩١٧، وفى عام ١٩٢٣ أعيد بناؤه باسم مسرح برنتانيا الذى غنى به موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب، وفى عام

١٩٣٠ تحول إلى سينما كابيتول، وفى عام ١٩٤٦، تحولت بعد الإصلاحات والإضافات إلى سينما ليدو وهى ما زالت تعرض الأفلام حتى الآن.

وعند تقاطع شارع عماد الدين مع شارع نجيب الريحانى أنشأت مدام مارسيل «كازينو دى بارى» عام ١٩١٢، وفى عام ١٩١٣ استأجره الشيخ سلامة حجازى وسماه «دار التمثل العربى الجديدة» ثم استأجره نجيب الريحانى حيث قدمت فرقته عليه عددًا من عروضها الكوميدية والدرامية، وفى عام ١٩٢٦ تحول إلى سينما تريمف.

وخلف هذه السينما أنشأت الراقصة الشهيرة ببا عز الدين ملهى اشتهر باسمها، وكان موجودًا طوال أربعينيات القرن العشرين، كما كانت تمتلك أيضًا ملهى آخر بميدان باب الحديد «رمسيس حاليًا».

وكذلك كان هناك بشارع عماد الدين مسرح عباس الذى أنشئ فى عام ١٩٠٦ فى عصر الخديو عباس حلمى الثانى بطريقة بدائية إلى حد ما، ولذلك تم هدمه وأعيد بناؤه وافتتح مرة أخرى فى عام ١٩٠٩، وكان يقع بين شارع نجيب الريحانى وحارة على الكسار، وفى عام ١٩١٧ استأجرته شركة جوزيفيلم وحولته إلى سينما كوزموجراف، ثم أعيد إنشاؤها عام ١٩٣٥ وافتتحت باسم سينما كوزمو، وأخيرًا هدمت نهائيًا وبنيت مكانها عمارة ضخمة.

وفى حارة على الكسار التى ما زالت قائمة الآن بشارع عماد الدين افتتح يوسف وهبى عام ١٩٢٢ مسرحه الشهير الذى سمى مسرح «رمسيس» ، وظلت فرقته تعمل به حتى عام ١٩٣٥ لدرجة أن وهبى اتخذ من المنزل الملاصق له مكتبًا دائمًا له.. وبجواره مباشرة أقيم مسرح نجيب الريحانى الذى حولته وزارة الثقافة إلى قصر للفنون والأدب، وكان عبارة عن صالة صغيرة اسمها صالة راديو، تقع بجوار حارة على الكسار، وتمتد من شارع عماد الدين حتى تلاصق مسرح رمسيس، وقد استأجرها نجيب الريحانى من مالكها الأجنبى، وبدأ فى أغسطس عام ١٩٢٦ تحويلها إلى مسرح لفرقته الشهيرة.

كما كان فى شارع عماد الدين مقهى راديو أو مقهى الفن وكان على الناصية الأخرى من حارة الكسار، وكان لهذا المقهى شهرة واسعة فى العقود الأولى من القرن العشرين، وكان يرتاده الأدباء والفنانون الكومبارس ومنهم محمد تيمور ود. حسين فوزى وزكى طليمات وإبراهيم المصرى وعزيز عيد وروز اليوسف وغيرهم.

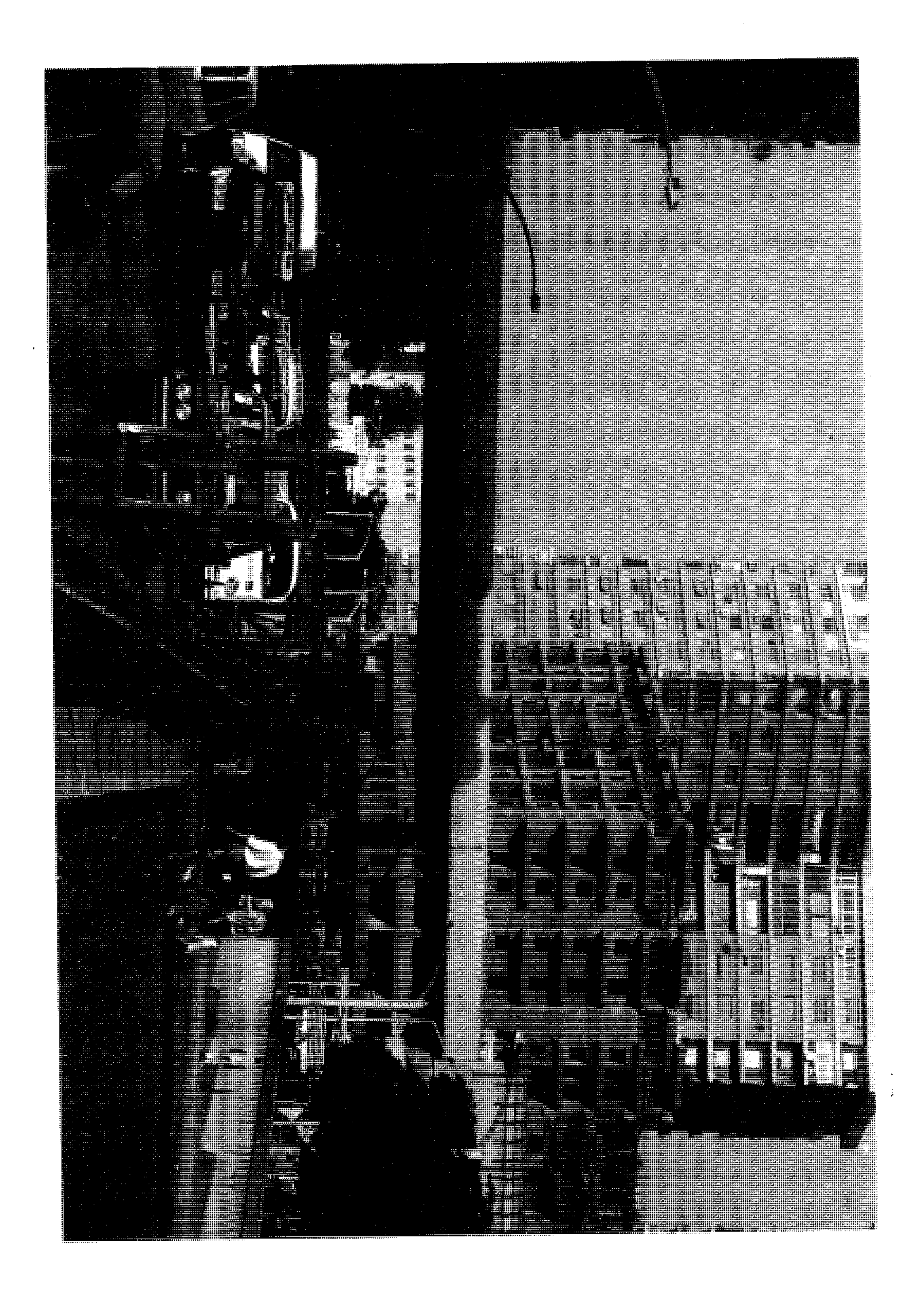
أما المرحلة الثالثة أو الحالية من عمر شارع عماد الدين المديد فقد شهدت - تقريبًا - اختفاء أساطين الفن ورواده وعشاقه وإن كان بعض دور العرض ما زالت متمسكة بمواقفها فيه غير أن هذا الشارع انفتح على مصراعيه لطائفة أكثر عملية وأقل خيالاً ومغامرة، تلك الطائفة هى رجال المال والأعمال والتجارة والبنوك، فأهم ما يشتهر به الشارع العتيق الآن هو أنه يضم على ضفتيه عددًا ضخمًا من البنوك والشركات الكبرى التى احتلت المبانى القديمة ذات الطابع المعمارى المتميز مثل المبانى التى تحتلها الآن شركة المحاريث والهندسة وشركة بافاريا وغيرها من المبانى العتيقة ذات الطراز المصرى القديم الذى يتميز بارتفاع حوائطه واتساع غرفه وكثرة شرفاته التى تطل على الشارع والتى يزينها مشغولات الحديد والتماثيل القديمة، بالإضافة إلى أن الشارع توجد به كل أنواع المحلات التجارية بدءًا من محلات الأطعمة بكل أنواعها وانتهاء بمعارض السيارات والأدوات الكهربائية وغيرها.

وشارع عماد الدين لا يهدأ إلا يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع حيث تخف درجة الازدحام قليلاً وتغلق محلات القطاع الخاص والحكومى أبوابها بالإضافة إلى إغلاق البنوك يومى الجمعة والسبت لتحد من درجة الازدحام نوعًا ما.

ورغم أن المبانى السكنية والعمارات فى شارع عماد الدين أغلبها من الطابع القديم إلا أنها تتميز بالأسعار المرتفعة جدًا، والتى تجد إقبالاً على شرائها خاصة من الشركات التى تفضل أن يكون مقرها الرئيسى فى شارع يتوسط القاهرة والشارع تقع به أغلب البنوك الرئيسية أو أفرعها، مما جعل تعامل الشركات التى تقع بالشارع مع البنوك أمرًا سهلاً وميسورًا بالإضافة للحركة التجارية الضخمة ليل نهار، وقيل إن آخر مبنى سكنى بيع فى شهر مايو الماضى بشارع عماد الدين كانت تملكه شركة المحاريث والهندسة ومساحته لا تتعدى

٤٠٠ متر، ويتكون من ثلاثة طوابق من الطراز المعمارى القديم ووصل ثمنه إلى ٨ ملايين جنيه والشركة التى قامت بشرائه تنوى تجديده وترميمه وأعادت طلاءه خاصة وأن التقارير الهندسية أكدت أن المبنى صالح للاستخدام كمقر شركة، وأن مبانيه تتحمل لفترة تزيد على ثلاثين عامًا أخرى دون أن يتعرض للهدم أو يعرض قاطنيه للخطر. الغريب أن المبنى أقيم بالحجارة وكتل من الحديد والأخشاب.

* * *



شارع الجلاء

شارع الجلاء «الترعة البولاقية سابقًا» يمتد بين اثنين من أكثر ميادين القاهرة اتساعًا وازدحامًا وهما ميدان التحرير وميدان رمسيس، كما يضم الشارع على نقطتى بدايته ونهايته تمثالين، أحدهما تمثال رمسيس الذى يحفظ للتاريخ قوة وشموخ مصر الفرعونية، والثانى تمثال الفريق عبدالمنعم رياض الذى استشهد وسط جنوده فى حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩، والغريب أن كلا من التمثالين على المستوى الفنى يعبر عن مرحلته بشكل ما، فتمثال رمسيس فى نهاية الشارع يوحى بأبلغ معانى القوة والشموخ والمهابة، وتمثال عبدالمنعم رياض بمنظاره المكبر يناسب قائدًا عسكريا يترقب هجوم الأعداء فى أية لحظة.

ومن ناحية أخرى فإن شارع الجلاء يعتبر همزة الوصل والقطع بين عالمين متباينين، عالم القاهرة الأوروبية وامتداداتها القريبة، وعالم بولاق أو ميناء بولاق، وإن كان الشارع على مستويات الموقع وطبيعة النشاط ونوعية السكان أقرب للعالم البولاقى.

منطقة القاهرة الأوروبية التى تقع على الضفة الشرقية للشارع كانت منذ بداية الاحتلال العثمانى لمصر وحتى سقوط أسرة محمد على مطمعا للملوك والأمراء وكبار السياسيين، فقد كانوا يقيمون فيها منشآتهم وقصورهم ويديرون مؤامراتهم وصراعاتهم، أما عالم بولاق فقد كان - ومازال - ساحة لأبناء البلد الأصلاء، صحيح أنه كان بشكل ما يخدم سكان القاهرة الأوروبية، ويمدهم بما يحتاجون من البضائع والصناعات المختلفة، ولكنه كان مشمولاً بنوع من العزلة

وفرت قدًا لا بأس به من الحرية لسكانه من التجار والحرفيين بعيدا عن هيمنة مراكز السلطة فى القاهرة الأوروبية، لذلك فإن حى بولاق أو الضفة الغربية من الشارع ربما يكون الوحيد بين أحياء القاهرة العريقة الذى يرجع فضل تأسيسه إلى عامة الناس من الحرفيين والتجار والصنايعية وليس إلى علية القوم من الملوك والأمراء والساسة، وظروف الطبيعة والتاريخ دعمت اعتزال سكان الشارع من ناحية بولاق عن عالم القاهرة، فقديما كان حى بولاق عبارة عن جزيرة تسبح فى مياه نهر النيل والمنطقة التى يتجول فيها الشارع كانت عبارة عن ترعة تواصل امتدادها حتى حى شبرا، وعلى أيام الحملة الفرنسية كان عبارة عن ميناء نشط يمد القاهرة بكل ما تحتاج إليه من البضائع المحلية والمستوردة من أوروبا، فقد كانت البضائع تأتى من الإسكندرية والصعيد وتبحر فى نهر النيل حتى ترسو على ساحل بولاق ثم تنقل بواسطة أهالى الشارع من ناحية بولاق على ظهور الجمال والحمير إلى القاهرة الأوروبية، ومما يدلل على ذلك أن بالمنطقة حتى الآن شارعين صغيرين، أحدهما اسمه «ظهر الجمال» ويبدأ من الحافة الغربية لشارع الجلاء، والثانى اسمه «ساحل الغلال» ويقع على مشارف شارع الجلاء من ناحية نهر النيل.

ميناء

الجانب البولاقى من شارع الجلاء كان قبل الحملة الفرنسية وأثناءها وبعد إجلاء آخر جنودها عن مصر - عبارة عن مدينة تجارية كبيرة ومتميزة عن القاهرة بشقيها القديم والحديث، حيث لا مكان لأى من أصحاب السلطات فى ذلك الزمن، فمعظم سكانها من عامة الناس، كما كانت منفصلة عن القاهرة القديمة وامتداداتها المملوكية والعثمانية بسهل عرضه حوالى ألف ومائتى متر، كما كانت محاطة بالحدائق من جانبها الشرقى الذى يمتد به شارع الجلاء، الآن، ورغم أن الجانب البولاقى من الشارع بكل المقاييس كان يعد ميناء القاهرة، إلا أنه كان مدينة قائمة بذاتها، وبلغ سكانها على أيام الحملة الفرنسية أربعة وعشرين ألف نسمة، وكان مختلف أنواع السفن، سواء المحملة بالمنتجات المحلية فى الدلتا والصعيد، أو المحملة ببضائع أوروبا والغرب بشكل عام ولكى يستفيد

الفرنسيون من سهولته الملاحية مدوا فيه طريقًا معبدًا ليربط ميناء بولاق بالقاهرة وفى موقعه الآن شارع ٢٦ يوليو الذى يتقاطع مع شارع الجلاء.

وبينما كان الجانب الشرقى أو التابع للقاهرة الأوروبية من شارع الجلاء مجرد منطقة عامرة بالبرك والمستنقات وتتراقص فى أذهان الأمراء والولاة لبناء مدينة عصرية عليها . وكان الجانب البولاقى أو الغربى عامرًا بالحياة فقد كان يحتوى على أربعة وعشرين مسجدًا أقدمها جامع السلطان «أبو العلا». كما كان يضم عددا كبيرًا من أكبر وأجمل الوكالات التجارية فى مصر قبل وصول الحملة الفرنسية، ونهايته من ناحية نهر النيل كانت عامرة بمختلف أنواع البضائع حتى أن أحد علماء الحملة الفرنسية وصفها قائلا «ونجد شاطئ بولاق مغطى فى جميع الأوقات تقريبًا بأرصدة هائلة من القمح متروكة فى العراء، كما يغطى الشعير والقمح والفول أرض الميناء داخل مساحات مسورة ومكشوفة تقريبا» وفى محاولة لوصف أخلاق الشارع والقاهرة كلها فى تلك الفترة قال «إن الثقة بين المواطنين فى مصر صفة راسخة، وينبغى الاعتراف بأنهم لم يجدوا فى ترك بضائعهم فى العراء مدعاة للندم على الإطلاق»، غير أن سكان الشارع وخصوصا فى جانبه البولاقى لم يعتدوا بهذا الإطراء الفرنسى، فقد انتهزوا اشتباك الحملة الفرنسية بقيادة كليبر مع الجيش العثمانى فى منطقة عين شمس، وأشعلوا يوم ٢١ مارس ١٨٠٠ ثورة القاهرة الثانية التى قادها نقيب الأشراف عمر مكرم وكبير التجار أحمد المحروقى، وقد أجمع المؤرخون على أن معظم المشاركين فى هذه الثورة كانوا من سكان الجانب الغربى من الشارع ودللوا على ذلك بأنهم نالوا أكبر قدر من بطش الفرنسيين، ودمارهم، فقد حمل أهالى الشارع من ناحية بولاق كل ما وصل إلى أيديهم من السيوف والبنادق والرماح والعصى وانقضوا على جنود الحملة الذين كانوا يمرون عادة من أرض الشارع فى تجوالهم اليومى بين ميناء بولاق ومقر الحملة الذى كان يقع فى قصر الألفى بالأزبكية، ومن بولاق امتدت الثورة إلى باقى أحياء القاهرة، وامتلأت الشوارع والميادين وأسطح المنازل بالثائرين وسرعان ما انضم إليهم النساء والأطفال فى الهجوم على جنود

الاحتلال، وقيل إنهم كانوا يطلقون صيحات ونداءات جماعية تصم الآذان لإرهاب الفرنسيين، كما أنهم أقاموا المتاريس بشارع الجلاء والمنطقة المحيطة لكى يمنعوا تقدم جنود الحملة.

وقد كانت هذه المتاريس على جانب كبير من المناعة وبلغ علو بعضها اثنى عشر قدما وأنشأ الثوار من أهالى الشارع والمنطقة فى يوم واحد معملا للبارود ومصنعا لإصلاح الأسلحة وآخر لصناعة القنابل كما أخرجوا المدافع المطمورة فى بيوت الأمراء المماليك.

غير أن كل ذلك لم يصمد طويلاً أمام جيش كليبر العصرى والمدرب فقد حاصر الشارع والمنطقة وسلط عليها نيران مدافعه التى كانت أحدث الأسلحة العسكرية فى ذلك الوقت، ورغم أن نيران مدافع كليبر دمرت العديد من أحياء القاهرة مثل الأزبكية وغيرها إلا أن دمارها للشارع وحى بولاق فاق الوصف، فقد ارتكب فيهما الفرنسيون أفظع الجرائم، وهذا ما وصفه الجبرتى فى قوله «هجموا على بولاق من ناحية نهر النيل، ومن ناحية بوابة أبى العلا، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحاصروهم، من كل جهة، وقتلوا منهم بالحرق والقتل، وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق، وفعلوا بأهلها ما تشيب من هوله النواصى وصار القتلى مطروحين فى الطرقات والأزقة، واحترقت الأبنية والدور والقصور وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة ثم أحاط الفرنسيس بالبلد واستولوا على الخانات والكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان والبنات وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور».

«الجلاء» اسم الشارع الحالى حديث نسبيًا أطلقه رجال ثورة يوليو ١٩٥٢ ضمن حملة يمكن وصفها بـ «تثوير» شوارع القاهرة فقد أطاحت بالعديد من أسماء الشوارع ونصبت مكانها أسماء النهج الثورى مثل الجلاء والتحرير أما «الترعة البولاقية» اسم الشارع القديم فيعود إلى ترعة كانت تبدأ من نهر النيل عند المنطقة التى يقع فيها الآن مبنى الإذاعة والتليفزيون وتمتد عبر أرض الشارع حتى تصل إلى مزارع شبرا.

الشارع يبدأ من خلف تمثال الفريق عبدالمنعم رياض وعلى بعد خطوات من هذه البداية العسكرية المزدحمة دائمًا تظهر ناصية شارع «ظهر الجمال» لتعبر بوضوح عن الجانب الفقير والأصيل منه.

مدرسة «كلوسديان» الأرمنية تحتل مبنى متميزا بالشارع، وتجاور عددا من الورش والمقاهى فى وسطها ناصية شارع الفحامين، وهو اسم على مسمى حيث يحتوى على أجود أنواع الفحم فى مصر كلها.

ومعامل الاختبارات التابعة لمصلحة الكيمياء تقع فى الناحية الشرقية أو الأوروبية من الشارع وبعدها تطل خلفية أكاديمية السادات للعلوم الإدارية التى تواجه القنصلية الإيطالية والمعهد الثقافى الإيطالى.

والشرع مظلل من أوله إلى آخره بكوبرى ٦ أكتوبر وأبرز مبانيه على الإطلاق مبنى صحيفة «الأهرام» التى أنشأها سليم وبشارة تقلا بالإسكندرية عام ١٨٨٥، وكانت أسبوعية فى أول عهدها ثم صارت يومية، ثم انتقلت إلى شارع شريف بالقاهرة عام ١٨٩٩، وانتقلت إلى موقعها الحالى بشارع الجلاء عام ١٩٦٨ والذى شيده محمد حسنين هيكل وقت أن كان رئيس تحريرها.

الشارع بالإضافة لمبنى صحيفة «الأهرام» يمتد وسط مساحة تتجاور عليها الصحف المصرية، فعلى بعد خطوات من تقاطعه مع شارع الصحافة تقع مؤسسة «أخبار اليوم» التى أسسها مصطفى وعلى أمين، وأصدرت العدد الأول من صحيفتها الأسبوعية يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٣، وأصدرت العدد الأول من صحيفة «الأخبار» يوم ١٦ يونيو ١٩٥٢.

تقاطع شارع ٢٦ يوليو الذى يجاور مسرح الفن ويقع قبل مبنى «الأهرام» يعد أكثر مناطق الشارع ازدحاما، فهو يستقبل عددا هائلا من خطوط المواصلات.

وبعد «الأهرام» تطل بالشارع واجهة الكنيسة اليونانية وهى تنتمى إلى عمارة عصر النهضة الأوروبى ومعظم رعاياها ـ حسب قول أحد حراسها ـ يأتون إليها سنويًا من اليونان.

وعلى الناصية بين شارعى رمسيس والجلاء تقع جمعية الإسعاف الشهيرة التى سميت المنطقة كلها باسمها ولم يتبق منها الآن سوى صيدلية الإسعاف.. وهناك مواقف ومحطات للأتوبيس بهذه المنطقة تسمى موقف الإسعاف.. وهى مجاورة لمحطة مترو الأنفاق التى تحمل اسم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.

وعلى ضفة شارع الجلاء أيضا توجد الجمعية المصرية للعلوم السياسية ومعهد الموسيقى العربية الذى تم وضعه على خريطة الآثار.

أما مستشفى الجلاء للولادة فقد أنشئ فى عهد الملك فؤاد عام ١٩٣٤ وحمل اسم «مستشفى فؤاد الأول للولادة» قبل أن يتحول إلى اسم «مستشفى الأوقاف» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ واستقر بعد قليل على اسم «مستشفى الجلاء».

ونجد بعد ذلك معهد ليوناردو دافينشى للفنون والعمارة ويحمل اسم مثال عصر النهضة الإيطالى ليوناردو دافينشى صاحب لوحة الموناليزا.

ويعتبر شارع الجلاء وحى بولاق عموما منطقة الصحافة والطباعة والنشر منذ أنشأ محمد على المطبعة الأميرية فى بولاق.. فقد انتقلت إليه صحيفة «الأهرام» من مقرها القديم فى شارع مظلوم وأقيمت فيه أو حوله مبانى صحيفة «أخبار اليوم» فى منطقة كانت تعرف بعشش الترجمان وكانت فى هذه المنطقة أيضًا صحيفة «المساء» عند إنشائها فى الخمسينيات قبل أن تنتقل إلى مقرها الحالى فى شارع رمسيس.

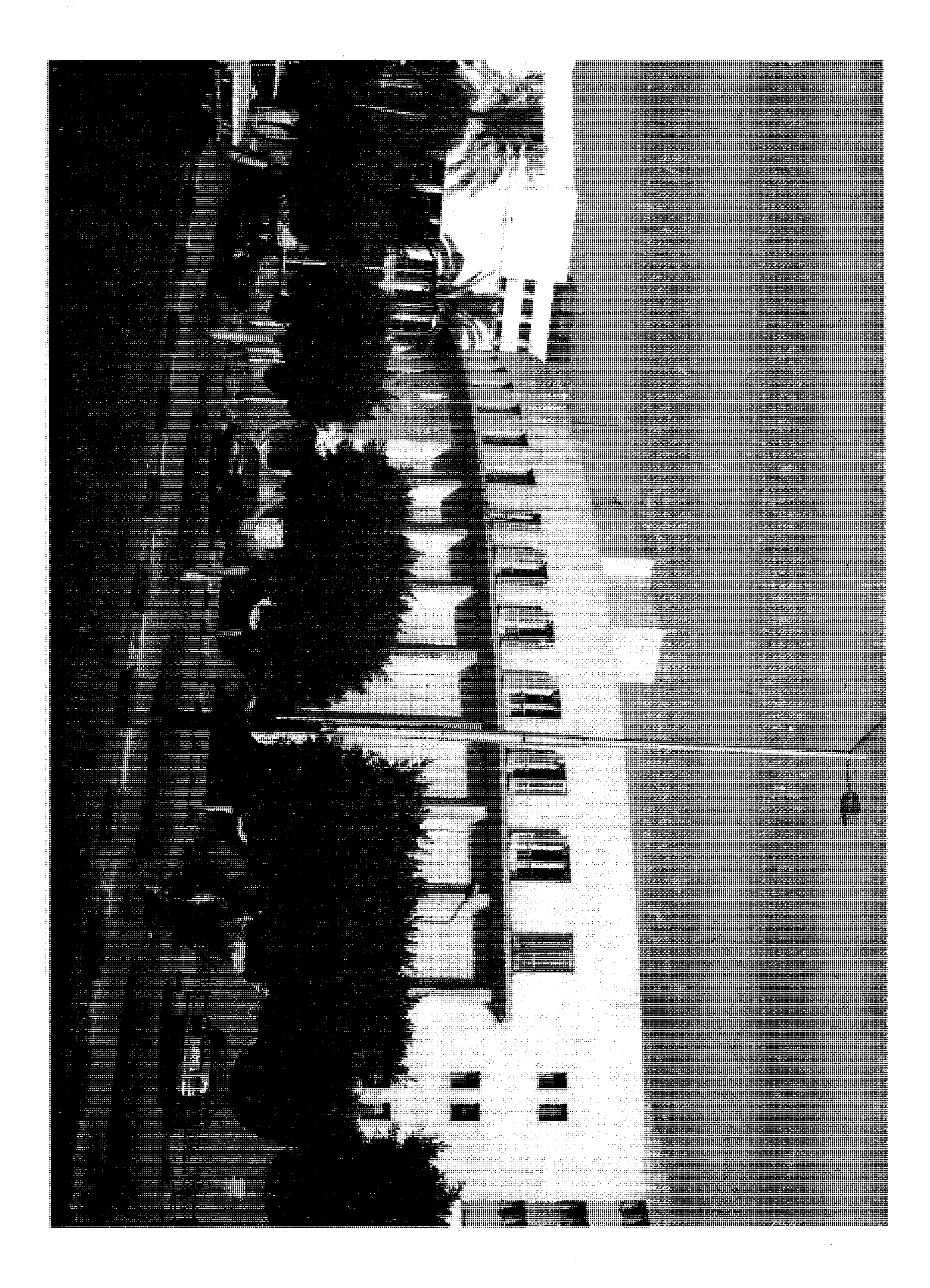
ويبدو شارع الجلاء قريبا إلى حد التجاور مع مبنى الإذاعة والتليفزيون «ماسبيرو» الواقع فى قلب رملة بولاق وعلى مسافة غير بعيدة منه المقر الجديد لوزارة الخارجية المصرية بعد انتقالها من ميدان التحرير.

وحول شارع الجلاء توجد أشهر سوق شعبية لسكان القاهرة الكبرى والمحافظات القريبة وهى وكالة البلح التى تعج بالبضائع الرخيصة السعر من كل صنف وخصوصًا الملابس والمفروشات والستائر، وبالقرب منها مقر دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب.

مكتب توثيق الأزبكية النموذجى فضلا عن أنه يخدم عددا كبيرا من المصريين، فإنه يبدأ أهم ما يميز الشارع على المستوى الخدمى، حيث إنه يعد أكثر لشوراع القاهرة ازدحاما بالمستشفيات والمؤسسات الصحية الحكومية، فبعد مكتب التوثيق مباشرة تتجاور على ضفتى الشارع مستشفى هيئة النقل العام، والهيئة العامة للتأمين فرع القاهرة، ومستشفى الهلال الأحمر، وجمعية الهلال الأحمر ومستشفى سكك حديد مصر التى تمهد لنهاية الشارع أمام محطة مصر.

مسجد الإمام محمود خطاب يتميز بأنه صاحب أطول مئذنة بالشارع، وبداخله معهد لإعداد الدعاة، وأمامه مباشرة شاب ملتح يقف خلف فرشة للكتب الدينية، وبالقرب منه واحد من أشهر وأرخص مطاعم الكبدة فى القاهرة ومصر كلها وبعد جامع الإمام ينطلق الشارع تحت سيل من خطوط المواصلات حتى يصل لنهايته وسط ميدان رمسيس.

* * *



شارع العباسية

شارع العباسية، يبدأ بازدحام طلاب واحدة من أكبر قلاع التعليم فى مصر وهى جامعة عين شمس، وينتهى وسط ميدان الجيش، ويمتد فى منطقة بدأت عسكرية فقد كانت نائية تقع على حافة الصحراء وتجاور عددا من البساتين أشهرها بستان الخندق الذى كان يقع على يمين بداية الشارع من ناحية ميدان العباسية واسمه يرجع إلى خندق عسكرى بناه القائد جوهر الصقلى لصد هجمات أعداء الدولة الفاطمية، ومن المصادفات أن الشارع يبدأ الآن من أمام فتحة نفق يصل لجامعة عين شمس ولا يختلف كثيرا عن الخندق القديم، وفى أربعينيات القرن التاسع عشر بدأت المنطقة بما فيها أرض الشارع تتراقص فى أذهان أبناء وأحفاد محمد على باشا باعتبارها مساحة خالية تصلح لإقامة عدد من المدارس العسكرية وبالفعل أقاموا بها مدرسة الضباط ومدرسة البيادة أى المشاة ومدرسة السوارى أى الفرسان ومدرسة الطوبجية أى المدفعية ولكن بمرور الوقت غلب عليها الطابع المدنى وراحت تتخذ موقعها كضاحية أولى للقاهرة وفى بدايات القرن العشرين صار الشارع على رأس الأماكن المفضلة لكن الأعيان والتجار وأبناء الطبقة المتوسطة فى مصر.

ولعل أشهر الأسر المصرية التى تركت ازدحام القاهرة القديمة وسارعت بالسكن بالشارع فى هذه الفترة أسرة الروائى العالمى نجيب محفوظ، فقد انتقلت إلى العباسية وأقامت بها وهو فى حوالى العاشرة من عمره.

واسم الشارع يعود مباشرة إلى أسرة محمد على باشا كما أنه من الأسماء النادرة التى نجت من هوجة الإطاحة والتغيير التى طالت معظم شوارع القاهرة

التى حملت أسماء حكام وملوك وأمراء هذه الأسرة بما فيها شارع محمد على مؤسسها الأول وشارع الخديو إسماعيل مؤسس القاهرة الحديثة، اسم الشارع يعود إلى عباس حلمى الأول بن الأمير طوسون الذى تولى حكم مصر بعد وفاة عمه إبراهيم باشا بن محمد على.

عباس حلمى الأول تولى حكم مصر من عام ١٨٤٨ حتى ١٨٥٤ وأسس الشارع والمنطقة المحلية عندما شيد على حافتها الشرقية ثكنات الجيش المصرى كما شجع الناس على تعميرها عن طريق منح الأراضى كما أقام بالقرب منها مستشفى ومدرسة وقصرا.

ومنطقة العباسية ليست الشارع فقط بل أطلق الاسم على الحى بأكمله وكانت تلك المنطقة تسمى قديما «الحصوة» لأنها اشتهرت بكثرة الحصى والزلط اللازم لمبانى القاهرة وبالهواء الجاف.

وهناك رواية تقول إن الوالى عباس حلمى الأول كان يعانى مرضًا صدريًا وكان الهواء الجاف أهم علاج له فخرج ذات يوم النزهة فى صحراء الحصوة وبات فيها ليلة فأعجبه هواؤها وشعر بالراحة فاتخذ قراره بإعمار المنطقة وأطلق عليها اسمه.

وأصدر عباس حلمى الأول قرارا فى ٢٧ جمادى الآخرة عام ١٢٦٥هـ بأن يتجه الأمراء والأعيان أصحاب الجاه والثروة إلى بناء القصور والبيوت الفخمة فى صحراء «الحصوة» العباسية لتصبح منطقة معمورة ومأهولة وامتدادا للقاهرة وبدأ الوالى بنفسه حيث أنشأ «قصر الحصوة» الذى كان يرتاح فيه عند اعتلال صحته وهذا القصر زاره فيه المهندس الفرنسى فرديناند ديليسيبس عام ١٨٥٤ محاولاً إقناعه بحفر قناة السويس وهو نفس العام الذى مات فيه عباس وتولى بعده سعيد وقد وصف ديليسيبس القصر قائلا: إن به عشرين ألف نافذة.

وتوسع الوالى محمد سعيد باشا فى منشآت العباسية فأقام ثكنات الجيش وأنشأ المدرسة التجهيزية التى نقلت بعد ذلك إلى منطقة درب الجماميز وسميت المدرسة الخديوية الثانوية.

وواصل الخديو إسماعيل المنشآت العسكرية فى العباسية فأقام مدرسة «البيادة» المشاة وغيرها من المدارس العسكرية واشترى قصر الحصوة الذى أقامه عباس الأول من إلهامى بن عباس ووهبه إلى والدته وفى عام ١٨٦٥ مد الخديو إسماعيل السكك الحديدية من القاهرة إلى العباسية ومن العباسية إلى القبة ونظم سباقات للخيول فى ميدان العباسية.

أما أكاديمية الشرطة الواقعة الآن فى شارع السرايات الملاصق لميدان العباسية فقد كان فى موقعها معسكر للجيش البريطانى أقيم فى أعقاب الاحتلال عام ١٨٨٢ وفى موقع برج مصر للسياحة والمكتب العربى للتصميمات الآن كانت تقع «قلاقشات الزعفران».

وأصبح حى العباسية بحق عاصمة مستقلة للاحتلال البريطانى لمصر إذ أطلقت أسماء إنجليزية على شوارع المنطقة مثل شارع ولسلى عند تقاطع ميدان العباسية مع شارع رمسيس وشارع جرانفيل امتداد شارع السرايات وهو الشارع الذى حمل بعد ذلك اسم أحد رموز حزب الوفد وهو فخرى عبدالنور وهكذا مضت الأسماء الأجنبية للشوارع مثل بولك وكيتشنر ودرومر وكلها اختفت بعد ذلك.

وارتبط اسم العباسية بمستشفى الأمراض النفسية والعصبية التى تحمل شعبيا اسم «مستشفى المجانين» أو مستشفى المجاذيب أو «السراى الصفراء» بل أصبح الناس يقولون لمن يشكون فى قواه العقلية «أنت عباسية خالص» أى «مجنون».

وقد أنشئ هذا المستشفى فى عهد الخديو توفيق وتوالى بعده إنشاء المستشفيات فى كل التخصصات بهذه المنطقة مثل مستشفى الحميات المواجهة لمستشفى المجانين وبالقرب منه المستشفى الإيطالى والمستشفى اليونانى والمستشفى القبطى والمستشفى الفرنساوى الذى صار يحمل اسم الطيران.

وفى ميدان عبده باشا أو المنطقة المسماة العباسية الشرقية توجد مدرسة إسماعيل القبانى «العباسية سابقا» وكانت تلك المنطقة خالية من أية منشآت

وتعرف باسم «مولد النبى» وتم تعمير شارع السرايات الحالى وأقيمت به مدرسة الصناعات الزخرفية التى أصبحت مقرا لكلية هندسة عين شمس.

ويتقاطع شارع العباسية وهو يسير فى اتجاه ميدان الجيش مع عدة شوارع غريبة الأسماء مثل شارع السبع والضبع وشارع زرع النوى ثم شوارع لأسماء شخصيات معروفة مثل البيومى والمطرب الشهير عبده الحامولى.

وكما أن المنشآت العسكرية تسببت فى وضع حجر أساس الشارع فإنها جعلته هدفًا لغارات الحرب العالمية الثانية فبسبب أن معسكرات الإنجليز كانت قريبة منه نال الشارع نصيبًا وافرًا من غارات الطائرات الألمانية والإيطالية فى بدايات الحرب كما أن المنشآت العسكرية بالشارع قربت أرض الشارع من بدايات مقاومة الشعب المصرى للاستعمار الأوروبى فخلال أحداث الثورة العرابية وتحديدًا يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ عقد ٦٠٠ ضابط مصرى اجتماعًا فى ثكنات الجيش القريبة من الشارع وخرجوا فى مظاهرة عسكرية اشترك فيها طلاب المدارس العسكرية القريبة وبعض الجنود وثلاثة من أعضاء مجلس شورى النواب، وتوجهوا من أرض الشارع إلى مقر وزارة الداخلية بقيادة البكباشى لطيف سليم وتربصوا بنوبار باشا أول رئيس وزراء مصرى وويلسون ممثل بريطانيا العظمى فى الحكومة المصرية عند خروجهما من الوزارة التى مازال مبناها قائما حتى الآن وكان فى الأصل قصرًا لإسماعيل باشا المفتش وبمجرد خروجهما ضربوهما ضربًا مبرحًا وسجنوهما داخل الوزارة وكادوا يفتكون بهما لولا تدخل الخديو إسماعيل. وفى المظاهرة سقطت وزارة نوبار فى اليوم التالى.

الشارع يبدأ بميدان العباسية، وهو ميدان واسع ومزدحم يصلح لتوسط مدينة كاملة، فداخله موقف لمختلف أنواع المواصلات وحوالى ثلاثة من كبار موزعى الصحف ومحاط بعدد كبير من المحال التجارية والمقاهى أبرزها مقهى الشباب وكافتيريا الاعتماد وكلاهما يعتمد بشكل أساسى على طلبة وطالبات جامعة عين شمس.

وناصية شارع الفريق محمد شكرى تقع على الحافة الجنوبية للميدان وبها واحد من أكبر أسواق الفاكهة والخضر فى القاهرة وفى مواجهتها تطل عمارة

مصر للسياحة وبرج التطبيقيين المصمم على طراز الفنادق الحديثة وبالقرب منها يقع الفندق الذى أقامت به وزارة الثقافة المصرية مهرجانها الشعرى الأول عام ١٩٩٤ وأثناء جلساته التى أقيمت فى العباسية توفى الناقد على شلش.

أسماك الشرقاوى وملابس القصبجى تبدأ امتداد شارع العباسية بعد الميدان وبعدهما مباشرة تطل واجهة المواساة الإسلامية التى تأسست بالشارع عام ١٩٠٨ فى مبنى على طراز العمارة الإنجليزية وأمامه ماسح أحذية معوق يستعين على ندرة الأحذية بالتأمل فى لافتة أحمد عبدالتواب المحامى.

مدرسة العباسية القديمة للبنات تبدأ سلسلة القصور بالشارع فلافتتها معلقة بشكل عشوائى على واجهة قصر رغم الإهمال والقذارة يحافظ على رونقه القديم.

ناصية شارع عظيم الدولة تجاور قصرًا يعانى من تصدعات ربما تعجل بزواله من الوجود نهائيا وفى هذه المنطقة من الشارع سكن أحد رموز حزب الوفد المصرى فى القرن العشرين وهو فخرى عبدالنور الذى ولد فى مدينة جرجا، بصعيد مصر لأسرة كانت تعمل بالتجارة والزراعة وكان والده عبدالنور أقلاديوس من الذين شاركوا فى إعداد حملة الخديو إسماعيل التى اجتازت كل أراضى السودان وبفضلها وصلت القوات المصرية إلى منابع النيل.

وفخرى عبدالنور الذى يعد أشهر سكان الشارع القدامى على المستوى السياسى التقى بسعد زغلول عام ١٩١٨ وكان ضمن الذين جمعوا له التوقيعات التى جعلته وكيلا عن الشعب المصرى فى المفاوضات مع الإنجليز وبعدها أصبح فخرى عبد النور عضوا بارزًا فى حزب الوفد وفى لجنته المركزية واقتادته القوات الإنجليزية من بيته بالشارع واعتقلته أكثر من مرة بسبب مواقفه الوطنية وأثناء مسيرته السياسية انتخب عضوًا بالبرلمان المصرى عام ١٩٢٤ وظل به حتى داهمه الموت أثناء إحدى خطبه البرلمانية عام ١٩٢٤.

وناصية شارع الفنان الراحل صلاح ذو الفقار - الذى كان من سكان المنطقة - تقع تحت قصر آخر وبالقرب منها ميكانيكى سيارات وأطلال قصر قديم أمامه تمتد حديقة مسجد القبة الفداوية.

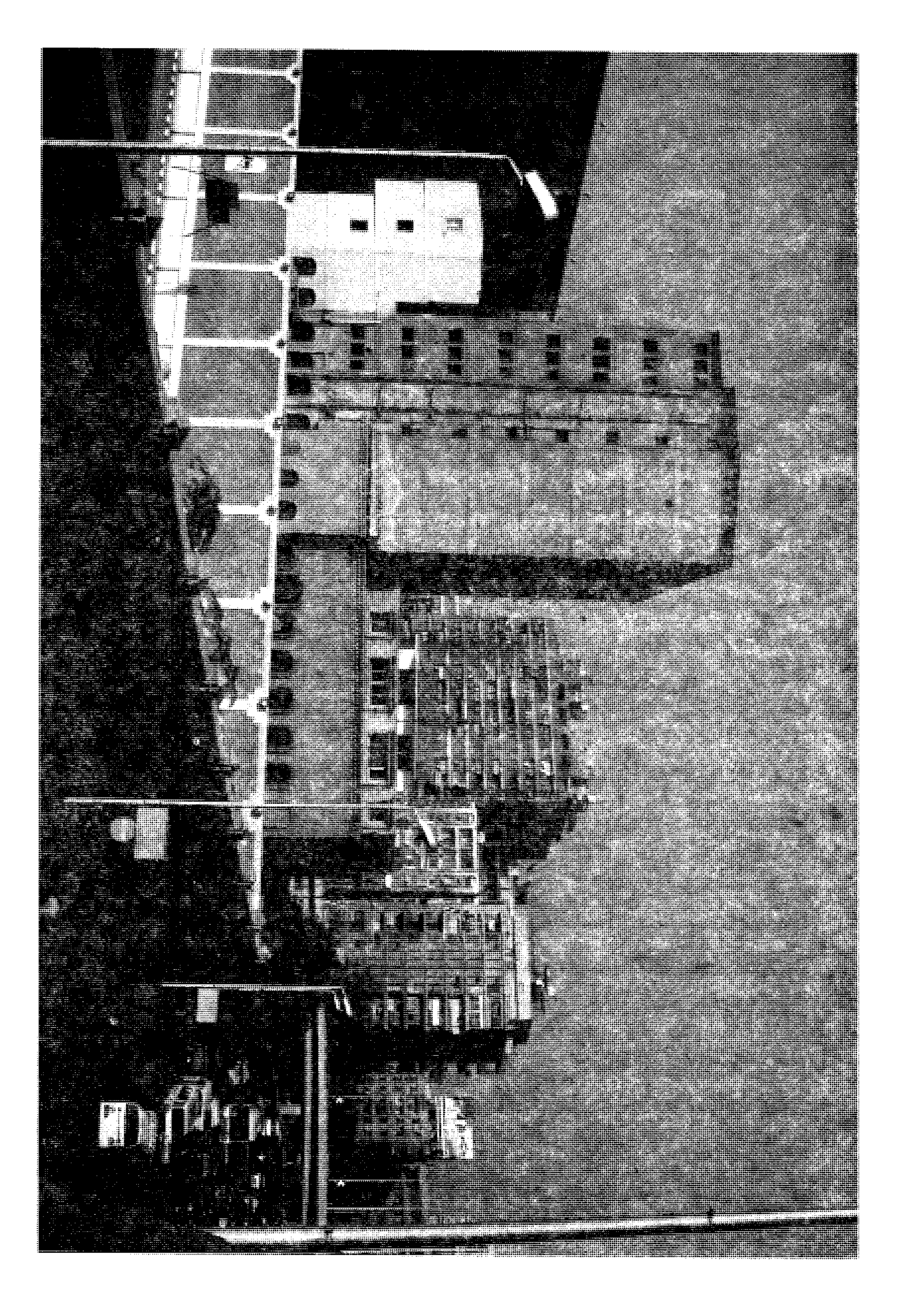
ومسجد القبة الفداوية بنى فى الشارع عام ٨٨٤هـ مكان عدد من المقابر، وبانيه هو الأمير المملوكى الجركسى يشبك بن مهدى الذى قربه السلطان الظاهر تمربغا وعينه حاكمًا على الصعيد، غير أنه شارك فى الإطاحة بالسلطان تمربغا، ونصب السلطان قايتبا، فكافأه قايتباى بكرسى الوزارة، ومما يروى عنه أنه كان يتصف بالقسوة والعنف فى معاملة رعاياه، فأثناء حكمه للصعيد ارتكب من المظالم ما لم يسمع بمثله، فقد شوى بالنار شيخ بنى عدى وخوزق العديد من أبناء ومشايخ القبائل العربية بالصعيد.

وجامعه الذى يعد أبرز المنشآت الدينية بالشارع بناه فى الأصل كمنظرة أو استراحة له وللسلطان قايتباى واسمه الفداوية ويعود إلى اسم طائفة من الشيعة الإسماعيلية كان أبناؤها يسكنون حول المسجد وعرفوا باسترخاص الحياة فى سبيل سيادتهم الروحية، وفى القرن الثامن الهجرى عرفت الطائفة الفداوية باسم المجاهدين، وفى القرن الثانى عشر الهجرى بلغوا من الشهرة فى البأس أن لقبهم «الفداوية» كان يطلق على الأشداء من الرجال.

شرطة الوايلى تجاور بالشارع الجمعية الاستهلاكية ومدرسة العباسية الثانوية ومعهد العباسية للحاسب الآلى والعلوم التجارية ومدرسة التحرير للقوات المسلحة وقصر حالته تدعو للأسى ليس على عمارته التى تكاد تنهار من الإهمال والتجاهل ولكن على عصره الذى غرب إلى الأبد من سماء الشارع.

مركز الأجهزة الطبية بمبناه الأنيق يجاور ناصية شارع أحمد بك سعيد وبعده تطل واجهة سينما بسمة وكازينو التحرير الذى يمهد لنهاية الشارع التى تقع وسط ميدان الجيش.

* * *



شارع طلعت حرب

من السهل أن تصف شارعًا اختفى من الوجود تحت سطوة عوامل التعرية التاريخية والإنسانية، أو شارعًا مازال موجودًا وتضاءلت أهميته أو تلاشت، لكن من الصعب وربما من المستحيل أن تصف شارعًا حيًا ومتألقًا ومتجددًا مثل شارع طلعت حرب «سليمان باشا الفرنساوى سابقًا»، فكل ما ترصده بنفسك أو تنقله من كتب المؤرخين عن هذا الشارع العتيق سيظل قاصرًا عن الإلمام بشكل وروح الشارع، وحتى لو استطعت القبض على بعض معالمه فإنك لن تتجاوز مجرد الوقوف على السطح أو القشرة البراقة التى تغلفه، أما الأسماء التى ارتبطت به ورائحة البشر التى ملأته ومازالت، وقبل ذلك سر روعته فكل ذلك صعب المنال، فهذا الشارع رغم أنه ليس ضمن شوارع القاهرة الواسعة والطويلة إلا أنه بين أحياء القاهرة وشوارعها وأركانها ينفرد بمكانة القلب.

ومما كرس أهمية هذا الشارع وتألقه احتلاله لموقع حيوى وصاخب فوق الحافة الاستراتيجية لنقطة المركز الرئيسى بالنسبة لمدينة القاهرة، ألا وهى ميدان التحرير «الإسماعيلية سابقا» ذلك الميدان المحاط بمبان ذات أهمية حيوية وتاريخية مثل المتحف المصرى الذى يضم درر ما أنتجته الحضارة الفرعونية، والمجمع الحكومى الذى يضم ١٤٠٠ غرفة يشغلها أكثر من ٣٠ ألف موظف ويتردد عليها يوميا أكثر من ٦٠ ألف زائر، والجامعة الأمريكية، فضلا عن أنه المعبر الذى يمر منه كافة رجال السياسة فى مصر صباحًا ومساء، كل ذلك إلى جوار نهر النيل العظيم الذى يحتضنه من الناحية الغربية.

وفى مواجهة النيل من الناحية الأخرى من الميدان وبزاوية منحرفة نسبيًا يبدأ شارع طلعت حرب، وهو شارع عريق اختار الخديو إسماعيل منذ ما يقرب من مائة وخمسين عاما مهندسًا فرنسيًا لتخطيطه ورسم ميدانه، وهو نفس المهندس الذى خطط شوارع باريس، وقد شهد هذا الشارع فى بدايته أيام عهد الملكية جنود الاحتلال الإنجليزى ونوادى الباشوات والوزراء وفاتنات المجتمع وسيداته وأفخم حوانيت الملابس والمجوهرات والأثاث وقد أطلق عليه الخديو إسماعيل اسما يناسب هذه الفترة تماما «سليمان باشا» وكان ذلك بغرض تكريم هذا الرجل الذى قام بدور بالغ الأهمية فى تاريخ مصر الحديث.

سليمان باشا شخصية فذة تتمتع بتجربة فريدة جديرة بالتسجيل فهو فى الأصل الكولونيل أوكتاف جوزيف سيف الذى ولد فى مدينة ليون الفرنسية عام ١٧٨٧ ولأنه كان مغرمًا بالعسكرية التحق وعمره ١٧ عاما بالبحرية الفرنسية ليصبح ضابطا بعد خمس سنوات وخدم فى الأسطول الفرنسى واشترك فى معركة «الطرف الأغر» وعمل بجيش نابليون حتى انسحب من موسكو واشترك فى معارك المائة يوم دفاعا عن إمبراطوره، وبعد معركة «ووتر لو» طرده لويس الثامن عشر من الجيش بعد هزيمة نابليون فاستأجر مزرعة فى الريف الفرنسى لكن سرعان ما شده الحنين إلى العسكرية فحاول أن يلتحق بالجيش الفرنسى وبينما هو فى الطريق إلى فارس مر بمصر عام ١٨١٩ والتقى بواليها محمد على باشا الذى أعجب به وأسند إليه تكوين جيش مصرى على الأسس الأوروبية الحديثة، ولأنه أوروبى فقد رفضه الجنود المصريون فى بادئ الأمر لكن سرعان ما تغيرت معاملة الجنود له لشجاعته النادرة وعزيمته وإصراره القوى مما جعلهم يغفرون أجنبيته ويعتبرونه قائدهم ومعلمهم. وقد سلمه محمد على الألوف من مماليكه ومماليك رجاله وأرسلَه إلى أسوان عام ١٨٢٠ لتكوين نواة الجيش المصرى الحديث فأنشأ الكولونيل سيف هناك أول مدرسة للضباط ودام تدريبه لهم ثلاث سنوات حتى أصبحوا أول دفعة من الضباط كونت نواة جيش مصر الحديث، بعد أن كان الجيش يعتمد على المماليك والجنود والأرناؤوط وبقايا الانكشارية. واعتمد سيف على الأسلوب الفرنسى الأوروبى فى إعداد هذا

الجيش وقد اختار محمد على مدينة أسوان لتكون مقرا لأول مدرسة حربية فى مصر حتى تكون بعيدة عن القاهرة.

أسلم الكولونيل سيف واختار له محمد على اسما عربيا هو «سليمان» ومنحه لقب بك وزوجه من إحدى بنات أسرته واسمها مريم ومنها أنجب ولدا واحدا هو إسكندر وثلاث بنات هن نازلى وأسماء ، وزهرة، وتزوجت نازلى من محمد شريف الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لوزراء مصر وله شارع وسط القاهرة أيضا. ومن نازلى أنجب شريف ابنته «توفيقة هانم» التى تزوجها عبد الرحيم صبرى الذى كان محافظا للقاهرة ويحمل أحد شوارع حى الدقى اسمه، وفيه قصره الكبير الذى تحول مع حديقته إلى أكاديمية ناصر العسكرية العليا، ومن توفيقة أنجب عبد الرحيم ولدين أولهما شريف باشا صبرى الذى أصبح وصيا على عرش فاروق عام ١٩٣٦ وحسين حربى الذى أصبح محافظا للإسكندرية ثم نازلى الثانية التى تزوجها السلطان فؤاد قبل أن يتغير لقبه بعد الاستقلال ليصبح ملكا لمصر، ومن نازلى أنجب الملك فؤاد ابنه الوحيد فاروق يوم ١١ فبراير ١٩٢٠.

واشترك سيف الذى أصبح اسمه «سليمان الفرنساوى» فى حرب المورة «اليونان» بجانب القائد إبراهيم باشا عام ١٩٢٤، لمساعدة سلطان تركيا محمود، وفى عام ١٨٣٤ منحه محمد على لقب باشا تقديرا لخدماته وعندما أخلف سلطان تركيا وعده لمحمد على انطلق جيش مصر إلى الشام بقيادة إبراهيم باشا وأركان حربه سليمان الفرنساوى ليحقق لمصر أعظم انتصارات عسكرية ضد السلطان العثمانى، ليأخذ محمد على بسيفه ما رفض أن يمنحه له السلطان، فأنزل جيش مصر هزائم متتالية بجيش الإمبراطورية العثمانية فى معركتى نصيبين وكوتاهية وغيرهما من المعارك حتى تم تدمير الجيش العثمانى تماما وأصبح جيش مصر على مقربة من عاصمة الإمبراطورية العثمانية.

وقد عينه محمد على باشا رئيسا عاما لرجال الجهادية - الجيش المصرى - وهذا المنصب يعادل الآن منصب وزير الدفاع، ولكفاءته احتفظ بهذا المنصب

طوال عهود أربعة ولاة هم محمد على وإبراهيم وعباس وسعيد. وتوفى سليمان الفرنساوى يوم ١١ مارس عام ١٨٦٠ ودفن بمنطقة مصر القديمة بالقاهرة.

وظل محتفظا باسم الشارع والميدان إلى أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فأزالت اللوحة التى تحمل اسمه من على صدر الشارع ووضعت بدلا منها لوحة تحمل اسم الزعيم الوطنى طلعت حرب رائد الاقتصاد والتصنيع الوطنى فى الثلاثينيات والأربعينيات وصاحب دعوة الاعتماد على الاقتصاد الوطنى فى مواجهة المستعمر، ومؤسس أول بنك مصرى، كما اقتلعت الثورة تمثال سليمان باشا من قلب الميدان ونفته فى غياهب المتحف الحربى ووضعت بدلا منه تمثالا جديدا للزعيم طلعت حرب أبدعه الفنان الرائد محمود مختار، ومن يومها صار اسم هذا الشارع «طلعت حرب»، وإن كان اسمه القديم سليمان باشا مازال يتراقص فى مخيلة رواده خصوصا من كبار السن، والمعارضين لتوجهات ثورة يوليو ومنهم الكاتب جمال بدوى الذى اعتبر تغيير اسمه خطأ فادحًا!!

بمجرد أن تطأ قدماك هذا الشارع ستطل عليك واجهة مبنى نادى التحرير «النادى الدبلوماسى» ويقع على الناصية التى يلتقى فيها شارع طلعت حرب بشارع عبد السلام عارف «البستان سابقا» ويشتمل على ثلاثة طوابق وبدروم.. وهو من أقدم نوادى القاهرة، فقد أنشئ قبل الحرب العالمية الأولى وكان يعرف باسم «كلوب محمد على» وكان شروط عضويته - حتى قامت ثورة يوليو - إلى حد ما تعجيزية فقد كانت حكرا على أفراد الأسرة المالكة والوزراء وزعماء الأحزاب ورجال الاقتصاد، وعندما قامت الثورة غيرت اسمه عام ١٩٥٦ ليصبح نادى التحرير أسوة بغيره من الميادين والشوارع وربما الأضرحة التى غيرت أسماؤها لا لشىء إلا لأنها تنتمى إلى العهود السابقة أو البائدة، ويبدو أن تلك عادة تاريخية متأصلة وعريقة فرمسيس نفسه كان يمحو أسماء الفراعنة السابقين عليه من على التماثيل والمعابد وربما القبور ليحفر عليها اسمه!!

والقرب من هذا النادى تجد نفسك أمام مقهى ريش الذى اعتاد الروائى العالمى نجيب محفوظ أن يجلس عليه صباح كل يوم حتى الثمانينيات ليقرأ

الصحف ويشرب القهوة. وتتميز عمارة هذا المقهى بالطابع اليونانى ومؤسسه كان يونانيا، وكان مركزا للمثقفين والسياسيين والصحفيين .. فى الصباح كان يؤمه المتقاعدون من القضاة وكبار موظفى الدولة الهاربين - حسب وصف الروائى صنع الله إبراهيم - من تكشيرة زوجات يقمن كل صباح بعملية جرد للسنوات الضائعة، كانوا يتناولون القهوة فى هذا المقهى، بينما عيونهم المجهدة تمارس هواية التلصص على حسناوات شارع طلعت حرب اللاتى يتمايلن أمامهم مباشرة، ولا مانع من التحسر على العمر الذى ولى تحت سطوة شباب وليونة الحسناوات. وفى منتصف النهار يكون شارع طلعت حرب على موعد مع الصحفيين والفنانين الذين كما هو معروف يستيقظون متأخرين - ويأتون إليه لتناول القهوة وأطباق النميمة والأخبار الجديدة. أما فى الليل سيبلغ الزحام أقصاه فى الشارع والمقهى خصوصًا فى اليوم الذى اختاره نجيب محفوظ لعقد ندوته الأسبوعية التى ظلت صاخبة فى هذا المقهى حتى الثمانينيات، حيث كانت تناقش أخطر القضايا الفكرية والسياسية وتعد فى جنباتها العديد من المجلات، وتناقش سيناريوهات الأفلام والمسرحيات، فضلا عن أنه من شارع طلعت حرب اقتيد العديد من الكتاب والفنانين والصحفيين إلى المعتقل بسبب كلمة أو رأى أو نادرة أو حتى نكتة سجلها أحد رجال الشرطة السريين الذين كانوا يقيمون فى هذا الشارع بشكل دائم، ويعتبرونه المكان المفضل لنشاطهم والعامر بكل الذين يسببون قلقا لرجال الحكم.

وهناك طرفة تقول إن أحد المخبرين كان قد حضر - بغرض التجسس - إلى إحدى جلسات ندوة نجيب محفوظ الأسبوعية ولكنه لم يفهم شيئًا مما دار فيها، فيبدو أن مناقشاتها كانت تدور عن الحداثة وإشكالياتها، فاحتار فى أمره.. كيف يكتب التقرير المطلوب منه؟! ولكنه وجد ضالته فى نجيب محفوظ، فقد أحس أنه أضعف الحاضرين وأنه مثله ليس له فى موضوع المناقشة، فاقترب من أذن نجيب محفوظ وهمس فيها بأدب بأن يفهمه ما دار فى الندوة لأنه مخبر «حكومة» ومكلف من قبل رؤسائه بتسجيل ما دار فى الندوة وإلا فصل من عمله

وتشرد أولاده فما كان من نجيب محفوظ إلا أن سحب ورقة وقلما من حقيبته وراح يدون له بدقة متناهية كل المناقشات التى دارت فى الندوة، وبسبب صخب الحوارات التى كانت تقام يوميا بين المثقفين من مختلف الاتجاهات فى «مقهى ريش» وعلى رصيف شارع طلعت حرب، كتب الشاعر الكبير أحمد فؤاد نجم قصيدة شهيرة قال فيها:

يعيش المثقف على مقهى ريش ... يعيش. يعيش. يعيش.. محفلط مزفلط.. كثير الكلام... يفبرك حلول المشاكل قوام.

مثلث الرعب

شارع طلعت حرب الآن يتوسط مثلث الرعب كما يطلق عليه صنع الله إبراهيم وغيره من المثقفين. ويضم المنطقة التى يتكون فيها الرأى العام الثقافى المصرى، وعادة ما ترسم القيادات الثقافية فى مصر خططها ومشاريعها وأيضا قراراتها بناء على ما يدور فى هذه المنطقة الاستراتيجية التى خرجت منها كافة البيانات والمظاهرات والاحتجاجات الثقافية استجابة لمختلف القضايا ابتداء من القضية الفلسطينية والعراقية وانتهاء بقضايا مصادرة الكتب.

تلك المنطقة المثلثة حول شارع طلعت حرب يبدأ ضلعها الأول من مقهى «زهرة البستان» الذى أصبح المكان المفضل للأدباء والصحفيين الشباب منذ الثمانينيات بعد أن غادر نجيب محفوظ «مقهى ريش» وينتهى عند مطعم «الجريون» بحديقته الأنيقة التى تعتبر المكان المختار لعدد من كتاب ورسامى وصحفيى وفنانى مصر والبلاد العربية ويمتد الضلع الثانى لهذه المنطقة التى تطوق شارع طلعت حرب بشكل مستقيم إلى مطعم «الأوديون» ومن هنا يبدأ الضلع الثالث عبر رحلة العودة إلى مقهى «زهرة البستان» من خلال المرور من قلب ميدان طلعت حرب حاصرًا بينه وبيت الضلعين السابقين المركز القديم للمنطقة برمتها حيث أتيليه القاهرة، وهو جمعية أهلية لا تتبع مباشرة شارع طلعت حرب، لكنها انضمت إلى معالمه بالتجاور، وهى عبارة عن مبنى صغير من طابقين تحيط به حديقة صغيرة

ويحتوى على عدة قاعات لعرض الفنون التشكيلية وممارسة الموسيقى أو الرسم، وأكبرها مخصصة لعقد ندوة أسبوعية. وأمام هذه الجمعية مباشرة يقع المقر الرئيسى لحزب التجمع النقدى الوحدوى، وكذلك مقر صحيفته «الأهالى». وقد شهدت جميعة الأتيليه التى من النادر أن تجد كاتبا عربيا أو مصريا لم يدخلها. أياما مجيدة فى الستينيات والسبعينيات والتسعينيات وكان آخرها يوم احتشد آلاف المثقفين فى أعقاب محاولة اغتيال نجيب محفوظ،وقرروا الخروج فى مسيرة احتجاج عبر شارع طلعت حرب إلى مبنى البرلمان لكن الظروف الأمنية حالت دون ذلك.

وعلى الناحية القريبة من أتيليه القاهرة فى ميدان طلعت حرب تطل واجهة «جروبى» وهو محل لبيع الحلوى والمشروبات تم افتتاحه ما بين الحربين العالميتين، ومازال يعمل حتى الآن، ويمتاز بفخامة عمارته وأناقة أثاثه الكلاسيكى، ويشتمل على مطعم كبير وصالة فسيحة، وكان قديما يحتوى على حديقة كبيرة مثل غيره من بنيات القاهرة حيث كان قانون البلدية يشترط وجود حديقة فى كل منزل، وعلى بعد خطوات منه، فى شارع قصر النيل يقع المركز الحديث للمثقفين المصريين العرب وهو دار ميريت.

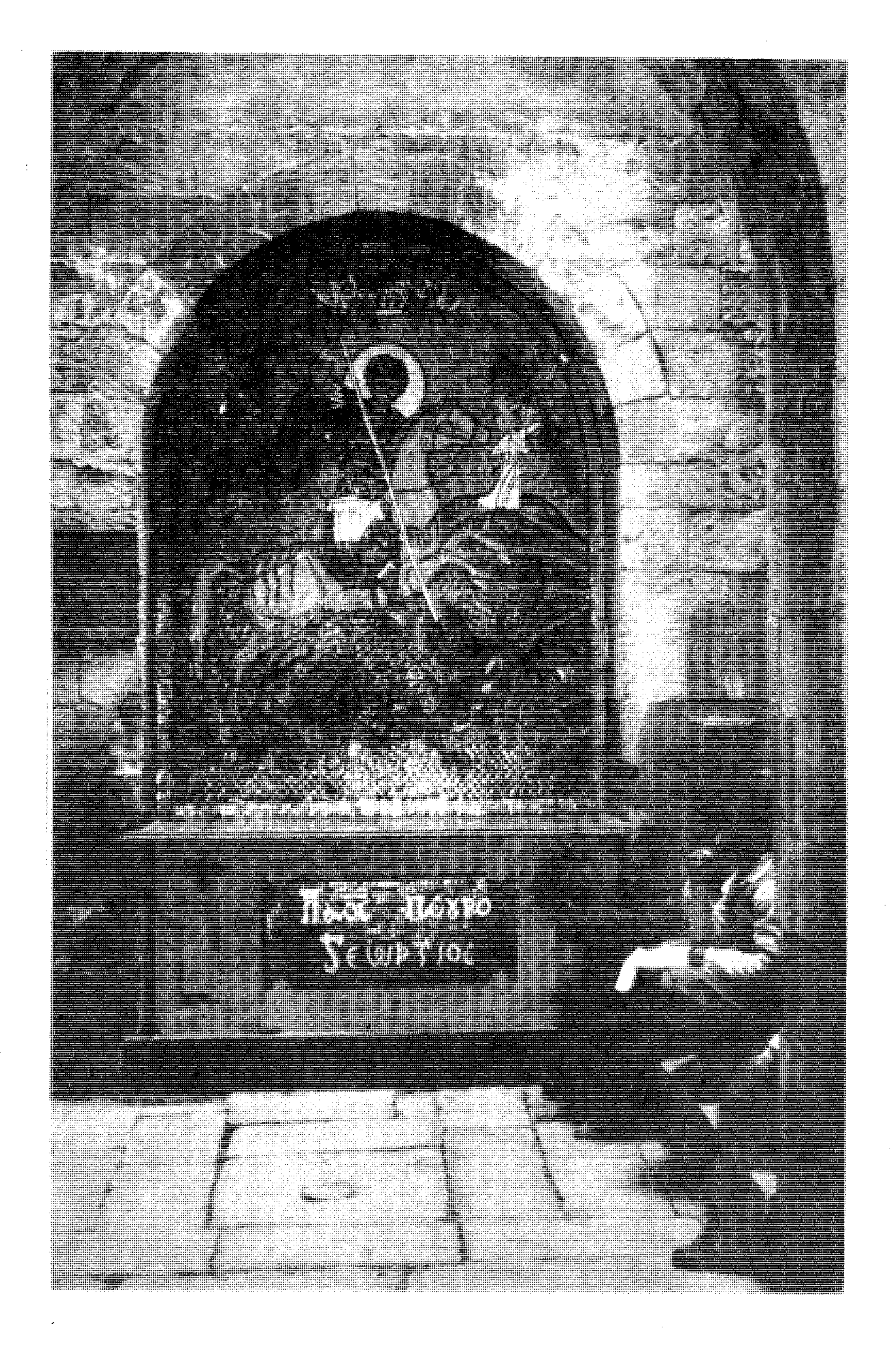
وشارع طلعت حرب ليس حكرا على المثقفين فقط كما يمكن أن تظن، فعندما تتجول فيه تلمس دون أدنى مبالغة أن الأمم المتحدة اتخذت من هذا الشارع فرعا شعبيًا لها، كل جنسيات الكرة الأرضية تتجول داخله.. عرب من كل البلاد وأمريكيون وأوروبيون وإفريقيون. بدون أدنى حساسية، فالجميع متساوون داخل شارع طلعت حرب فى كل شىء. فى التمعن فى الحسناوات الشابات وفى التقليب فى الكتب والبضائع وفى تبادل النميمة ومناقشة أعقد القضايا على المقاهى.

زاد من أهمية وتألق شارع طلعت حرب أنه أصبح بمثابة المركز التجارى الكبير والمتنوع الذى يستقبل يوميا أبناء الطبقة الغنية بجوار أبناء الطبقتين الفقيرة والمتوسطة، والكل يذهب ليشترى ما يحتاجه من المحال المزدحمة على الجانبين بالأسعار التى يراها مناسبة له ولأفراد أسرته. ويتميز الشارع ازدحامه

للإقبال الكبير على شراء الملابس منه، وهو فى ذلك ينافس عددًا كبيرًا من شوارع القاهرة فى عرض الملابس ومنها شارع ٢٦ يوليو وميدان العتبة وشارع عباس العقاد فى مدينة نصر وشارع جامعة الدول العربية ومنطقة المهندسين والزمالك، وإن كان شارع طلعت حرب يتفوق على هذه المناطق بأسعار المصنوعات التى تعرض فى محاله، فهى أقل فى حين أنها بنفس الجودة ومن نفس ماركة المعروض فى الشوارع والمناطق الأخرى.

كما أن محال هذا الشارع تتميز بديكوراتها البديعة وبطابعها الكلاسيكى، وبسهولة الوصول من أى مكان فى القاهرة، فضلا عن أن مجرد التجول أمام واجهاتها المصقولة على جنبات شارع طلعت حرب يعد فى حد ذاته وسيلة ممتعة للتنزه.

* * *



مصـر القديمـة



شارع السد البرانى

شارع السد البرانى يبدأ من حافة نهر النيل باتساع ميدان فم الخليج، وينتهى بجلال مقام السيدة زينب عقيلة بنى هاشم، ورغم انه فى وضعه الراهن يمتد فى تواضع واضح بالنسبة لمستوى فخامة المبانى أو الاتساع أو مظاهر الاناقة التقليدية بشكل عام- إلا انه يتمتع بتاريخ طويل قلما توفر لغيره من شوارع القاهرة قديمها وحديثها، فقد كانت أرضه على مدى قرون عديدة ساحة متألقة للاحتفال بوفاء النيل.. ذلك العيد السنوى الذى كان قدومه يعنى تدفق الخير ومختلف مظاهر الرفاهية لكافة فئات الشعب.. فشارع السد البرانى يقع فى مواجهة جزيرة الروضة التى تضم الى الآن مقياس النيل، وعلى حافة أرضه كان يمتد الخليج المصرى الذى كان يبحر فيه سنويا حكام مصر فى أبهى زينتهم للاحتفال بوفاء النيل، وعندما تحول مجرى نهر النيل فى القرنين السادس والسابع الهجريين انتقل فم الخليج (أى نقطة تلاقى الخليج بالنيل) إلى بداية الشارع، كما اقيمت على أرضه قنطرة عرفت باسم قنطرة السد اتخذ الشارع منها اسمه، تلك القنطرة كان يوضع امامها فى اليوم السابق لحفل وفاء النيل سد من التراب يزال بفعل الماء يوم الاحتفال ويجرى الماء فى الخليج ليدلل على صدق ووفاء النيل.

الاحتفال بوفاء النيل اقدم الاعياد المصرية على الاطلاق انتقل لارض الشارع بعد الفتح الإسلامى لمصر_ وقبل ان نرصد بعض مظاهره بالشارع، سنحاول التعرف عليه فى ادغال التاريخ المصرى القديم فقد كان الفراعنة يقدسون النيل ويرفعونه الى مقام المعبودات مثل رع وامون وأوزوريس، كما كانوا يصفونه

بعبارات مقدسة مثل (رب الرزق الوفير) و(والد الارباب) و(خالق الكائنات) وقيل فى تفسير الآية الكريمة (موعدكم يوم الزينة) ان سيدنا موسى عليه السلام واجه سحرة فرعون بمعجزاته يوم وفاء النيل.

فى هذه الاحتفالات الاسطورية كان الفراعنة يرمزون لنهر النيل برجل ممتلىء الجسم تظهر عليه علامات النبل والثراء وثدياه كبيران كأنهما ثديا امرأة، وفى بعض الاحيان كانوا يرسمون الماء خارجا منهما، وامام هذا الرجل أو الدمية يمدون مائدة القرابين العامرة بالزهور والاسماك والطيور ومختلف أنواع الطيب والجواهر، وخلفها يقف الكاهن ليقدم لرمز النيل طقوس العبادة والخضوع.

فإذا فاض النيل وعمت مياهه الاراضى، تفرغ الجميع - بمن فيهم الفرعون والامراء- للاحتفال_ وكان شاطىء النيل من منف الى أسوان مرصعا بقصور فخمة كان الامراء وأعيان الدولة ينتقلون اليها فى هذه المناسبة من كل عام، ويبالغون فى تهيئتها بفاخر الاثاث وتزويدها بأشهى الأطعمة، لاحتمال ان يشرفهم فرعون بالنزول فيها أثناء تجول موكبه فى النيل.

وقيل إن فرعون والأمراء كانوا يستقلون البواخر الكبيرة فى رحلة ترفيهية طويلة، وكانت سفنهم تحافظ على درجات أو تفاوت يحفظ أهمية مناصبهم، فسفينة الفرعون كانت من أربع طبقات، كل طبقة ارتفاعها عشرة أقدام، كما كانت مذهبة من الداخل والخارج، ومزينة بصور المعبودات_ فى حين ان سفن الأمراء وحكام المديريات وقادة الجيش من ثلاث طبقات، كل طبقة تسعة اقدام، ولم تكن كاملة التذهيب، اما سفن الكهنة والضباط والاعيان فقد كانت من طبقتين، كل طبقة ثمانية اقدام ومزينة بألوان عديدة، وبعدها تأتى سفن أو مراكب عامة الشعب التى كانت من طبقة واحدة تحافظ على لون واحد لا يتغير ابدا.

هذا الموكب كان يتجول فوق المياه يوم وفاء النيل بينما الألحان الموسيقية تصدح من كل مكان، وافواج الناس تتدافع على الشاطئين ابتهاجا بوفاء النيل بشير اليسر والرخاء.

وفى سياق رصدهم لاحتفالات قدماء المصريين بوفاء النيل أكد الكثير من المؤرخين انه لا يوجد سند تاريخى لاسطورة عروس النيل التى تحكى ان المصريين القدماء كانوا يلقون فى نهر النيل كل عام بنتا بكرا ليتحقق الوفاء، ودللوا على ذلك بان من مظاهر الرقى الروحى للمصريين القدماء انهم آمنوا بخلود الروح، وانهم لم يعرفوا القربان البشرى فى طقوسهم الدينية كباقى الديانات القديمة، ولو كانت هذه الاسطورة صحيحة لظهرت فى أوراق البردى أو النقوش التى حفرت بجدران المعابد وسجلوا فيها شتى صور الحياة الاجتماعية والتاريخية.

اما رواية ان اقباط مصر طلبوا من عمرو بن العاص حين فتح مصر القاء بنت بكر فى النيل ليتحقق الوفاء -فقد ارجعها عدد من المؤرخين الى ان الاقباط كانوا يلقون فى عيد الشهيد (٨ بشنس - ٣ مايو) تابوتا من خشب به أصبع من اصابع الموتى القدماء، وكان الناس يجتمعون من كل الجهات فى هذا اليوم على شاطىء النيل ويسرفون فى شرب الخمر واسباب اللهو والخلاعة، وقيل ان ما الغاها عمرو بن العاص هو القاء أصبع الشهيد هذا وليس القاء بنت بكر فى النيل لان هذا لم يكن موجودا اصلا.

وقد استمر اقباط مصر فى الاحتفال بوفاء النيل بهذه الطريقة وشاركهم المسلمون اللهو والمتعة حتى ألغى كل ذلك المظفر بيبرس الجاشنكير (أى الذى يتذوق الطعام قبل السلطان خوفا من ان يكون مسموما) عندما تولى الاستدارية (أى شؤون الخزانة) فى دولة الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٢هـ، ثم ابطلت تماما فى عهد صالح بن الناصر عام ٧٥٥هـ، وهدمت الكنيسة التى كان بها اصبع الشهيد وكان موقعها بحى شبرا، كما تم احراق الاصبع نفسه والصندوق الذى كان يحتويه وذر رمادهما، ومن يومها بطلت هذه العادة.

احتفالات وفاء النيل انتقلت الى مشارف شارع السد البرانى بعد الفتح الاسلامى لمصر، غير انها لم تبلغ ذروتها سوى فى عهد الدولة الفاطمية، فقد كان ابن الرداد قاضى المقياس عند بدء موعد الفيضان يسجل علامات المقياس يوميا، ويطلع عليها الخليفة الفاطمى سرا أولا بأول، وعندما كان النيل يقارب

الوفاء، أى قبل ان يبلغ ارتفاعه الذراع السادس عشر بأصبع واحد، كان الخليفة يأمر بالمبيت فى مقياس الروضة بالقرب من الشارع، وترسل من القصر الاطعمة الوفيرة إلى هناك، فيذهب قراء الحضرة -أى الحاضرون بقصور الخليفة وشيوخ الجوامع الكبرى- ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس طوال الليل بينما القراء يتلون آيات القرآن الكريم.

وعندما تشرق الشمس وتأتى البشرى بالوفاء يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير قلب القاهرة الفاطمية فى موكب فاخر الى باب زويلة بالشارع الاعظم (المعز لدين الله حاليا)، ثم يمر بين بركتى الفيل وقارون، فى الموقع القريب الآن من نهاية شارع السد البرانى وبالتحديد عند ميدان السيدة زينب، لكى يواصل سيره الى منازل الفسطاط، ومن هناك يستقل سفينة خاصة يوضع له فيها بيت انيق حوائطه من عاج الابنوس، وفوقه قبة من خشب دقيق الصنع، ومكسوة بصفائح الذهب والفضة.

فى هذا البيت ينتقل الخليفة عبر مياه الخليج وبالقرب من أرض الشارع الى مقياس الروضة، وهناك يصلى هو والوزير، ثم يحضر إليه اناء فيه المسك والزعفران فيضيف اليهما ماء الورد ويناول الاناء الى قاضى المقياس فيحمله ويغوص فى قاع المقياس متعلقا بالعمود لكى يمسحه بعجين المسك والزعفران وماء الورد.

بعد ذلك يعود الخليفة الفاطمى ويمر بأرض الشارع متجها الى مركز الدولة وفى اليوم التالى يتوجه قاضى المقياس الى القصر الفاطمى مبشرا بوفاء النيل، فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يؤمر بلبسها، وتصرف البشارة من نقود وخلع له ولاهله حمولة عدة بغال، ويعود الى المقياس عبر الارض القريبة من الشارع تتقدمه هداياه والطبول التى تعلن وفاء النيل، بعد ذلك يبدأ الاستعداد لفتح الخليج أو جبر الخليج كما كان يقال، فتنصب الخيام على الشاطىء الغربى للخليج امام منظرة السكرة التى كانت فى المنطقة التى تقع على يسار الشارع الآن، وقد انشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى وقيل انها كانت جنة فى الارض، ووصف المؤرخ الشهير المقريزى مقصورة الخليفة بها قائلا (وقد

وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبئتها، وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من كل الجهات من اشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها، المعمولة من الذهب والفضة والعنبر المشدود والمظفر عليها، والمكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعليه عدة من الرجال عليهم اللبوس تشبه الزرديات، وعلى رؤوسهم الخوذ، وبأيديهم السيوف المجردة والدرق، وجميع ذلك فضة، ثم صورة السبع المصنوعة من العود، وعيناه ياقوتتان حمراوان).

ومن بين الخيام التى كانت تنصب بالقرب من الشارع فى احتفال وفاء النيل خيمة كبيرة جدا كانت تعرف باسم القاتول وكانت لا تنصب الا بمعرفة كبار المهندسين وسميت (القاتول) لانه عندما نصبت لأول مرة قتل بسبب ارتفاعها عاملان.

وينتقل الخليفة من مقره فى قلب القاهرة الفاطمية الى هذه الخيام فى موكب حافل يتقدمه أربعون نافخا للابواق الفضية والذهبية على الخيول يتبعهم راجلون بأبواق نحاسية، وعندما يصل الى مشارف الشارع يجلس الخليفة الفاطمى فى المكان المخصص له بالقاتول، ويقرأ القرآن الكريم، ثم يأذن بالكلام للخطباء والشعراء ويكافىء من يحسن منهم، ثم تمد الاسمطة التى حملت من القصر احتفالا بالمناسبة، وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة، ثم يطل منها ويشير بفتح الخليج فيكسر السد الذى كان يقام به ليحجز ماء النيل، ويتدفق الماء بالقرب من أرض الشارع ليعلن اكتمال وفاء النيل.

فى نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الايوبية بدأ نهر النيل يحول مجراه ناحية الغرب فمد الصالح نجم الدين أيوب الخليج حتى المنطقة التى يحتلها ميدان فم الخليج فى بداية الشارع الآن، حتى يصل المجرى الجديد للنيل، وانشأ فى حوالى ٦٤٠هـ قنطرة كانت تعرف بقنطرة السد وموقعها الآن فى الثلث الأول من الشارع تقريبا، ومن امامها مباشرة كان -أثناء احتفالات وفاء النيل- يركب الباخرة التى كانت تعرف باسم العقبة ويبحر من قلب فم الخليج الى المقياس بجزيرة الروضة بينما يكون نهر النيل مزدحما ببواخر الأمراء والاعيان وعامة

الناس، ويأمر بدهن المقياس فى حضرته بالمسك والعنبر، ثم يعود مرة اخرى الى فم الخليج فى أول الشارع ويأمر بفتحه فيزال السد الترابى من امام القنطرة، ويواصل رحلته على الخيول حتى ميدان السيدة زينب الذى يقع فى نهاية الشارع.

بعد الدولة الأيوبية حافظ المماليك على الاحتفال بوفاء النيل على أرض الشارع، وانشأ الظاهر بيبرس قنطرة السباع قرب نهاية الشارع، وبالتحديد فى الموقع الذى يحتله الآن ميدان السيدة زينب، ونصب عليها سباعا من حجارة، وكان السبع شعار دولته، وقد ظلت هذه السباع الى ان شوهها الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر، كما شوه قبلها تمثال (ابوالهول)، ظنا منه ان هذا الفعل من ضمن المقربات لله، وقد انتقده العديد من المؤرخين ومنهم المقريزى.

وفى عهد الدولة العثمانية كان الوالى والأمراء المماليك يذهبون الى المقياس عبر فم الخليج أو بداية الشارع فى احتفالات كبيرة عندما يقترب وفاء النيل، وكذلك قادة الحملة الفرنسية الذين احتفلوا بوفاء النيل طوال مدة اقامتهم فى مصر، وفى عهد محمد على اخذ الاحتفال الذى كان يبدأ من أرض الشارع فضلا عن الطابع الرسمى أو الملكى طابعا شعبيا، فكانت محافظة القاهرة تعلن عن الوفاء بتكليف شيخ المنادين بان يجمع الاطفال ويدور بهم فى الشوارع والازقة وبأيديهم الرايات الملونة ويرددون (البحر زاد) وتتوجه السفينة الرسمية الى فم الخليج بأول الشارع، ويفتح الخليج ويقام سرادق فى الشارع يخصص لحفل ساهر بالغناء حتى الصباح.

حفل وفاء النيل كان يقام كل عام وقد وصفت صحيفة (الأهرام) احد الاحتفالات عام ١٨٩٢ قائلة: (كان مهرجان جبر الخليج مساء أمس قرة لعيون المصريين ومسرة لخواطرهم التى ألفت عادة هذه الحفلة. وتتوسم فيها الخير للعام كله، فلم تكد الساعة تبلغ الثامنة حتى اخذ المدعوون يتوافدون على السرادقات البديعة التى اعدت كالمألوف على دكة فم الخليج من الحرير الملون المعلقة فيها المصابيح والثريات الباهرة، وكانت المراكب فى البحر غاصة بالجماهير) وظلت هذه الاحتفالات تقام سنويا حتى ردم الخليج.

يبدأ شارع السد البرانى بنافورة ماء تقع فى قلب ميدان فم الخليج وبالقرب من سور مجرى العيون الذى يجرى ترميمه الآن وتحيط بها واجهات مسجد الانصارى والمعهد القومى للاورام وبيت متهالك يتوج عددا من الورش الصغيرة يتوسطها مقهى، وتجاورها بأرض الميدان حديقة تحتضن كشكا صغيرا.

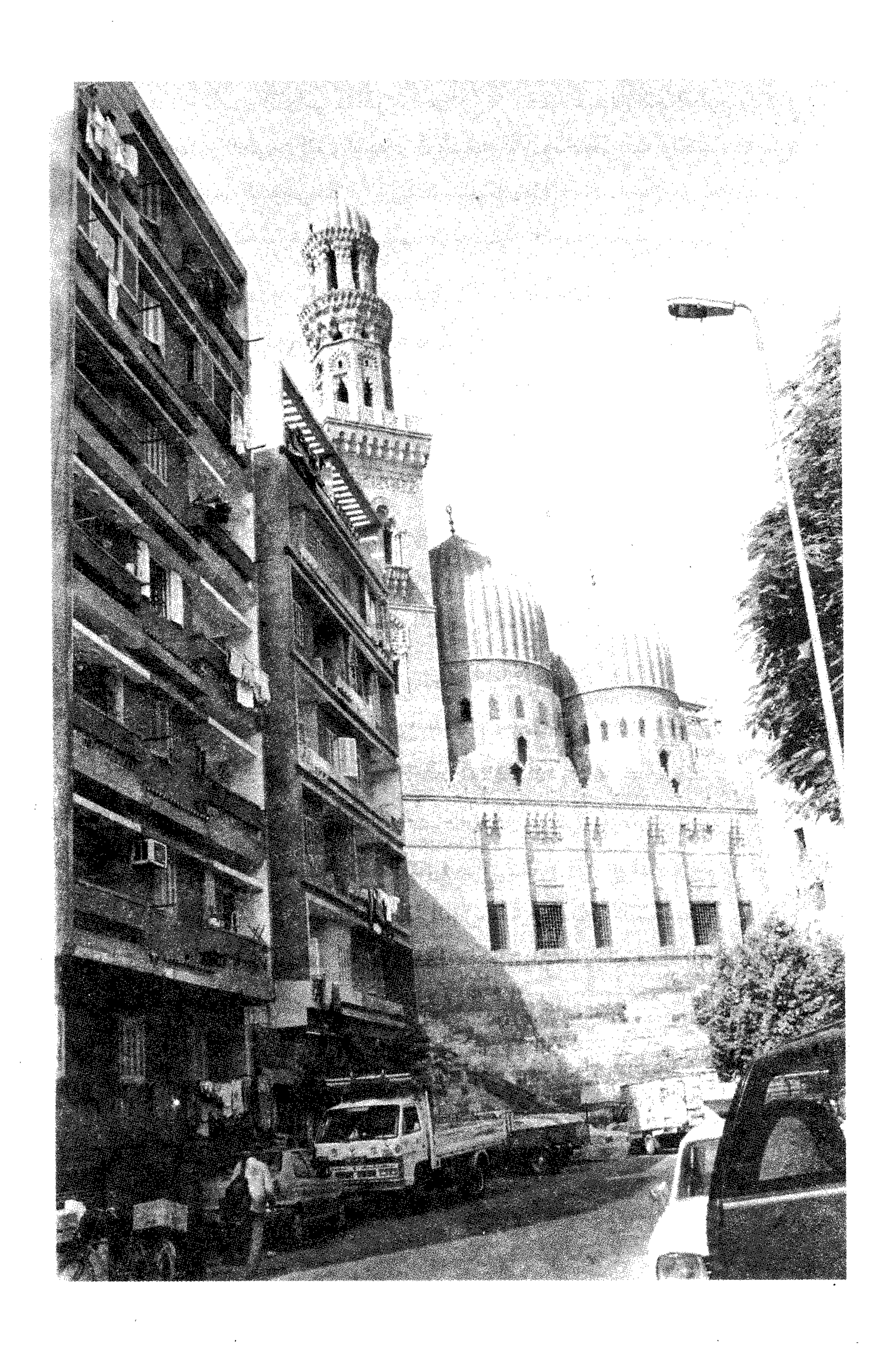
وفى نهاية المقاهى والورش الضيقة والعشوائية ينحصر الشارع فى كوبرى صغير يمر فوق مترو الانفاق ومحطة للاتوبيسات، وبعده تعود أرض الشارع بواجهة كنيسة مار جرجس وبطريركية الاقباط الارثوذكس - الديوان البابوى - وبعدهما عدد من العمارات المتواضعة التى يبدو ان سكانها تآلفوا تماما مع ضجيج ورش اصلاح السيارات التى تحاصرهم من كل جانب.

البيت الذى يحافظ على طراز عمارة القرن السابع عشر به شباك وحيد تطل منه سيدة عجوز تبدو مزهوة بانفرادها بواجهة الشارع فوق عدد من البيوت المنخفضة قبل مسجد سيدى محمد الطيبى الذى افتتحه محمود شريف محافظ القاهرة عام ١٩٩٠.

الشارع فى معظمه يفى للماضى السحيق بشرفاته العتيقة التى رغم تداعيها تبدو قادرة على احتواء حوارات العجائز ونظرات الحب التى يتبادلها شباب الشارع.

بعد كوبرى الملك الصالح يبدأ الشارع فى تنسم الروائح للسيدة زينب حفيدة رسول الله ﷺ، ومن أهم منشآت هذا الجزء خان سجاد (النساجون)، وفى آخره عمارتان حديثتان تجاهد كل منهما لنقل الشارع الى العصر الحديث، ولكن جهودهما تتكسر على اعتاب أرض فضاء تحتوى على اطلال بيت قديم وتحتوى على جراج، وبالقرب منهما واجهة مسجد يتسع الشارع بعده لسوق كبيرة تمهد لاستقبال واجهة مسجد السيدة زينب الذى يتوج نهايته.

* * *



شارع الصليبة

شارع الصليبة يبدأ من قلب ميدان السيدة زينب وابتهالات جيش من الدراويش يحرس جامع السيدة الشهير ، وينتهى عند اعتاب قلعة صلاح الدين الايوبى برائحة تاريخ عامر بالمؤامرات والدسائس وشلالات الدماء وأهميته تنبع من أنه يتوسط مراكز الحكم فى مصر منذ الفتح الاسلامى فموقعه كان الحد الشرقى والشمالى للفسطاط اول عاصمة اسلامية فى افريقيا وكذلك العسكر والقطائع وهو فى نفس الوقت اخر امتدادات القاهرة الفاطمية من ناحية الجنوب وعلى مشارفه اكتملت استدارة او حدود القاهرة الاوروبية التى بناها الخديو اسماعيل وتوجها بقصر عابدين مقر حكم مصر بعد القلعة لذلك فإن شارع الصليبه رغم تميزه بطبيعة جغرافية قاسية " مجرد منحدر مرهق للمشاه " على اطرافه ملامح معمارية لمعظم العهود والدول التى مرت على مصر ابتداء بالدولة الفاطمية وانتهاء بأسرة محمد على باشا .

الجسر الاعظم كان يمتد على معظم ارض الشارع ويفصل بين بركتى الفيل وقارون بغرض اتقاء خطر فيضان النيل والاولى كانت من أقدم وأكبر برك مصر منذ الفتح الاسلامى فقد كانت تمتد بين الفسطاط وموقع القاهرة الفاطمية، اما بركة قارون التى يرجع اسمها الى امير مملوكى كثرت امواله فلقب بقارون فقد كان جنوب المنطقة التى تحتلها نهاية الشارع الان وبطرفها الشمالى كانت قلعة الكبش وجبل يشكر وهى المنطقة التى بنى فيها القائد العباسى صالح بن على مدينة العسكر بعد أن قتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين فى مدينة ابو صير بمحافظة الفيوم كما اتخذها أحمد بن طولون مكاناً لعصامة القطائع

وأنشئت فيها دار عظيمة عرفت باسم الفيل واشترها كافور الاخشيدى بعد أن اغتصب حكم مصر واعاد تشييدها وسكنها عام ١٤٦ هـ وقيل إنه ادخل فيها عدة مساجد ومنازل اغتصبها من اربابها غير أنه سرعان ما غادرها مذعوراً وانتقل الى دار خمارویة التى كانت تعرف بدار الحرم ، وقيل ان سبب خوفه يرجع الى انه تهيأ له أنها مسكونة بالجن والعفاريت .

على ايام الفرنسيين انقسمت بركة قارون الى بركتين الاولى عرفت باسم ابن طولون وكانت عند جامعه الذى يقع تقريباً فى الثلث الاخير من الشارع والثانية عرفت باسم الملاثم البغالة.

جبل يشكر الذى اقميت عليه العسكر ثم القطائع ينسب الى قبيلة يشكر التى نصبت خيامها فوق أرضه عند الفتح الاسلامى لمصر ، وهو جبل كان يعتقد الناس ببركته ، فقد قيل إنها كان يشتهر بإجابة الدعاء وأن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات، بجوار جبل يشكر هناك فى نهاية الشارع مرتفع آخر يعرف باسم الكبش وأنشأ عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة بنفس الاسم كانت عبارة عن قصر ضخم وعدها المقريزى ضمن اعجب متنزهات الدنيا فى ذلك الوقت وبعد زوال الدولة الايوبية نزل بها الخليفة العباسى عندما نقل الظاهر بيبرس الخلافة العباسية الى القاهرة سنة ٦٦٠ هـ بعد ان قوضها التتار فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ كما نزل فيها انه المستكفى بالله قبل ان ينقله المماليك الى القلعة وتحولت بعد ذلك الى دار ضيافة كان ينزل بها ملوك حماة وغيرهم عندما يقدمون ضيوفاً على مصر، ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون وشيدها مرة اخرى ولكن فى شكل اكثر فخامة واناقة واتساعاً واجرى إليها الماء والحق بها اسطبلا ورسف اليها ابنته على عريسها ابن الامير ارجون نائب السلطة بعدما جهزها جهازا عظيماً وصفه المقريزى قائلاً " عمل الصوانى من ذهب وفضة ، فبلغت زنتها ما يزيد على عشرة آلاف مثقال وبالغ فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة لانها كانت أولى بناته، ولما نصب جهازها بالكبش نزل من القلعة فى نهاية الشارع وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه واهتم بالعرس اهتمامًا ملوكيا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور

ولما انقضت ايام العرس أنعم السلطان على كل امراة من نساء الامراء بتعبيه قماش على قدرها وخلع على سائر ارباب الوظائف من الامراء والكتاب وغيرهم.

بجوار بركة الفيل وبالتحديد فى المنطقة التى تتسع فيها بداية الشارع كان هناك بستان عرف اولا باسم الطائى ثم امتلكه الامير سيف الاسلام هفتكين اخو صلاح الدين الايوبى الذى ارسله الى اليمن فتملكها وتوفى بها سنة ٥٩٣هـ.

وبعده عرف البستان بخط ابن البابا نسبة الى الامير جنكل بن محمد البابا العجلى الذى جاء إلى مصر شاباً سنة ٧٠٤ هـ وراح يتقرب من السلطان محمد بن قلاوون حتى حصل على منصب كبير الامراء ومن الناحية الاسرية زوج ابنته لإبراهيم ابن الناصر وحسب رواية المقريزى فإنه كان حليم الطبع واقتصر من النساء على زوجته التى قدمت معه وهذا كان من أوجه الزهد فى تلك الايام كما كان يحب العلم واهله والاحسان بماله وجاهه فضلاً عن أنه كما قال المقريزى لم يستخدم مملوكاً امرد البته وكان المماليك المرد فى ذلك الوقت محلاً للشبهات والشذوذ الاخلاقى.

شارع الصليبة نظراً لقربه من القلعة مقر الحكم بنى به المماليك اسطبلا للخيول السلطانية ولكن عندما تولى السلطنة العادل كتبغا خاف على نفسه من الخروج الى الميدان الظاهرى الذى كان بموقع ميدان التحرير والجزء الشمالى من جاردن سيتى وذلك بسبب علمه باستفحال مؤامرات المماليك على حياته فأخرج الخيول من اسطبل الشارع وحوله إلى ميدان الالعاب الفروسية بعيدًا عن غدر المماليك.

الأمير المملوكى لاجين شيد بالشارع جامعا باسمه يجرى ترميمه الآن وبجواره بنى الامير عليم الدين سنجر وتبعهما بدأ الناس فى البناء فعرفت المنطقة بخط الخازن وانشئت فيها الدور الجليلة وصارت من أجمل وافخر المناطق فاكثر سكانها كانوا من الامراء المماليك ومؤسسها علم الدين سنجر كان من اخلص رجال السلطان المنصور قلاوون وابنه الناصر وصار خازنا فى ايام ابنه الاشرف خليل ثم ولى الدواوين ومدينة القاهرة وباشر تلك المهمة الكبيرة بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ولكن يبدو أن ذلك لم يعجب الناصر محمد بن قلاوون

فأقاله وعين بدلا منه الامير قدادار الذى كان ظالماً غشوما وعانى أهل الشارع والقاهرة من شدته وعسفه .

الناصر بن قلاوون أنشا بأرض الشارع مكان ميدان العادل كتبغا قصراً للامير بكتمر الساقى صرف عليه اموالا طائلة وفيه تزوج بكتمر اخت الناصر ، كما زوج ابنته لانوك ابن الناصر غير ان تلك المصاهرات السعيدة لم توطد الامان بينهما كما هو متوقع فعندما حج بكتمر وابنه أحمد مع خال اولاده ، وضع لهما الناصر الخال السم فى طريق العودة من الحج فماتا فى الحال لمجرد ان جواسيسه اوهموه بأن بكتمر وولده " ابن اخته " يتأمرون لخلعه .

قصر بكتمر كان من أعظم مساكن القاهرة وأجلها قدراً وأحسنها بنيانًا وخصصه السلاطين المماليك للامراء المقربين ولكن سنة ٨١٧ هـ استغل حفيد بكتمر انشغال السلطان المؤيد شيخ بفتنه الامير توروز فى الشام وداهم القصر وخلع رخامه النادر وشبابيكه المعشقة بالزجاج الملون وباعها مما مهد لدماره نهائياً ومكانه بنى الامير صالح بك القاسمى داراً عام ١٧٢١ هـ، ولكن لم يهنأ بالعيش بها الا قليلا فقد داهمه خصومه وقطعوا راسه بين اركانها عام ١١٨٢ هـ وبعده صارت عرضه لعوادى الزمن ووكرا للصوص حتى حولها محمد على باشا الى ورشة لصناعة الاسلحة والكيماويات وفى عهد عباس حلمى الاول تعطلت هذه الورشة وحل مكانها مستشفى الامراض التناسلية الذى كان يكشف فيه اسبوعياً على البغايا عندما كان يزاولن مهنة الدعارة بتصريح رسمى من الحكومة وذلك حفاظا على صحة من يغشاهن.

دار ارغون الكاملى بالشارع كانت بالقرب من المستشفى وهو الامير سيف الدين راغون الذى تبناه الصالح إسماعيل بن الناصر محمد وزوجه اخته لأمه، ثم عينه الناصر حسن فى سلطته الاولى نائباً لحلب ولكنه كعادة معظم امراء المماليك لم يحفظ للناصر عهده وبمجرد ان انقلب عليه المماليك وعينوا بدلا منه السلطان الصالح صالح تقرب من السلطان الجديد فجعله نائباً لدمشق لذلك فإن الناصر حسن عندما عاد للسلطة مرة اخرى استدعاه لمصر واعتقله فى الاسكندرية ثم نفاه الى القدس وتركه هناك حتى مات سنة ٧٥٨ هـ .



الحوض المرصود كان بالقرب من الشارع وكان عبارة عن حوض من الصوان الاسود داخل فجوة حفرت فى باطن الارض على مقاسه وكان مخصصاً للشرب ، وعندما دخل الفرنسيون مصر اقتلعوه من باطن الارض وأرسلوه الى باريس ولكن فى عرض البحر استولى عليه الجيش الانجليزى وهو الان بمتحف لندن ، وبهذا الخلع القاسى انهى الفرنسيون اسطورته فقد ذكر الجبرتى أن اهالى القاهرة كانوا يظنون أنه اقيم على كنز كبير ودلل على ذلك بأنه فى عام ١٢٠١ طلب حسن باشا القبطان الذى اوفده السلطان العثمانى لاخماد فتن المماليك موضعاً ليعمله حنفية خاصة به فأشار عليه مساعدوه بالحوض المرصود فأمر بإحضاره ولكن بمجرد ان بدأ العمال فى التنفيذ تجمهر الرجال والنساء حولهم ليروا الكنز الذى طالما اشتاقوا اليه وكذلك العجائب والاساطير التى طالما روجوها حول الحوض فما كان من الباشا الا ان امر بتركه مكانه غير ان ذلك لم يزد اهالى الشارع والمنطقة الا ايماناً بأساطير وكنوز الحوض المرصود .

الصليبية اسم عام يطلق على ممر طويل يتكون من أربعة شوارع متصلة الاول من ناحية القلعة يعرف باسم شيخو أو شيخون وهو يبدأ من ميدان صلاح الدين ويتقاطع من شارع الركيبه وشارع السيوفية عند سبيل ام عباس قبل ان ينتهى امام الجزء الثانى وهو يحمل اسم الصليبة وهو عبارة عن مطلع شاق ومرهق للمشاه ثم يبدا الجزء الثالث وهو شارع الخضيرى الذى ينتهى عند خانقاه " خلوة الصوفية " التى انشأها الامير علم الدين سنجر ليبدأ الجزء الاخير وهو شارع عبد الحميد اللبان «هراسينا سابقا» الذى ينتهى تحت أقدام دراويش السيدة زينب .

الصليبة يزخر بالآثار التى تنتمى إلى معظم العهود التى مرت على مصر منذ القرن الثانى للفتح الإسلامى فداخله جامع أحمد ابن طولون الأثر الوحيد الباقى من مدينة القطائع العاصمة الإسلامية الثالثة لمصر ، وارضه متوجه بشرفات قلعة صلاح الدين الحصينة ووسطه تقريباً السبيل الفخم الذى بنته ام عباس باشا فى عهد الاسرة العلوية ، أما المنشآت المملوكية فهى كثيرة جدًا بالشارع فقد كان فى عهدهم أهم شوارع القاهرة وأكثرها ازدحاماً وكان مخصصاً لتنفيذ

الأحكام وتجريس المجرمين والأمراء المتآمرين ومن ابرز المنشآت المملوكية الباقية فيه فى الشارع حتى ألان مسجد وخانقاه الأمير شيخو الذى كان مملوكاً جركسيا واحتل مكانه عالية فى عهد السلطان الناصر قلاوون كما كان من كبار رجال الحكم فى عهد السلطان حسن وكعادة أمراء المماليك لقى مصرعه على أيدى أحد خصومه على مشارف الشارع أثناء انعقاد أحد الاجتماعات السلطانية بالقلعة وترك مجموعته الأثرية التى اقتطعت جزءًا مهماً من أرض الشارع وكرست مكانته التاريخية التى امتدت عبر اثنى عشر قرناً .

* * *

شارع مارجرجس

شارع مارجرجس أشبه بمزار دينى سياحى، صفحة تاريخية ارتبطت بجوهر الحضارة الإنسانية فبدت أقوى من عوامل التغيير البشرية والجغرافية، بل إن مرور الزمن يزيدها حضورًا ورسوخًا ونصاعة. الشارع ضيق إلى حد ما، وغير مزعج بالمرة بالنسبة لشرطة المرور، هو فقط النقطة المقدسة لملايين البشر الذين يفدون إليه من كافة بقاع الأرض لأغراض متباينة، البعض يكتفى بالتجول فى رحاب قلاعه الأثرية الدينية والبعض يتبرك بها، والبعض يأخذ من ترابه وأحجاره سفينة للإبحار فى أعماق التاريخ المصرى ومؤسساته ومبانيه عبارة عن مجمع للأديان، وسكانه الدائمون خدم له وأدلة ومساعدون ومستقبلون لضيوفه بالهدايا والتحف.

مارجرجس يبدأ من مشارف جامع عمرو بن العاص الذى يجرى ترميمه منذ فترة طويلة، وينتهى عند أطلال حصن بابليون، وبين النقطتين تاريخ طويل وأحداث عظيمة هى مكمن تفرد الشارع، وريادته لشوارع القاهرة الكبرى على الإطلاق، فالحصن هو آخر قلاع الرومان فى مصر، والجامع هو أول المنشآت الإسلامية فى إفريقيا، وبينهما سلم القائد الرومانى مفاتيح مصر للقائد العربى الإسلامى، ومع مراسم التسليم بدأت أبجديات العربية لغة وحضارة وأسلوب حياة على أرض وادى النيل، وانتقلت مصر من ولاية رومانية مهملة ومستغلة إلى درة ثمينة فى تاج الدولة الإسلامية الوليدة، وحولهما رفع الستار عن الفسطاط كأول حضارة إسلامية فى مصر وإفريقيا، كما أن الفسطاط التى مازال الشارع يتنسم روائحها كانت حجر الأساس أو الحركة الأولى فى لحن القاهرة الكبرى

التى تعد الآن من أكبر مدن العالم من حيث عراقة التاريخ والاتساع وعدد السكان، فقد بنيت الفسطاط لتكون مدينة صغيرة للعسكر وبعد قرابة مائة عام توسعت وظهرت على مشارفها ضاحية جديدة أو مدينة صغيرة هى القطائع التى بناها أول حاكم مسلم يعلن استقلال مصر وهو أحمد بن طولون، ثم ما لبثت هذه المدن الثلاث أن أصبحت من الناحية العملية مدينة تجارية واحدة هى الفسطاط أو مصر الفسطاط كما كان يسميها الناس.

أما الخطوة الرابعة فى تطور الفسطاط فتتلخص فى إتساع آخر نحو الشمال الشرقى، ترك مساحة كبيرة بينه وبين القطائع أو ضاحية أحمد بن طولون التى كانت قد تهدمت إلى حد كبير، حتى يتوفر الأمن والعزلة للخلفاء الذين كان ينظر إليهم أنصارهم نظرة التقديس والاحترام، وكان هذا الاتساع الذى بالغ فى البعد عبارة عن مدينة القاهرة الأولى أو الفاطمية، غير أنها فى بدايتها لم تكن الحاضرة التجارية بل كانت بمثابة قصر فخم وثكنات للجنود ومقر للحكومة، بينما كانت الفسطاط حول الشارع سوقًا للتجارة وأكبر مدينة للثقافة والأعمال، ومما يدلل على ذلك أن العديد من مؤرخى القرون الوسطى حينما كتبوا عن مصر «المدينة أو الحاضرة» لم يشيروا إلى القاهرة ولكن إلى الفسطاط أو «مصر الفسطاط» فبينما كان الأمير أو الخليفة أو السلطان يختار أية ضاحية يبنيها لنفسه ويحكم منها مثل العسكر أو القطائع أو حتى القاهرة الأولى، ظلت الفسطاط الحاضرة التجارية وأهم المدن، ففى جامعها العتيق الذى يقع على مشارف الشارع كان القضاة يصدرون أحكامهم، وفيها كانت تضرب نقود الدولة، وفيها أقام عامة الشعب الذين لم يكن لهم اتصال بالقصر، لذلك فإن القاهرة لم تصبح عاصمة مصر بالمعنى الحرفى للكلمة إلا بعد أن أحرقت الفسطاط.

بدأت قصة الفسطاط والتاريخ العربى الإسلامى للشارع والمنطقة المحيطة بدخول جيش الفتح العربى بقيادة عمرو بن العاص، كان قوام الجيش لا يزيد على أربعة آلاف مقاتل، وبعد أن حاصر الفرما وبلبيس وقاتل الرومان فى حى أم دنين الذى كان بالقرب من قصر عابدين الحالى هاجم حصن بابليون الرومانى فى نهاية الشارع، وكان هذا الحصن أحد امتدادات مدينة ممفيس أو العاصمة

المصرية القديمة التى كانت لاتزال قائمة حتى ذلك الوقت، ولكن فى شكل أطلال منهارة، وكانت تبعد عن موقع القاهرة الفاطمية باثنى عشر ميلاً تقريبًا، ودافع الرومان عن حصن بابليون دفاعًا شديدًا لدرجة أن العديد من المؤرخين ومنهم الأسقف يوحنا يقطعون بالقول بأن العرب لم يلقوا فى فتح مصر أية مقاومة إلا حينما حاولوا الاستيلاء على الحصن الذى كان بمثابة القلعة الأخيرة للمحتل، واضطر عمرو بن العاص إلى طلب المدد حتى بلغ جيشه اثنى عشر ألفًا قبل أن يتمكن من فتحه.

فتح حصن بابليون الذى يتوج نهاية شارع مار جرجس الذى انترع مصر من براثن الاحتلال الرومانى، وتمخض عن معاهدة الصلح التى أبرمها عمرو بن العاص وشهد عليها الزبير بن العوام وولداه عبد الله ومحمد وبمقتضاها ضمن أهل مصر حرية الدين وسلامة أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأرضهم ومائهم.

استسلام حصن بابليون بغض النظر عن الحصار العسكرى ارتبط بالمقوقس حاكم مصر، لدرجة أن العديد من المؤرخين يؤكدون أن المقوقس هو الذى اقترح معاهدة الصلح التى أبرمها عمرو بن العاص، وعندما رفضها الإمبراطور هرقل البيزنطى تمسك المقوقس بكلمته وانضم إلى صف العرب الفاتحين الذين كان لشجاعتهم وحماستهم أثر بالغ فى نفسه، ومما يروى فى هذا السياق أنه عندما عاد الرسل الذين أرسلهم إلى معسكر المسلمين أثناء الحصار سألهم عن حالهم فأجابوا رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، لا يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم، وفى ذلك الوقت كان المصريون يعانون ظلم واضطهاد وفساد الإمبراطورية الرومانية، أضف إلى ذلك اضطهاد الكنيسة الأرثوذكسية لهم، ومما يدلل على ذلك رمى الأساقفة المصريين بالإلحاد، وأصبح الانقسام لا مفر منه، ومن ثم أصبح منذ ذلك الحين فى مصر كنيستان الأولى كنيسة الدولة أو المحتل «مذهب الروم

الأرثوذكس» وتؤيدها القسطنطينية ويطلق عليها الكنيسة الملكية، والثانية الكنيسة القومية وقد أطلق عليها فيما بعد اليعقوبية وتعرف عادة بالكنيسة القبطية، وأدى تمسك الأقباط بعقيدتهم إلى وقوعهم فى براثن الاضطهاد والتعذيب والعزلة، لذلك وجدوا فى الفاتحين إنقاذًا لهم فارتموا فى أحضانهم فارين من نير المستعمر الرومانى، وعملوا بنصيحة بطريقهم الذى كان منفيًا ومدوا يد المساعدة للعرب منذ اللحظة التى وطئت أقدامهم فيها أرض مصر، وبعد معاهدة الصلح عمل الأقباط مع الفاتحين وكانوا يعاونونهم معاونة صادقة فى بناء الجسور ومدوهم بكل ما يحتاجون إليه فى بناء مصر الإسلامية.

اليمـــامة

بعد فتح حصن بابليون خرج عمرو بن العاص من أرض الشارع لفتح الدلتا ثم الإسكندرية التى سرعان ما استسلمت لشروطه وبمجرد أن عاد منها ظافرًا إلى أرض الشارع بدأ تأسيس مدينة الفسطاط، لأن ميناء الإسكندرية الذى كان العاصمة الرومانية لمصر لم يكن مناسبًا لاحتضان حاضرة للقبائل العربية التى أدت طبيعتها البدوية إلى الابتعاد عن البحر، فضلاً عن أن الإسكندرية كانت معرضة فى موسم فيضان النيل لأن تصبح فى عزلة عن باقى أراضى مصر، كما أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحرص على الاتصال الدائم بالجيش الإسلامى فى مصر، لذلك عندما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ من الإسكندرية عاصمة لمصر الإسلامية وأرسل لأمير المؤمنين يستأذنه سأل عمر بن الخطاب رسول عمرو «هل يحول بينى وبين المسلمين ماء؟» فقال الرسول «نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل» فأصدر أمره إلى عمرو بن العاص بأن يترك الإسكندرية ويتخذ موقعًا أكثر توسطًا، فعاد ابن العاص إلى أرض شارع مار جرجس وبدأ تأسيس الفسطاط أمام حصن بابليون.

ومما يروى عن سبب تسمية مدينة الفسطاط بهذا الاسم أن عمرو بن العاص حينما قاد قواته إلى حصن بابليون أقام فسطاطه حول المكان الذى يقع فيه جامعه الآن، وبعد سقوط الحصن بدأ استعداداته للرحيل إلى الإسكندرية، غير

أن الجند عندما ذهبوا ليقوضوا فسطاطه وجدوا يمامة قد باضت فى أعلاه فقال عمرو «لقد تحرمت بجوارنا» وأمرهم بأن يبقوا الفسطاط حتى تطير فراخها، وبعد فتح الإسكندرية والعودة إلى مشارف شارع مار جرجس أخذ الجند يختطون منازلهم حول هذا الفسطاط، وهكذا ظهرت أولى المدن العربية فى مصر، وكان الفضاء يمتد بين النيل وجبل المقطم حيث تقوم قلعة صلاح الدين الأيوبى حاليًا، فلم يكن هناك سوى بعض المزارع، كما لم يكن من المبانى سوى بعض الكنائس التى مازالت باقية فى أرض الشارع حتى هذه اللحظة بجوار حصن بابليون أو باب آليون الذى كان يسميه العرب «قصر الشمع» وهو الاسم القديم للشارع قبل مارجرجس، وكان هذا القصر كما يقول المقريزى «يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر» فى قلب الفسطاط اختط عمرو بن العاص داره، وبجوارها بنى أقدم جامع أقيم فى مصر وهو جامع الفتح» وتاج الجوامع كما وصفه المصريون لحظة تشييده، غير أنه ما لبث أن أطلق عليه اسم الجامع العتيق، ثم جامع عمرو الذى مازال يتوج المنطقة حتى الآن.

جامع عمرو فى البداية كان عبارة عن غرفة مسطحة مستطيلة جدًا وقد بنى من الأحجار، وكان سقفه منخفضًا جدًا أقيم على أعمدة وتخللته بعض الثقوب لدخول الضوء، ولم تكن به مئذنة أو مقصورة للصلاة، وحتى المنبر الذى اتخذه عمرو بن العاص سرعان ما أزاله بيديه حيث كتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوبخه «أما بحسبك أن تقوم قائمًا والمسلمون جلوس عند عقبيك؟»

بعد إتمام الجامع أذن عمرو بن العاص للقبائل العربية بأن تختط حوله منازلها وعهد بتنظيم ذلك إلى معاوية بن خديج، وكانت كل قبيلة منعزلة عن غيرها، وامتدت الخطط من نهر النيل فى الغرب حتى عين الصيرة فى الشرق ومن جبل يشكر فى الشمال حتى اسطبل عنتر فى الجنوب، كما التصقت الخطط بالجامع وقصر الشمع الذى كان يطلق اسمه على الشارع إلى فترة قريبة.

وقيل إن أول من بنى غرفة بالفسطاط هو خارجة بن خذافة، وعندما بلغ عمر بن الخطاب أمرها، كتب إلى عمرو يقول «ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرًا وأقم عليه رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير فإن اطلع من كوتها على عورات جيرانه فاهدمها»؟ ففعل ذلك عمرو ولكن لحسن الحظ وجدها غير ضارة فأقرها، وأخذت البيوت تتسع حول الحصن والجامع وأرض الشارع، كما أخذت عمارة المدينة الوليدة تزدهر وتتطاول حتى فاقت مدينتى البصرة والكوفة.

لكن فى تاريخ الفسطاط وشارع مار جرجس نقطة فاصلة فقد تحولت معظم منشآتها إلى رماد نتيجة للحريق الهائل الذى جاء بفعل فاعل، وذلك عندما غزا عمورى ملك بيت المقدس الديار المصرية، فلما عجز القائد الفاطمى شاور عن الدفاع عن الفسطاط أمر بإخلائها وحرقها؟ يقول المقريزى «بعث شاور إلى مصر يقصد الفسطاط» بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرغت فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظرًا مهولاً». واستمرت النار تأتى على مساكن مصر «الفسطاط» أربعة وخمسين يومًا، غير أنه بعدحوالى ثلاث سنوات فقط أعاد صلاح الدين الأيوبى الحياة مرة أخرى إلى الفسطاط وجمعها بالقاهرة فى سور واحد، وجدد جامعها العتيق وأعاد إليها نشاطها التجارى.

يبدأ شارع مارجرجس من نهاية شارع حسن الأنور وروائح جامع بن العاص بمبنى جمع الأديان، الذى يحافظ على طراز العمارة القديمة، وهو عبارة عن مركز تجارى حيث تم ترميم البيوت القديمة التى تواجه المنشآت الدينية فى الشارع بشكل يتناسب مع قداسة المكان وعراقته.

* * *



شارع مجرى العيون

شارع مجرى العيون بالقاهرة يبدأ من الشاطئ الشرقى لنهر النيل بميدان فم الخليج وينتهى تحت صخور جبل المقطم بامتداد شارع صلاح سالم، وبداية تأسيسه وتعميره تعود إلى أفكار وجهود مهندسى وعمال حكومة السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون، وهو فى الأصل لم يكن شارعًا لسكن الناس ومرورهم ولكنه كان مكانًا خاليًا يكاد يتوسط المسافة الفاصلة بين مصر القديمة حيث فسطاط عمرو بن العاص والقاهرة الفاطمية حيث قصور الفاطميين. وقد رأى مهندسو السلطان الناصر أنه صالح لتنفيذ مشروع مائى كبير ومبتكر بل ومعجز - حتى بمقاييس اليوم - لرفع ونقل الماء من منخفض نهر النيل غرب الشارع إلى مرتفع قلعة صلاح الدين الأيوبى شمال شرق الشارع، فمنذ بناء القلعة على سفح جبل المقطم وتحويلها إلى مقر حكم مصر وهاجس مدها بالماء العذب طوال العام يقض مضجع الملوك والسلاطين.

وفى البداية ووفقًا لطبيعته العسكرية الحذرة من هجوم العدو فى أية لحظة حفر صلاح الدين الأيوبى بأرض القلعة بئرًا عرفت باسم «بئر يوسف» ونسبها العامة إلى يوسف عليه السلام، ولكن ماءها لم يكن كافيًا وظل سكان القلعة حائرين ومهددين بالعطش حتى أنقذهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمشروع مائى يعد من الأعاجيب حتى هذه اللحظة، فقد اختار المهندسون أرض الشارع، وأنشأوا من أوله إلى آخره سورًا ضخمًا يحمل قناة صغيرة وقناطر على هيئة عيون ولكى يحلوا مشكلة الفرق بين انخفاض مستوى المياه فى نهر النيل وارتفاع أرض القلعة جعلوا السور بقناته وقناطره مرتفعًا عند فم الخليج فى

بداية الشارع ثم منخفضًا ومرتفعًا حسب ارتفاع وانخفاض أرض الشارع التى كان يعبرها حاملاً القناة والقناطر.

وعند بداية السور فى فم الخليج حفروا بئرًا كانت تنزل إليه الجمال والأبقار والبغال لتدير السواقى التى كانت تسحب المياه من نهر النيل إلى القناطر التى تنقل الماء إلى القناة وفيها كان الماء يتدفق حتى يصل إلى القلعة.

السلطان الناصر محمد مؤسس سور وشارع مجرى العيون هو الابن الأصغر للسلطان قلاوون وقد تولى حكم مصر عام ١٢٩٣ وهو فى السابعة من عمره، وبمجرد أن تسلطن انقلب عليه الأمير كتبغا وأقصاه عن كرسى العرش ثم نفاه وأعلن نفسه سلطانًا على البلاد، غير أن الأمراء لم يرضوا به ونحوه ونصبوا مكانه الأمير حسام الدين لاجين حاكم سوريا وكان صهرًا للناصرالمخلوع وبعد عامين من الحكم تم اغتيال لاجين بواسطة أحد حراسه وحل محله سيف الدين تادجى الذى تم اغتياله بواسطة مماليكه أيضًا فى اليوم التالى لتوليه وهنا تم استدعاء السلطان الناصر محمد من منفاه ليتولى عرش والده مرة أخرى.

السلطان الناصر محمد مؤسس الشارع والسور كان يعانى عدم الاتساق فى تكوينه الجسمى فقد كان قصير القامة ذا ساق عرجاء وسحابة على العين، غير أنه حكم مصر واحدًا وثلاثين عامًا وهى فترة طويلة بمقاييس حكم المماليك حيث كان الاغتيال والنفى والاستبعاد قانونًا معتمدًا، وطول فترته يرجع - كما أكد العديد من المؤرخين - إلى قوة شخصية الناصر وصلابة إرادته وإتقاد ذهنه وحذق سياساته التى جعلته واحدًا من أبرز سلاطين العصور الوسطى كما جعلت مبانيه ومنشآته الذروة التى وصلت فيها العمارة المصرية الإسلامية إلى أقصى مراحل الرقى، وبخلاف سور مجرى العيون الذى يقطع أرض الشارع من أوله إلى آخره أكمل السلطان الناصر محمد الأعمال المعمارية التى بدأها قبله السلطان بيبرس ووالده السلطان قلاوون، ولكى يأمن جانب التتار الذين كانوا يغيرون على بقايا مملكته فى الشام عقد محالفة مع القبيلة الذهبية التى كانت تتوارث حكم التتار كما تزوج إحدى بنات هذه القبيلة وهى الأميرة «طلبية» التى لا تزال مقبرتها موجودة حتى الآن بالقرب من نهاية الشارع.

وكان الناصر مزارعًا ومربيًا ورياضيًا ومهتمًا باقتناء الخيول الأصيلة ومما يروى عنه فى هذا المجال أنه كان يدفع أربعة آلاف دينار ثمنًا للحصان الواحد إذا أعجبه كما كان لديه سجل خاص بالخيول وكان متخصصًا فى معرفة أصل الخيول وأعمارها وأثمانها ولديه ثلاثة آلاف رأس غنم بعضها مستورد من الخارج.

ورغم أن عصر السلطان الناصر نعم بالاستقرار فى مجمله إلا أنه شهد فتنة طائفية كبيرة فبعد ما تسبب عمال الناصر فى زلزلة أركان كنيسة «الزهرى» أثناء حفر البركة التى حملت اسمه وكانت تقع غرب ميدان باب اللوق الحالى انطلقت نيران الفتنة ونهبت وخربت العديد من الكنائس كما أحرق العديد من المساجد ووصفها المؤرخ ستانلى لينبول قائلاً: أخذت تشتعل فى مصر «القاهرة» نيران لم يعرف فى البداية سبب اندلاعها وبدأت ألسنة النيران تندلع فى كل مكان وكانت الرياح العاتية تساعد على انتشار اللهب هنا وهناك وأخذ الناس يصعدون إلى المآذن ويضرعون إلى الله ظنًا منهم أن المدينة بأسرها سوف تلتهمها النيران وكان هناك صراخ وعويل يصحبان تلف المنازل والأمتعة، ولقد بذل رجال الناصر كل ما فى وسعهم لإخماد النار وأحضروا جميع سقائى القاهرة كما كان أربعة وعشرون من أنبل الأمراء يعملون على رأس صفوف الرجال الذين كانت مهمتهم تحويل المياه من الحمامات والأحواض وهدم بعض المنازل لإفساح المكان حول المبانى المحترقة.

وأثناء الحريق الذى شمل معظم أحياء القاهرة بذل الناصر أقصى ما فى وسعه لتهدئة الفتنة وأصدر الأوامر إلى القوات بالتوجه إلى جميع أنحاء القاهرة لتفرقة الناس دون التعرض لهم وألقى القبض على حوالى مائتى رجل من مثيرى الفتنة من المسلمين والمسيحيين وقتلهم جميعًا.

وسور مجرى العيون بالشارع كان ومازال أعجب المشاريع المعمارية المائية ولكنه أهمل بعد وفاة مؤسسه السلطان الناصر وكاد يمحى نهائيًا من الوجود لولا أن السلطان الغورى آخر سلاطين المماليك انتبه إلى أهميته فى مد القلعة بالماء وأعاد بناءه مرة أخرى وجعله على شكل سداسى وفى داخله نفذ شكلاً سداسيًا

آخر بوسطه عمود وأحاط به ستة عقود ترتكز على أكتاف وخصص سلمًا لصعود الدواب التى كانت تدير السواقى التى ترفع الماء من النيل إلى القناة المحمولة فوق السور وهو نفس السور الذى تمتد بقاياه بالشارع حتى الآن، وفى أيام الحملة الفرنسية سدت أغلب الفتحات التى تقع بين الأكتاف الحاملة للعقود واستخدمه الفرنسيون سورًا يحتمون به ويحاصرون به المدخل الجنوبى لمدينة القاهرة.

سور مجرى العيون يبدأ امتداد الشارع من ناحية نهر النيل، وهو خصوصًا فى بدايته شاهق الارتفاع حتى بالمقاييس المعمارية المعاصرة، وحول بداية السور والشارع يتسع ميدان «فم الخليج» الذى شهد احتفالات وفاء نهر النيل التى بدأها وقدسها الفراعنة وظل الشعب المصرى وحكامه يحافظون عليها حتى بدايات القرن العشرين.

وبعد الميدان يصعد الشارع عبر كوبرى صغير فوق مترو الأنفاق، ومن فوق هذا الكوبرى يظهر على الجانبين بنايات قديمة بعضها يعود لبدايات تعمير القاهرة الحديثة، وتحت الكوبرى مباشرة هناك عدد من البيوت لا تختلف كثيرًا عن دواوين العمد والأعيان فى أرياف مصر، وبالقرب من أحدها تدير سيدة مسنة كشكًا صغيرًا لبيع السجائر، وشاب يصلح سيارات وسوق صغيرة للحمام، وشباب منهمكون فى إزالة القاذورات الفاصلة بين نهاية الكوبرى وسور مجرى العيون.

سور مجرى العيون يمتد من أول الشارع لآخره، وارتفاعه الذى أحيانًا يكون شاهقًا وأحيانًا يكون قصيرًا يرتبط بمستوى أرض الشارع، كما أنه مسنود بالأكتاف، وارتفاعه بعد الكوبرى يخفى منطقة سكنية مزدحمة بالورش.

وفى هذه المنطقة تمتد على الناحية الأخرى من الشارع مدافن اللاتين المسيحية داخل سور آخر يتميز باللون الأصفر ولكنه يبدو شديد التواضع أمام سور مجرى العيون، ثم تظهر واجهة مدرسة الصباح الإعدادية للبنات وبالقرب منها تمتد أشجار وملاعب حديقة مجرى العيون التى افتتحها د. عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة فى شهر يوليو ٢٠٠٢.

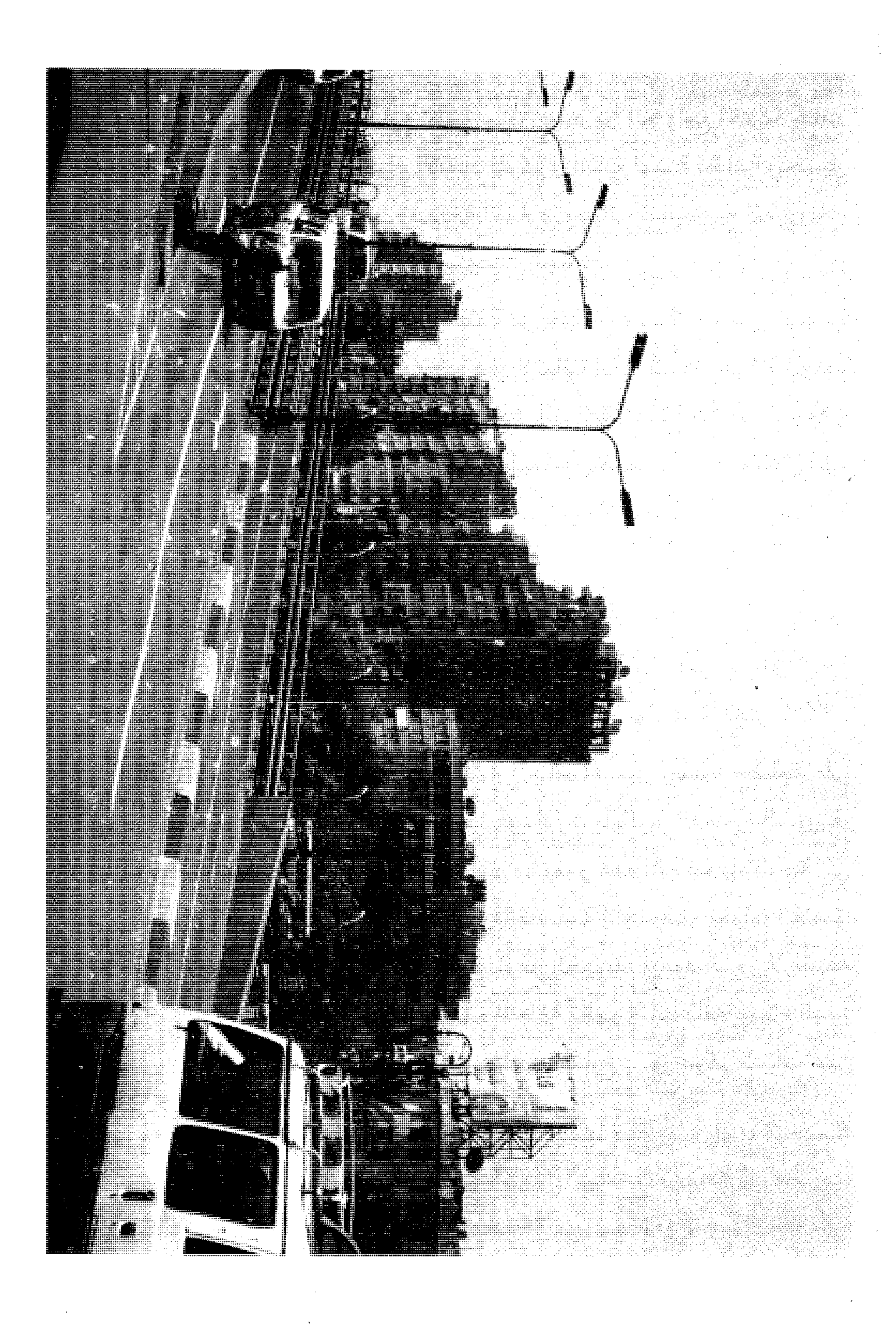
ومن قلب هذه المنطقة بالشارع تظهر مآذن عدد من الجوامع آخرها جامع السيدة زينب، وبعده يجاور جراج الإنقاذ المركزى التابع لهيئة نظافة وتجميل القاهرة حديقة عامة ومعرض ومدبغة السلام، وهناك شاب يبيع المشروبات المثلجة لرواد الشارع، ومحل كوشا للمصنوعات الجلدية.

وخلف سور مجرى العيون بهذه المنطقة من الشارع عدد كبير من المقاهى، والمركز الهندسى لخدمة السيارات، وفى هذه المنطقة أيضًا تتجاور مدابغ الجلود والأبراج الخشبية المتخصصة فى تجفيف مادة «الغراء اللاصقة للأخشاب»، وفى وسطها يتسع ميدان صغير تحتل ناصيته الهيئة العامة للتأمين الصحى فرع مستشفى المقطم، وهى داخل مبنى أنيق يتميز باللون الأخضر، وأمامه مباشرة يبدأ سور مجرى العيون الانخفاض.

جمعية ومؤسسة عيدالأم فرع زينهم تتوج ميدانًا آخر بالشارع، وبعدها تظهر مبانى جمعية الطفولة السعيدة فوق ربوة أشبه بغابة صغيرة، وهى تواجه بالشارع منطقة شبه عشوائية العمل الأساسى لسكانها هو دباغة الجلود.

النادى الاجتماعى الثقافى يجاور بالشارع جامعًا يتميز بمئذنة مضلعة على غرار العمارة الإسلامية التى امتزجت أو تأثرت بأسلوب العمارة الغربية، وبالقرب منه سيدة نوبية تبيع الزهور، وأهم ما يميز هذه المنطقة بالإضافة إلى سور مجرى العيون تلك الأبراج الخشبية المخصصة لتجفيف «الغراء» اللاصق للأخشاب، وبعدها يتسع الشارع لجمعية المرمر الخيرية، ويعود السور لارتفاعه الأول الذى يظهر على نهر النيل، ومن هذه المنطقة تظهر قباب قلعة صلاح الدين الأيوبى، وبعد مشهدها الفضى الشهير ينتهى الشارع بسور مركز شباب عين الصيرة.

* * *



شارع صلاح سالم

شارع صلاح سالم يمتد بطول عشرين كيلو مترًا ويقابل فى طريقه من مطار القاهرة الدولى إلى كورنيش النيل عند كوبرى الملك الصالح منشآت لا تعد ولا تحصى ومساكن بلا حصر يقيم فيها الأحياء أو يرقد فيها الأموات فهو شارع الحياة والموت والصخب والهدوء والثقافة والرياضة والدين وهو طريق الراحلين من مصر أو من الدنيا كلها وهو أيضًا طريق العائدين إلى الوطن والأهل بعد طول غياب.

وعندما شق الوزير السابق عبد اللطيف البغدادى الشارع بأمر الزعيم الراحل جمال عبدالناصر فى خمسينيات القرن الماضى كان يعرف باسم «الطريق الحربى» وكان يتجاوز نهر النيل ليواصل امتداده ويمر بمحافظات صعيد مصر.

وعبر امتداده الطويل جاور الشارع بين السهل والجبل والخضرة والصخور والمدن والقلاع القديمة والمنشآت الحديثة، كما جاور بين الأحياء والأموات فعلى أرضه خصوصًا عند جبل المقطم تتجاور المقابر والمنشآت السكنية، وامتداده من نهر النيل إلى المطار يمر بثلاث مراحل طويلة ومتسعة، الأولى تبدأ من نهر النيل وتشرف على جامع عمرو بن العاص وحصن بابليون وتشق أراضى مدينة الفسطاط القديمة قبل أن تصل إلى أبواب مدينة «كايرو لاند» التى تعد من أكبر مدن الملاهى فى مصر، وبعدها يستدير الشارع ويتجه شمالاً لتبدأ مرحلته الثانية التى توازى جبل المقطم وهى الأكثر حيوية وغرابة ففيها يمتزج الأموات والأحياء ويعيشون فى مكان واحد باطنه للأموات وظاهره للأحياء، وعلى حوافها

تتجاور أحياء عين الصيرة وقايتباى والسيدة عائشة والقلعة والمقطم والدراسة، وعليها أيضًا تمتد مساحة شاسعة من المقابر، كما يتجاور عدد كبير من المنشآت القديمة والحديثة لعل أبرزها قلعة صلاح الدين الأيوبى ومشيخة الأزهر الشريف ودار الإفتاء.

وهذه المرحلة من الشارع تنتهى بحديقة عامة تجاور حى العباسية وبعدها تبدأ المرحلة الثالثة ويتجه الشارع شرقًا حتى يصل مطار القاهرة الدولى وفى هذه المنطقة يخترق الشارع ضاحية مصر الجديدة، وهى فى الأصل كانت عبارة عن صحراء جرداء، أسسها البارون البلجيكى إدوارد إمبان وفق أرقى الأساليب المعمارية، فقد حصل من الحكومة المصرية على امتياز لإقامة ضاحية جديدة بهذه المنطقة.

وفى عام ١٩٠٦ أسس البارون هو وشريكه المصرى بوغوص نوبار باشا، ابن أول رئيس وزراء لمصر الحديثة، شركة لتنفيذ المشروع عرفت باسم مناسب تمامًا لحال المنطقة فى هذه الفترة وهو «واحات هليوبوليس» حين كانت عبارة عن سهل صحراوى فيه القليل من الواحات، وحسب خطة البارون اشترت شركته من الحكومة المصرية ممثلة فى وزارة الأشغال العمومية أراضى المنطقة بسعر بخس حتى بأسعار تلك الأيام فقد كان جنيهًا واحدًا للفدان.

ويعود تصميم هذه المرحلة من الشارع - وهى الأخيرة وتنتهى بالمطار - إلى المهندس المعمارى البلجيكى «أرنست جاسبار»، وقد اتبع فيه أسلوب المدن الحدائق الذى شاع فى أوروبا فى ذلك الوقت، وإليه تعود تلك الجزيرة التى تمتد وسط الشارع من مستشفى الأمراض النفسية حتى مطار القاهرة. ورغم أن المهندس جاسبار خطط لتقسيم هذه المنطقة إلى قسمين، واحد للأثرياء من الأجانب والأوروبيين وآخر للفقراء من المصريين فإن خطته ذهبت أدراج الرياح، وصار المصريون أغلبية بالشارع والمنطقة.

شركة البارون إمبان خططت شوارع المنطقة وباعتها بسعر ٤٠ قرشًا للمتر المربع وأقامت بالشارع عددًا من المنشآت أبرزها فندق «هليوبوليس بالاس» الذى

يتميز بالعمارة الإسلامية الفخمة والذى اغتصبته القوات الإنجليزية وحولته إلى مستشفى لجرحى جنودها فى الحرب العالمية الثانية، وفى عام ١٩٠٨ تحول الفندق إلى مقر للحكومة المركزية عقب إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وإلى هذا المقر يعود اسم «العروبة» الذى أطلق على هذا الجزء من الشارع. ومنذ بداية الثمانينيات صار هذا القصر المقر الرسمى لحكم مصر، وهو يجاور بالقرب من نهاية الشارع قصر البارون إمبان، المبنى وفق أسلوب العمارة الهندية ويعد ضمن أضخم منشآت هذه المنطقة التى تغلب عليها القصور والفيلات وفيه عاش البارون إمبان حتى توفى عام ١٩٢٩ ودفن فى الكاتدرائية اللاتينية التى تقع على بُعد خطوات من القصر.

البداية العمرانية للشارع تعود إلى ما قبل الفتح العربى الإسلامى لمصر فبالقرب من بدايته ناحية نهر النيل بنى الرومان حصن بابليون، وبالقرب منه أنشأ عمرو بن العاص بيته وجامعه وباقى مدينة الفسطاط أول عاصمة إسلامية فى مصر وإفريقيا، وعلى مشارف أرض الشارع أنشئت مدينة العسكر كما أنشأ أحمد بن طولون مدينة القطائع بما فيها قصره الذى بنى فى منطقة تقع الآن قلعة صلاح الدين الأيوبى، وقبل بناء هذه القلعة كان قصر ابن طولون يطل على أرض شارع صلاح سالم مباشرة.

أما بداية تحويل أرض الشارع، خصوصًا من ناحية المقطم إلى مقابر معظمها باق على حوافه حتى اليوم، فتعود إلى أوائل الفتح العربى الإسلامى لمصر فقد ذكر عدد من المؤرخين أن عمرو بن العاص بعد أن أتم فتح مصر تلقى عرضًا من المقوقس ـ الحاكم الرومانى على مصر لدى الفتح الإسلامى أن يبيعه سفح المقطم الذى يجاور الشارع من ناحية الشرق بسبعين ألف دينار، فعجب عمر بن العاص من الطلب ومن ضخامة المبلغ المعروض فقد كانت أرض الشارع وما جاورها عبارة عن أرض قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، ولكن تحت إلحاح المقوقس قال عمرو: اكتب إلى أمير المؤمنين، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر: سله «يقصد المقوقس» لم أعطاك به ما أعطاك «يقصد سفح المقطم» وهى لا تزرع ولا تنبسط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله عمرو، فقال المقوقس إنا لنجد

صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة، فكتب عمرو بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه «يقصد سفح المقطم» بشىء.. وقد كان، وأول من دفن فيها من المسلمين رجل يدعى عامر ويوم دفنه بها غضب المقوقس وتوجه إلى مجلس عمرو بن العاص وقال مستنكرًا: ما ذلك ولا على هذا ما عاهدتنا فمنحه عمرو قطعة أرض تمتد الآن بالقرب من بداية الشارع من ناحية نهر النيل.

«المقابر» تعد أبرز وأوسع منشآت الشارع خصوصًا فى قسمه الأوسط الذى يبدأ من مدينة «كايرو لاند» للملاهى وينتهى بمستشفى المجانين عبر عدد من الأحياء والمنشآت أبرزها القلعة ومشيخة الأزهر الشريف فهو يبدأ بالمقابر وينتهى إليها، وهى حسب وصف الروائى خيرى شلبى عبارة عن شرائح من أبنية غريبة تطل على شارع صلاح سالم مباشرة، وكانت تعرف إبان العصر الفاطمى باسم مقابر المجاورين، وفى قلبها حى يعرف باسم قايتباى وهو يمزج بين نكهة القاهرة الفاطمية والمملوكية والعثمانية فى طراز البيوت، ولولبية الحارات وضيق الشوارع وشكل المقاهى وأبواب الدكاكين الواطئة، ورائحة التاريخ المنبعثة من كل مكان.

وهذه المقابر يختلط فيها الآن الأموات بالأحياء اختلاطًا تامًا، فلا تستطيع التفرقة بين البيت السكنى والمدفن، ذلك أن البيت هو المدفن والمدفن هو البيت.

والغريب أن هذه المقابر كانت قديمًا عامرة بأماكن الأنس والطرب واللهو فقد قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى أن الناس كانوا يحبون هذا الموضع «يقصد مقابر الشارع» ويلزمونه لأجل من يحضر إليه من الرؤساء، وكان الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع وكذلك أكثر المساجد التى القرافة والجبل المقطم لأجل ما يحمل إليها من الصدقات ويعمل فيها من الحلاوات واللحومات.

وأضاف الشريف: وفى ليال كثيرة بت بقرافة الفسطاط وبها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى بها فيها القبة العالية العظيمة

المزخرفة ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى المقمرة، وفيها معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم.

والقرافة كانت تغطى معظم أراضى الشارع وتمتد من الدراسة نهاية شارع الأزهر حتى الفسطاط وجامع عمرو وكان بها فضلاً عن طالبى الصدقات وسهرات الطرب ميدان لسباق خيول الأمراء والجند وكان الناس يجتمعون بها للتفرج عليه، وكانت مسافة السباق تمتد من تربة الأمير بيدرا إلى باب القرافة، وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أخذ الأمراء يبنون فيها مقابرهم ومنهم الأمير يلبغا التركمانى والأمير طقتمر الدمشقى والأمير قوصون وغيرهم، وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب الناس فى سكنها.

صلاح سالم، صاحب الشارع الحالى، ولد فى مدينة سنكات التى تقع شرق السودان عام ١٩٢٠ حيث كان والده مصطفى يعمل موظفًا لدى الحكومة السودانية، وهناك أمضى طفولته وتعلم فى أحد الكتاتيب السودانية، وعاد مع والده إلى القاهرة وتلقى تعليمه الابتدائى، ثم التحق بمدرسة الإبراهيمية، وحصل على شهادة البكلوريا، ثم درس فى الكلية الحربية وتخرج فيها عام ١٩٤٠ وشارك فور تخرجه فى حرب فلسطين مع قوات الفدائيين بقيادة أحمد عبدالعزيز.

وعمل فى أركان حرب القيادة المصرية فى فلسطين، ومن أبرز أعماله فى تلك الفترة تطوعه بالاتصال بالقوات المصرية المحاصرة فى الفالوجا، وكانت مهمة خطيرة استطاع إتمامها مع زكريا محيى الدين بنجاح، وخلالها التقى جمال عبدالناصر لأول مرة وتعاهدا على العمل معًا.

وصلاح سالم كان من أركان تنظيم الضباط الأحرار وعضوًا فى لجنته التنظيمية وهو الذى عهد إليه - بعد نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ - بأن يكون مسئولاً عن القوات المسلحة مع عبدالحكيم عامر وكمال الدين حسين، واختص بقوات الجيش المصرى فى السودان.

وهناك أدى صلاح سالم دورًا بارزًا فى معالجة المشكلة السودانية، حيث اشترك فى التفاوض مع السودانيين حول تقرير المصير، وأدى دورًا مهمًا فى التوصل إلى توقيع اتفاق ١٢ فبراير ١٩٥٣ مع بريطانيا حول السودان واهتم بمعالجة الوضع فى جنوب السودان، حيث أقام علاقة مباشرة مع القبائل هناك وشاركهم أعيادهم ورقص معهم عاريًا حسب عاداتهم، وكان أول مسئول مصرى يسافر إلى جنوب السودان عام ١٩٥٤ لتحقيق المصالحة.

وتولى صلاح سالم وزارة الإرشاد القومى «الإعلام والثقافة» وشارك مع جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وعبداللطيف البغدادى ومحمود فوزى فى المفاوضات مع الإنجليز لتحقيق الاستقلال، ووقع اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤.

وبعد حلف بغداد «فبراير ١٩٥٥» أوفد لإجراء اتصالات سياسية مع المسئولين فى لبنان واليمن والعراق وسورية والسعودية غير أنه قدم استقالته عام ١٩٥٥ فقبلت، وعمل بعد تخليه عن مناصبه الرسمية فى المجال الصحافى، وسافر فى مهمة صحافية إلى موسكو فى نوفمبر ١٩٥٩ أعطته أهمية سياسية وتولى رئاسة مجلس إدارة دار التحرير للطباعة والنشر ورئاسة صحيفة «الجمهورية» عام ١٩٥٩، وفى بداية الستينيات تمكن منه مرض السرطان وتوفى يوم ١٨ فبراير عام ١٩٦٢، وحتى الآن يعتبر من أكثر سياسى مصر فوزًا بأسماء شوارع القاهرة والأقاليم.

شارع صلاح سالم قبل تأسيسه فى شكله الحالى كانت معظم أراضيه عبارة عن مقابر، ولدى تأسيسه فى خمسينيات القرن الماضى كان فى معظمه أشبه بقوس مرورى «اسمه الطريق الحربى» وتقع مرحلته الوسطى التى تجاور المقطم على حافة عمران القاهرة، وكان المرور فيه يعنى أنك غادرت العمران وأصبحت على حافة الجبل، كما أنه المكان الغامض والمخيف الذى جاء منه الأغراب أو الأعداء فى بعض روايات نجيب محفوظ وفيه سكن الجبلاوى بطل روايته «أولاد حارتنا»، وهو الآن يكاد يكون فى وسط العمران، وجبل المقطم الذى كان خاليًا ومخيفًا لدى تأسيسه أصبح الآن مزدحمًا بالدور والمنشآت والناس.

والشارع فى وضعه الراهن يبدأ من ناحية نهر النيل بنفق الملك الصالح آخر السلاطين الفاعلين فى الدولة الأيوبية، وسبب إطلاق اسمه على هذا النفق أنه اهتم بجزيرة الروضة القريبة وبدأ فيها بناء القصور والبساتين والملاعب وحاول أن يجعلها مقرًا لحكم مصر بدلاً من القلعة، ونقل إليها العديد من المماليك، الذين عرفوا بالمماليك البحرية نسبة لإقامتهم فى جزيرة الروضة، وأحدهم وهو الأمير بيبرس يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية.

مستشفى عمرو بن العاص يقع بعد نفق الملك الصالح مباشرة، ويمهد أرض الشارع للاقتراب من أهم مآثر عمرو بن العاص فى المنطقة وفى مصر كلها، حيث يتسع ميدان حسن الأنور الذى يمر عبر شارع يحمل نفس الاسم إلى جامع عمر بن العاص وقلب المنطقة التى أقام عليها عاصمته الفسطاط.

وفى هذا الميدان تتجاور العديد من المحلات والمقاهى منها حدايد أبو جاموس وكافتيريا أحمد مراد، كما يبلغ ازدحام الشارع أوجه بسبب اقتراب هذه المنطقة من مجمع الأديان وعدد من الآثار الإسلامية والقبطية.

مئذنة جامع الجمعية الشرعية تبدأ بالشارع بسورين قصيرين كل منهما يفضى إلى مساكن شعبية، وبعدهما تتسع حديقة يتوسطها مقام سيدى محمد عبود أبو المجد شقيق سيدى إبراهيم الدسوقى.

وبعد المقام والحديقة تظهر بالشارع واجهة جامع أبو السعود وهى تتقدم بالشارع حديقة واسعة، تجاور مركز ثابت مكى الاجتماعى، وأمامها مباشرة تبدأ أرض الشارع فى الارتفاع بشكل حاد ومفاجئ عندما تبدأ ربوة على قمتها بالضبط جامع د. حسن عباس الذى أسس بالشارع عام ١٩٨٩ ويضم مكتبة ومركزًا توثيقيًا، وبالقرب من مبنى رئاسة حى مصر القديمة الذى اختار تصميمًا يتناسب مع تاريخ المنطقة التى تضم أصل العمارة الإسلامية بمصر وإفريقيا وأهم ما يميزه قبته.

نافورة الماء التى تتوسط دائرة شديدة الاخضرار تجاور بالشارع مبنى أنيقًا تملكه الشركة العامة للمقاولات، وبعدها يتسع الشارع لعدد من الورش بعضها متخصص فى إنتاج المشغولات والتحف والتماثيل المصنوعة من الجبس.

ويمتد بالشارع سور مشتل عين الصيرة، ودار الهنا إحدى مؤسسات جمعية الطفولة السعيدة، ونقطة إطفاء عين الصيرة، ثم سور حديقة يواصل امتداده حتى يصل لمبنى أنيق ومتميز يتبع الصندوق الاجتماعى للتنمية.

وبعده الإدارة العامة لمرور القاهرة تتهيأ أرض الشارع لاستقبال حديقة الفسطاط التى تعد من أكبر منشآت الشارع بعد المقابر، وتقع فوق ربوة عالية، وتزدحم عادة أيام الجمع والعطلات الرسمية، وتجاور بالشارع وعلى الربوة أيضًا المركز الصحى الحضرى وجانبًا من النادى المصرى، وجميعها أقيمت حديثًا مكان أطلال مدينة الفسطاط القديمة، ثم يظهر بالشارع نادى الأبطال ومدينة «كايرو لاند» للملاهى ومن أمامها يستدير الشارع ويتجه شمالاً وسط مساحة شاسعة من المقابر التى تعتبر أهم ملامح مرحلته الثانية. وفيها يتجاوز عدد من الأحياء الشعبية منها «عين الصيرة» و«قايتباى» و«السيدة عائشة» كما يتسع الشارع لعدد من المنشآت أبرزها قلعة صلاح الدين الأيوبى، ومشيخة الأزهر الشريف، وفيها أيضًا يجتاز الشارع عددًا من الكبارى العلوية، كما أنه فى مساحات طويلة خصوصًا بعد القلعة يعود إليه طابعه القديم كطريق خال من المنشآت.

هذا القسم من الشارع ينتهى عبر المقابر بأسوار حديقة عامة وبعده يبدأ القسم الأخير،وهو الأكثر حداثة ورقيًا، وأول منشآته مستشفى الأمراض النفسية التى تتمتع بشهرة كبيرة بسبب اتساع صدرها لمن طارت عقولهم وقرروا التخلى نهائيًا عما يدور فى الحياة الدنيا. ثم تطل بالشارع لافتات وواجهات أرض المعارض التى تستقبل سنويًا المعرض الصناعى ومعرض القاهرة الدولى للكتاب.

وبعد أرض المعارض تظهر بالشارع مدرجات ستاد القاهرة الذى كان يعرف باسم ناصر، ويعد من حيث المساحة والسعة أكبر الملاعب الرياضية فى الشرق الأوسط.

ومع ظهور كوبرى الفنجرى يكون شارع صلاح سالم قد توغل تمامًا فى مصر الجديدة واتسعت الجزيرة الخضراء التى تمتد فى وسطه، ولعل أبرز منشآته فى هذه المنطقة «بانوراما حرب أكتوبر ١٩٧٣» وهى عبارة عن مبنى دائرى يناسب الأمجاد.

ومن الناحية الأخرى تطل بالشارع لافتة الفرعونية للتأمين وسط عمارات سكنية تواجه نافورة ماء تفضى إلى ستاد القاهرة ومسجد المصطفى وبعده يواصل الشارع امتداده ويمر تحت نفق قصير يرتج فوقه مترو مصر الجديدة، ويتجول وسط عدد من القصور أبرزها قصر العروبة والبارون ثم نادى الجلاء لضباط القوات المسلحة والكلية الحربية وفندق شيراتون هليوبوليس ووزارة الدفاع المدنى حتى يصل لنهايته عند مطار القاهرة الدولى.

* * *


المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شارع حسن الأنور

شارع حسن الأنور يقع فى مصر القديمة وسط منطقة ودعت قوات الاحتلال الرومانى واستقبلت حجر أساس العمارة الإسلامية فى مصر، وبين الوداع والاستقبال جرت على أرضه صراعات ومشاحنات وأحداث كثيرة ومؤثرة فى تاريخ مصر وربما العالم أجمع، حيث انطلقت الجيوش الإسلامية حتى وصلت إسبانيا وحدود فرنسا. وقبلها تحصن الرومانيون بقيادة المقوقس حاكم مصر من قبل إمبراطوريتهم بقلعة بابليون التى تقع على بعد خطوات من نهاية الشارع فى انتظار ضمان سلامتهم، بعد ما تأكدوا أنه لا قبل لهم بمحاربة العرب الفاتحين فى ظل انصراف أو حتى شماتة المصريين فيهم وتعاونهم مع الفاتح الجديد. وأثناء مشاحنات وصراعات الوداع والاستقبال راح العرب الفاتحون بقيادة عمروبن العاص يمسحون أرض الشارع حتى وضعوا أيديهم على الرقعة المناسبة لإقامة جامعهم ومدينتهم التى نقلوا إليها عاصمة البلاد من الإسكندرية.

غير أن شارع حسن الأنور فى وضعه الراهن على مستوى العمارة والسكان والرواد يبدو بعيدًا عن الصراعات والمشاحنات ويتمتع بنوع من السلام والمحبة والتسامح والاستقرار، فهو يبدأ بمجمع الأديان بمنشآته اليهودية والمسيحية والإسلامية ويمر من على أعتاب جامع عمرو بن العاص كما يجمع على جانبيه خصوصًا فى بدايته بين الأموات والأحياء، والأحياء معظمهم من رواد المقاهى وعمال الورش والمحال التجارية والأموات ينامون باطمئنان فى مدافن الطائفة المارونية والأرمن الكاثوليك التى تمتد على مساحة تكاد تصل إلى نصف الشارع

أما رواد الشارع فهم خليط من مختلف أجناس العالم ومعظمهم جاء للتبرك بمزاراته الدينية التى تمثل جميع الأديان السماوية.

وعلى الرغم من أن صراعات ومشاحنات وداع القوات الرومانية واستقبال جيش الفتح العربى لم تعمد إلى تخريب منشآت الشارع من الآثار المسيحية والرومانية، بل وأضافت إلى عمارته جامع عمرو بن العاص ومنزله، ثم بيوت من جاء معه من القبائل العربية، إلا أن الشارع شهد الأهوال ابتداء من نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية وحتى الدولة الفاطمية، فقد التهمته الحرائق وطاله التخريب المتعمد ثلاث مرات، الأولى عندما فر إليه مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية لينجو بنفسه من فتك قوات أبى العباس الهاشمى أول خلفاء الدولة العباسية، فبمجرد أن وصل إلى أرض الشارع أمر رجاله بإشعال النار فى مبانيه والمنطقة المحيطة ولاذ بالفرار ناحية جنوب مصر ظنًا منه أن الحريق سينجيه من ملاحقة القائد العباسى غير أنه لم ينجح سوى فى إحراق وتخريب مبانى الشارع، فقد لحق به العباسيون فى قرية أبى صير بالفيوم وقبضوا عليه ثم أطاحوا برأسه وطافوا به فى المدن الإسلامية ليتأكد الناس من أن سلطان الأمويين ذهب للأبد، وأن الخلافة الإسلامية انتقلت إلى البيت العباسى.

الحريق والتخريب الثانى الذى التهم الشارع والمنطقة وقع أثناء المجاعة التى وقعت فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى، فعندما حلت المجاعة بالبلاد تمرد الجند وساد الاضطراب واستقدم المستنصر حاكم الشام بدر الجمالى لمواجهة الأزمة التى كادت تطيح بعرش الفاطميين، وعندما جاء الجمالى اهتم بتحسين القاهرة وعمل على تخريب المنطقة التى يتوسطها الشارع حتى حولها إلى كيمان وخرائب. أما الحريق الثالث وهو أكثرها دمارًا فقد نفذه الوزير شاور أثناء خلافة العاضد الفاطمى عام ٥٦٥هـ، فعندما غزا عمورى ملك بيت المقدس الديار المصرية وعجز شاور عن الدفاع عنها أمر بإخلاء منطقة الفسطاط التى يتوسطها الشارع وحرقها حتى آخرها فى مشهد فظيع وصفه المقريزى قائلاً: «بعث شاور إلى مصر - يقصد الفسطاط - بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة

آلاف مشعل نار فرقت فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء، فصار منظرًا مهولاً واستمرت النار تأتى على مساكن الشارع أربعة وخمسين يومًا.

دار الإمارة كانت أول بناية إسلامية كبيرة يشهدها الشارع والمنطقة وأقامها عمرو بن العاص بعد جامعه مباشرة، وبعدها أمر معاوية بن خديج وآخرين بالإشراف على تخطيط الشارع ومدينة الفسطاط بشكل عام، فقسموها إلى قطع صغيرة ووزعوها على القبائل العربية المصاحبة لجيش الفتح العربى، ومن هنا ظهرت على حواف الشارع مناطق وتجمعات سكانية منها خطة أهل الراية، وخطة لخم، وخطة مهرة.. وغيرها. وقيل إن أول من بنى غرفة ذات طنفس فى المنطقة التى يتوسطها الشارع هو خارجة بن حذافة، وعندما بلغ عمر بن الخطاب أمرها كتب إلى عمرو بن العاص يقول: «ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرًا وأقم عليه رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير فإن اطلع من كوتها على عورات جيرانه فاهدمها» وبالفعل توجه عمرو بن العاص إلى الغرفة ولكنه لحسن الحظ وجدها غير ضارة بالجيران فتركها.

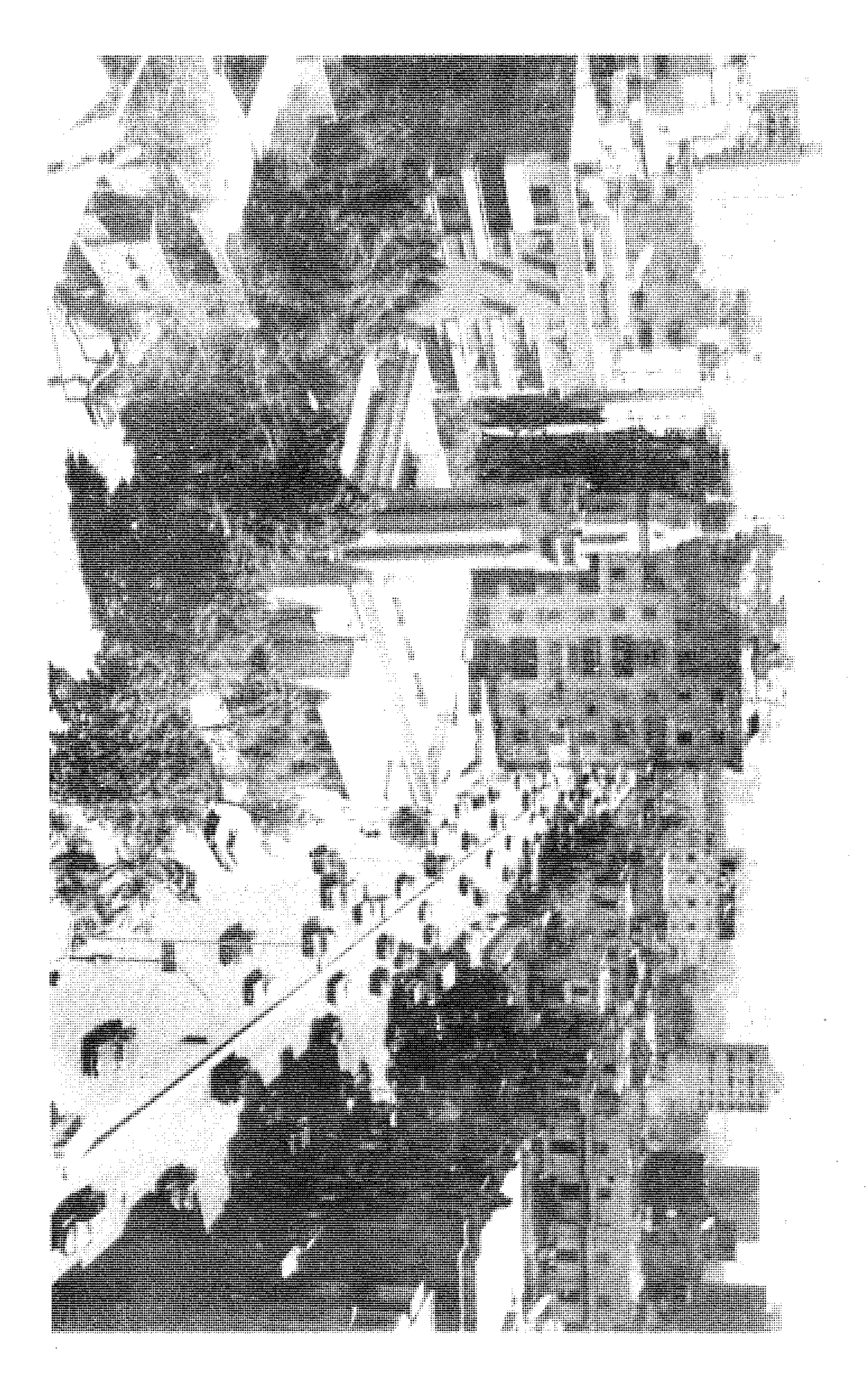
عمارة الشارع رغم الحرائق راحت تزداد وتتطاول أثناء حكم الأمويين والعباسيين، وفى عام ٤٣٩ هـ شاهدها الرحالة ناصر خسرو وقال إنها كانت تضم بيوتًا من أربع عشرة طبقة! والأغرب أنه قال إنه سمع من ثقات أن شخصًا من سكان الشارع غرس حديقة على سطح منزله بالشارع وكان من سبعة أدوار وحمل إليها عجلاً رباه فيها حتى كبر ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر وزرع على هذا السطح شجر الموز وغيره وقد أثمرت كلها، كما زرع فى حديقة السطح الورد والريحان ومختلف أنواع الزهور!!

وقال ناصر خسرو إن المنطقة التى يتوسطها الشارع الآن كانت بها دور كبيرة للإيجار «فنادق» ومساحة كل واحدة ثلاثون ذراعًا فى ثلاثين وتتسع لثلاثمائة وخمسين نزيلاً.

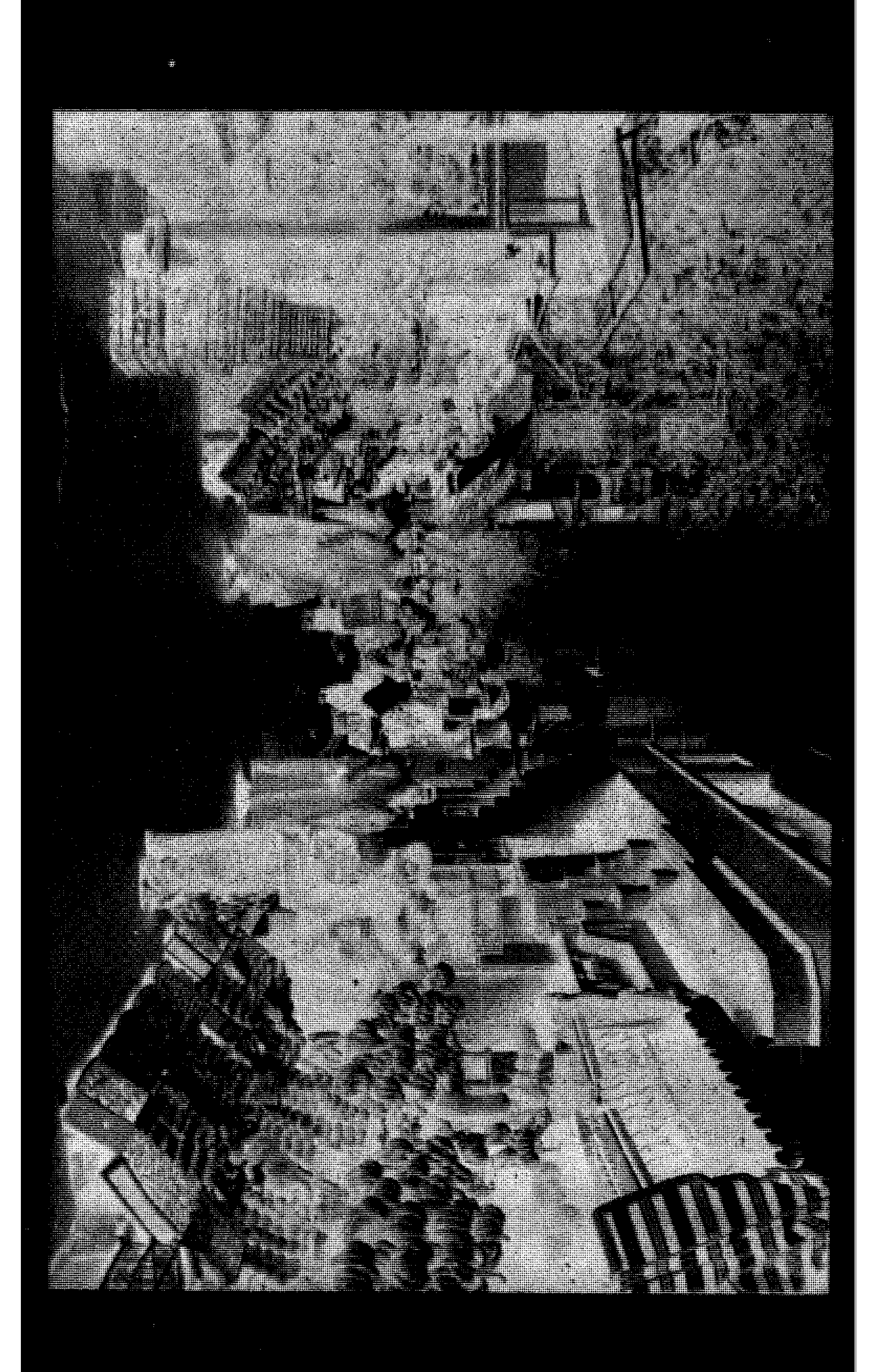
وفى عهد الدولة المملوكية دخل الشارع والمنطقة المحيطة به مرحلة سياسية أخرى فقد كان يشارك فى تنصيب الملوك والسلاطين ويمنحهم الشرعية، فقد

سكن على حافته الشيخ أبو السعود محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن المدينى الشافعى المعروف بالجارحى، وهو أحد كبار المتصوفة فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى، وكان الأمراء المماليك يلجئون إليه حين يختلفون فيمن يتولى السلطنة، وكان يولى من يجمعون عليه ويأمر باقى الأمراء بالقسم على المصحف بين يديه على الولاء والطاعة التامة للسلطان الجديد، وآخر مهامه فى هذا الشأن تمت بعد هزيمة المماليك أمام العثمانيين وقتل السلطان قنصوة الغورى فى مرج دابق فقد اتفق الأمراء المماليك على تولية طومان باى أمور السلطنة لكنه رفض فتوجهوا إلى زاوية الشيخ التى كانت تقع شمال الشارع وعقدوا اجتماعًا وعرض طومان باى أسباب رفضه تولى السلطنة وأهمها خوفه من أن يغدر الأمراء المماليك به ويخلفوه من السلطنة ويرسلوه إلى سجن الإسكندرية كما هى عادتهم. ولم يقبل طومان باى السلطنة إلا بعد أن أحضر الشيخ أبو السعود مصحفًا أقسم عليه كافة الأمراء على طاعة طومان باى والولاء له، كما أقسموا بطلب من الشيخ على رفع المظالم عن الشعب المصرى، وكان ذلك فى يوم الخميس الموافق الثالث عشر من رمضان سنة ٩٢٢هـ وتمت البيعة لطومان باى فى أرض الشارع بعد صلاة فجر اليوم التالى.

* * *



جــزر وامتــدادات



شارع المنيل

شارع المنيل هو تاج جزيرة الروضة وزهرتها والشريان الأهم فى قلبها يبدأ عند مقياس النيل الذى كان ترمومترا لقياس الرخاء فى مصر على مدى قرون عديدة حتى بناء السد العالى، وبقاياه تنطوى الآن على سجل طويل من الاسرار داخل ردهات قصر المناسترلى الذى يقع فى أول الشارع والجزيرة وداخله الآن (متحف ام كلثوم)، وبعده مباشرة ينطلق الشارع ليشق حوالى ثلثى مساحة الجزيرة العتيقة، قبل ان ينتهى عند اعتاب شارع الروضة، والمسافة بينه وبين فرع النيل الغربى تساوى تقريبا المسافة بينه وبين الفرع الشرقى، لذلك فان شارع المنيل جدير تماما بلقب حامل اختام وأسرار تاريخ هذه الجزيرة وهو تاريخ مديد لا يقتصر على حدود الجزيرة، بل يتجاوزها ليحتل جزءا عزيزا ومؤثرا من تاريخ مصر كلها، فالجزيرة كانت على علاقة وثيقة ومتجددة بملوك مصر وحكامها منذ الفتح الاسلامى وطوال عهود متعاقبة_ فقد كانت منتجعا وارفا للملوك والامراء وصفوة رجال الحكم، وفى ازهى فترات تاريخها اغتصبت مكانة القلعة وصارت مقرا لحكام مصر_

جزيرة الروضة التى يتوسطها شارع المنيل اقدم جزر نهر النيل التى تواجه القاهرة، وبدا دورها البارز فى تاريخ مصر مع الفتح الاسلامى، فعندما اشتد ضغط المسلمين على حصن بابليون)(قصر الشمع الآن) هرب المقوقس حاكم مصر وجنوده الرومانيون الى جزيرة الروضة وعسكروا فى المنطقة التى تحتلها بداية الشارع الآن، وتركوا الحصن لكى يسقط فى ايدى المسلمين بقيادة عمرو بن العاص فى أول المحرم عام (٢٠هـ) وبناء على هذا تم الصلح كما هو معروف

وأعطى عمرو بن العاص عهدا للمصريين قال فيه (هذا ما اعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الامان على أنفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم.

وبناء على هذا العهد غادر المقوقس الجزيرة وثبت عمرو بن العاص دعائم الفتح العربى لمصر، واصبحت الجزيرة بما فيها أرض الشارع محل اهتمام شديد من الولاة المسلمين على مدى عشرات السنين، لعل أهم مظاهره انه فى ولاية مسلمة بن مخلد الانصارى انشئت بها دار لصناعة السفن الحربية والتجارية_ غير انه فى عام (٢٦٣هـ، ٨٧٦م) كانت الجزيرة والشارع على موعد مع اهتمام من نوع آخر مهد لجعلها مسرحا للصراعات والدسائس، ففى ذلك العام وقعت جفوة بين الموفق طلحة شقيق الخليفة العباسى المعتمد بالله وأحمد بن طولون والى مصر، وموجز هذه الجفوة ان المعتمد بالله جعل ولاية العهد بعده لابنه المفوض ثم لاخيه الموفق، وقسم بينهما اعمال الدولة، وجعل للمفوض الاقطار الغربية بما فيها مصر، ولاخيه الموفق الاقطار الشرقية، وحرر بينهما عقدا علقه على استار الكعبة.

وكان المعتمد كما يجمع العديد من المؤرخين سادرا فى شهواته وغير ملتفت لشؤون الحكم لذلك فقد تسلط أخوه الموفق ليس فقط على نصيبه ولكن على الدولة برمتها، ودخل فى حرب شعواء ضد الزنج الذين قاموا بثورة فى البصرة، وتلك الحرب أوقعته فى ضائقة مالية اضطرته الى الاستعانة بأحمد بن طولون فأرسل له مليونا ومئتى ألف دينار، ولكن الموفق استقلها، بل وأرسل يوبخه بعبارات قاسية لم يتحملها ابن طولون، ورد عليه بعبارات أشد، بعد ان نبهه الى ان مصر لا تقع فى دائرة نفوذه حسب العقد الذى علقه المعتمد على الكعبة.

فى ذلك الوقت أرسل المعتمد رسالة سرية لابن طولون حذره فيها من ان اخاه الموفق يدس له الجواسيس ويؤلب عليه القادة، وبالفعل تحقق ابن طولون من ذلك وعاقب القواد والأعيان الذين تعاونوا مع جاسوس الموفق، مما اثار غضب الاخير فكلف موسى بن بغا اكبر قادة الدولة العباسية فى ذلك الوقت بمحاربة ابن طولون وخلعه من ولاية مصر وخوفا من ذلك انشأ ابن طولون على الجانب

الشرقى من الجزيرة- وتحديدا على مشارف المنطقة التى يحتلها شارع المنيل الآن- حصنا ونقل اليه حريمه وامواله وذخائره، كما ارسل سفنا لسد مدخل النيل عند دمياط لكى لا يؤتى من البحر المتوسط، وكذلك منع السفن من نقل المؤن والغلال من صعيد مصر حتى لا تكون عونا للجيش المهاجم.

ولكن كل هذه الإجراءات الأمنية ذهبت أدراج الرياح ليس لان ابن طولون هُزم، ولكن لأن القائد العباسى ابن بغا تلكأ فى الشام لكى يؤجل مواجهته، وهناك داهمه المرض وتوفى قبل ان يتوجه الى مصر وينعم برؤية حريم ابن طولون فى قلب الجزيرة.

غير ان هناك عددًا من المؤرخين يرجع سبب انشاء ابن طولون للحصن فى الجزيرة الى سبب آخر وان كان لا يبتعد كثيراعن صراعه مع الموفق، فقد قالوا ان الموفق اراد ان يربك ابن طولون او يرعبه، فكلف من سرق نعله من مكان سرى كان يبيت فيه مع احدى محظياته، ثم ارسل اليه النعل مشفوعا برسالة ساخرة قال فيها (كلفنى الحصول على هذا النعل خمسين ألف درهم، ولو اردت قتلك لفعلت بنفس المبلغ) فما كان من ابن طولون لكى يحمى رأسه وعرضه وصولجانه الا ان اندفع الى الجزيرة واقام بالقرب من شارع المنيل حصنا منيعا.

فى عهد الدولة الفاطمية تحول الشارع والجزيرة الى منتجع للخلفاء والأمراء، فبنى الآمر بأحكام الله فى المنطقة التى تقع على مشارف الشارع الآن قصر الهودج الذى تزوج فيه الفتاة البدوية التى جلبها من الصعيد رغما عنها فقد كانت تحب ابن عمها، واسوار هذا القصر شهدت مقتله على ايدى النزارية. كما اقام الفاطميون فى وسط الشارع منظرة المشتهى التى كانت عبارة عن قصر صغير كامل المشتملات والمرافق، وبعدهم تحول الى زاوية المشتهى التى كانت تعرف ايضا بزاوية الكازورنى وهو احد اعلام الصوفية، وقد جددتها والدة الخديو اسماعيل وظلت تمارس شعائرها فى شارع المنيل حتى اربعينات القرن الماضى وبالقرب من مكانها الآن تقاطع الشارع مع شارع صغير اسمه قصر المشتهى ويربط بين فرعى النيل.

فى عهد الدولة الايوبية كانت الجزيرة بما فيها شارع المنيل ملكا للمظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب الذى كان ينوب عن عمه صلاح الدين الايوبى فى حكم مصر، وهو جد الملوك الذين حكموا ولاية حماة بصفتهم نوابا عن سلاطين مصر لمدة تقارب القرنين من الزمان.

وعندما استدعى صلاح الدين تقى الدين عمر الى الشام وارسل ابنه لكى ينوب عنه فى حكم مصر احس تقى الدين انه لن يعود الى مصر مرة اخرى واخذ يفكر فى التصرف فى املاكه ومنها الجزيرة والدار التى كانت تعرف بمنازل العز، وهى اصلا احد قصور السيدة تفريد زوجة المعز لدين الله الفاطمى ووالدة ابنه العزيز، وبعد طول تفكير جعل هذه الدار مدرسة عرفت بالمدرسة التقية، وأوقف عليها الجزيرة بأكملها.

ولما تولى الصالح نجم الدين آخر ملوك الدولة الايوبية صادر الجزيرة وهدم العديد من المساجد والدور والقصور التى كانت تتوج أرض شارع المنيل من ناحية المقياس، وعلى مكانها بدأ انشاء قلعة حصينة على غرار قلعة صلاح الدين الأيوبى، لاتخاذها مقرا للحكم، وكذلك رغبة فى اتخاذ الجزيرة متنزها وسكنا خاصا يحوى امواله وحريمه ومماليكه الذين أكثر من شرائهم وعرفوا باسم المماليك البحرية نسبة لنشأتهم بهذه الجزيرة والذين وصل بهم الأمر الى ان وحلوا مكان الأيوبيين فى حكم مصر.

هذه القلعة كانت تعرف بقلعة الروضة ومنها اتخذت الجزيرة اسمها الحالى، وكان حولها ستون برجا عامرة بالاعمدة الرخامية المنقولة اليها من المعابد المصرية القديمة.

ورغم ان الملك الصالح بالغ فى الاعتناء بها حتى قيل ان كل حجر فيها تكلف دنيارا فإنه لم ينعم بها، فقد توفى قبل ان تكتمل على الوجه الذى اراد، وقيل وقتها ان سبب ذلك انه فى سبيل انشائها هدم ٣٣ جامعا، وقطع الف نخلة فائقة الثمار، وبعد ممات الصالح نُقل جثمانه فى موكب سرى الى جزيرة الروضة وحفظ فى قلعته حتى بُنيت له تربة بجوار المدرسة الصالحية بخان الخليلى.

جزيرة الروضة وشارع المنيل وقعا ضحية الاهمال فى عهد شجرة الدر وعز الدين ايبك، وبعدهما قطز بسبب الصراع على الحكم وعدم ترسيخ اركان الدولة المملوكية، ولكن فى عهد الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقى لدولة المماليك، كان طبيعيا ان يعاد الاهتمام بالشارع والجزيرة فقد شهدا نشأة المماليك البحرية الذين ينتمى اليهم لذلك اعاد بيبرس اعمار القلعة وجدد ابراجها، ووزعها على امراء البحرية لصيانتها وحمايتها . تخليدا لظهور بذرة دولة المماليك فى الجزيرة والشارع، ولجهودهم فى الاعتناء بهما خصوصا القلعة وان كانوا على فترات متباعدة ينقضون عليها ويجعلونها ساحة للمؤامرات والاغتيالات_ واطلق اسم المماليك البحرية على ميدان يقع الآن فى بداية شارع المنيل من ناحية المقياس وتتوسطه محطة للصرف الصحى.

يبدأ شارع المنيل بقصر المناسترلى وهو حسن فؤاد باشا المناسترلى نائب والى مصر فى عهد عباس حلمى الأول، ورئيس مجلس الاحكام، ثم عُين محافظا للقاهرة، وناظرا للداخلية عام ١٨٥٨ وفى سبيل انشاء هذا القصر هدم جامع المقياس الذى قيل ان الصحابى عبدالرحمن بن عوف دُفن فى قبره، وهذا ما نفاه بعض المؤرخين واكدوا ان ابن عوف دُفن فى المدينة ولم يدخل مصر، وارجعوا قبر جامع المقياس لابنه سهيل فقد تزوج الثريا التى كانت اجمل بنات عصرها وانتقل بها الى مصر_ ومكان هذا الجامع انشأ المناسترلى جامعا صغيرا داخل قصره.

وقد كان مكان الجزء الجنوبى من هذا القصر سراى قديمة ذكرها مؤرخو الحملة الفرنسية باسم سراى نجم الدين- ولعله الصالح نجم الدين ايوب- وكانت عند دخولهم مصر قد تهدم اغلبها، ونزل فيها قبلهم السلطان العثمانى سليم الأول، وأثناء تجوله فيها حاول بعض امراء المماليك اغتياله انتقاما لشنق الاشرف طومان باى آخر سلاطين المماليك ولكن لم تنجح المحاولة.

قصر المناسترلى حولته وزارة الثقافة لمركز للفن ترأسه الدكتور حامد سعيد، ثم حولته الى متحف (أم كلثوم) وبداخله حتى الآن بقايا المقياس الذى كان يقيس درجة فيضان النيل منذ الفراعنة وحتى عهد محمد على باشا، ومازال حتى الآن

يحظى بالعديد من الاساطير ومنها ما رواه الاسطى ابوالروس الذى تقع ورشته بالقرب من بداية الشارع، فقد قال ان الناس خصوصا من سكان المنطقة كانوا يعتقدون الى فترة قريبة ان نهرالنيل حفره الجن لسيدنا سليمان، وانه فى قاع المقياس كان يوجد كتاب سليمان (ومنشته)، وانه اذا وصل احد الناس اليهما فى القاع سيتوقف النيل فورا عن الجريان، وأكد أبوالروس انه شخصيا كان مقتنعا بهذا الخرافة، وعندما نزل الى قاع المقياس بعد بناء السد العالى كان يكاد يموت خوفا من ان يجد الكتاب والمنشة فيتوقف النيل عن الجريان الى الابد!!

تلاصق قصر المناسترلى فى اول شارع المنيل محطة للصرف الصحى وبالقرب منها عمارة حديثة اقيمت على اساسات بيت قديم، وبرج هائل مبنى على طراز العمارة الحديثة يواجه محل (وش الخير).

المركز المصرى للخدمات الدولية يحتل برجا آخر فى الشارع وتحته مباشرة عدد من المحلات الصغيرة التى تحاول ان تخفى واجهة متآكلة لقصر قديم. مستغلة فى ذلك وجود ظل شجرة تعانى من الاهمال والشيخوخة.

على اعتاب ميدان المماليك البحرية بالشارع تطل واجهة صيدلية المماليك واطلال بيت قديم يعانى الاهمال بسبب غياب اصحابه الذين قال احد الجيران انهم سافروا للصعيد للوقوف بجانب احد اقاربهم الذى يعانى مرضا خبيثا، وبالقرب منه جدران متآكل لمحلات قديمة ومغلقة.

وكالة المنيل تقع على ناصية تقاطع الشارع مع شارع الروضة، ومسجد شريف يحتل الناصية الاخرى ويتنسم روائح زهرة الروضة وكبابجى عنتر بلونه الاصفر الفاقع وعلى الرصيف المواجه له ماسح احذية شاب يتحين الفرصة للمرور الى الناحية الاخرى من الشارع حيث معروضات أو مأكولات مطعم مؤمن.

فى العقار رقم ٥٠ من الشارع تستقر سينما جرين وهى معطلة الآن، وقيل ان الرئيس الراحل انور السادات كان بها ليلة قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وبالقرب منها مقهى نادى الجمهورية الذى يعلن انه مخصص لاعضاء النادى الأهلى، وبرج عالى فى دوره الارضى الهيئة القومية للتأمين الاجتماعى وبالقرب منه احد

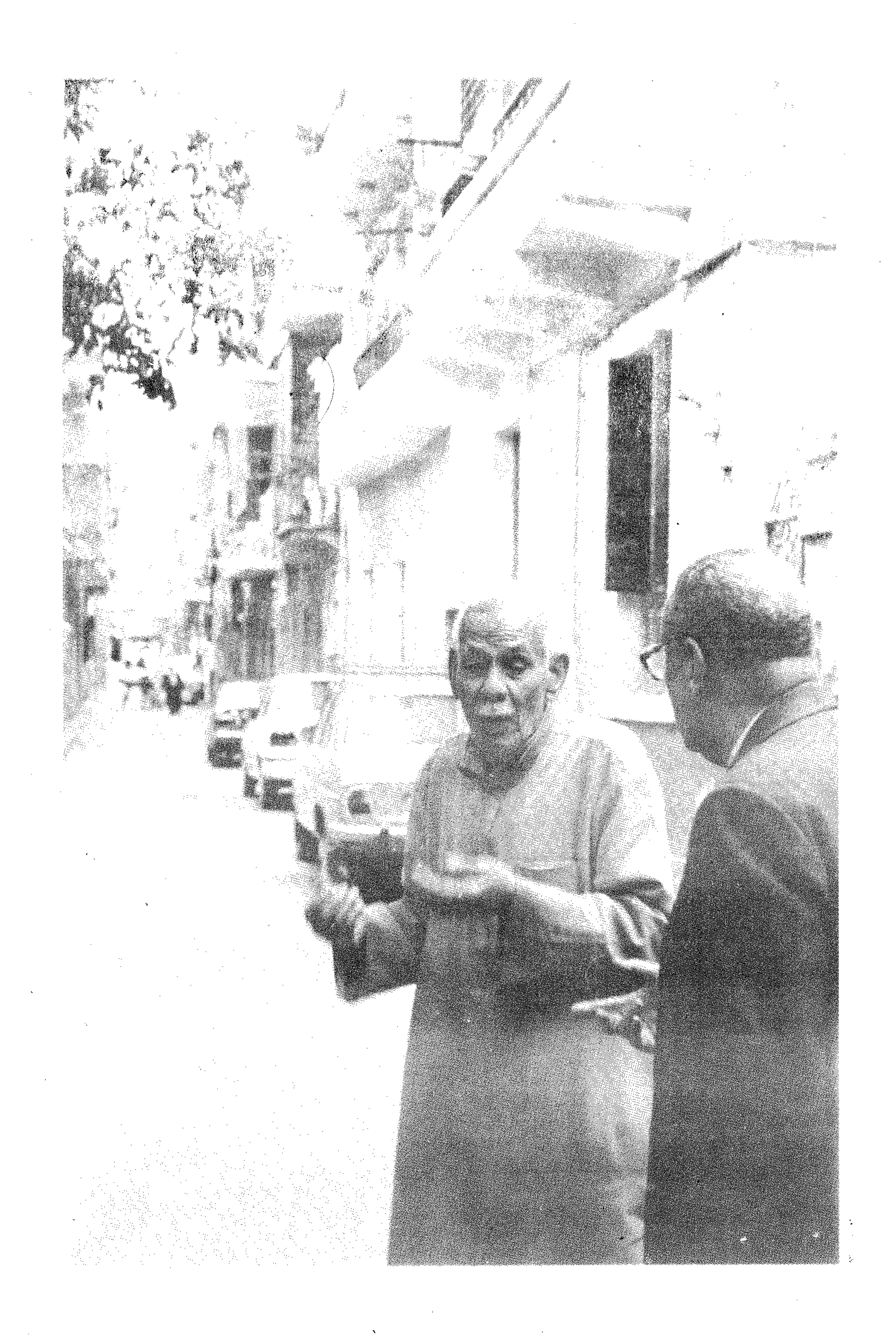
مطاعم ماكدونالدز تحت مستشفى فى برج أهم ما يميزه أجهزة التكييف الهائلة التى تتزاحم على واجهته.

جامع الباشا يتوج ميدانًا صغيرًا فى الشارع ويجاور مستشفى الروضة ومحل سندريلا ٢٠٠٠ وقصر الاليزيه للحلويات ومحلا للعب الاطفال، ثم عمارة انيقة تتخذ محلاتها اسماء فنية مثل (محمد منير) و(السلطانة)، اما الكوافير الرجالى الذى يتوسطها فقد اتخذ لنفسه اسما عسكريا اميركيا هو المارينز، والعمارة تقع بالقرب من مركز الجمل للكمبيوتر ومجوهرات الحداد والطير للملابس والسجاد وجميعها محلات انيقة لا ينغصها سوى وجود قصر قديم بسبب الاهمال تحول إلى مقلب قمامة.

مبنى مصلحة الضرائب على المبيعات بالشارع يقابله ربما رهبة منه عدد من المحلات المغلقة تتبعها محطة وقود ومجوهرات التازى وفادى للبطاريات وبقالة العائلات وكافيتريا السراى، وفى تلك المنطقة من الشارع كان يسكن احد اقطاب الفكر الماركسى فى مصر وهو الناقد إبراهيم فتحى، ومنها اقتيد مرات عديدة الى غياهب السجن.

وسط هذه المنطقة تقع محطة الهلباوى وبعدها يواصل شارع المنيل امتداده ليبدأ فصل نهايته بظهور عدد من ورش اصلاح السيارات بينها مخبز وحلوانى قصر العينى وكافتريا العظمة وحديقة جميلة تتوسطها شجرة كبيرة تحتها عدد من العشاق يصنعون نهاية عاطفية لهذا الشارع.

* * *



شارع الهلباوى

أهمية شارع الهلباوى لا تنبع كما عادة الشوارع من اتساعه او فخامة عمارته الحالية او عراقة الآثار الباقية او المندثرة فى ارضه،فهو ممرضيق يفتقر الى درر العمارة القديمة ولا يغرى مطلقا بالتنزه فيه، ولكن تنبع من انه يتوسط الساحة التى كانت ومازالت الاصل الشعبى لجزيرة المنيل التى كانت المكان المشتهى للملوك والأمراء منذ نشأتها وخصوصا بعد الفتح الاسلامى لمصر ، فقد هرب اليها المقوقس اخر حكام مصر من قبل العرش الرومانى عندما ضيق عمرو بن العاص الخناق عليه، وداخلها وقع بنود المعاهدة التى ضمنت امنه وحاشيته، وعلى ارضها قاوم احمد ابن طولون هجير ودسائس رجال البلاط العباسى بتنسم عطور جواريه ومعشوقاته، وعلى جنباتها ارسى الايوبيون دعائم سلطانهم وتهيأ امراء المماليك لاعتلاء عرش مصر والشام .

اما على المستوى الأحدث فإن أهمية الشارع تنبع من انه يجسد او يذكر بالوجه الاخر والخفى بل والمخجل لسياسى ومثقفى القاهرة فى بواكير القرن العشرين..وجه اولئك الذين تعاونوا مع الاستعمار واعتبروه سواء بقصد او بغير قصد شرطا لتحضر مصر ورقيها ،فالمحامى ابراهيم الهلباوى حامل اسم الشارع والحى المحيط به يعرف على المستوى الشعبى باسم جلاد دنشواى، فقد كان ضمن عصبة رجال القضاء الذين لم يتورعوا عن الدفاع عن الانجليز ضد ضحاياهم من فلاحى قرية دنشواى التابعة لمحافظة المنوفية احدى قرى دلتا مصر فى عام ١٩٠٦.

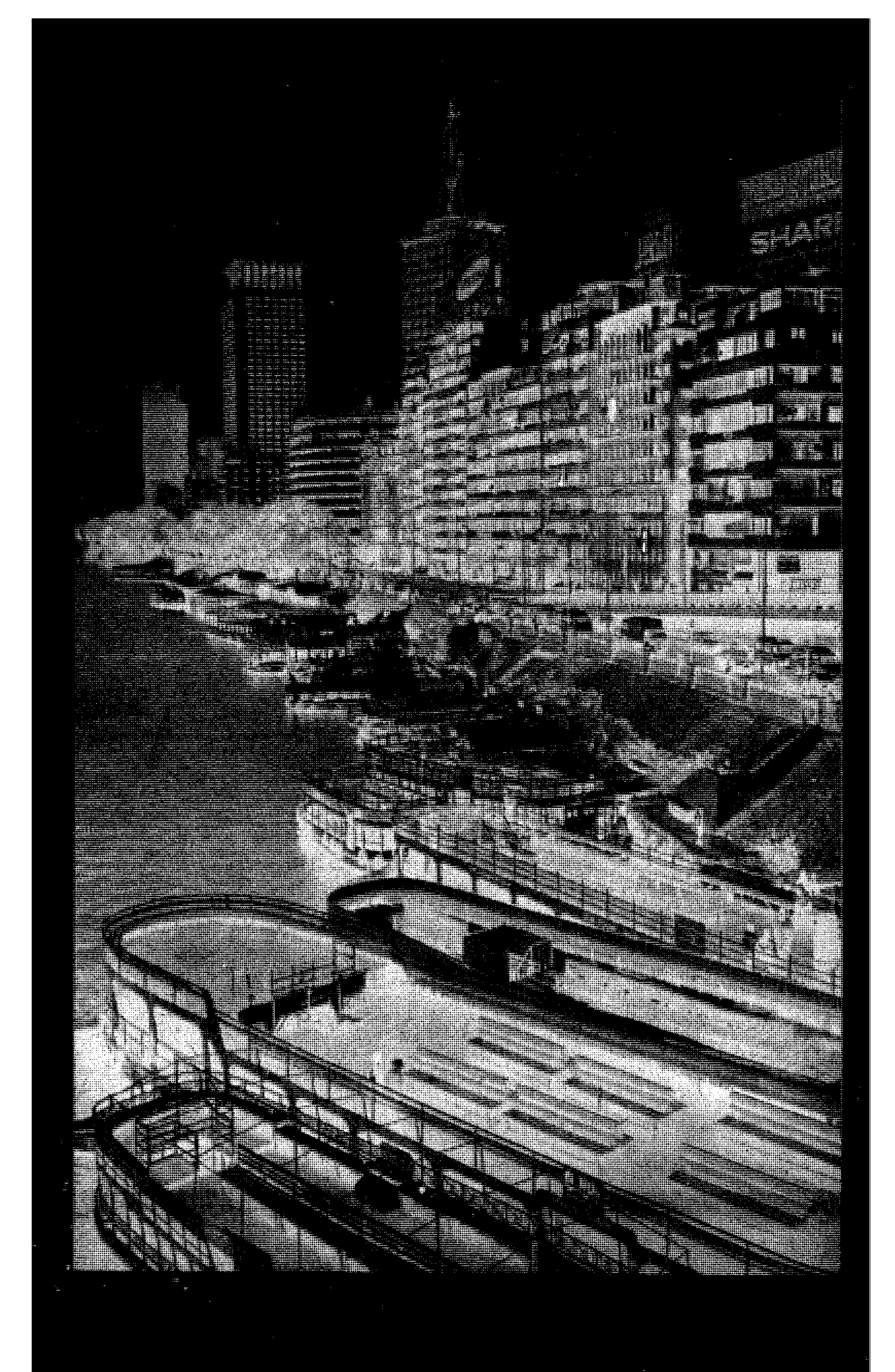
الشارع كان جزءا من قرية صغيرة كانت الاصل الشعبى لجزيرة المنيل ،واطلاق اسم الهلباوى عليه يرجع لانه كان اشهر سكانه على الاطلاق ،وظلت ابنته تعيش فى قصره الذى كان يتوج الشارع حتى اربعينات القرن الماضى.

ابراهيم الهلباوى تعود أصوله الى اسرة مغربية نزحت الى مصر فى حوالى القرن التاسع عشر، والتحق بالازهر الشريف وتتلمذ على يد جمال الدين الافغانى ،غير انه لم يواصل دروسه الازهرية واشتغل فى شبابه بتجارة القطن وبفضلها صار من أثرياء القوم وشيد قصرا بقرية العطف التابعة لاحدى محافظات دلتا مصر.

الهلباوى كان يتمتع منذ طفولته بمواهب الخطابة والبلاغة ،لذلك لم يصبر طويلا على التفرغ لتجارة القطن ،واشتغل بمهنة المحاماة مستغلا انها لم تكن تشترط دراسة الحقوق فى تلك الفترة،بل وكانت لا تشترط سوى نوع من اللباقة وذرابة اللسان ولامانع من القدرة على إلباس الحق بالباطل لدرجة ان الزعيم سعد زغلول كان يخجل من اعلان عمله بهذه المهنة.

الهلباوى كما هو متوقع من خطيب مفوه مثله نجح فى المحاماة حتى صار اشهر المشتغلين بها فى مصر لدرجة ان الفلاح فى ادغال قرى مصر كان يقول عن غريمه"والله لاقتله واجيب الهلباوى " ضامنا بذلك البراءة ممايدلل على ان الهلباوى بلغ شأوا كبيرا فى المقدرة على الباس الحق بالباطل، ولكن ربيب الثورة العرابية وتلميذ الافغانى وزميل سعد زغلول ضحى بهذا النجاح فى ساعة نحس قلما تواجه لبيبًا مثله وحفر قبره بيديه وانعزل فيه وهو على قيد الحياة.

الهلباوى غرته فصاحته وطعن الشعب المصرى فى صميم ما يعتز به ويقاتل من اجل الخلاص منه،فقد وقف على شفا مقصلة دنشواى يدافع بمهارة عن الضباط الانجليز ضد ضحاياهم من فلاحى دنشواى..حادثة دنشواى كما هو معروف تتلخص فى ان بعض ضباط الاحتلال الانجليزى كان يصطاد الحمام بالبنادق فى قرية دنشواى فاخترق رصاصهم قلب احدى الفلاحات فأردوها قتيلة ، فاندفع الاهالى فأصابوا أحدهم وفر آخر فمات فى ضربة شمس،


SHAR

والهلباوى اقام دفاعه القاتل له اولا على ان الانجليز كانوا يصطادون حماما بريا لا يملكه الفلاحون ولا يطعمونه ،وبالتالى فليس من حقهم "قانونا" ان يطاردوا ضابطا "ضيفا" ، وكان هذا أهم حيثيات الحكم الذى أصدره بطرس باشا غالى رئيس المحكمة وقضى باعدام عدد من الفلاحين وجلد عدد اخر.

الهلباوى عاد الى القاهرة مزهوا بهذا الحكم وتلقى تهانى اعوان الانجليز كمحام بارع وحاول مواصلة طموحاته السياسية والخطابية بالانضمام الى حزب الاحرار الدستوريين ،الى ان داهمته لحظة الانتقام القاسية فى تأبين الزعيم محمد فريد ،فبينما يستعرض مهاراته الخطابية فى سرادق التابين أطلق شباب الحزب الوطنى حمامات فى السرادق وراحوا يهتفون"يسقط جلاد دنشواى".

التأبين المعد لذكرى محمد فريد كان بما حدث فيه على إثر هذه الصيحة اليق بالهلباوى فقد قوطع خطابه البليغ ربما لاول مرة وخرج مكسورا كمن يمشى فى جنازته السياسية والمهنية والتزم بيته بالشارع حتى مات ،ولم يعد يذكره أحد من الشعب المصرى سوى "كمسارى الباص" حينما يمر امام الشارع وينادى على الركاب"محطة الهلباوى..محطة الهلباوى".

شارع الهلباوى يبدا الآن بقصر مهمل تفترش واجهته سيدة عجوز تعيش على صنع الشاى لبعض البسطاء من سكان الشارع ورواده، ويذكر بماض قصر ملكى منيف كان يقع بالقرب من الشارع وهو قصر الهودج الذى بناه الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى للفتاة البدوية التى اختطفها من وسط قبيلتها فى صعيد مصر، ورغم فخامة ورغد هذا القصر ظلت وفية لحب ابن عمها ،وبذلك سطرت اسطورة تناقلها اهالى القاهرة والشارع زمنا طويلا وقال فيها الشاعر الطيئى طراد قصيدة كاد يقتله الامر بسببها ويقول مطلعها:

"الا أبلغوا الامر المصطفى

مقال طراد ونعم المقال

قطعت الأليفين من ألفة

بها سمر الحى بين الرجال

كـذا كـان أباؤك الاقـدمـين

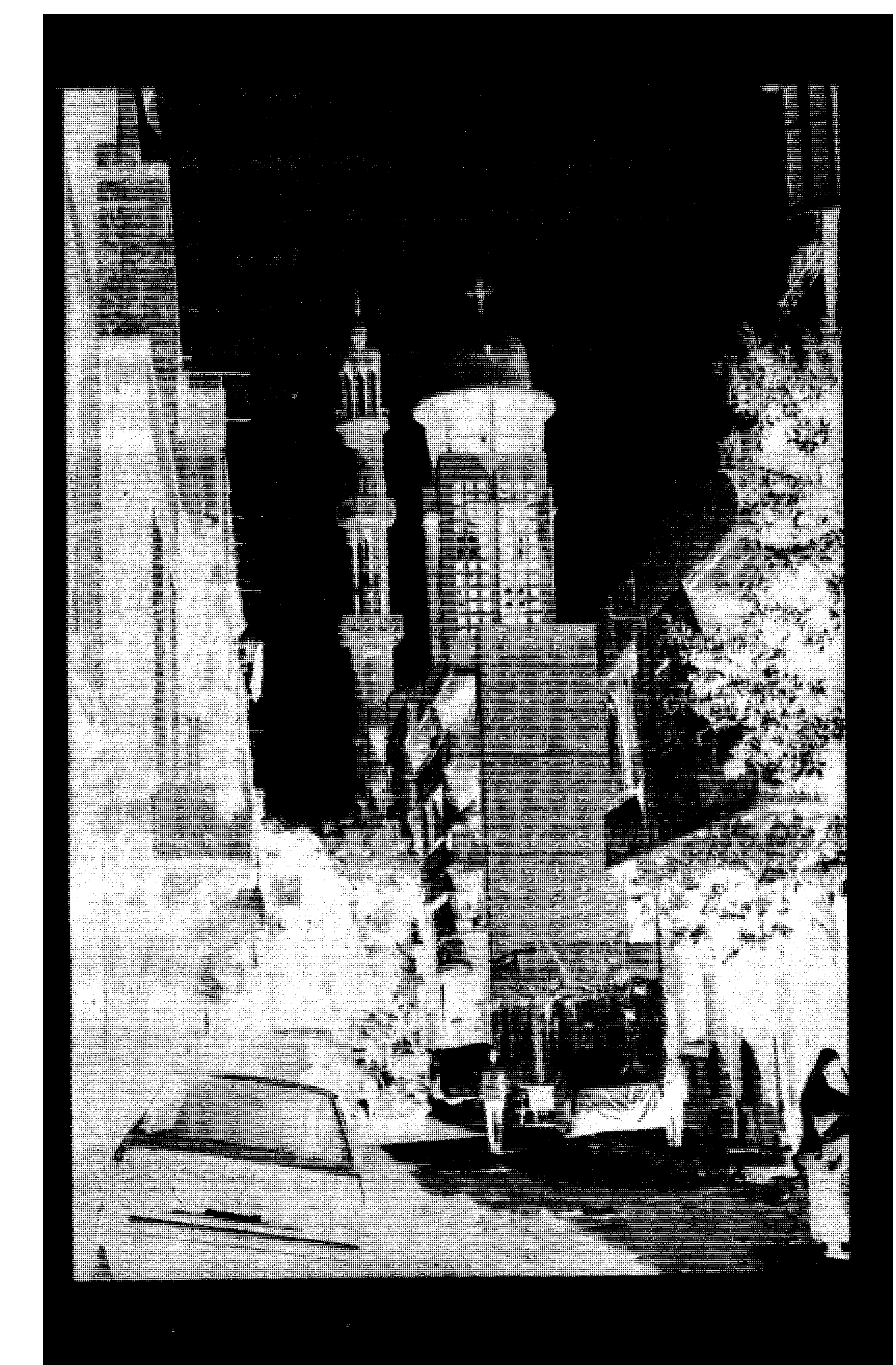
سألت فقل لى جواب السؤال"

الشارع كما سلف ممر ضيق يتوسط حيا يحمل ايضا اسم الهلباوى، وعمارته بشكل عام يعوزها دقة وجمال العمارة القديمة،ويلاصق حيا يحمل اسم الغمراوى، وهى اسرة من كبار ملاك الاراضى فى ريف مصر وقدمت الى القاهرة من محافظة بنى سويف، وانتقلت الى القاهره وكان لاحد افرادها فيلا بالمنطقة مكانها الان العمارة رقم ٨٥ التى يحتل واجهتها مطعم فولى جود للساند وتشات.

الشارع والحى يمتد الى مشارف نهر النيل وأبرز منشأته جراج المنيل وسكانه فى الغالب من صغار الموظفين. وبالقرب من ارض الشارع كانت تتطاول شجرة المندورة وهى شجرة نبق كان اهالى الحى والقاهرة يعتقدون فى بركتها وينسبون اليها كرامات اسطورية فى شفاء الكثير من الامراض وينذرون لها النذور ومن هنا عرفت باسم المنذورة وظلت بالمنطقة فترة طويلة وحين اقتلعتها السلطات فى ثلاثينات القرن الماضى زرعوا شجرة اخرى واطلقوا عليها نفس الاسم.

الشارع ينتهى بعدد من العمارات الفقيرة وهو فى وضعه الراهن يشبه الى حد كبير مصير صاحبه فبعد ان كان والحى من ارقى مناطق المنيل ينزوى الان فى ركن ضيق كأى محام استغل مواهبه فى النيل من ابناء وطنه.

* * *



شبـــرا

حى شبرا من اكثر احياء القاهرة الكبرى ازدحاماً وخصوصاً من ابناء الطبقة الوسطى التى على شفا انقراض النهائى والتى ترجع اصولها فى الغالب الى طبقة المتعلمين او الافندية. حسب الوصف الشائع . الذين ساندوا بل وفجروا ثورة ١٩١٩ ، ورغم أنه لا يتمتع بتاريخ مدينى طويل مثل غيره من الاحياء العريقة فقد كان مجرد قرية من اعمال محافظة القليوبية ولم ينضم الى القاهرة ادارياً الا فى منتصف خمسينيات القرن الماضى ، الا انه فى فترة زمنية قصيرة مر بتقلبات مذهلة ربما لم يحظ بها غيره من احياء القاهرة الكبرى، فمن قرية صغيرة ومهملة وعشوائية تحول فجأة الى رئة خضراء وحدائق للقاهرة الاوروبية التى بناها الخديو إسماعيل ، ومنتجع ريفى متسع ومنعش لامراء الاسرة المالكة التى ما زالت شرفاتها تطل على شوارعه وحاراته حتى الان ، وأن كانت تخلت مرغمة عن طابعها الملكى وتوحلت الى مدارس ومنشآت حكومية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

وبين القصور الملكية وتحولها الجمهورى مر حى شبرا بفترة ساخنة شهد فيها تداخل الحضارات بالمعنى الحرفى للكلمة وهو ما انفرد به بين أحياء القاهرة. فضلاً عن العديد من اسر الاقباط ومن أبرز احفادهم المفكر ميلاد حنا والناقد غالى شكرى والمطربة سيمون .. سكنته الجالية الشامية بما فيها من تجار وحرفيين ومبشرين كاثوليك بجوار الجاليات الاوروبية التى كان معظم افرادها من فقراء شرق ووسط اوروبا الذين هاجروا الى مصر بحثا عن فرصة عمل ، ولا غرابة فى ذلك فقد كانت مصر بفضل مشروعات محمد على قبلة لراغبى العمل من كافة انحاء اوروبا.

وكان منهم عمال مهرة من الايطاليين واليونانيين والقبارصة ومن أشهر ابنائهم الذين ولدوا فى شبرا المطرية داليدا .

شبرا كلمة قديمة احتار المؤرخون فى اصولها ومعناها فمهنم من قال إنها فرعونية وتعنى المكان او الموقع ، ومنهم من أكد انها قبطية وتعنى عزبة ، وكل منهما وخصوصاً الاخير يؤكد انها كانت عبارة عن حقول زراعية وسطها بعض البيوت لسكن زراعها. اما الطابع الملكى فقد بدأ يتسلل الى شبرا عندما اتخذها محمد على مكاناً لتنزهه وراحته بعيداً عن رسميات اعباء قلعة صلاح الدين، وشق فيها طريقاً تظلله الاشجار وفى اخره أى فى نهاية شبرا شيد قصره الذى مازال قائماً حتى الان وداخله كلية الزراعية بشبرا الخيمة وهو القصر الذى صور فيه المخرج صلاح او سيف مشاهد فيلم " القاهرة ٣٠ " المأخوذ عن رواية لنجيب محفوظ .

طريق محمد على الاصل الملكى لحى شبرا وفيه قتل ابن الجبرتى المؤرخ الشهير الذى وصف شبرا بأنها عبارة عن طريق مشجر ومحاط بالحدائق كان المهرب الطبى والمنعش لمحمد على باشا عندما يقرر الخروج للتنزه بعيداً عن سعير مؤامرات القلعة، لذلك فقد كان فضلا عن الاشجار الوارفة محاطاً بالقصور التى يعود معظمها الى امراء الاسرة المالكة خصوصاً الذين بفضل قانون الوراثة لم يتمتعوا بصولجان الحكم ومنهم طوسون باشا ابن محمد على الذى يوجد للان شارع باسمه فى حى شبرا بجوار مدرسة التوفيقية وفى نهايته كان يوجد قصره الذى تحول الى مدرسة شبرا الثانوية ، اما الاصل الشعبى لشبرا فهو أقدم كثيراً ويرجع الى قرية منية السيرج التى كانت مكان شارع يتخذ نفس الاسم وهو من اشهر واضيق الشوارع الشعبية فى حى شبرا .

قرية منية السيرج كان لها عمدة وتتبع محافظة القليوبية واخر عمدها توفى عام ١٩٤٥ وعن تلك الفترة من تاريخ الحى أو القرية يقول الناقد الكبير فاروق عبد القادر .

كانت قرية بكل الملامح التقليدية للقرى المصرية، بمعنى أنه كان لها عمدة وشيخ خفراء ودوار به حجرة للتليفون وفيها اجران قمح وأسواق وترع صغيرة

وباقى ملامح القرية المصرية المحاطة بالحقوق الزراعية وفى منتصف الخمسينيات بدأ العمران يزحف على الارض الزراعية بقسوة .

فاروق عبد القادر أبن أصيل لحى شبرا فقد كان احد اعمامه اخر عمد منية السيرج وأضاف أنه بعد شارع دوران شبرا كانت المبانى قليلة جداً وكانت هناك منطقة على يسار الداخل الى شبرا من ناحية ميدان رمسيس تعرف باسم حدائق شبرا وكانت عبارة عن قصور وفيللات ، وحديقة زينب هانم التى كانت إحدى أميرات الاسرة المالكية واطلق اسمها على أحد شوارع شبرا .

منية السيرج وباقى اراضى حى شبرا كانت مشهورة كما اضاف فاروق عبد القادر بزراعة مشاتل الورد والخضراوات التى كان لها سوق وسط شبرا وتم نقلها منذ عشر سنوات وسط اعتراضات التجار وتحول مكانها الى حديقة وقصر ثقافة روض الفرج.

شبرا بما فيها قرية منية السيرج انضمت الى القاهرة اداريا فى خمسينيات القرن الماضى وبعد ذلك كما أكد عبد القادر تطاولت وكثرة فيها المبانى على حساب الحقول الزراعية ، وفى تلك الفترة ظهر بها الكثير من الاحياء العشوائية.

وهى الان احياء القصيرين والخمايسة والزاوية الحمراء ، وهى جميعاً كانت عزب صغيرة تابعة لمنطقة شبرا وتمتد حتى حى المظلات .

منطقة شبرا حول منية السيرج كانت مزدحمة بالترع الصغيرة التى ترجع أصولها او منبعها كما أكد فاروق عبد القادر الى ترعة كبيرة أو رئيسية كانت تبدأ من المكان الذى يحتله الان مبنى الاذاعة والتليفزيون ثم تمر فوق الاراضى التى بها الان شارع الجلاء وبعده تمر بجوار ميدان رمسيس ثم تصل من خلال شارع الترعة البولاقية الذى اتخذ اسمه منها الى ميدان فيكتوريا الذى يقع فى قلب شبرا ويعود اسمه الى ملكة انجلترا فعندما جاءت الى مصر أصرت على زيارة حى شبرا للاطمئنان على احوال الجالية الاوروبية التى كانت تستوطنه.

فى قلب ميدان فيكتوريا كانت ترعة شبرا تنقسم الى فرعين ، احدهما يتجه الى المكان الذى تحتله الان شركة الادوية وشارع عبد الحميد الديب والثانى يتجه

الى منطقة الشيخ رمضان وشارع أحمد حلمى الصحفى الشهير والشخصية الثانية فى صحيفة " اللواء " بعد الزعيم مصطفى كامل وهو مؤسس صحيفة " القطر المصرى " وأول من اتهم بالعيب فى الذات الملكية وهو جد الشاعر الاشهر صلاح جاهين ويعود اطلاق اسمه على الشارع الى سببين احدهما سياسى يتعلق بتاريخه الوطنى الحافل ، والثانى اسرى وجغرافى فقد كانت اسرته من أهم عائلات شبرا كما كانت تمتلك قصراً بالشارع بالقرب منه كان قصر الزعيم محمد فريد الذى كان ضمن أشهر سكان حى شبرا .

ومن ناحية اخرى كان حى شبرا معقلاً لاهم معسكرات الانجليز اثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت مهمة تلك المعسكرات كما أكد فاروق عبد القادر حماية مداخل القاهرة وقد رحلت القوات الانجلزية نهائياً عن الحى والقاهرة كلها واستوطنت قناة السويس بعد معاهدة عام ١٩٣٦ .

اول حى شبرا من ناحية ميدان رمسيس كما أكد فاروق عبد القادر كان له طابع أجنبى فقد كان سكانه من فقراء الجاليات الاوروبية وخصوصاً من الايطاليين واليونانيين وتلك المنطقة هدمت وحل محلها ميدان أحمد حلمى وجزء من شارعه ووسطها كان يمتد شارع يعرف باسم النخله كان مركزاً للحانات والكباريهات الصغيرة .

اما جزيرة بدران شمال شبرا فقد كانت بها جالية شامية كبيرة ، ومازال احفادها يعيشون فى حى حتى الان، لذلك فإن أهم شوارع تلك المنطقة يعرف باسم قصور الشوام .

شبرا اول محطة بالنسبة للقادم القاهرة من الدلتا وبها مركز مهم هو محطة اتوبيسات الدلتا التى يسميها اهالى شبرا ومنهم فاروق عبد القادر تجاوزا " مطار المنوفية " بسبب كثرة الوافدين من محافظة المنوفية للعيش بشكل دائم فى حى شبرا ويبدو أن ذلك يضايق اهالى شبرا الاصلاء، فها هو فاروق عبدالقادر يقول ساخرا " ونحن صغار كنا نقول ان ام المنوفى تلده على الطريق الزراعى وتشير له الى شبرا وتتركه وحيداً فيتجه تلقائياً الى شبرا ليبدأ رحلته فى

«الحياة» وقد كان المنوفى كما اضاف عبد القادر ينزل حى شبرا ومعه ورقة بها عنوان احد بلدياته ولأن "المنايفة " يتميزون بالبخل فقد كانوا بمجرد ان يصل أحدهم إلى ذويه فى الحى يقومون فوراً بالبحث له عن عمل ومسكن فى شبرا حتى يتخلصوا منه ، وقد كان المنوفى وربما الى الان يبدأ حياته فى الحى " بقلى الطعمية او بيع عصير " العرق سوس " وكلها مشاريع لا تحتاج سوى القليل من المال ، مما يساعده على استيطان شبرا الى الابد ، لذلك فإن ٩٥ فى المئة من سكان المنطقة خلف جامع الخازندار بعد دوران شبرا تعود اصولهم الى المنوفية ومنهم الناقد الراحل غالى شكرى.

حول المنطقة التى كانت تتوسطها سوق روض الفرج كما أضاف فاروق عبد القادر هناك طائفة وافدة اخرى هم الصعايدة وكان اشهرهم قبيلة صعيدية منها نائب المنطقة فى البرلمان كرم زيدان الذى ترجع اصوله الى سوهاج وكان وفدياً واعلن انه مستعد لدفع خمسة ملايين جنيه نظير تراجع الحكومة عن نقل سوق روض الفرج من المنطقة ، كما كان والده اكبر تاجر فى السوق لذلك فقد كان الصدر الرحب للعديد من راغبى العمل من فقراء الصعيد ، ولكن للأسف قتل فى حادثة ثأر وسط السوق ، وظل قتلته بعد أن اطلقوا عليه النار واقفين فوق جثته حتى يتم القبض عليهم كعادة الصعايدة الاصلاء الذين لا يعتبرون أخذ الثأر عيباً .

فى الافلام العربية القديمة كان الخروج من القاهرة الى الريف وعزب الباشوات والاقطاعيين يعنى الخروج الى مزارع وعزب شبرا لذلك فعلى اراضى شبرا أيام أن كانت حدائق ومزارع مثلت فاتن حمامه ومديحه يسرى ولبنى عبدالعزيز ومريم فخر الدين وغيرهن من رائدات ورواد السينما العربية ابدع افلامهم ، وكان ضمن سكان منية السيرج ايام كانت قرية - حسب رواية فاروق عبد القادر .ممثل محدود الشهرة اسمه إبراهيم الجزار وعمل فى العديد من الفرق المسرحية ، وعندما عمل مع يوسف وهبى اختلف معه وشتمه على مرأى من الفرقة والمشاهدين فما ، كان من يوسف وهبى الا أن انتقم منه ومن المنطقة كلها على شاشات السينما من خلال فيلم " بنات الريف "ففى هذا الفيلم يظهر

البطل يوسف وهبى فى مشهد خلفيّته مدخل قرية منية السيرج ويقول " وفضلنا مشيين لحد منية السيرج وهى كلها لصوص وقطاع طرق . " .

فاروق عبد القادر خريج كلية الاداب عين شمس عندما كانت فى حى شبرا امام جامع الخازندار ومكانها الان كلية الهندسة وقبلها كانت بها مدرسة فيكتوريا كوليج ، وعن اساتذته الذين ردسوا له فى شبرا يقول إنهم كانوا ثلاثة من أبرز المشغلين بعلم النفس فى مصر ، أولهم رئيس القسم وهو د. مصطفى زيوار ذلك الاستقراطى الذى تعود أصوله الى تركيا ودرس فى فرنسا فى ثلاثينيات القرن الماضى وعاد فى الأربعينيات بعد أن حصل على الدكتوراه والثانى يوسف مراد صاحب جمعية علم النفس التكاملى التى كان من أهم إضافاتها مجلة علم النفس ومن أهم تلاميذه د . مصطفى سويف عالم النفس الشهير ووالد الروائية أهداف سويف، اما الثالث فهو د . مصطفى صفوان الذى كان منحازاً للفكر الماركسى .

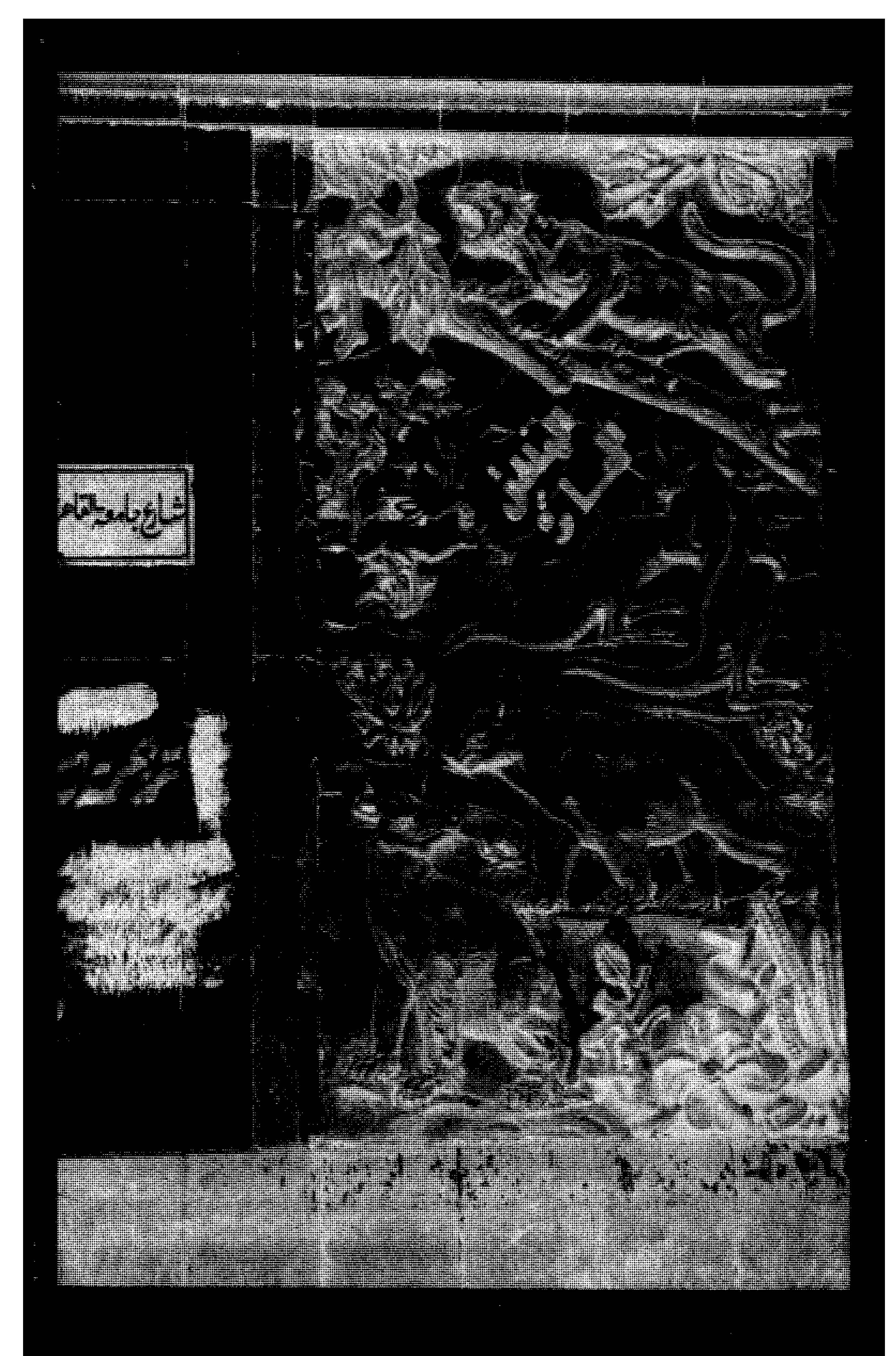
وضمن أبرز المعيدين الذين درسوا له فى كلية الاداب بحى شبرا ذكر فاروق عبد القادر الكاتب انيس منصور ووصفه بأنه كان أفاكا من البداية للنهاية فقد كان يزعم انه استاذ للفلسفة فى الكلية رغم انه دخلها معيداً وخرج منها معيداً ولم يحدث ان ابعد منها لأسباب سياسية كما يدعى فالذى حصل انه كان يعمل معيداً فى قسم الفلسفة فى اداب عين شمس بحى شبرا وفى نفس الوقت كان يحرر بابا فى الاخبار تحت عنوان " اخبار الادب " وفى عام ١٩٥٦ صدر قانون يحرم الجمع بين وظيفتين فكان عليه ان يختار بين الجامعة واخبار اليوم وفى ذلك الوقت كان مهدداً بترك الجامعة فهو خريج عام ١٩٤٦ واستمر طوال هذه الفترة دون ان يحصل على الماجستير لذلك اختار " اخبار اليوم " وعلى الفور رفع مصطفى وعلى أمين اجره الى ٤٠٠ جنيه فى الشهر ومن يومها بدأ يقوم بدور المثقف . بالكسر . لأصحاب " اخبار اليوم " .!!

حى شبرا نظر لثراء عالمه وعلاقاته وتمدد أصول سكانه تناوله عدد من الروائيين ابرزهم نجيب محفوظ وفتحى غانم الذى نختار من روايته " بنت من شبرا " مشهداً ربما يوحى بمدى تعدد الثقافات وكذلك الصراعات الاجنبية فى الحى «ما تيلدا» . بطلة الرواية . تحدد المعالم بشبرا كنيسة سانت تريز والنادى

الايطالى بحدائقه الواسعة والمراجيح تركبها ماريا ابنتها وكوستا اليونانى وزوجته بنينا يتحدثان معها ويشربان البيرة يوم الاحد، فى انتظار عودة اميلو . زوجها . من موعد اميرة طلبته على عجل وكان كوستا يقوم بين وقت وآخر بدفع مقعد ماريا على الأرجوحة فيدفع مقعدها اكثر فأكثر وتطير فى الهواء ويرفع الهواء فستانها فيعريها وكان الفريدو ابن ماركو الميكانيكى هو المرشح فى نظر السنيورة ماتيلدا للزواج من ماريا ، فأبوه صاحب ورشة سيارات تدر ذهبا وله فيللا فى نهاية الشارع لها حديقة فيها تماثيل من المرمر ولن يضيع كما ضاع ماريو شقيق ماريا ضحية لأحلام زوجها فى العظمة والمجد اذ كان اميليو يرى غازيا راكبا حصانه الابيض ليحكم مصر كما حكمها يوليوس قيصر ايام كليوباترا، فإذا كان اليوم هو الحلاق فى بلاط الاسرة المالكة فغدا سيكون هوة ممثل موسولينى الدوتشى العظيم فى بلاط اصبحت فيه اميرات اليوم جاريات للسيد الرومانى الجديد إنه اليوم الخادم ولكنه غدًا السيد ..

لقد دفع الثمن غالياً ومقدماً من أجل مجد روما والانضمام الى القمصان السوداء ثم سافر ماريو الى الحبشة جندياً فى جيش الدوتشى وهناك لقى مصرعه فكان ذلك أول شرخ فى بناء المجد والعظمة اللتين حاول اميليو ان يقنع بهما زوجته ماتيلدا وهى الان تفرمن احلام المجد وتكتفى بمملكتها فى شبرا .

* * *



شارع جامعة القاهرة

شارع جامعة القاهرة (فؤاد الاول سابقا) يحافظ حرفيا على مدلول اسمه فهو ينفرد بكونه الشارع العلمى والتربوى الوحيد فى القاهرة الكبرى سواء على مستوى سكانه، فهم فى الغالب من طلبة العلم واساتذته او على مستوى منشآته فمعظمها مراكز بحث وكليات وقاعات درس وتجريب يفترش بعض واجهاتها باعة الكتب وماكينات التصوير المزدحمة بالطلاب لذلك فإن السكان العاديين لا يحلمون بمجرد الاقتراب من ارضه بغرض الاقامة الدائمة فالبنايتان الوحيدتان فيه وجدتا بالصدفة فى غفلة من المنشآت التعليمية والبحثية التى من المتوقع بل ومن الضرورى ان تزحف عليهما وتحتلهما فى وقت قريب حتى يصبح الشارع ساحة نقية للعلم والعلماء.

شارع جامعة القاهرة يبدأ من قلب ميدان الجيزة تلك المدينة القديمة التى كانت تتمتع بمكانة مرموقة قبل الاسلام وعندما فتح الجيش العربى الاسلامى مصر رغب بعض الجنود والقبائل العربية المصاحبة للجيش فى التمتع بخصوبة ارض الجيزة واعتدال مناخها ونصبوا خيامهم فى منطقة قريبة من الميدان الذى ينطلق منه حاليا الشارع مارا بالعديد من قلاع العلم والدرس قبل ان يبلغ نهايته عند المسلة الفرعونية التى تقع بين الاشجار الكثيفة لحديقة الاورمان وقبة الجامعة الشهيرة.

قصة الشارع ترتبط ارتباطا وثيقا بقصة الجامعة فهى تبدأ منها وتنتهى اليها عبر تاريخ طويل بدأ بفكرة خيالية داعبت رواد التعليم فى مصر فى القرن التاسع عشر مثل على مبارك الذى عبر عن خضوعه لفكرة جمع المدارس العليا

فى مكان واحد ويعقوب ارتين باشا الذى خدم التعليم طويلا وكان وكيلا لوزارة المعارف عام ١٨٨٤.

تلك الفكرة هى انشاء جامعة أهلية على غرار الجامعات الغربية وظلت حبيسة جلسات رجال التعليم والمثقفين وقاعاتهم وندواتهم الضيقة حتى تلقفتها الصحافة وطرحتها على الرأى العام المصرى اواخر تسعينات القرن التاسع عشر ويذكر التاريخ انه كان للاديب الشهير والصحفى المؤسس جورجى زيدان فضل الريادة فى ذلك فقد طالب على صفحات (الهلال) بتأسيس تلك الجامعة، كما اقترح عام ١٩٠٣ على المدرسة الكلية السورية (جامعة بيروت الاميركية) ان تنشىء فرعا فى القاهرة يكون نواة لقيام المدرسة الكلية المصرية كما ساهمت جريدة (المقتطف) فى طرح الفكرة من خلال مقال نشر فى ابريل عام ١٩٠٣ وتحدث عن الجامعات ووظيفتها فى اوروبا واميركا ودورها فى نهضة الامم.

ومن العلماء والمفكرين كان الشيخ محمد عبده مهتما بإقامة تلك الجامعة بعد ان يئس من امكانية اصلاح نظام التعليم فى الازهر وتطويره واعلن ان اقامتها يجب ان تكون بجهود الاغنياء وعندما لم يستجيبوا اخذ يهاجمهم بضراوة فى مقالاته وخطبه وجلساته حتى خجل احدهم وهو المنشاوى باشا وتحمس للفكرة ووعد بإقامة الجامعة على نفقته وفوق الارض التى كان يملكها قرب القناطر الخيرية، غير ان الموت داهمه قبل ان ينفذ وعده ولحق به الشيخ محمد عبده ١٩٠٥.

الانتكاسة العلمية والمادية للفكرة لم تؤد الى وأدها فلحسن الحظ قبل موت الشيخ محمد عبده ببضعة شهور اقتنع الزعيم مصطفى كامل بالفكرة وكتب مقالا فى (اللواء) فى اكتوبر ١٩٠٤ حض فيه القراء على ان يبدو رأيهم فى مشروع الجامعة وامكانية تحقيقه باعتباره حجر الاساس للنهضة الوطنية وعندما قُوبلت دعوته بحماس كبير عاد للكتابة فى نفس الموضوع عام ١٩٠٥ واقترح ان تحمل الجامعة اسم (كلية محمد على) بمناسبة مرور مئة عام على توليه حكم مصر.

واضح ان مصطفى كامل أراد بذلك الاسم ان يجذب الخديو وامراء اسرة محمد على الحاكمة لدعم المشروع وتشجيع الاعيان والاثرياء وبالفعل نجحت

محاولته نجاحا نسبيا فأيد الامير حيدر فاضل دعوته وتبعه بعض الاعيان وبدأ الاكتتاب لتنفيذ مشروع الجامعة وتمخض عند ثمانية آلاف جنيه غير ان الهمم فترت عندما تجاهل الخديو المشروع لأن الدعوة جاءت من مصطفى كامل .

لكن مصطفى كامل صاحب مقولة (لا يأس مع الحياة) لم ييأس وأصر على مواصلة جهوده فى تنفيذ الفكرة وعندما شكلت لجنة عام ١٩٠٦ لجمع التبرعات بغرض تقديم هدية له بمناسبة عودته من اوروبا بعد ان نجح فى شن حملة دعاية سياسية ضد بريطانيا بسبب حادث دنشواى رفض جمع هذه التبرعات من خلال رسالة بعث بها من باريس الى محمد فريد، وطالب بان تقوم لجنة جمع التبرعات بدعوة الامة كلها وطرق باب كل مصرى لتأسيس كلية (جامعة) تجمع ابناء الفقراء والاغنياء على السواء وتعطى الامة الرجال الاشداء الذين يكثرون فى عداد خدامها المخلصين لان كل مليم يزيد على حاجة المصرى ولا ينفق فى سبيل التعليم ضائع سدى والامة محرومة منه بغير حق.

كما دعا مصطفى كامل الى وحدة الصف وتناسى الخلافات السياسية والحزبية من اجل انجاز مشروع الجامعة وكتب الى الشيخ على يوسف صاحب (المؤيد) يدعوه الى فتح باب الاكتتاب للمشروع معلنا تبرعه بمبلغ خمسمئة جنيه لمشروع انشاء الجامعة.

وبالفعل بدأت (المؤيد) نشر قوائم باسماء المتبرعين للمشروع والمبالغ التى تبرعوا بها،ونجح مصطفى كامل فى نقل الفكرة الحالمة الى حيز التنفيذ رغم انف الخديو والانجليز الذين عارضوا انشاء الجامعة بشدة_ لكن المناورات السياسية نجحت فى ابعاد مصطفى كامل عندما بدأت اولى الخطوات العملية فى انشاء الجامعة الاهلية، فعندما اقترحت جريدة (المؤيد) تكوين لجنة تحضيرية من كبار المكتتبين لانشاء الجامعة لوضع خطة لتنفيذ المشروع دعا مصطفى كامل المكتتبين الى بيته لتنفيذ اقتراح (المؤيد) وانتخاب اعضاء اللجنة ورئيسها ولكن مكان الاجتماع تغير فجأة لوضع المشروع فى ايدى اشخاص أقل أندفاعًا ولتحقيق ذلك عقد الاجتماع فى بيت سعد زغلول بحجة تجنب المهاترات الصحفية وشكلت اللجنة التحضيرية لانشاء الجامعة من سعد زغلول (وكيلا

للرئيس) وقاسم امين (سكرتيرا) وحسن سعيد بك وكيل البنك الالمانى الشرقى (أمينا للصندوق)، اما بقية الحاضرين فقد اصبحوا اعضاء باللجنة وتُرك منصب رئيس اللجنة شاغرا الى ان يتعطف الخديو ويوافق على ان يشغله احد امراء الاسرة العلوية_

وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧ اضطر الخديو عباس حلمى الثانى لان يبلغ اعضاء اللجنة موافقته على اسناد رئاستها الى الامير احمد فؤاد الذى اجتمع بها فى قصره الذى كان بباب اللوق وقرر ان يبدأ نشاط الجامعة فى اتجاهين اولهما ايفاد بعثة من عشرة طلاب الى جامعات انجلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا لدراسة العلوم والاداب ليكونوا نواة لهيئة التدريس المصرية بالجامعة_ وثانيهما ان تبدأ الدراسة بالجامعة بأربعة دروس فقط هى: تاريخ الحضارة القديمة فى الشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية وتاريخ الاداب العربية وتاريخ الاداب الفرنسية والانجليزية . وان تكون مدة الدراسة ثمانية شهور فقط فى العام.

فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تم تشكيل اول مجلس ادارة للجامعة من الامير احمد فؤاد (رئيسا) وحسين رشدى باشا وابراهيم نجيب باشا (وكيلين) واحمد زكى باشا (سكرتيرا) وحسن سعيد بك)امينا للصندوق) ويعقوب ارتين باشا ود محمد علوى باشا وعبدالخالق ثروت باشا ومرقس حنا افندى ومسيو ماسبرو ويوسف صديق بك وعلى ابوالفتوح بك وعلى بهجت ومسيو لوزينا وعلى ذوالفقار بك (اعضاء) وكان أول قرار لهذا المجلس هو استئجار الدور الاول من سراى جانكليس التى تحتلها الآن الجامعة الاميركية بالقاهرة بمبلغ ٣٥٠ جنيها فى السنة لاتخاذه مقرا للجامعة بعد ان رفضت الحكومة منحها مقرا ولو مؤقتا . وفى ١٢ ديسمبر افتتحت الجامعة رسميا فى احتفال كبير اقيم فى مجلس شورى القوانين وحضره الخديو وكبار رجال الدولة والامراء والاعيان والسفراء الاجانب وشيخ الازهر ومفتى الديار المصرية.

فى عام ١٩١٤ بدأت بشائر نقل الجامعة إلى أرض الشارع بتبرع الاميرة فاطمة بنت الخديو اسماعيل بقطعة ارض كانت ضمن مكان الجامعة الحالى وكذلك بمبلغ كبير من المال لكى يقام عليها مقر خاص للجامعة بعد ان تأكد

وقوعها فى ضائقة مالية تحول دون استمرارها، ولكن ظروف الحرب العالمية الاولى حالت دون تنفيذ المشروع فاضطر مجلس ادارة الجامعة تحت نقل ايجار الدور الاول من قصر جانكليس الى نقل مقرها قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكى الذى اجرته بمبلغ ٢٠٠ جنيه كل عام.

فى هذا الوقت كانت الجامعة أهلية تعتمد نفقاتها على مايجود به المكتتبون او المتبرعون وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى امتزجت فى الجامعة الحكومية التى اعلن عن البدء فى إقامتها ومنحتها الحكومة مقرا مؤقتا فى سراى الزعفران بالعباسية، وهى الان داخل جامعة عين شمس كما منحتها تسعين فدانا لبناء كليات الاداب والحقوق والعلوم والمكتبة ومساكن الطلاب والملاعب فى مكانها الحالى بالشارع .وكذلك ٤٠ فدانا لانشاء كلية الطب ومستشفاها فى منيل الروضة وبدأت الدراسة بها بعد ان خضعت لهيمنة الحكومة واشرافها واصبحت تعرف باسم (جامعة فؤاد الاول) عام ١٩٢٦ واحتلت مكانها الحالى بالشارع عام ١٩٢٩.

وبمجرد أن انتقلت الجامعة لارض الشارع الذى اتخذ منها إسمه اصبحت منارة دائمة للعمل الوطنى واصبح طلابها فى طليعة الحركة الوطنية وصاروا مؤشرا حساسا لقياس موقف الرأى العام المصرى تجاه جميع القضايا السياسية. ومن ابرز مواقفهم الوطنية المشرفة انتفاضة عام ١٩٣٥ التى اندلعت عقب القاء وزير الخارجية البريطانى السير صامويل هور لبيان اعلن فيه رفض حكومته إعادة الدستور المصرى وفيها امتلك الطلبة زمام المبادرة الوطنية وعقدوا اجتماعا داخل حرم الجامعة بالشارع فى ذكرى عيد الجهاد (١٣ نوفمبر) ثم خرجوا من الجامعة الى أرض الشارع فى مظاهرة كبرى فتصدت لهم قوات الشرطة واطلقت النار عليهم فاصيب العديد من الطلاب.

وفى اليوم التالى اعاد الطلبة تنظيم صفوفهم وبدأوا من ارض الشارع مظاهرة كبرى كانت تنوى الوصول الى قصر عابدين غير ان قوات الشرطة حاصرت نحو ثلاثمئة من الطلاب المتظاهرين فوق كوبرى عباس الذى يقع على مشارف الشارع واطلقت عليهم الرصاص الحى فقتل طالب الزراعة محمد

عبدالمجيد مرسى وطالب الاداب محمد عبدالحكيم الجراحى والقى القبض على العديد من الطلاب واصدرت ادارة الجامعة على اثر ذلك قرارا بوقف الدراسة ولكن الطلاب رفضوا وواصلو ثورتهم حتى نجحوا فى اعادة دستور ١٩٢٣.

اما آخر الجهود الوطنية لطلاب الجامعة بأرض الشارع فهى تلك المظاهرات اليومية الحاشدة التى اندلعت ومازالت تندلع لمناصرة الشعب الفلسطينى فى مواجهة مأساته التى يقف وسط لهيبها عاريا ليس فقط امام مجنزرات اسرائيل ولكن ايضا امام التواطؤ الغربى والتخاذل العربى المقيت.

الشارع ظل يحمل اسم الملك فؤاد الاول حتى اطاحت ثورة يوليو بالاسم ونصبت مكانه اسم القاهرة وطوال تاريخه شهد العديد من الحكام والقادة العرب الذين درسوا فى جامعة القاهرة.

يبدأ الشارع بميدان الجيزة الذى يحتوى على موقف اتوبيس وتحيط به عدد من العمارات الضخمة ابرزها سنترال الجيزة وعلى حافته تطل واجهة بناية تحافظ على طراز العمارة الاسلامية وتتطابق تماما مع شكل المنشآت الحكومية بامارة الشارقة وهو يضم مركز المعلومات والمكتبة التى اهداها د/ سلطان بن محمد القاسمى حاكم امارة الشارقة الى كلية الزراعة التى تخرج منها عام ١٩٦٦ وتجول فى ارض الشارع ليفتتحها مع د_ عاطف عبيد رئيس وزراء مصر فى احتفال رسمى يوم الاربعاء ٢٤ مايو ٢٠٠١.

مكتبة كلية الزراعة تواجه بالشارع مبنى حجريا صلبا يناسب تماما كلية الطب البيطرى وابحاثها الحيوانية وبعدها تواصل باقى منشآت كلية الزراعة امتلاك ضفتى الشارع دون مقاومة الا من واجهتى بنايتين سكنيتين ضلتا طريقهما الى ارض الشارع التعليمى والبحثى.

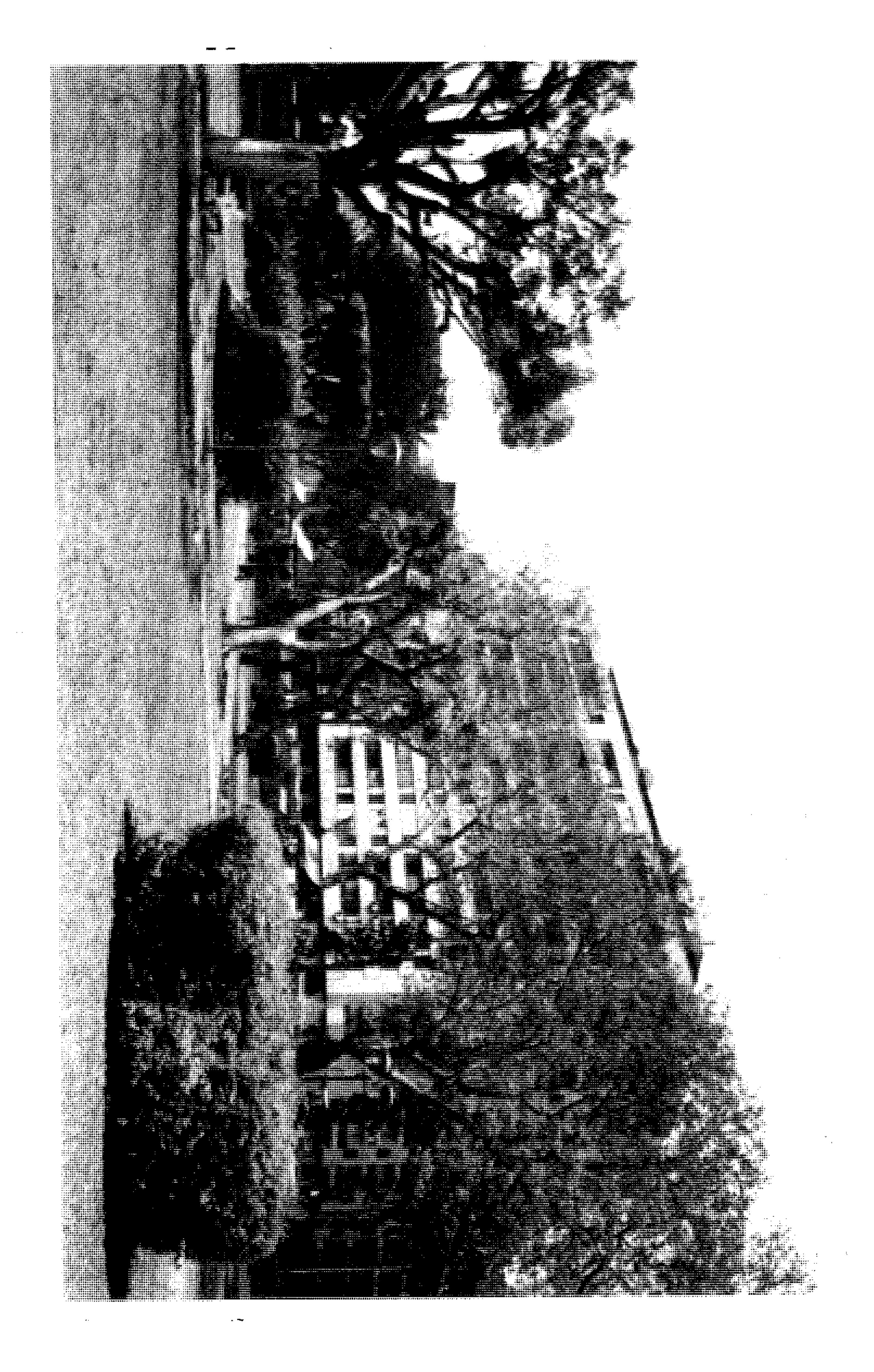
مسجد الطاروطى الذى انشأه المحامى محمد فريد الطاروطى ظهر بالشارع عام ١٩٦٦ وهو يشبه الى حد كبير مساجد القاهرة الفاطمية ويحتوى على مكتبة عامة تابعة لوزارة الاوقاف وامامه عدد من الشباب وبوابته يحتلها بشكل شبه دائم عجوز متسول.

مركز البحوث الزراعية والادارة المركزية للتقاوى يواجهها بالشارع بداية حديقة الحيوان باشجارها الكثيفة وبعدهما تطل واجهة واحدة من اعرق واشهر مدارس مصر على الاطلاق وهى المدرسة السعيدية التى انشئت فى اكتوبر ١٩٠٦ وكان مقرها فى البداية قصر جميلة هانم فى حى المنيرة وفى يناير ١٩٠٩ انتقلت الى مكانها الحالى بالشارع وكان ناظرها فى ذلك الوقت مستر شارمان الانجليزى، وفى صيف ١٩١٥ اضطرت لمغادرة الشارع تحت وطأة ظروف الحرب العالمية الاولى التى جولت مبناها بالشارع الى مستشفى للجرحى من جنود وضباط الجيش الانجليزى ونُقلت الى قصر جناكليس بمجرد ان غادرته جامعة القاهرة الى قصر محمد صدقى باشا.

عام ١٩١٩ تمكنت مدرسة السعيدية من العودة الى مبناها الحالى بالشارع وطوال تاريخها تولى نظارتها عدد من ألمع رجال التعليم المصريين والاجانب منهم محمد بك رشدى واحمد برادة بك وعلى حسن ومستر هاردل ومحمود قاسم وامين سامى وغيرهم كما اشتهر طلابها بالتفوق العلمى والرياضى وكذلك بسرعة التفاعل مع القضايا الوطنية_ والخروج فى المظاهرات الحاشدة وبسبب رغبتهم فى الوقوف بجانب الشعب الفلسطينى والتعبير عن رفض التحيز الاميركى لاسرائيل قاموا فى احدى مظاهراتهم بتدمير احد المطاعم الاميركية القريبة من الشارع.

مبنى مدرسة السعيدية الثانوية تتصدره لوحة رخامية قديمة تنبىء عن عراقة تاريخها وداخله مقر جمعية خريجى المدرسة التى تضم العديد من رجال الفكر والادب والفن فى مصر,وامامه بزاوية منحرفة قليلا تطل واجهة كلية الهندسة التى تأسست عام ١٩٠٥ ومن امامها مباشرة يمكن تأمل مبانى الجامعة التى تتميز باناقة ملكية تتوسطها ساعة الجامعة الشهيرة وتتوجها قبتها الاشهر التى تظلل وتحمى طلاب الجامعة اثناء طوافهم حول المسلة الفرعونية امام الجامعة وتصنع مع الاشجار الملكية لحديقة الاورمان نهاية تاريخية حالمة للشارع.

* * *



شارع سليم

شارع سليم الاول يبدأ من ميدان ابن سندر ويجاور أسوار قصر الطاهرة، ثم يخترق حى الزيتون قبل ان يصل لمحطته الاخيرة وسط حى المطرية. وأهميته التاريخية تنبع من انه يبرهن على حقيقة ان الشوارع هى الساحة الرحبة والمتسامحة القادرة على اصلاح ما افسدته صراعات البشر واطماعهم على مر التاريخ، فهو يوازى شارع طومان باى، بل ويلتقى به ويصافحه بمودة كفيلة بتجفيف شلالات الدماء التى تدفقت بينهما، فكل منهما ينطلق من نقطة واحدة، ويحتضن نفس القصر وقبل حوالى خمسمئة عام كان التقاء الرجلين او الزعيمين لا يعنى سوى اهدار دم احدهما وهذا ما تم فعلا فقد شنق سليم الاول طومان باى وعلقه على احد ابواب القاهرة القديمة وبعد مئات السنين تجاور الشارع.

اسم الشارع يرجع الى السلطان العثمانى سليم الاول الذى ولد عام ١٤٧٦ ومنذ طفولته المبكرة ظهرت عليه سمات القسوة والغلظة والغطرسة وفى صباه اخذ يراوده حلم اعتلاء عرش تركيا_ كان الحلم صعبا بل ومستحيلا بالنسبة لأى إنسان وفىّ يقدر مكارم الاخلاق خصوصا وان عثرة تحقيقه فى ثقل حرمة الوالدين والاشقاء. غير ان الفتى سليم لم يكن يأبه بأى شىء يحول دونه والعرش حتى لو كان دماء اقرب الناس اليه، لذلك لم يتورع عن اشعال نار الحرب على والده السلطان بايزيد حتى خلعه عام ٢١٥١ ولحظة تسلطنه مكانه كان قد اعد خطة دموية محكمة للخلاص من ابناء البيت العثمانى الذين ثاروا عليه فقتل اخويه الامير احمد والامير كركور وترك لسيوف مساعديه مهمة العبث برقاب

العديد من أبناء أسرة الخلافة وبالفعل نجحوا فى ذلك لدرجة انه لم يسلم منهم سوى من هرب الى حماية اسماعيل الصفوى شاه ايران وقنصوة الغورى سلطان مصر.

وبمجرد ان اطمأن سليم الاول فوق عرش مخضب بدماء اقرب الناس اليه بدأ يتطلع لاعتلاء عرش امبراطورية كبيرة وكان يقف فى سبيل تحقيق ذلك عثرتان الاولى هى الدولة الصفوية الشيعية فى ايران والثانية الدولة المملوكية السنية فى مصر والشام وشبه الجزيرة العربية.

سليم الاول بدأ بالاولى وشن حربا شعواء ضد الشاه اسماعيل الصفوى قتل فيها ٤٠ الفا من الشيعة وبفضل انتصاره الساحق كسر شوكة الصفويين وضم الى الامبراطورية العثمانية دياربكر وكردستان واخذ يعد نفسه للانقضاض على اراضى دولة المماليك بالشام وفلسطين تمهيدا لاحتلال القاهرة.

وبسبب مأساة الصفويين التى زلزلت بلاد الشرق فى ذلك الوقت قرر السلطان المملوكى قنصوه الغورى الا ينتظر حتى يداهمه سليم الاول فى عقر داره فأناب عنه فى الحكم طومان باى الذى قيل انه ابن اخته وانطلق بقواته خارج حدود مصر فالتقى بجيوش سليم الاول عند مرج دابق التى تقع فى شمال سوريا.

وهناك بدأت وقائع المعركة الشهيرة التى غيرت مسار تاريخ مصر والشرق الاوسط. والجيش المملوكى كان مقسما إلى ثلاثة ألوية مسيرته يقودها خاير بك نائب الغورى فى حلب وميمنته يقودها الغزالى اما قلبه فقاده السلطان الغورى بنفسه واثناء المعركة كاد المماليك ينتصرون لولا لجوء سليم الأول إلى سلاحه الأشهر والباتر وهو الخيانة فقد نجح فى الاتصال بالقائدين خاير بك والغزالى واقنعهما بالانسحاب نظير تمكينهما من المناصب العليا والاموال بعد فتح مصر. وبالفعل انسحبا بقواتهما من ساحة المعركة لينكشف قلب الجيش بقيادة الغورى الذى قيل ان مرارته انفجرت من صدمة هذه الخيانة، غير انه ظل يقاتل وهو ابن الثامنة والسبعين حتى سقط من فوق جواده وسحق تحت اقدام الخيول ومع خروج روحه ذهبت أمجاد الدولة المملوكية للابد.

وبينما كان قنصوة الغورى يموت كمدا تحت سطوة الخيانة وضياع الملك كان طومان باى فى القاهرة يدير حكم مصر بعدل لم يتعود عليه المصريون من سلاطين المماليك او غيرهم لدرجة ان المؤرخ الشهير ابن اياس وصفه قائلا: (كان محبا للعوام لين الجانب قليل الاذى غير متجبر ولا متكبر كما كان قوى الشكيمة لا يلين وزاد حبه للعدل والانصاف شعبيته بين الرعايا).

غير ان هذا العدل والتسامح لم يستمرا طويلا فقد هبت الاخبار محملة بهزيمة وقتل السلطان الغورى فى مرج دابق وكان على طومان باى ان ينتزع ابتسامة التسامح من فوق وجهه ويتمنطق بقسوة لباس الحرب_ ورغم ان خزينة البلاد فى ذلك الوقت كانت شبه خاوية الا انه رفض اقتراحا بجمع مايلزم من نفقات لمواجهة سليم الاول من الشعب واصر على خوض الحرب بالامكانيات المتاحة. وواجه سليم الاول عند الريدانية التى يحتل حى العباسية الان جانبا منها. ودارت بينهما معركة تفوق من حيث الشدة معركة مرج دابق وابلى فيها طومان باى بلاء حسنا وخاض فى قلب الجيش العثمانى لدرجة انه قتل العديد من كبار قادته وكاد يقتل سليم الاول نفسه غير ان مدافع العثمانيين الحديثة فى ذلك الوقت حسمت المعركة وتمكن سليم الاول من دخول القاهرة بعد انسحاب طومان باى الذى لم ييأس وهاجم سليم الاول فى معسكره الذى اقامه على ساحل بولاق ولكنه هزم مرة اخرى وانفض عنه جنوده فلجأ الى صديقه حسن بن مرعى زعيم قبائل البحيرة فآواه مرحبا وعاهده على الوفاء ولكنه لم يبر بعهده بل وارسل الى سليم الاول يبشره بأنه يحتفظ له برأس طومان باى فما كان منه الا ان ارسل ٤٠٠ من جنوده تمكنوا من اعتقاله وحملوه مقيدا الى القاهرة_

جنود سليم الاول قادوا طومان باى من سجنه الذى كان فى حى امبابه الى باب زويلة لكى ينفذوا فيه حكم الاعدام، وقيل ان موكبه الاخير هذا كان تاريخيا فقد كان يسير رافع الرأس يسلم على الناس طوال الطريق وعندما وصل الى ساحة الاعدام عند باب زويلة طلب من الحاضرين ان يقرأوا له الفاتحة ثلاث مرات، ثم التفت الى الجلاد وامره بتنفيذ اعدامه فورا، غير ان حبل المشنقة انقطع مرتين كأنه يأبى شنق الفارس الشجاع الذى اصر على مقاومة بطش سليم الاول حتى

النهاية ولم يلتفت الى طلب سليم الصلح منه وكذلك اشادته بفروسيته وشجاعته التى نقلها العديد من المؤرخين ومنهم المؤرخ ابن اياس الذى وصف لحظة اعدام طومان باى قائلا: عندما تم الشنق وفاضت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والاسف وكان عمره نحو ٤٤ سنة وثبت فى الحرب.

بموت طومان باى دانت الامور للسلطان الدموى سليم الاول واصبح خليفة على المسلمين بعد دخوله مكة والمدينة وغربت للابد شمس دولة المماليك ووقعت مصر فريسة للاحتلال العثمانى الذى سيطر ٤٠٠ عام بدأت عام ١٥١٧ وانتهت عام ١٩١٤ باعلان بريطانيا حمايتها على مصر وانهاء السيادة العثمانية.

يبدأ شارع سليم الاول بحديقة واسعة تتوسطها مسلة هى آخر ما تبقى من اثار مدينة عين شمس الفرعونية وتبدو منزعجة من فراق اخواتها اللاتى سرقهن المستعمرون ويتوجن الان اشهر ميادين اوروبا واميركا. ومن الحافة المقابلة يبدأ الشارع بامتداد سور قصر الطاهرة وخلفه الاشجار العالية التى تخفى ماضيا ملكيا.

مدخل الشارع تحتله عجوز تعانى من اغماء دائم وخلفها مباشرة سور بيت قديم يتصدر خلفية عمارة عالية، ويمهد لمحلات ومنشآت الشارع التى تبدأ براديو الاتحاد وفيلا صغيرة تزهو باستدارة واناقة شرفتيها.

محلات النيل ٢٠٠٠ تقع على ناصية الشارع وتفضى الى متحف عفت ناجى وسعد الخادم وامامه تطل واجهة محل باتا فى عمارة عالية تجاورها مكتبة نجمة سليم.

مقهى الف ليلة وليلة من أشهر مقاهى الشارع وهو يزدحم كل يوم اثنين بالعديد من الادباء والمفكرين الذين يفدون اليه من مصر ومختلف البلدان العربية ومنهم جابر عصفور والسيد ياسين وبهاء طاهر وجمال الغيطانى ومحمد البساطى ويوسف القعيد وادوار الخراط والشاعر العراقى غيلان والكاتب الفلسطينى عبدالقادر ياسين وغيرهم وسبب اقبالهم على هذا المقهى انه يواجه مقر حزب التجمع الذى يقيم فيه الشاعر المعروف شعبان يوسف ندوة اسبوعية

تحت عنوان (ورشة الزيتون الابداعية) وتقام به الان سلسلة من الندوات لدعم كفاح الشعب الفلسطينى.

مقر حزب التجمع بالشارع يواجه الكنيسة القبطية الارثوذكسية وجمعية الشهيد الامير تادرس التى تجاور مبنى قديم وبالقرب منهما غابة من الاشجار الكثيفة تخفى قصرا امام محطة وقود تتبعها عمارات حديثة تحتوى على عدد من المحلات منها مطعم التركى ومعارض السعادة وساعاتى القاهرة الذى يقع امام مدارس الجمهورية الخاصة.

مدرسة الجامعة الاسلامية الاعدادية بنين تقع بالشارع بالقرب من فيلا انيقة محاطة بغابة من الاشجار الكثيفة ويملكها رجل اعمال كويتى وبعدها بيت قديم رغم انه يعانى من هجر اصحابه الا ان طابقه الارضى عامر بمحلات ابرزها منجد الزيتون ومعرض الاحذية الحديثة.

البيت الذى ينتمى لاسلوب عمارة بداية القرن العشرين حيث ارتفاع الجدران واتساع وزخرفة البلكونات يمهد لظهور واجهة كنيسة الاقباط الكاثوليك التى تقع امام مدخل مستشفى جمعية الاقباط بالزيتون وبعدها يواصل الشارع امتداده حتى يصل الى نهايته على اعتاب حى المطرية.

* * *



شارع ابن سندر

يبدأ شارع ابن سندر بحديقة واسعة وأنيقة تتوج حى القبة شرق القاهرة، وينتهى امام سور قصر الطاهرة، وهو لا يستمد أهميته بين شوارع العاصمة القديمة والحديثة من تميز الموقع أو فخامة وحساسية المنشآت، فهو على عكس ذلك يمتد باسترخاء شديد بعيداً عن قلب القاهرة الاستراتيجى المزدحم، كما يفتقر بشكل عام إلى المنشآت السياسية المهمة والقصور، ولكن اهميته تنبع بشكل اساسى من التاريخ الطويل للمنطقة التى يتجول فيها ثم من اسم صاحبه.

ونبدأ بسيرة المنطقة التى يعود تاريخ العمران فيها إلى الوف السنين، فعلى أيام الفراعنة كانت دلتا نهر النيل مكونة من سبعة فروع، الشرقى فيها كان يعرف باسم بحر الطينة، وكان يمر على حافة المنطقة التى يمتد فى قلبها الشارع الان، وعلى ضفافه اقيمت مدينة اون او عين شمس او هليوبوليس، وهى مدينة فرعونية كانت مقراً لعبادة رع او الشمس عند قدماء المصريين، كما أقيمت بها اقدم جامعة عرفها العالم منذ أكثر من ٧٧ قرنا، ودرس بها اغلب فلاسفة الاغريق، ومن ابرز منجزاتها العلمية حساب التقويم الشمسى الذى نقله يوليوس قيصر إلى روما سنة ٤٦ قبل الميلاد، ويسير عليه العالم فى شتى انحاء المعمورة إلى يومنا هذا.

مدينة اون بما فيها الجامعة التى كانت تقع على مشارف المنطقة التى يمتد فيها شارع ابن سندر الان. دمرها الرومان عندما احتلوا مصر ونهبوا دررها الفنية والمعمارية ونقلوها إلى اوروبا، ومنها المسلات الشامخة التى كانت تزخر

بها، وابرزها مسلة بفلامينا التى تتوج الآن احد اهم ميادين العاصمة الايطالية روما، ومسلة على شاطىء نهر التيمس بلندن، وكذلك المسلة التى تزين الأن حديقة سنترال بارك بمدينة نيويورك.

بعد الفتح العربى لمصر عرفت المنطقة التى يتجول فيها الشارع الآن بمنية مطر وتم تحريفها الى المطرية وكانت تشمل احياء القبة والزيتون والمطرية وعين شمس، واسمها يرجع إلى الامير مطر والى مصر من قبل الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور.

وقبل الفتح العربى كانت هذه المنطقة تتمتع بمكانة مقدسة لدى اقباط مصر، فقد قيل إن السيدة مريم العذراء وطفلها السيد المسيح عليه السلام عندما هربا من بيت لحم خوفاً من الملك هيرود - نزلا بالمطرية، وأن السيدة مريم غسلت ثياب ابنها فى عين ماء كانت تجرى هناك، ثم القت ماء الغسيل فى الارض، فنبت فى موضع ماء الغسل نبات البلسان الذى كان يؤخذ منه دهن البلسان المقدس، وبسبب هذه الرواية التى شكك فيها العديد من المؤرخين كان المسيحيون يتبركون بهذه المنطقة ونبات البلسان الذى كانوا يعتقدون انه شاف للكثير من الامراض، وكانوا يخلطونه بماء التعميد، كما كان حكام مصر يحافظون على هذا النبات ويقدمونه هدايا لملوك اوروبا فى ذلك الوقت، والغريب ان اسطورة نبات البلسان المزروع فى المطرية استمرت وحافظت على قداستها حتى بعد مرور قرون عديدة على الفتح الاسلامى لمصر، فقد ذكر المؤرخ ابن اياس فى بدائع الزهور ان السلطان العثمانى سليم الاول ذهب الى بئر البلسان بالمطرية فى جماد الاخرة عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وغسل وجهه من مائها واقام هناك فترة طويلة.

اسم الشارع يرجع إلى الصحابى مسروح بن سندر الذى كان عبداً لروح بن زنباع الجذامى احد أعيان العرب فى صدر الاسلام، وفى صباه ضبطه مولاه روح يقبل جارية له، فحبسه وجذع انفه واذنه، فهرع ابن سندر إلى رسول الله ﷺ وشكا له، فارسل الرسول إلى روح رسالة يقول معناها (لا تحملوهم من العمل فوق ما يطيقون، واطعموهم مما تأكلون، والبسوهم مما تلبسون، فإن رضيتم

فأمسكوا، وان كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله، ومن مُثل به او احرق بالنار فهو حر، وهو مولى الله ورسوله).

وبمقتضى هذه الرسالة اصبح ابن سندر حراً، غير انه كان لحوحا ولم يكتف بذلك فقد طلب من رسول الله ان يوصى به فقال (اوصى بك كل مسلم)، وحفظ الخليفة ابوبكر الصديق رضى الله عنه هذه الوصية واكرم ابن سندر طوال فترة خلافته، وعندما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خير ابن سندر بين ان يجرى عليه ما كان يجريه ابو بكر الصديق وبين ان يقطعه ارضاً حيث شاء من ارض الفتوحات الاسلامية، فاختار الأخيرة وطلب الرحيل إلى مصر، وبالفعل توجه اليها عام ٢٣ هـ مصحوباً برسالة توصية كتبها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، وبناء عليها اقطعه ابن العاص بمجرد وصوله إلى مصر ارضاً فى منطقة خصبة عرفت بعده بمنية الاصبع.

عاش ابن سندر فى مصر حياة كريمة، وكان يتمتع بمكانة مرموقة، وقيل إنه كان لا يفارق ركب عمرو بن العاص اينما حل، وفى احدى المرات اثار بعض افراد الركب الغبار، فجعل عمرو طرف عمامته على انفه وقال: اتقوا الغبار فإنه اوشك شيىء دخولاً وابعده خروجاً، فقال بعضهم لهؤلاء، تنحوا، ففعلوا الا ابن سندر، فقال عمرو: دعوه فإن غبار الخصى لا يضر، فغضب ابن سندر جداً واندفع إلى عمرو قائلا: اما والله لو كنت من المؤمنين ما اذيتنى وقد علمت ان رسول الله اوصى بى كل مؤمن، فرد عمرو بن العاص ملاطفاً: يغفر لك الله فأنا بحمد الله من المؤمنين.

كانت مساحة اقطاع ابن سندر الف فدان وعندما مات اشتراها الاصبع بن عبدالعزيز بن مروان فعرفت باسمه، وقد كان والده والياً على مصر من قبل عبدالملك بن مروان، وفى هذه الارض عقد الاصبع قرانه على السيدة سكينة بنت الامام الحسين بن على بن ابى طالب غير أن الموت داهمه قبل ان يدخل بها.

المنطقة التى تحيط بالشارع الآن تعرف باسم القبة نسبة لقبة انشأها بها يشبك بن مهدى الدوادار (اى ممسك الدواة الذى يتولى تبليغ الرسائل من

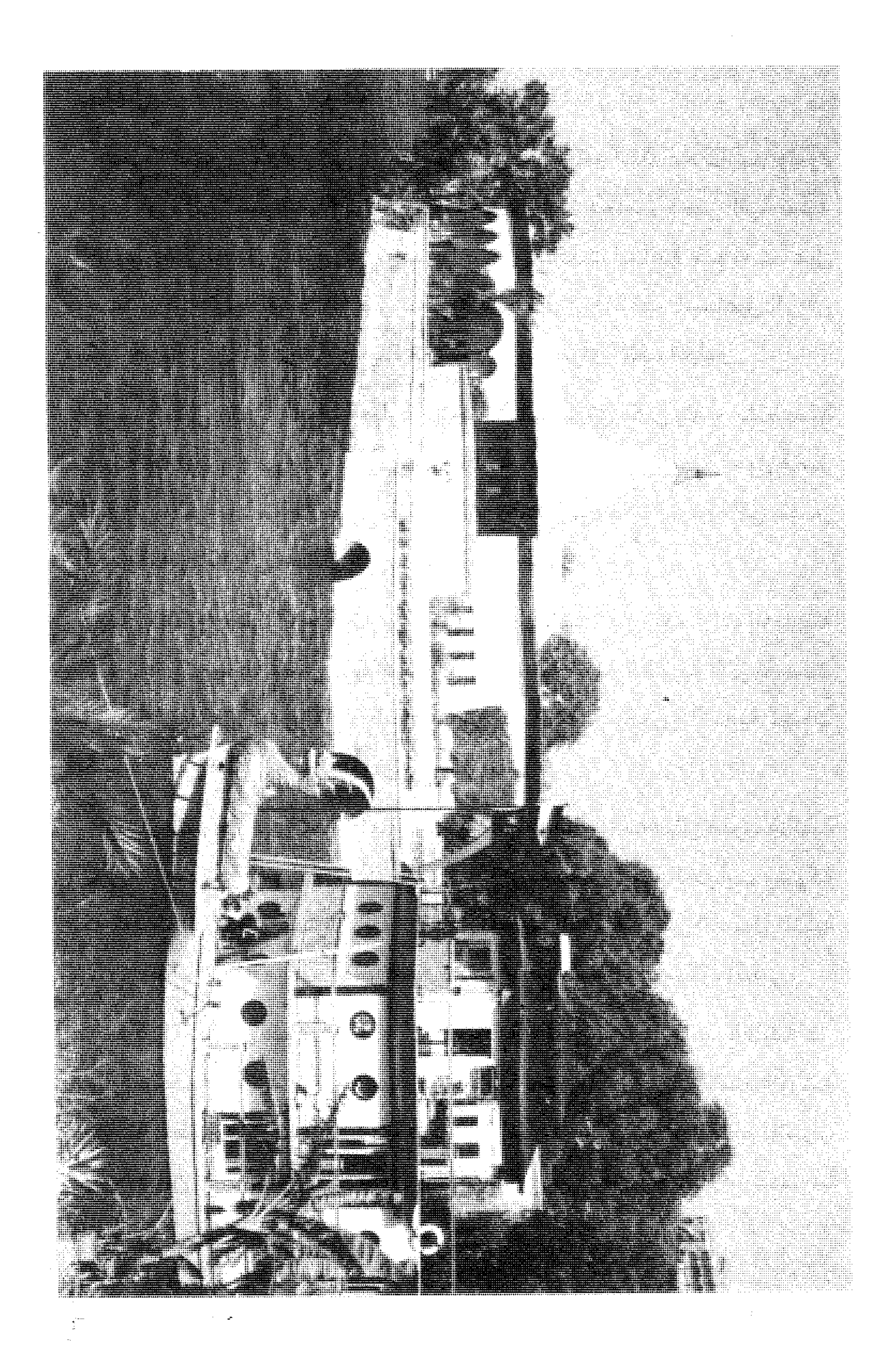
السلطان وإليه) عام ١٤٧٠م وتلك القبة كانت تتميز بفخامة اسطورية وكان يقصدها السلطان قايتباى ومن تبعه من سلاطين المماليك حتى قنصوه الغورى، فيمضون بها سحابة اليوم على سبيل التنزه والتخفف من اعباء الحكم، وكانوا قبلها يتنزهون فى منطقة كانت تعرف بخليج الزعفران وبموقعها الآن سراى الزعفران مقر ادارة جامعة عين شمس.

واذا كان الشارع يفتقر بشكل عام إلى القصور الملكية فإنه يعزى نفسه، بل ويفخر بمجاورة واحد من اهم القصور الملكية المصرية.واوسعها على الاطلاق، وهو قصر القبة الذى يقع بالقرب منه، فقد انشأه ابراهيم باشا إبن محمد على على مساحة ١٨٠ فداناً، وآل بعده بالميراث إلى ابنه مصطفى فاضل الذى لم يكن على علاقة ودية مع اخيه الخديو اسماعيل بسبب حصول الاخير على فرمان عثمانى يحصر وراثة عرش مصر فى ذريته، وقد كانت قبل ذلك فى أكبر ابناء اسرة محمد على، وبناء على ذلك فقد كانت من حق مصطفى فاضل بعد اسماعيل_ ويبدو أن الخديو - الذى جاهد فى سبيل جعل وراثة العرش فى نسله. بناء على هذا الصراع استكثر على أخيه مصطفى فاضل قصرا بفخامة قصر القبة، فاضطره إلى ان يبيعه له عام ١٨٦٦.

وفى عام ١٨٧٢ منح اسماعيل قصر القبة لابنه توفيق وفيه زفت إليه زوجته امينة بنت الهامى بن عباس حلمى الاول.

حياة توفيق فى قصر القبة كانت تشبه العزلة لأنه لم يكن محبوباً من أفراد الاسرة الحاكمة لان امه لم تكن من الاميرات، بل جارية اسمها شفق نور حملت به فى لحظة غرام من اسماعيل فاضطر الى ان يتزوجها.

وعندما ارتبكت احوال مصر السياسية والمالية فى آخر عهد اسماعيل تواترت الإشاعات بأن السلطان العثمانى قرر خلع اسماعيل وتولية توفيق مكانه_ وفى حالة رفض اسماعيل يلغى السلطان الفرمان الذى حصر وراثة الحكم فى ذرية اسماعيل، فنقل توفيق اقامته من قصر القبة إلى سراى الاسماعيلية (مكانها الان مجمع التحرير) ليكون قريباً من مجرى الاحداث، وبالفعل قصده كثير من



رجال الدولة والاعيان الذين عرفوا أن صولجان الحكم خارج لا محالة من يد اسماعيل.

وعندما انتبه اسماعيل إلى ان ابنه توفيق يمهد لخلعه استدعاه غاضباً وامره بالعودة فوراً إلى قصر القبة، كما امر بمنع الناس عنه، وحاصر قصر القبة نفسه بالجنود، وظل توفيق مسجوناً بين اسواره حتى تأكدت اشاعة خلع اسماعيل ووصلت برقية توليه توفيق من قبل السلطان العثماني_ فاضطر اسماعيل الى ان يفك الحصار عن ابنه توفيق ويعيده مرة اخرى إلى سراى الاسماعيلية_

شهد توفيق الثورة العرابية وبارك الاحتلال الانجليزى وكان يتميز بشخصية ضعيفة وباهته، وتوفى وهو فى الاربعين من عمره عام ١٨٩٢، وبعده تحول قصر القبة إلى ملكية خاصة للاسرة المالكة، وفيه زفت خديجة ابنة توفيق الى عباس حليم، ومنه انتقلا فى احتفال ضخم الى سراى حلوان.

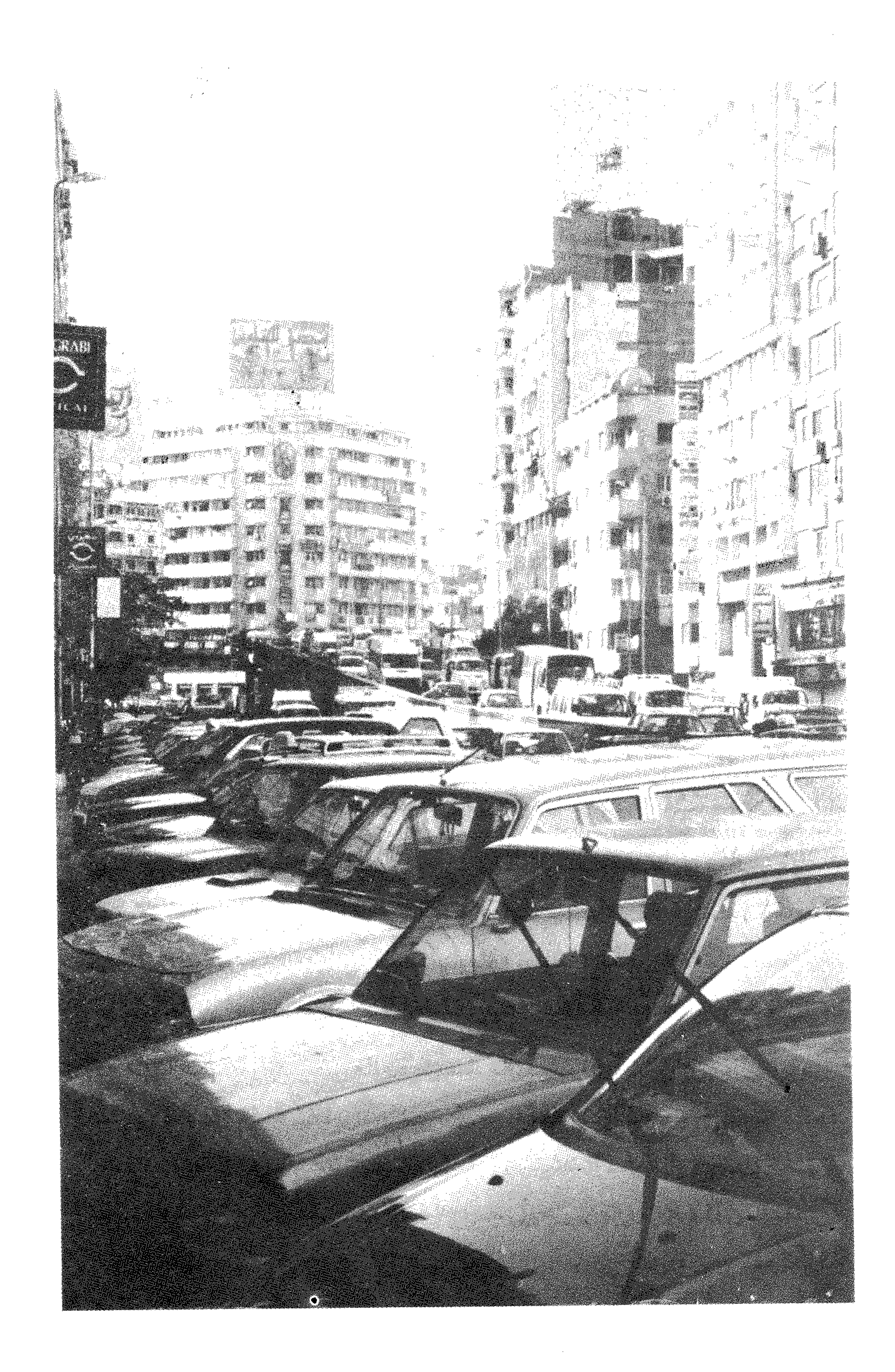
يبدأ الشارع باتساع حديقةابن سندر يتبعها عدد من العمارات الحديثة والضخمة، يتوسطها قصر قديم يحتوى على جمعية القبة الخيرية التى تأسست عام ١٩٦٦، وداخل السور لافتة ضخمة تعلن عن الشركة المصرية الالمانية لمهمات المكاتب، وبعده تطل واجهة محل دواجن ابن سندر.

القصر القديم الذى تحيط به اطلال حديقة مهملة يواجه مبنى مدرسة القبة الثانوية العسكرية التى تأسست عام ١٩٣٢, وبعدهما منجد الحبايب وشركة مكة لمعدات البناء فى عمارة عالية، ومطعم افندينا الذى يعلن عن الاصول الملكية للشارع وبالقرب منه واجهة قصر قديم تخفى جامع المقصورة ومركزه الطبى.

حلوانى اميركان سويت بمخبوزاته الشرقية والغربية يحتل ناصية انيقة فى عمارة ضخمة، بعدها ارض فضاء يحيط بها سور ملكى قديم وتستغله ورشة لصناعة المطابخ والابواب الخشبية، وداخلها اشجار تبكى عزها القديم بالقرب من عدد من المحلات والورش حول جراج يجاور سور حديقة غادرها قصرها وناسها منذ زمن بعيد.

مدرسة سراى القبة الثانوية للبنات تقع بالشارع خلف واجهة قصر مصنوعة من أحجار منحوتة على شاكلة الزهور وأوراق الشجر، وفى مواجهتها يتسع الشارع لانشطة مركز شباب سراى القبة، وبعدها عمارة حديثة عالية ومركز اتصالات القبة الذى يمهد لنهاية الشارع التى تقع امام سور قصر الطاهرة.

* * *



مراد باشا وشارع ديجول

شارع " شارل ديجول " وامتداده شارع " مراد " هو علامة الجيزة وبؤرة تاريخها القديم والحديث وشريانها الأهم ، يبدأ بظلال الحضارة الفرعونية الكامنة فى نقطة بداية شارع الهرم ويلفظ أنفاسه الاخيرة داخل ظلمات نفق العجوزة تحت ثقل أقدام الحضارة المتجسدة فى فندق شيراتون القاهرة وأمام العيون الدامعة لكوبرى ميدان الجلاء .

امتداد الشارع مازال شاهداً على معارك شهيرة وحامية بين الفرنسيين والمماليك الى رحيل الفرنسيين نهائياً عن مصر واندحار المماليك على يدى محمد على باشا ، كما أدت حديثاً الى انقسام الشارع الى اسمين متناقضين كل منهما يحفظ للصراع القديم هيبته وتاريخه وفى نفس يعد محاولة للمصحلة بين خصمين لدودين تحت التراب بعد أن فشلا فى ذلك فى الحياة الدنيا الأول «مراد» الزعيم الاكبر للمماليك والاخر شارل ديجول مؤسس فرنسا الحديثة.

وغم أن شارع" مراد " وامتداده " شارل ديجول " طوال التاريخ المصرى كان بسبب مجرى النيل منفصلاً جغرافياً عن بؤرة الحكم فى مصر الا أنه فى نفس الوقت كان دائماً يتراقص فى مخيلة كافة الحكام باعتبار أرضه مصدراً للخير وسكانه مصدراً للقلاقل ، فقيل الفتح العربى والاسلامى لمصر كانت نهايته من ناحية " مراد " جزءاً من منطقة الجيزة القديمة التى كانت عامرة بالاسواق والحوانيت ومزدحمة بالتجار وارباب المهن المختلفة فقد كانت كما روى العديد من المؤرخين المكان المفضل للتجار البن والحرير والعقاقير والجزارين والخضرية.

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر عبرت بعض القبائل العربية الى غرى النيل واستقرت بالجيزة وتحديداً بالقرب من المنطقة التى يتهادى فوقها الشارع الان ومع اعتدال مناخ الجيزة وكثرة خيراتها أصرت القبائل على عدم مغادراتها مخالفة بذلك أوامر عمرو بن العاص الذى اضطر امام تمسكهم بالقباء خصوصاً قبائل " همدان ويافع " الى استشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى امرهم فرد عليه ابن الخطاب " كيف رضيت ان تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحراً لا تدرى ما يفجؤهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فأجمعهم إليك ولا تفرقهم فإن أبوا عليك وأعجبهم موضع بالجيزة وأحبوا ما هناك فابن عليهم من فيء المسلمين حصنا " فاندفع عمرو بن العاص إلى بناء الحصن ولكن القبائل رفضت الإقامة به فنظرا لطبيعتهم الصحراوية القاسية اعتبروا التوارى خلف اسوار الحصن إهانة لكرامتهم وقوة بأسهم وقالوا " لا حصن أحصن لنا من سيوفنا " هذا الحصن بالطبع تلاشى على المستوى المعمارى من الوجود ولم يبق منه سوى اسمه المخطوط على لافته أحد الشوارع او الحوارى القصيرة الموصلة بين الشارع ونهر النيل .

ومما يروى عن الشارع ان المعتصم بالله منح كبير النوبة زكريا بن بخنس واحدة من أفخم الدور التى كانت تقع بالقرب من الشارع وتلك المنحة السخية كانت نهاية طيبة لصراع دام بين العرب والنوبيين بدأ بامتناع النوبيين عن تأدية فريضة " القبط " وهى عبارة عن ضريبة فرضت منذ أيام عمرو بن العاص على سباياهم الذين كانوا يبيعونها فى القاهرة وهذا المنع واجهة والاة بغارة كبيرة عليهم وكذلك بتطبيق حصار قاس منع عنهم كافة البضائع أو امام ذلك كاد كبير النوبة زكريا بن بخنس يوافق عى معاودة دفع " القبط " لوالى مصر غير ان ابنه فرقى واتهمه بالعجز والجبن وطالبه باعلان الحرب على المسلمين فاضطر الى ان يسايره وقال له " هذا شىء راه السلف من ابائنا صوابا واخشى ان يفضى هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير أنى اوجهك الى ملكهم رسولاً لترى حالنا وحالهم فإن رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة وإذا رأيتهم أقوى فاسأل أميرهم الإحسان إلينا».

فخرج فرقى ابن كبير النوبة الى بغداد والتقى بالمعتصم فصعق من كثرة الجيوش وعظم العمارة ، ولكى يخفف المعتصم من خوفه قربه إليه وكافأه ولبى كل طلباته وأمر بأن يمنح والده أفخر دور الجيزة فى ذلك الوقت ، كما منح سبعمائة دينار وفرسا وسرجا ولجاما وسيفاً محلى وثوباً مثقلا وعمامة من الخز فعاد من ذلك مقتنعاً بحكمة والده ـ كبير النوبة ـ التى ترى ان محاربة المسلمين نوعاً من الجنون ، ودخل الجيزة فى موكب ضخم قيل إنه مر من المنطقة التى تحتلها نهاية الشارع الان .

بعد رحيل قوات الحملة الفرنسية عن مصر وتصيب محمد على باشا والياً عليها كانت المنطقة التى يشقها أول الشارع الان على موعد مع أحد الفصول الأليمة لنهاية المماليك فكما يقول " الجبرتى " فإن إبراهيم بك الكبير زعيم أمراء المماليك عندما قدم من الصعيد هو وقواته واتباعه لعقد الصلح مع محمد على نزل بالجيزة وكان معه عرب هوارة وكان ذلك فى يوم الثلاثاء ١١ ربيع الثانى عام ١٢٢٥ هـ ولم تطلق المدافع كالعادة لامراء المماليك فاغتاظ إبراهيم بك وقال بحسرة " يا سبحان الله ما هذا الاختقار ألم أكن أمير مصر نيفاً وأربعين سنه وتقلدت وزارتها وولايتها مراراً وفى الاخر صارمحمد على من اتباعى واعطيته خرجه من كلارى ثم أحضر أنا واتباعى وباقى الامراء على صورة الصلح فلا يضرب لنا مدفعاً كما يفعل لحضور بعض الافرنج " .

هذا الصلح كما هو معروف فشل على ارض الجيزة بسبب اتساع الفجوة بين شاهين بك مندوب محمد على الذى ارسله للجيزة وإبراهيم بك ، فالاول حسب أوامر الباشا أصر على تسليم المماليك لكامل أسلحتهم، والاخر لم يجد بديلا عن مشاركة محمد على فى حكم مصر لذلك لم يتمخض حوارهما داخل أحد قصور الجيزة سوى عن خطبة مؤثرة ألقاها إبراهيم بك على مسامع شاهين بك وعدد فيها افعال محمد على ضد المماليك ، فضلا عن انها يمكن اعتبارها ايذانا ادبياً بنهاية عصر المماليك فى مصر الى الابد .. فقد قال فيها مخاطباً الباشا فى شخص مندوبه " واعلم يا ولدى اننا كنا بمصر نحو العشرة الاف أو اكثر ما بين مقدمى الوف وامراء ومماليك واجناد وطوائف وخدم واتباع وكنا

مترفين منعمين بكل متع الحياة ، وكل أمير منا كان مختصاً بإقطاعه مع كثرة مصارفنا وانعامنا على اتباعنا ومن ينسب الينا ، واسمطة الجميع ممدوة فى اوقات معهودة ولا نعرف عسكراً ولا علوفه عسكر مع من كان يلزمنا من المصاريف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطات وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العرب وكلف الوزراء والاغوات والهدايا السلطانية وغير ذلك حتى صار كل فرع بإيراد اقليم ومع ذلك يمنع عنا ما نتعيش به وعيالينا ومن بقى من اتباعنا وممالكينا بل قصد الى صيدنا وهلاكنا عن آخرنا».

محمد على باشا اهتم بالمنطقة المحيطة بالشارع ونقل بالقرب منها مدرسة السوارى مما شجع بعد ذلك بعض امراء الاسرة المالكة بأن يرصعوا حوافه القريبة بقصورهم ، وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ حاولت ان تخفف العبء المرورى عن الشارع بأن أقامت عام ١٩٥٧ كوبرى الجامعة الذى يعد اول كوبرى فى مصر يقام بطريقة اللحام .

اما الرئيس السادات فقد وصل بالاهتمام بالشارع الى الذروة لدرجة انه حاول ان يجعله بؤرة الحكم فى مصر ، فنقل اقامته الدائمة فى احد القصور القريبة وبين اركانها فكر السادات فى العديد من قراراته والتقى بالعديد من الرؤساء ومنهم العقيد القذافى الذى مر بالشارع والتقى فيه بالسادات مرات عديدة كانت اخرها كما قال محمد حسنين هيكل فى إحدى مقالاته «بداية الانقطاع العلاقة بين القذافى والسادات إلى الابد».

يبدأ الشارع الآن من ميدان الجيزة عند بداية شارع الهرم بمكتب بريد الجيزة وكشرى عماد الذى ينافسه على الواجهة كشرى الخديوية ومكتبة سمير وعلى التى يجلس امامها بشكل دائم شاب يبيع الساعات ويبدو حانقاً على أسرة كاملة من المتسولين تزاحمه على واجهة الشارع .

كنيسة المطرانية تتميز بعمارتها القبطية العريقة داخل الشارع وبالقرب منها كان يقع مقر مجمع اللغة العربية أو مجمع الخالدين قبل ان ينتقل الى مقره الحالى فى الزمالك وفى هذه المنطقة يوجد ايضا بنك قناة السويس الذى يواجه

بنك الاستثمار العربى وبعدهما مباشرة ينتهى شارع مراد أو الجزء المخصص للمماليك فى الشارع ليفسح المجال لبداية الجزء المخصص للتاريخ الفرنسى، أى شارع شارل ديجول بناصية الشارع الذى يحمل اسم الحصن الذى بناه عمرو بن العاص للقبائل العربية ، ومن الجهة المقابلة تظهر اول حديقة انشئت فى مصر على الطراز الحديث وكانت قبل انتقالها للشارع تقع فى قصر الجزيرة الذى بناه الخديو اسماعيل وكانت محاطة ببستان يحرسه سور عال وقد جلب إليها اسماعيل من كافة بلدان العالم ٧٥ نوعاً من الحيوانات الغريبة و ١٥٠ نوعاً من الطيور النادرة ، وكانت طرقاتها مفروشة بالرمل والزلط الملون ومضاءة بمصابيح الغاز كما كانت مقسمة الى اثنين وثلاثين قسماً ، تبعاً لفصائل الحيوان ونقلت الى الشارع فى نهاية القرن ١٩ بعد أن زيدت انواعها لتصبح ٦٨٠ نوعاً من الحيوان و ٣١٥٠ من الطيور و ٣١٢ من الزواحف ومكانها الحالى فى الاصل كان جزءاً من حديقة سراى الجيزة الشهيرة التى كانت تتميز بمبناها الاسطورى وحديقتها التى لم يكن لها مثيل ولم يبق منها الا الجزء المواجه لسور حديقة حيوان الجيزة .

فى مواجهة سور حديقة الحيوان من الجهة الأخرى من الشارع تطل مدرسة الجيزة القومية وبرج الجيزة الادارى فى مبناه الذى يشبه ناطحات السحاب وواجهته الزجاجية .

وفى رقم ٢٩ من الشارع تستقر سفارة فرنسا فى مبنى شديد البساطة والاناقة وهذا المبنى كان فى الاصل مملوكاً لبطرس باشا غالى رئيس وزراء مصر الذى اغتاله إبراهيم الوردانى عام ١٩١٠ وبعده أفخم المراكز التجارية فيرست مول ثم قصر الاليزية للحلويات وحديقة مملوكة للمواطن أحمد جمال الدين الذى نظرا لندرة الارض الفراغ فى الشارع اضطر لان يعلق على واجهتها لافته تهدد أى واحد يقترب منها بالقضاء.

الشارع فضلا عن منشأته يتميز بأشجاره الضخمة والعجوزة التى ترجع ألى ايام الملكية وتسوطنها الآن ربما لوجود حديقة الحيوان طيور ابو قردان وفى نهاية الحديقة يتسع الميدان الذى يتوسطه تمثال نهضة مصر الذى صممه الفنان

الرائد محمود مختار عام ١٩٣٨ وإن كان هذا التاريخ يفتقر الى الدقة ، فقد حفر بشكل عشوائى لم يبين تاريخ نصب التمثال فى الميدان أو اسم الحاكم الذى أمر بنصبه .

الميدان يفتح على كوبرى الجامعة الذى يئن تحت ثقل السفارة الاسرائيلية التى تحتل أعلى طابقين فى العمارة المجاورة له ، وعلى الناحية المقابلة منه زاوية حديقة الاورمان التى انشئت فى عام ١٨٧٥ حسب تصميم مهندس قيل انه صمم قبلها حدائق باريس وهى تحتوى حتى الان على مجموعة من الاشجار و نباتات الزينة النادرة .

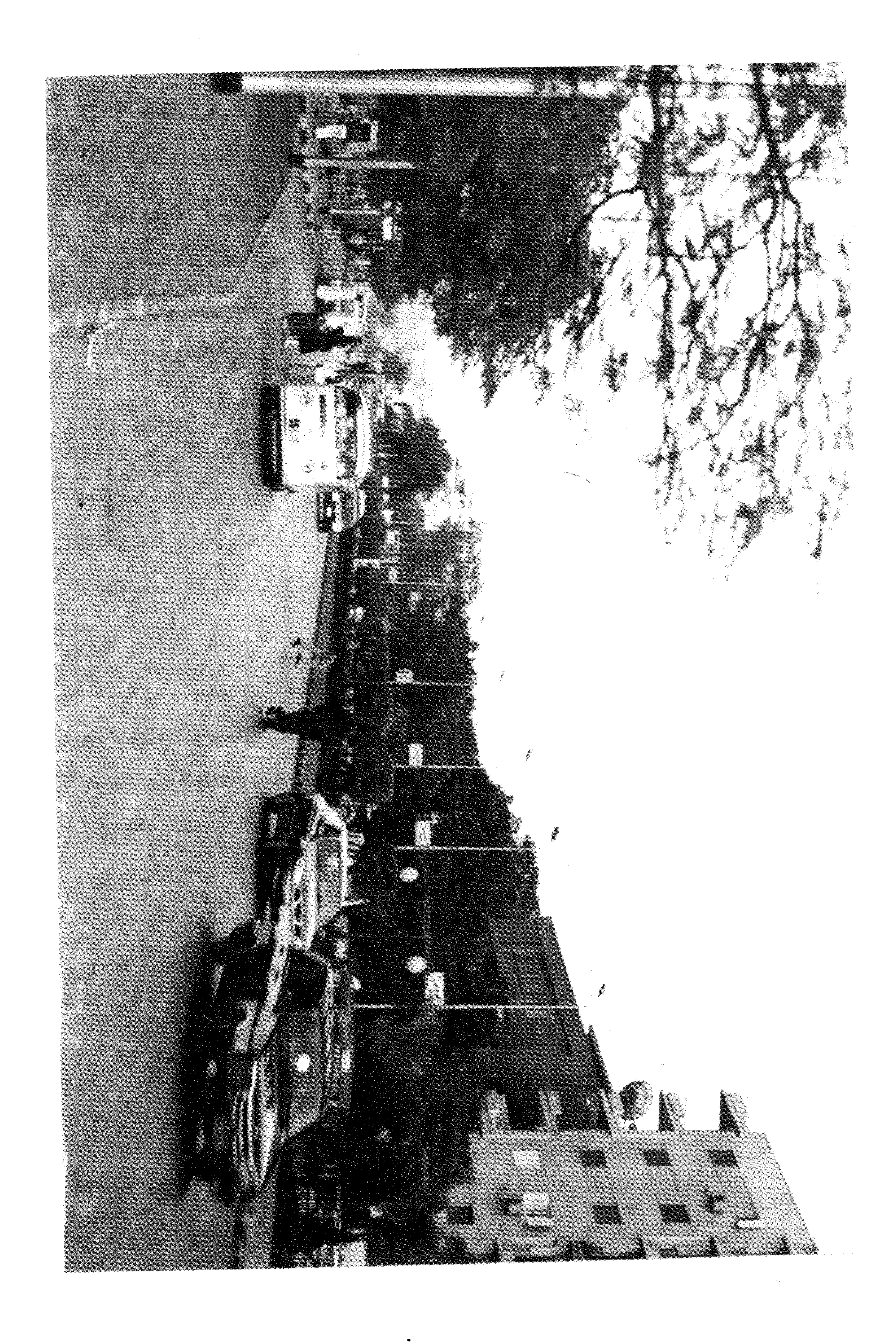
باقى الشارع من مديرية أمن الجيزة وأمانة الحزب الوطنى الديمقراطى كان مغموراً بمياه النيل قبل أن يستقر فى مكانه الحالى عام ١٨٧٠ ومن أهم معالمه مدرسة اسماء فهمى للتعليم الاساسى والجمعية النسائية لرعاية اسر الشهداء والمقاتلين بمبناها المتواضع الذى يبررتماماً إعلانها على ناصية الشارع من استعدادها لتلقى أى تبرعات أو هبات .

محطة مياه الجيزة تقع على واجهة الشارع داخل مبنى يعود الى عهد الاحتلال الانجليزى لمصر ، وتواجهها لافتة تعلن ان مكتبة مبارك على بعد خطوات وبعدها دار مخصصة للمدرسين الاجانب فى مدرسة الحرية للغات ثم مبنى مجلس الدولة ومقر السفارة الروسية الذى يجاروه متحف محمد محمود خليل وحرمه وداخل القصر الانيق الذى اوصى محمود خليل وحرمه بأن يؤول الى الدولة بعد وفاتهما عدد من أشهر اللوحات العالمية وقد جمع محمود خليل وحرمه محتوياته من كنوز الفن التشكيلى فى العالم على مدى أربعين عاماً وهى عبارة عن تنويعة نادرة من المدرسة التشكيلية الفرنسية والمدرسة الواقعية بجوار أعمال بودان ومونيه ورينوا وبيسارو وفان جوخ بالإضافة أى العديد من أعمال رواد الفن التشكيلى الانجليز والتشكيك والطليان والمصريين فضلاً عن أعمال النحت من مختلف المدارس العالمية.

وبالقرب من المتحف تطل واجهة جمعية نهضة المرأة فى مبنى عتيق يضم دارًا للمغتربات وحضانة ويجاروه قسم شرطة الدقى الذى يقع داخل قصر تدلل

أناقته واتساع حديقته على أنه كان مملوكاً لاحد الإقطاعيين قبل ثورة يوليو ١٩٢٣ وبالضبط أمام واجهة فندق شيراتون القاهرة ومدخل نفق العجوزة يلفظ الشارع أنفاسه الأخيرة .

* * *



جمال الدين الأفغانى

مع شارع جمال الدين الافغانى نتجاوز نهر النيل ناحية الغرب ونتخفف قليلا من العبق القديم لاجواء القاهرة القديمة والاوروبية , ونتفرغ للتوغل وسط روائح وعوالم محافظة الجيزة التى رغم انها اداريا مجرد جزء تابع لرقعة القاهرة الكبرى الا انها تنافس اصلها الفاطمى الذى اسسه القائد جوهر الصقلى وقلبها الاوروبى الذى شيده الخديو اسماعيل فى اعز ما تملك على المستوى التاريخى والتجارى والفنى وكذلك فى اغراء ابناء الطبقات الغنية بالسكن بها .

الجيزة كانت مدينة عامرة منذ العهود الرومانية ، ولم تكن بعيدة عن وقائع وأحداث الفتح الاسلامى لمصر وكانت فى ذلك الوقت عامرة بالاسواق. وعلى الجانب الفنى استطاع شارع الهرم اشهر شوارعها ان يسحب البساط من تحت اقدم شارع عماد الدين اشهر واعرق الشوارع الفنية فى القاهرة، فضلاً عن احياء الجيزة الراقية هزت مكانه وارستقراطية احياء القاهرة وصارت من ارقى مناطق القاهرة الكبرى المشتهاة للطبقات الغنية .

كانت الجيزة مزدحمة بالدور والحوانيت والحانات قبل الفتح الاسلامى لمصر، وبعده كانت محل اهتمام معظم حكام مصر، سواء من الذين سعوا الى تعميرها مثل كافور الإخشيدى الذى شيد بها جامعاً كبيراً أومن الذين حرصوا على الاستفادة القصوى من خبراتها وأبرزها المنتجات الزراعية التى كانت ارض الشارع ممولاً اساسياً لها ، ومنهم السلطان المملوكى محمد بن قلاوون الذى أصدر مرسوماً ملكياً بأن تذهب اليه شخصياً كل أموال الضرائب التى يتم تحصيلها من متاجر الجيزة وأراضيها.

اما فى بواكير العصر الحديث فقد شهدت الجيزة أهم المناوشات الحاسمة التى ادت الى انتصار محمد على باشا على المماليك وفيها تعرض الباشا لمحاولة اغتيال كادت تودى بحياته، فأثناء سباق الخيل الذى نظمه محمد على بالجيزة ورمح فيه بنفسه انطلقت رصاصة من وسط الحقول قاصدة إزهاق روحه غير انها اخطاته وأردت أحد غلمانه المقربين قتيلاً فما كان من محمد على الا ان ترك مقر الحكم بالقلعة وعسكر بالجيزة ثلاثة ايام كانت كفيلة بالقضاء على مؤامرة المماليك .

شارع جمال الدين الافغانى يأتى ضمن قائمة شوارع الجيزة الحديثة ويبدأ من حافة شارع الهرم الذى كان على مدى قرون عديدة مجرد ممر ضيق لنهب الفرعونية. ويمتد وسط عدد من المنشأت الفنية والثقافية المهمة وهى قاعة سيد درويش ومعاهد اكاديمية الفنون ومعهد السينما واقليم القاهرة الثقافى.

شارع جمال الدين الافغانى فضلاً عن تميز موقعه بالنسبة لشوارع الجيزة ومعانقته لشارع الهرم موطن السهرات والحفلات والنجوم وضمه لعدد من المنشأت الفنية والثقافية يستمد مكانته من اسم صاحبه ، فهو علم من أعلام النهضة الفكرية الحديثة، وزعيم روحى شرقى ومصلح اجتماعى عصرى، وداعية سياسى ثورى .

جمال الدين الأفغانى تضاربت اقوال المؤرخين حول نسبته ومولده فمنهم من قال إنه إيرانى ولد فى أسعد آباد ، ومنهم من قال إنه ولد فى أذربيجان ومنهم من أطاح بنسبه الى قرية شيروت الهندية غير أن ارجح المصادر التاريخية تؤكد أنه ولد فى إحدى قرى " كنر " التى تقع ضمن أعمال كابول فى أفغانستان وأن والده " صفتر " كان من سادات الافغان فهو ينتسب الى الترمذى العالم المحدث الذى يرتقى نسبه الى الامام الحسن بن على أبى طالب.

الأفغانى بدأ دراسته فى افغانستان وإيران بتحصيل اللغة العربية والعلوم الشرعية والعقلية وفى شبابه التحق بخدمة الامير " دوست خام " حاكم أفغانستان وعندما نشبت الحرب الاهلية بين أبناء الحاكم بعد وفاته انضم الى احدهم وهو الامير محمد اعظم وبفضله استطاع هذا الامير ارتقاء عرش

افغانستان فقرب الافغانى واتخذه كبيراً لوزرائه، غير لم تدم للافغانى طويلاً فسرعان ما ناصر الانجليز الامير «شير على» وامدوه بالمال والسلاح فانتصر على اخيه الامير محمد أعظم وهنا وجد الافغانى نفسه مضطراً لمغادرة البلاد، فتوجه الى الهند واقام فيها شهراً لم يفتر خلاله عن توبيخ الهنود على تخاذلهم واستكانتهم للاستعمار الانجليزى وهنا نستشهد بخطبته التى لام فيها الهنود قائلاً " انكم ملايين عديدة من البشر ، ولو كنتم ملايين من الذباب ، لاوشك طنينكم ان يصم اذان الانجليز ».

الافغانى دخل الأراضى المصرية لأول مرة عام ١٨٦٩ وفى ذلك الوقت كانت ارض الشارع عبارة عن رقعة زراعية يجاورها عدد من القصور احدها لابن الخديو إسماعيل وبمجرد وصول الافغانى للقاهرة التف حوله الشيخ محمد عبده والشيخ حسن الطويل وغيرهما من الطامحين الى الإصلاح والتغيير غير أن الافغانى سرعان ما غادر القاهرة واتجه الى أسطنبول بسبب مؤامرات بعض الذين صدمتهم حداثة تعاليمه واعتبروها خطراً على العقيدة الاسلامية .

فى اسطنبول رحب العلماء واصحاب المناصب بالافغانى كما أكرم السلطان عبدالحميد وفادته مما يسر له الفرصة لمواصلة الدعوة للاصلاح الدينى والسياسى وسرعان ما علا مقامة وطار صيته فى كافة انجاء تركيا ولكنه مرة أخرى وقع فى شرك مؤامرات اعدائه الذين واتتهم فرصة النيل منه وتأليب عامة الناس عليه عندما قارن بين الفلسفة والنبوة قائلاً " الفلسفة صناعة إنسانية تكتسب بالتأمل والنظر .. أما النبوة فموهبة روحانية قدسية أودعها الله فى من اصطفاهم من أهل الصفاء . تلك المقارنة اتخذت ذريعة للطعن فى الافغانى واتهامه بأنه زعم أن النبوة صناعة وأن النبى صانع ، وأنه استعمل فى خطابه عبارات منافية للدين وماسة بحرمته وعندما اشتد اللغط طلبت الحكومة التركية من جمال الدين الافغانى مغادرة أراضيها فرحل مرة اخرى إلى مصر عام ١٨٧١ وفى القاهرة التف حول الافغانى الكثير من طلاب العلم وعلى رأسهم تلميذه الإمام محمد عبده مما مهد له له بث تعاليمه التى لم يكن الناس عهد بها وقد وجد فيه الشباب المصرى والعربى روحاً جديدة غير مألوفة لدى شيوخ

الازهر ومما زادهم شغفاً به والتفافاً حول وضوح مذهبه، ودقة وعمق نظرته للحياة ومنهجه الذى يجمع بين مجالى النظر والعمل ويشتمل على التأمل فى الله والعالم والانسان لذلك استطاع ان يفتح اعينهم على ظلم وتخلف واقعهم.

خطب جمال الدين الافغانى المحرضة للشباب المصرى الطامح فى الاصلاح والتجديد عجلت برحيله عن مصر ففى ذلك الوقت تم عزل الخديو اسماعيل وتحكمت فرنسا وانجلترا فى شئون مصر الداخلية وبناء على نصيحتهما اصدر الخديو الجديد توفيق قراراً بطرد الافغانى من مصر فشد الرحال الى الهند وهناك واصل مقاومته للاحتلال الانجليزى وعندما قامت الثورة العرابية فى مصر فرضت عليه الحكومة الهندية الاقامة الجبرية فى مدينة كلكتا غير ان فشل العرابيين فى فك أسرة فغادر الهند الى باريس واقام بها ثلاث سنوات حفلت بالنشاط السياسى والدعوة إلى تخليص البلاد الشرقية من الاستعمار الغربى.

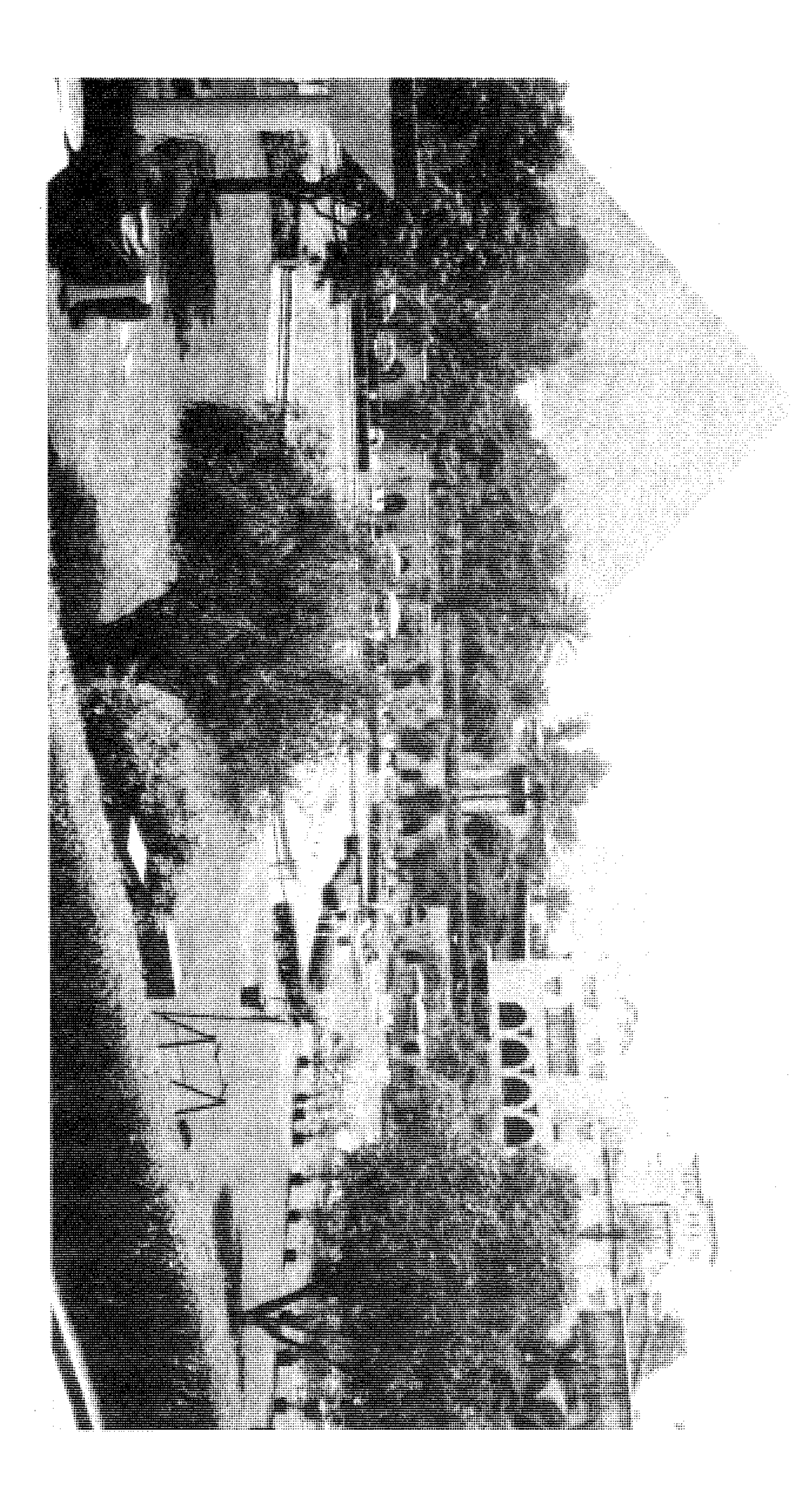
الافغانى لم يتزوج طوال حياته وختم رحلاته بقبول دعوة السلطان عبدالحميد بالإقامة فى تركيا التى ظل بها حتى فى ٩ مارس ١٨٧٩ ودفن فى قبر ظل مجهولاً حتى كشف عنه العالم الامريكى كرين واعاد تشييده عام ١٩٢٦ وفى عام ١٩٤٤ نقلت رفاته الى افغانستان .

شارع جمال الدين الافغانى يبدأ من ناحية شارع «خاتم المرسلين» بقاعة سيد درويش التى تعد من كبريات قاعات الموسيقى بالشرق الاوسط قد افتتحها على ناصية الشارع د. ثروت عكاشه وزير الثقافة المصرى الاسبق قبل هزيمة ١٩٦٧ بأيام قليلة وبحضور نواب الرئيس جمال عبد الناصر وامين عام الجامعة العربية ورجال السلك الدبلوماسى العربية والاجنبية وعدد كبير من المثقفين والفنانين منهم شارلى مونش اعظم مايسترو فى فرنسا فى ذلك الوقت.

بائع الصحف الذى يعامل زبائنه بقسوة ظاهرة يفترش بضاعته على ناصية الشارع ويجاور سينما الاهرام التى تعانى من تصدع واضح يرشحها لان تكون اقدم منشآت الشارع وبعدها تتجاور عدد من العمارات الحديثة لا يلفت النظر

فيها الا الطلبة والطالبات المتجمهرون حول باب معهد السينما ودار الامان التى تقع قرب نهاية الشارع وهى ليست مقبرة ولكنها سور ضخم يلف مبنيين بديعين هادئين وفى مواجهتها تبدو مئذنة مسجد نقابة المهن التمثيلية وتطل واجهة ستديو النيل ويتجاور فى الشارع عدد من المقاهى والمحلات الحديثة قبل ان يبلغ نهايته على أعتاب شارع الهرم.

* * *



شارع الهرم

ينفرد شارع الهرم فى القاهرة الكبرى بارتباطه الوثيق بالحضارة الفرعونية، فإذا كانت بعض الشوارع الشهيرة فى هذه المدينة تزدحم بآثار الحضارة الاسلامية، فإن هذا الشارع يقف شاهداً على ملامح حضارة عمرها سبعة الاف عام من تاريخ البشرية .

ليس فقط لأنه ينتهى بأهرامات الجيزة، ولكن ايضا لأن سبب وجود هذا الشارع يرجع إلى أن صلاح الدين الايوبى اتخذ من أرضه الممهدة جسراً لنقل الاحجار التى تم اقتلاعها من الاهرامات لتشييد قلعته على حافة جبل المقطم ، والتى صارت بعده مقراً لحكم مصر حتى عهد محمد على باشا.. كانت عملية قاسية سواء على العمال الذين اقتلعوا هذه الاحجار او على الحمير والبغال التى نقلتها عبر جسر او شارع الهرم ، اما قسوتها الفادحة فقد كانت على اثار الحضارة الفرعونية التى شوهت دون شك ولحسن الحظ ان صلاح الدين لم يبن قلعة اخرى والا كان قد ازال من الوجود الدليل الاهم على عظمة تلك الحضارة.

شارع الهرم - أو الاهرام - لم يتأسس فى عهد صلاح الدين الايوبى أو فى عصر الدولة المملوكية ولكنه تأخر قروناً فبعد اتمام بناء القلعة ظلت منطقة جسر الهرم مهملة ولم يكن يمر بها سوى بعض الامراء الذين وجدوا فى نهب آثار الجيزة وسيلة سهلة لبناء القصور والجوامع وكذلك بعض المتآمرين من المستشرقين الذين كانوا يدعون الولع باكتشاف اسرار الحضارة الفرعونية رغم ان رغبتهم الحقيقية كانت المتاجرة فى الآثار، وكانت مهمتهم الاجرامية سهلة

وعلى اسس قانونية فلم يكن فى مصر قانون يمنع سرقة الاثار لدرجة ان الاثار التى كان يتم اكتشافها عبر الجهات الرسمية او الملكية كانت تقسم بالتساوى بين الحكومة المصرية والمكتشف الاجنبى .

وظل جسر الهرم على حاله كدرب خفى ومريح لنهب الاثار المصرية الى أن زار السلطان العثمانى عبد العزيز مصر فى أبريل عام ١٨٦٣ فبسبب ان السلطان العثمانى أبدى قبل القيام بزيارته التاريخية لمصر رغبته فى التمتع بجولة سياحية او ترفيهية حول اهرامات الجيزة. أنشأ الخديو اسماعيل - على عجل - شارع أو جسر الهرم وزينه بالاشجار على الجانبين وعمل به قناطر وبرابخ تمر فيها المياه للرى ، فليس من اللائق ان يمر سلطان الامبراطورية العثمانية من جسر كان مخصصاً لسارقى الاثار .

تمت زيارة السلطان عبد العزيز على خير وجه فى ابريل عام ١٨٦٣ ومر من شارع الهرم واستراح فى الطالبية او قرية الطالبية قبل ان يتجول حول الاهرامات ومنذ ذلك التاريخ والى فترة طويلة كان معظم رواد هذا الشارع من المتفرجين على الاهرامات والاثار القديمة وعند اخره أقام إسماعيل قصراً فى غاية الروعة وعلى احد جانبيه أنشأ اخر يحتوى على حديقة مربعة كانت مساحتها تساوى نحو خمسمائة فدان ، وكانت تلك الحديقة تشتمل كما يقول على باشا مبارك فى خططة التوفيقية من العجائب ما يبهر العقول الى جوار الشلالات والازهار والرياحين والطيور والوحوش والحيوانات الجبلية وكل نوع منها فى مقاصير خاصة به وقد روعى رفع ارضها بحيث لا تنضح بالماء فى زمن الفيضان الذى كان يعم تلك المنطقة من الجهة الغربية كما شيد اسماعيل فى شارع الهرم قصرين عظيمين بحدائق وبساتين تحيط بهما اسوار مبنية بالاحجار الملونة ومساحتهما كانت نحو ثلاثة وتسعين فداناً احداهما لنجله حسين باشا والاخر لنجله حسن باشا ، ثم أنشأ الخديو إسماعيل فى وسط شارع الهرم سكة حديد كانت تسير عليها قطارات الترام حتى عام ١٩٥٨ عندما اعيد تخطيط الشارع وتم نزع قضبان الترام ليصبح على صورته الحالية فى اتجاهين مختلفين.

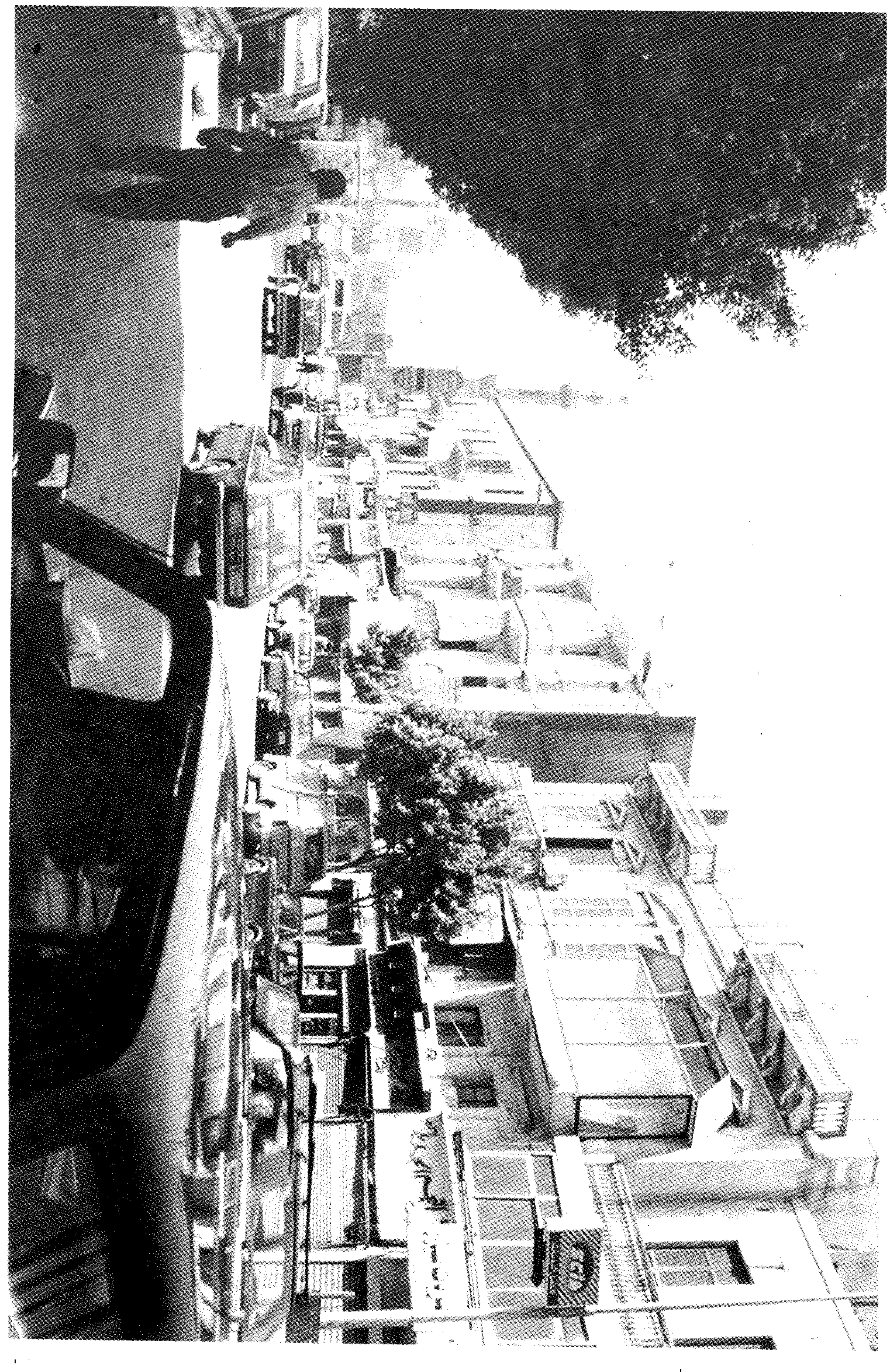
يمتد شارع الهرم - الاهرام من كوبرى عباس الى اهرامات الجيزة لذلك فهو من أطول شوارع القاهرة الكبرى اذ يبلغ طوله ١١ كيلو متراً مربعاً ويكاد يكون الشارع الوحيد الذى يمر بطريق مستقيم وبعرض واحد يصل الى ٤٠ متراً بالاضافة الى تميز عمارته باللون الابيض بعد صدور قرار توحيد مبانى محافظة الجيزة وعلى ضفتيه تطل واجهات مبنى الديوان العام للمحافظة الذى يتميز بأسلوب العمارة الكلاسيكية حيث اتساع الحجرات وارتفاع الجدران ، كذلك الحديقة التى تحيط به ويبدو انه كان فى السابق قصراً لأحد الأمراء وكذلك يوجد فى الشارع ما يزيد على ٣٠ فندقاً وأكثر من ٣٠ مسرحاً وملهى ليلى ، كما يمتاز بالارتفاع المنخفض لمبانيه حيث لا يزيد الارتفاع فى الغالب على خمسة طوابق خصوصاً بعد صدور القرار الخاص بتنظيم عملية الهدم والبناء فى شارع الهرم ، والذى اشترط الا يزيد ارتفاع مبانى الشارع على مساحة عرضه بمقدار مرة ونصف ، ورغم ان تراخيص البناء فى شارع الهرم لابد ان يحصل صاحبها على موافقة وزارتى السياحة والثقافة، فإنه تم تجاوزه فى الفترة الاخيرة وظهرت العديد من العمارات على جانبى شارع الهرم ارتفاعها يزيد كثيراً على ما حدده القرار .

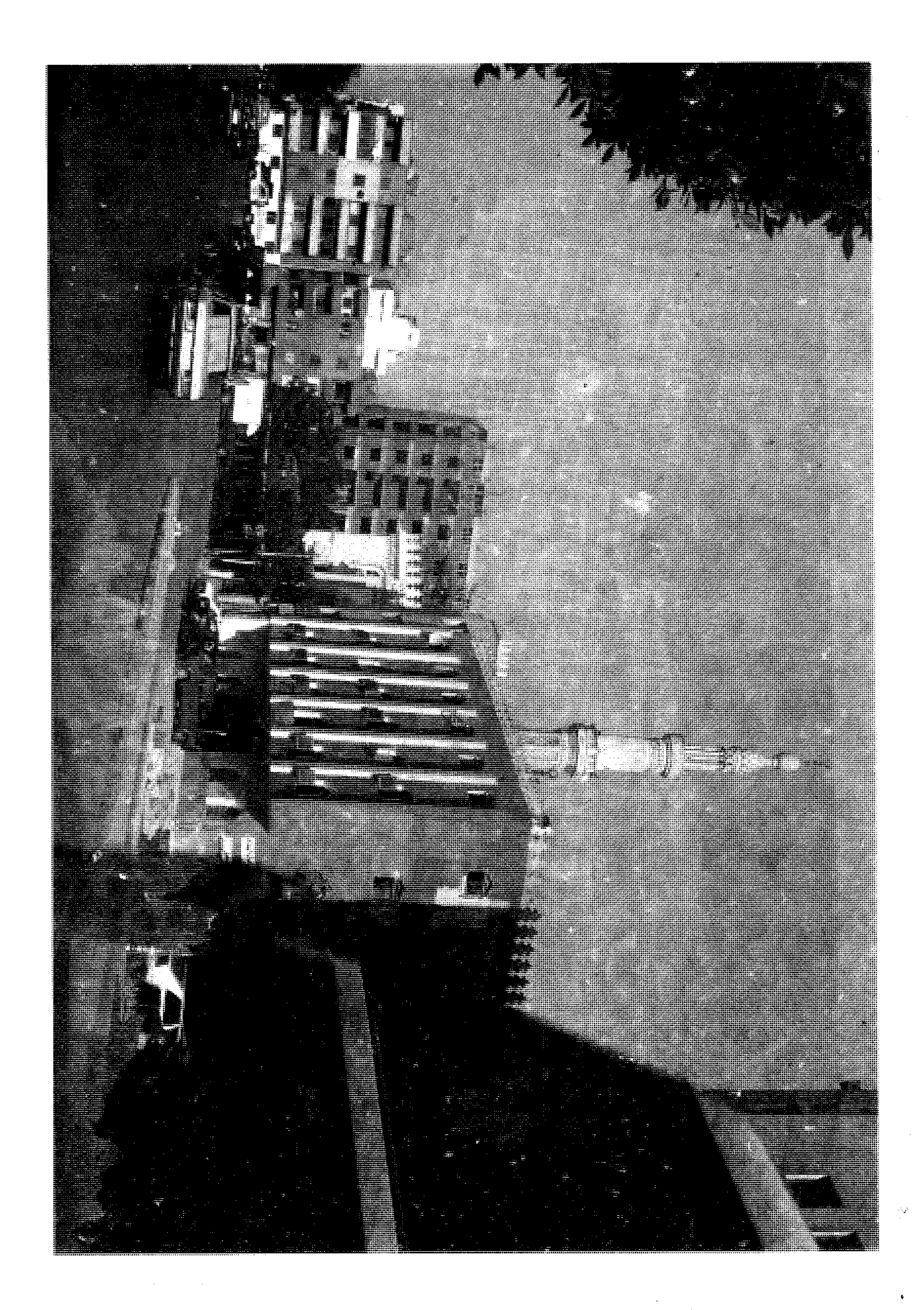
شارع الهرم كان منذ عهد الخديو اسماعيل والى فترة طويلة الواحة الهادئة التى يفر اليها الامراء والاثرياء ووجهاء القوم بعيداً عن ازدحام وصخب قلب القاهرة حيث الهدوء والراحة ومن أشهر من سكن الشارع عميد الادب العربى الدكتور طه حسين الذى قام بإشراف زوجته الفرنسية فيللا انيقه حولتها وزارة الثقافة المصرية بعد رحيله الى متحلف ومركز ثقافى يحمل نفس الاسم الذى اطلقه عليها طه حسين " رامتان "

وبالتحديد فى بداية سبعينات القرن الماضى انقلب مسار شارع الهرم وأصبح من أكثر شوارع القاهرة ازدحاماً فضلا عن انه احتل بجدارة مكانة شارع عماد الدين القديمة وصار مكانا مفضلاً للهو والمرح والسهر وربما مغامرات الحب الى جوار الفن خصوصاً الغناء لدرجة انه اصبح موطنا دائماً لكل مطربى العالم العربى من المحيط الى الخليج، وابتداء من السبعينات بدأ يتبوا مكانته الجديدة

كشارع سياحى وتجارى وفنى وازدحمت على جانبيه أكبر وأهم الملاهى الليلية والمسارح التى تستقطب يومياً العديد من مشاهير الفنانين والفنانات المصريين والعرب لدرجة ان بعضهم اقام ملاهى ليلية ومسارح تحمل اسمه فى شارع الهرم مثل " مسرح الزعيم " لصاحبه عادل امام وكازينو الفنانة عتاب الذى يحمل اسمها وكازينو الليل الذى أقامته الفنانة شريفة فاضل وغيرها من الملاهى الليلية التى اقامها الفنانون ورجال الأعمال والتى تبدأ العمل من التاسعة مساء حتى الصباح ، وتستقطب أعداداً كبيرة من جميع الجنسيات وأصبحت زيارة شارع الهرم غير مقتصرة فقط على الأماكن الأثرية بل امتدت الى الملاهى الليلية والمطاعم الشهيرة والإقامة فى أفخم الفنادق مثل فندق " مينا هاوس " الذى يقع أسفل الأهرامات مباشرة وغيره من الفنادق الشهيرة.

* * *





شارع خاتم المرسلين

شارع خاتم المرسلين يبدأ من ناحية شارع ترعة الزمر بجامع خاتم المرسلين وينتهى وسط حى الطالبية بجامع الحرمين، ويعتبر من أهم الشوارع الحديثة بالجيزة والقاهرة الكبرى بشكل عام، فقد عرف كشارع مستقيم وآمن وصالح للسكن والتجوال فى خمسينيات القرن الماضى، وحتى نهاية الأربعينيات كانت أرضه عبارة عن ترعة ممتدة حتى مشارف أهرامات الجيزة وعلى ضفته اليسرى كانت كات هناك مزرعة لتربية العجول للبرنس يوسف كمال أحد أمراء أسرة محمد على باشا، وبعد أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ غادرته عجول البرنس إلى غير رجعة وتحولت المزرعة إلى مستودع وقود لمركبات الجيش المصرى ثم دخلت كردون البناء وصارت من الأماكن المرغوبة للسكن بالقاهرة الكبرى. أما الضفة اليمنى من الشارع أو الترعة فقد كانت تحتوى على شونة مساحتها عشرة أفدنة وتتبع بنك التسليف الزراعى المصرى وعلى جانب من أرضها بنى جامع خاتم المرسلين الذى يقع فى بداية الشارع.

وشارع خاتم المرسلين مستقيم من أوله لآخره، ويوازى شارع الهرم كما أنه مرشح لمنافسته أو حتى خلافته فهو يحتوى على العديد من المحلات التجارية والأسواق الحديثة، ومكانته المرورية تم تدعيمها بكوبرى علوى يجرى العمل به الآن فى نهايته وسيجعل المرور به أيسر كثيرًا من شارع الهرم، كما أنه يحتوى على عدد من المنشآت والمؤسسات الثقافية والفنية المرموقة أبرزها أكاديمية الفنون وستوديوهات ومعامل مدينة السينما التابعة لجهاز السينما بمدينة الإنتاج

الإعلامى فضلا عن أن معظم سكانه الجدد من مياسير الناس وأبناء الطبقة المتوسطة.

غير أن سكانه القدامى ينظرون باندهاش إلى وضعه الراهن فقد تحول أمام أعينهم من ترعة محاطة بالأحراش والمواشى إلى شارع فى منتهى الرقى والحداثة ومنهم أحمد الصعيدى الذى يعتبر من أقدم سكانه فقد ولد فى صعيد مصر عام ١٩٣١ وجاء إلى الشارع شابا يافعا عام ١٩٤٨ ويعمل الآن فراشا فى جامع خاتم المرسلين. وعن أحوال الشارع فى بدايات استقراره فيه قال: كانت منطقة خالية ونباتات الحلفا والعجول وحتى الحشرات السامة كانت تنتشر حتى ميدان الجيزة، وفى ذلك الوقت كنت أعمل وأخى فى شونة بنك التسليف التى كانت فى أول الشارع وكنا نشرب وأهالى المنطقة من الترعة ثم أقام لنا بنك التسليف حنفية فى هذه المنطقة وأشار إلى مدخل الشارع. وبالقرب منا على الضفة الأخرى من ترعة الزمر كان هناك مركز تدريب الخفراء النظاميين القادمين من الأرياف، وترعة الزمر كان يقطعها الترام الذى كان ينطلق من ميدان الجيزة حتى الأهرامات وبعد الثورة انقلب الحال وردمت الترعة واختفى الترام والمواشى وحتى بنك التسليف نقل الشونة من الشارع وبدأ العمران السكانى يزحف حتى وصل الشارع إلى ما هو عليه الآن.

الشارع على حداثة تاريخه تناوب عليه عدد من الأسماء كلها يعود لملامح جغرافية ومنشآت عمرانية، ففى بدايته عرف باسم الترعة التى كانت تمتد على أرضه، ثم عرف باسم كنيسة العذراء التى تقع فى أوله ، وفى حومة منافسته لشارع الهرم أطلق عليه اسم خفرع، واسمه الحالى يعود مباشرة إلى جامع خاتم المرسلين الذى يقع فى أوله فقد أطلق عليه بعد تشييده على أرضه، واستقراره عليه تزامن مع بروز خاتم المرسلين كشارع مهم مهيأ لمنافسة شارع الهرم فحتى السبعينيات كان شارعًا مهملا إلى حد ما، وكان أهالى المنطقة والمتطلعون للتجارة والسكن يفضلون عليه شارع الثلاثينى القريب رغم أنه أقل منه على مستوى الاتساع وفخامة العمارة ونوعية السكان، ولكنه سرعان ما اقتنص مكانة الثلاثينى وصار ندًا مروريًا وخدميًا وفنيًا لشارع الهرم.

شارع خاتم المرسلين يبدأ من ناحية الطالبية - التى كانت قرية صغيرة زارها السلطان العثمانى عبد العزيز فى ستينيات القرن التاسع عشر - بنقطة شرطة ومجموعة المختار التعليمية وواجهة علاء زنجى المتخصص فى سندوتشات الجمبرى، وفى مدخله من هذه الناحية رأيت سيدة بدوية ترعى أغنامها لتعيد جانبا من تاريخ هذه المنطقة فقد كانت مراعى غنية لقطعان القبائل العربية التى كانت تسكن تحت سفح الهرم وبعضها باق حتى هذه اللحظة.

الكوبرى العلوى الذى يجرى العمل به الآن يجاور ورشة أخشاب ضخمة فى أول الشارع وبعدها تتطاول مئذنة مجمع الحرمين الدينى الذى افتتحه محافظ الجيزة بالشارع فى العيد القومى للمحافظة الموافق ٣١ مارس عام ٢٠٠٠ وهو تابع لجمعية الإمام على الدينية، ويضم إلى جانب جامع الحرمين دار التحفيظ القرآن وأخرى للأيتام وثالثة للمسنين وبالقرب منه تطل لافتة ضخمة تحمل اسم سامى الدمرداش العرباوى المحامى ومكتب أبيض وأنيق تابع لشركة النصر للمقاولات.

مقهى الفرسان يبدأ ازدياد الكثافة السكانية بالشارع وبعده تتابع محلات أولاد هريدى وكينج فيش للأسماك وكافتريا اللؤلؤة ومقهى سيد درويش المزين بسور أنيق من الغاب والقش وبعدها تطل بالشارع واجهة مدارس قصر الأهرام الخاصة التى تواجه لافتة مستشفى وعمارة د. محمد فوزى أبو العينين.

الشركة الشرقية للدخان تمتلك بالشارع ثلاثة مبان متميزة وفى هذه المنطقة يقع مبناها الإدارى ومصنعها الذى يتميز فضلا عن عمارته بازدحام واجهته بعدد هائل من دراجات العاملين بالشركة وفى هذه المنطقة التى تعتبر منتصف الشارع كان يسكن أحمد عبد الآخر محافظ الجيزة الأسبق والطريف أن وجود بيته فى هذه المنطقة غير مسار توسيع الشارع الذى تم منذ بضع سنوات، فبدلا من أن يتسع الشارع ناحية الشمال أو شارع الهرم كما هو مخطط اتسع إلى اليمين خوفًا من سلطات سور منزل السيد المحافظ.

السور المستغل فى الإعلانات التجارية يواجه بالشارع مقهى فى منتهى الصغر والأناقة ويفضى إلى شركة يونيفرسال العالمية للصناعة والتجارة.

ومع مقهى كوفى شوب قرطاج يبدأ الطابع السينمائى أو الفنى للشارع فبعده تطل ناصية شارع ستديو الأهرام وهى عبارة عن فيلا مظللة بأشجار كثيفة تجاور سوق الفتوح لإيجار السيارات وبعدها تطل بالشارع واجهات ستديو آدم وكازابلانكا موتورز ومحطة وقود وفيلا من دور واحد تكاد تختفى تحت ظلال الأشجار.

أكاديمية الفنون تعد أضخم منشآت الشارع وأكثرها اتساعًا وتضم عددًا من المعاهد منها معهد الفنون المسرحية ومعهد النقد الأدبى ومعهد الباليه الذى أنشئ عام ١٩٦١ وأقام أول عروضه عام ١٩٦٦. وأكاديمية الفنون ترأسها د.فوزى فهمى ويرأسها الآن د. هانى مطاوع ويواجه الأكاديمية بالشارع عدد من المنشآت السينمائية منها المركز القومى للسينما الذى يرأسه الناقد على أبو شادى ومبنى مدينة السينما التابع لشركة مصر للاستوديوهات والإنتاج السينمائى ومن داخل سور الأكاديمية تطل واجهة قاعة سيد درويش التى تعد من كبريات قاعات الموسيقى بالشرق الأوسط ومبناها الدائرى شيد بالشارع عام ١٩٦٧ وافتتحه ثروت عكاشة وزير الثقافة المصرى آنذاك بحضور نواب رئيس الجمهورية وأمين الجامعة العربية وعدد من الوزراء ورجال السلك الدبلوماسى العربى والأجنبى وكذلك عدد من المثقفين والفنانين كان فى طليعتهم الموسيقى الفرنسى الشهير شارل مونش وكانت فرق الموسيقى العربية تقدم عروضها أسبوعيًا على مسرح قاعة سيد درويش قبل إنشاء ستوديوهات دار الأوبرا.

أكاديمية الفنون تجاور بالشارع إقليم القاهرة الكبرى الذى يتبع وزارة الثقافة ويترأسه الآن الفنان عبد الرحمن نور الدين ويضم فضلا عن إقليم شمال الصعيد الثقافى وثقافة الجيزة إدارة مشروع أطلس الفولكلورى الذى يرأسه الروائى إبراهيم عبد المجيد. وبالقرب منها يقع معهد السينما داخل ناصية شارع جمال الدين الأفغانى.

نادى الشركة الشرقية وملحقاته بالشارع يواجه بالشارع عددًا من العمارات الحديثة التى سكنها ويسكنها عدد من المثقفين أقدمهم أحمد صادق سعد اليهودى المصرى الذى أعلن إسلامه فى أربعينيات القرن الماضى وكان من أبرز الشيوعيين المصريين كما كان من أقطاب النضال السياسى ضد إسرائيل، وأحداثهم الروائى محمد مستجاب والناقد شاكر عبد الحميد نائب رئيس أكاديمية الفنون والشاعر هشام قشطة صاحب ومدير مجلة الكتابة الأخرى.

وأبرز محلات هذه المنطقة أسواق العزيزية ومقهى شباب العمرانية ومحل عصير يعلق صورة ضخمة لمحمد زايد عضو البرلمان عن الدائرة التى يتبعها الشارع.

المجمع السكنى الجديد الذى يحافظ على طراز العمارة الإسلامية بالشارع يواجه كنيسة السيدة العذراء التى أقيمت فى بداية الستينيات وتم تجديدها عام ١٩٩٦ وبعدها تقع نهاية الشارع أمام جامع المرسلين.

* * *


المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شارع مصدق

شارع مصدق فى الجيزة يقع بين شارعى السودان والدقى دخلته فى لحظة يمكن اعتبارها استراتيجية، الأمطار كانت تهطل بغزارة، ورواد الشارع كانوا يتوارون منها بمرح، كانوا هم والمطر أشبه بواحد يلاعب طفله، يتقافزون ويختفون تحت تندات عمارات ومحلات الشارع، وحرصًا على التمتع ببهجة المطر، كانوا يظهرون ويتركون جباههم وملابسهم تنعم بنصيبها من زخات المطر، وفجأة سقط أحدهم، وانحدرت قدمه اليمنى إلى اليمين واليسرى إلى اليسار وأحدث انسحاق جسده فى أوحال المطر ما يشبه الانفجار، كان رجلاً محترمًا، فى حوالى الخمسين من عمره ويمتلك كرشًا متينًا يطل على استحياء من تحت ربطة عنق عريضة.

كنت على بعد خطوات منه، ولا أعرف لماذا تكاسلت عن إنقاذه، كان يمكن أن أسنده، ولكنى تركته ينسحق فى الوحل أمام عينى، منظره يوحى بأنه من السكان الأصلاء بالشارع، أتوقع أنه محام أو طبيب أو محاسب من أولئك الذين وجدوا فى الشارع فرصة تحقيق طموحاتهم المهنية بعد ما ازدحم أو اختنق وسط القاهرة، فالشارع بفضل تميز موقعه وحسن تنظيمه ورفاهية سكانه صار من الأماكن المرغوبة، لذلك فإن مجرد الحصول على شقة أو مكان فيه يعز إلا على ذوى الإمكانيات والحيثيات العلمية والمادية.

مدخل الشارع من ناحية شارع السودان كان مزدحمًا بالناس والسيارات، ناصيته التى تقع أمام محل «الباشا ماركت» كانت أشبه بتقاطع مرورى مزدحم أو

حتى مختنق، الجميع لا يجد حلاً للعيش بسلام مع المطر سوى فى أرض الشارع، يمكن القول إنهم كانوا فى حالة فرار جماعى من ويل الأمطار عند جيران الشارع فى حى بولاق الدكرور.

الناس فى العادة يحبون المطر ويطربون لانحدار قطراته على جباههم، فى مدينة مثل القاهرة ومدن الشرق عمومًا يعد المطر بشير خير ورخاء، ولكن المطر فى حى مثل بولاق الدكرور - جار الشارع الفقير - شىء آخر، إنه «معجنة» بالمعنى الحرفى للكلمة، لذلك فإن الجميع لجأوا إلى أرض شارع مصدق ولجؤهم إلى أرض الشارع ليس جديدًا أو بدافع من ظروف الطقس فقط، فقديمًا ابتداء من عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، كان حى بولاق عبارة عن قرية صغيرة يعود تأسيسها لشيخ صوفى ترجع أصوله إلى غرب إفريقيا، وكان سكانها - وأغلبهم من الأفارقة - ينزلون من بولاق لزراعة أرض الشارع والمنطقة نظرًا لخصوبتها التى ترجع لاقترابها من نهر النيل، كما كان أهالى الجيزة ينزلون أو يفرون إلى أرض شارع مصدق للحصول على ما يريدون من المحاصيل.

تنظيم وحداثة

معظم سكان شارع مصدق - الحاليين - ينتمون إلى الطبقة المتوسطة، سواء من الموظفين أو أصحاب المشاريع التجارية الصغيرة أو الذين عادوا إلى القاهرة بعد أو قضوا سنوات عمل مجزية فى الخارج، كما أن الشارع والمنطقة المحيطة به من الأماكن المفضلة لسكن زوار القاهرة من البلاد العربية خصوصًا من الخليج العربى فهو يجاور منطقة المهندسين التى تتمتع بسمعة طيبة بين أحياء القاهرة، فهى تتميز بحسن التنظيم وحداثة العمارة والقرب من وسط المدينة وقديمًا كان سكان شارع مصدق والمنطقة خليطًا من الفلاحين، فقد كان أرضًا زراعية تحدها من الغرب بولاق التكرووى التى حرفت فيما بعد إلى الدكرور ومن الشرق الفرع الثانى لنهر النيل وكان يعرف باسم البحر الأعمى لأن الماء كان يجف منه فترة معينة كل عام.

وفى عهد أسرة محمد على أى بعد زحف العمران من كل جانب بدأت أرض الشارع والمنطقة المحيطة تتراقص فى مخيلة المسئولين والمعماريين باعتبارها من الأماكن الجديرة باحتضان امتدادات واتساعات القاهرة الحديثة، وفى ثلاثينيات القرن الماضى اختارها صاحب العزة أحمد خيرى بك - مدير مصلحة التنظيم فى تلك الفترة - لإقامة مدينة على الطراز الأوروبى تحمل اسم «الفؤادية» نسبة للملك فؤاد فى ذلك الوقت كانت أرض الشارع ملكًا خاصًا لوزارة الأوقاف المصرية وهذا ما اعتبره صاحب العزة أحمد خيرى بك فرصة مواتية لتطبيق قواعد العمارة الحديثة فى المدينة المقترحة، وفى محاضرته التى ألقاها فى جمعية المهندسين الملكية عام ١٩٣٦ قال إن كون هذه المنطقة أرض شارع مصدق وما جاورها ملكًا خاصًا للحكومة المصرية يوفر مجالاً حسنًا لتطبيق قواعد الفن الحديث من شوارع رئيسية وأخرى جانبية وأحياء للطبقات الراقية وأخرى للمساكن الخاصة بالطبقة الوسطى وثالثة للعمائر السكنية ومنازل العمال والأحياء التجارية والصناعية والمتنزهات العامة والملاعب الشعبية والأحياء المدرسية والميادين.

وأضاف أن للحكومة باعتبارها مالكة هذه المنطقة مطلق الحرية فى تعميرها وبيعها بالشروط التى تضعها، والخاصة بالبناء والصحة والتجميل، ولها الحق فى إيجاد وسائل النقل وإنشاء محطات للإنارة وإيصال المياه ومد المجارى وغير ذلك من أسباب العمران والرخاء مما يكفل إنشاء حى راق متصل بالعاصمة يدر على الحكومة ربحًا وفيرًا.

كما اقترح صاحب العزة نقل النوادى الرياضية من مكانها بالجزيرة فى ذلك الوقت إلى منطقة الشارع على أن يحول موقعها بالجزيرة إلى غابة عظيمة أو متنزه عام أسوة بعواصم أوروبا.

معظم ما اقترحه صاحب العزة أحمد خيرى بك تم تنفيذه فى أرض الشارع والمنطقة فقد مدت الشوارع المستقيمة وطبقت قواعد العمارة الحديثة، ولكن تحت اسم غير الذى تمناه، فبدلاً من «المدينة الفؤادية» صار اسمها «حى المهندسين» نسبة لعمارات سكنية أقامتها نقابة المهندسين للعاملين بها.

مصدق وبهلوى

اسما الشارع السابق والحالى، غريبان أو حتى مقحمان عليه وكل من «سألتهم من سكانه قالوا بحدة إنهما «مصدق وبهلوى» وخلاص ومبررات إطلاقهما عليه تعود مباشرة للأحقاد والتوجهات السياسية فأرض الشارع على بعدها وانزوائها بعيدًا عن اهتمامات القوى السياسية الحالية ـ كانت إحدى ساحات الصراعات والتغيرات السياسية التى وقعت فى مصر وإيران قبل وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ فاسم الشارع القديم أطلقه رجال العهد الملكى فى مصر وهو رضا خان بهلوى شاه إيران فى بداية خمسينيات القرن الماضى، والغريب أنه كان يشبه الملك فاروق فى مسألة التعاون مع القوى الاستعمارية والفوز بسخط أبناء شعبه، وكلاهما اقتلع من عرشه وسط تأييد جماهيرى واسع النطاق، وإن كان رضا بهلوى صاحب الشارع القديم وفق فى استعادة ملكه بمساعدة وتدبير الولايات المتحدة وفاروق تناسى الملك واستعذب العيش على الشواطئ الإيطالية.

وبعد عام ١٩٥٢ أطاح رجال الثورة المصرية باسم الشاه الإيرانى من على الشارع وأطلقوا عليه اسمًا يناسب توجهاتهم الثورية ويعد نوعًا من الانتقام من صاحبه القديم فهو خصمه اللدود د. محمد مصدق رئيس الوزراء وصاحب الإصلاحات الثورية فى إيران خلال الخمسينيات، كما أنه ـ على عكس صاحب الشارع القديم ـ يشبه جمال عبد الناصر شخصيًا فى مسألة الصراع مع الغرب، وإن كان عبد الناصر صمد حتى مات، وهو سقط مهزومًا فى غياهب السجون.

د. محمد مصدق ولد عام ١٨٨٠ لأب كان ضمن المرموقين بين موظفى الدولة الإيرانية، وحصل على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة لوزان السويسرية وفى عام ١٩١٤ عاد إلى إيران وعُين رئيسًا لحكومة مقاطعة فارس وبقى فيها يتتبع تنامى قوة رضا خان بهلوى شاه إيران فى تلك الفترة وفى عام ١٩٢١ عين وزيرًا للاقتصاد، ثم وزيرًا للشئون الخارجية لفترة وجيزة، وفى عام ١٩٢٣ انتخب عضوًا فى البرلمان الإيرانى، وفى تلك الفترة من حياته بدأ معارضة سياسات رضا خان شاه إيران بشكل علنى ومنظم فأجبره الشاه على اعتزال الحياة

السياسية عام ١٩٤١ ولكنه سرعان ما عاد للحياة العامة عام ١٩٤٤ فقد انتخب مرة أخرى عضوًا فى البرلمان الإيرانى ودافع عن القومية الفارسية كما لعب دورًا مهمًا فى معارضة منح الاتحاد السوفيتى ترخيص العمل فى حقول النفط الواقعة شمال إيران وعارض أيضًا المنح المعطاة لبريطانيا للعمل فى النفط جنوب إيران، وبنى قوة سياسية ذات ثقل كبير أساسها دعوته إلى تأميم شركات النفط.

فى عام ١٩٥١ أجاز البرلمان الإيرانى دعوة تأميم النفط فتضاعفت قوة د. محمد مصدق وشهرته، الأمر الذى أجبر الشاه على تعيينه رئيسًا للوزراء، واستمرارًا لمسيرة الصراع على إدارة الحكومة الإيرانية بين الرجلين «مصدق والشاه» حاول الشاه إعفاء مصدق من عمله فى رئاسة الوزراء عام ١٩٥٣ فخرجت الجماهير المؤيدة لمصدق إلى الشوارع مدافعة عنه ومطالبة بمغادرة الشاه نفسه الأراضى الإيرانية، ولكن ما هى إلا أيام قليلة حتى تدخلت الولايات المتحدة ونجحت فى تنحية مصدق وإعادة الشاه إلى البلاد، وتم تقديم مصدق للمحكمة باعتباره خائنًا وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة وبعد انتهاء المدة فرضت عليه الإقامة الجبرية فى منزله حتى مات عام ١٩٦٧.

تجربة د. محمد مصدق تناولها العديد من المحللين والمؤرخين باعتبارها من الأحداث المهمة فى إيران ومنطقة الشرق الأوسط، كما تناولها الروائى السعودى عبد الرحمن منيف فى رواية ضخمة تحت عنوان «سباق المسافات الطويلة» حاول فيها أن يؤرخ لما اعتبره بداية تدخل الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط، حيث اعتبر صراع محمد مصدق والشاه الإيرانى بداية انتقال منطقة الشرق الأوسط من الهيمنة البريطانية إلى الهيمنة الأمريكية، والغريب أن أرض الشارع شهدت انتقالاً آخر فهو وبعض الأحياء مثل الزمالك والعجوزة كرست انتقال الطبقات الميسورة من السكن بالأحياء العريقة فى القاهرة الخديوية إلى المناطق التى ظهرت حولها، والدليل أن مجرد السكن بالشارع يوحى لأهالى القاهرة ومصر بشكل عام بنوع من الارتياح المادى والمكانة الاجتماعية.

والشارع يبدأ من اتساع شارع السودان بعدد كبير من لافتات الأطباء والمحامين ومنهم د. سعيد عبد الوهاب ود. علاء الدين العيسوى وعلى بعد

خطوات من مدخله نصبة شاى أنيقة يديرها فى عرض الشارع واحد من هؤلاء الذين تركوا العمل بالحقول الزراعية فى الأرياف للارتزاق فى شوارع القاهرة.

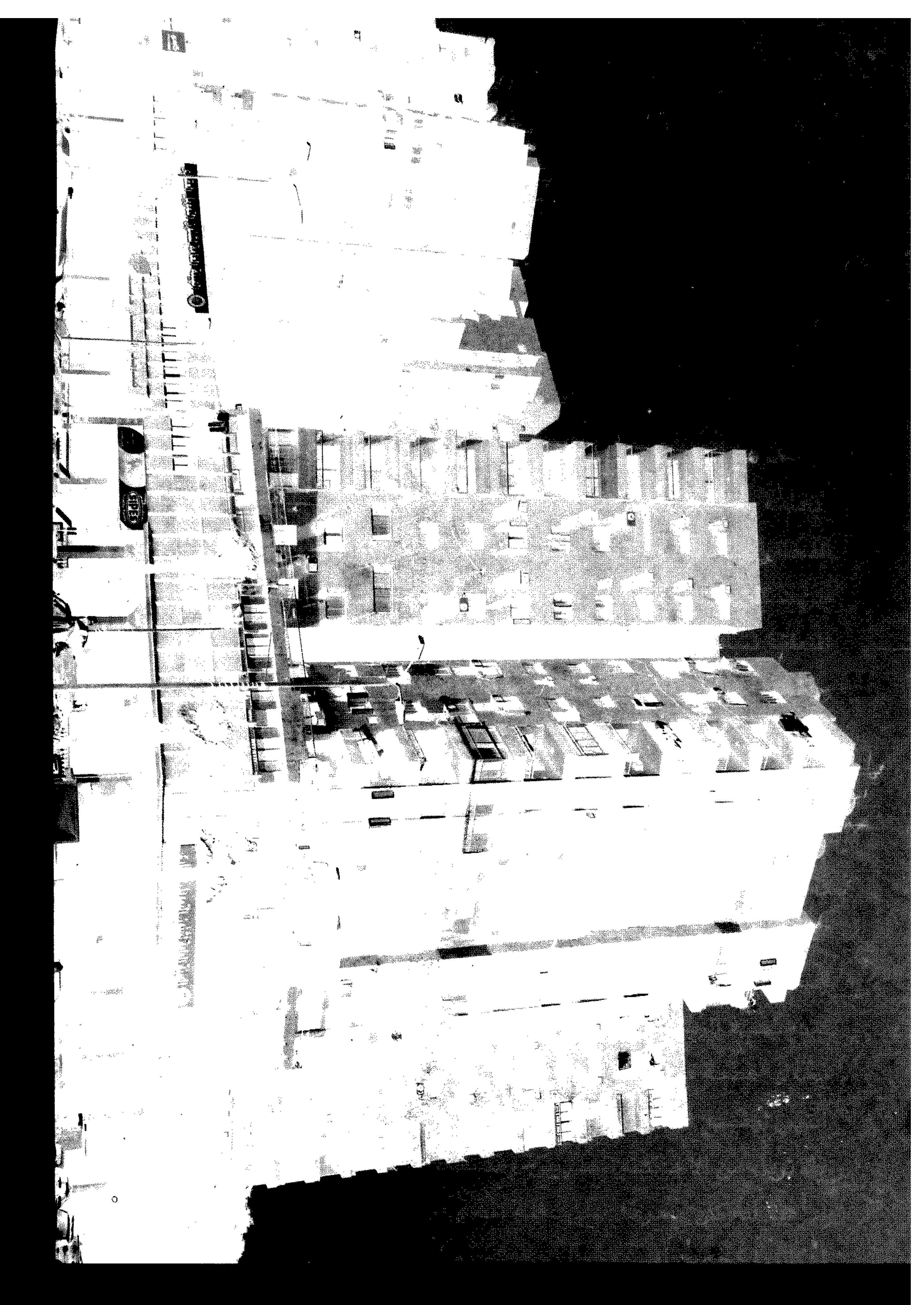
جامع الشبراوى وهو حديث نسبيًا، يجاور طيور الصباح وجراج الإخلاص ويتطلع لشرفات فيلا أنيقة أمامها التقيت بواحد من البناة الحقيقيين للشارع اسمه ياسين عبد الرحمن وجاء من إحدى قرى الصعيد منذ عشرين عامًا للعمل كنفر عادى فى بناء إحدى منشآت الشارع، أشار بيده وقال بزهو «العمارة التى أمامك، أنا حفرت قواعدها ومكانها كان أرضًا زراعية وكانت فيها نخلة تحتها بئر».

وياسين لم يغادر أرض الشارع بعد إتمام العمارة، وتحايل حتى عمل بوابًا بها، وبعد محل عمله تظهر بالشارع لافتة الجمعية التعاونية لبناء مساكن المهن الطبية ومكتب للخدمات التعليمية يتفاخر بتعاونه مع الجامعة الأمريكية بلندن وصيدلية د. أسامة عبد البر التى تجاوز ناصية شارع محيى الدين أبو العز.

وأمام محل كرنفال أبو ذكرى يهدأ الشارع ويتسع ويتخلص تمامًا من ضجيج وازدحام بولاق الدكرور ويتجاور على ناصيته البنك المصرى لتنمية الصادرات وجاجوار للأحذية والشنط وبتزا هوت وفيلا محمد سعيد نوار والطرابيش الحمراء المميزة للعاملين فى مطعم أبو رامز السورى الذى يجاور ناصية شارع عدنان عمر صدقى ويواجه فيلا أنيقة داخلها الحضانة السويسرية بالقاهرة.

واجهات بنك القاهرة الشرق الأقصى وموبيليات أولاد متولى العراقى وناصية شارع الشيخ محمد الغزالى ومستشفى ابن سينا ومحل زهور الربيع تمهد لنهاية الشارع التى تقع على بعد خطوات من امتداد شارع الدقى.

* * *



الزمالك

تحرص الطبقة الثرية عبر كل المراحل والعهود التى شهدتها مصر على الإقامة بمنطقة داخل مدينة القاهرة تبنى فيها دورها التى عادة ما تجمع بين الفخامة والأناقة، وتحتكر العيش فيها بمفردها، وتكون دليلاً قاطعًا على تميزها بين سكان القاهرة، وعلامة بارزة على معنى الثراء ذاته، فبمجرد ذكر اسم المنطقة تتبادر إلى الذهن فورًا المظاهر الأسطورية للحياة المترعة بالثراء والرقى والفخامة والبذخ الذى يصل إلى حد السفه.

السكن فى تلك المنطقة يكون بمثابة الحلم الذى يصعب وربما يستحيل تحقيقه بالنسبة لعامة سكان القاهرة وهى لا تظل ثابتة فى مكان واحد، ولكن تتغير دائمًا حسب نوعية وثقافة وأصول الطبقة الغنية التى لا تتوقف عن ضخ دماء جديدة فى عروقها والاستغناء عن كل من أصابه الوهن أو الفقر. كانت الأزبكية هى منطقة الإقامة المفضلة لأثرياء مصر طوال سنوات حكم المماليك وبداية عصر محمد على، ورغم أن الخديو إسماعيل حاول أن يجعلها محورًا لعاصمته الجديدة، ونصب تمثال والده إبراهيم باشا فى قلبها، وألح على أن يجعلها قطعة من باريس فإن عمرها الافتراضى كمقر للطبقة الغنية فى مصر انتهى ليفسح المجال لمنطقة جديدة هى جاردن سيتى لتصبح مقرًا للبشاوات والأثرياء من الأجانب والمصريين، وقد بالغت فى إغلاق أبوابها فى وجه الفقراء لدرجة أنه كان محرمًا على عامة المصريين دخولها، وظلت جاردن سيتى تتمتع بمكانتها كحصن أمن وفخم لرجال الحكم والأثرياء إلى أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢

فزلزلتها قليلاً، مما مهد لانحسار الأضواء عنها، وتحولت مكانتها كخلوة للأثرياء إلى منطقة جديدة هى منطقة الزمالك، وقد ترسخ ذلك بفعل قوانين الانفتاح فى سبعينيات القرن الماضى.

منطقة الزمالك على الضفة الغربية لفرع نهر النيل الأساسى ولم تغتصب فقط مكانة جاردن سيتى وتصبح المكان المفضل للأغنياء الجدد، بل قلبت حال الطبقة الثرية فى مصر وألغت العديد من شروط الانضمام إليها، فبعد أن كانت هذه الطبقة تكاد تكون قاصرة على أمراء أسرة محمد على ومن شايعهم من رجال الحكم وكذلك من تعاون معهم من الإقطاعيين والأجانب، وبعد أن كانت شروط الانضمام إلى هذه الطبقة محكومة بمعايير ثقافية واجتماعية وسياسية وعرقية يتصاغر أمامها المعيار الاقتصادى، أصبح الانضمام لهذه الطبقة ومنطقتها - حيث حى الزمالك - متاحًا لكل من هب ودب بشرط وحيد هو امتلاك الأموال.. فقط الأموال، وليس مهمًا من أين أتت أو ثقافة وأصول صاحبها، لذلك فإن الزمالك كان لها فضل إجبار الطبقة الغنية على قبول نوعيات من البشر لم تكن تحلم فى السابق بمجرد مجاورتها وبالتالى فقد كان على هذه الطبقة أن تقبل صاغرة كل الذين أصابهم الثراء فجأة بفضل قوانين الانفتاح التى قلبت حال التاريخ الاجتماعى والطبقى فى مصر.

الزمالك الآن من أجمل وأروع مناطق القاهرة لما تحتويه من قصور وفيلات يحيط بها النيل من كل جانب وتظللها الحدائق وترطب أجواءها المساحات الخضراء، أما سكانها فهم خليط من صفوة الفنانين والرياضيين وأثرياء الانفتاح وبقايا الأرستقراطية المصرية القديمة إلى جانب العديد من أبناء الأسر العربية والأجنبية الذين يفضلون الإقامة فيها لأسباب متعددة أهمها مجاورة سفارات وقنصليات بلادهم المنتشرة فيها.

وبالتأكيد فإن مقارنة فخامة ونظافة مبانى منطقة الزمالك ورقى أو ثراء الطبقة التى تسكن بها فى الوقت الراهن بوضعها قبل مائة وخمسين عامًا ستحدث مفارقة حادة، وتقدم دليلاً واضحًا على أن دوام الحال من المحال، وعلى

أن المناطق «دول» مثل الأيام، وأن الشوارع والحارات هى المجهر الأنسب لقراءة مدى تغير الأمم وتطورها عبر تاريخها الممتد والمتقلب. فقد كانت الزمالك حسبما يدل اسمها التركى «الأخصاص» منطقة من بيوت الغاب أو العشش الفقيرة والمتهالكة، وكانت موطنًا لأرباب الخلاعة والفجور والخارجين على القانون لدرجة أن السلطان الكامل شعبان بن قلاوون أمر بحرقها لكى يقضى على شرور سكانها.

وظلت على هذه الحالة إلى أن اضطر الخديو إسماعيل لتنظيفها وإقامة واحد من أكبر قصوره فيها وهو قصر الجزيرة أو سراى الجزيرة التى أقامها على ٦٠ فدانًا على أرض الزمالك وتكلفت ٨٩٨٦٩١ جنيهًا بأسعار تلك الأيام وبناها مهندسون جاءوا خصيصًا من فرنسا وإيطاليا لأن الخديو إسماعيل لم يجد بين قصور القاهرة فى هذه الفترة ما يناسب جلال وفخامة وجمال ورقة «الملكة أوجينى» امبراطورة فرنسا التى أعلنت عزمها عن زيارة مصر لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس، وبالفعل سعدت الإمبراطورة بالإقامة فى قصر الجزيرة، واعتبرت تشييده خصيصًا لها نوعًا من التقدير المبالغ فيه.

هذا القصر اشترته بعد ذلك أسرة «لطف الله» وحولته إلى فندق باسم «عمر الخيام» وهو الآن واحد من أكبر فنادق القاهرة فندق «ماريوت» وبعد إنشاء هذا القصر أصبحت الزمالك جزيرة غناء بالمعنى الحرفى للكلمة وساعد على سرعة تعميرها والإقامة فيها ربطها بعدد من الكبارى المهمة فى القاهرة مثل كوبرى «قصر النيل» عام ١٨٦٩ وكوبرى الجلاء عام ١٨٧٢ وكلاهما أقيما فى عهد إسماعيل ومهدا لإقامة كوبرى أبو العلا عام ١٩١٢ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى، وهذا الكوبرى استغرق العمل به أربع سنوات وتكلف ٣٠٠ ألف جنيه وتم هدمه مؤخرًا لتزال من الوجود إحدى التحف المعمارية فى مدينة القاهرة.

وبفضل هذه الكبارى والقصر انتعشت جزيرة الزمالك وبدأت الشرارة الأولى لتاريخها الذهبى وانطوى إلى الأبد ماضيها القديم والمخجل وأقيمت فيها العديد من الحدائق والمتنزهات ومنها حديقة الأندلس والحرية، كما أقيم بها وبالتحديد

أمام كوبرى قصر النيل المعرض الصناعى الزراعى لأول مرة عام ١٩٣٨، كما أنشئت فيها وزارة الأوقاف أول حمام مغطى للسباحة، وبالقرب منه كانت هناك استراحة للملك فاروق عند رأس جزيرة الزمالك الجنوبية، غير أنه فقدها بعد اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢، فأصبحت مقرًا لمجلس قيادة الثورة. والآن يجرى الإعداد لتحويلها إلى متحف لقادة الثورة وبالقرب منها يطل أبرز معالم منطقة الزمالك وربما القاهرة برمتها وهو برج القاهرة.

ولكى تستأثر الزمالك ببعض شذرات التاريخ الثقافى والسياسى المصرى كغيرها من مناطق الأثرياء عبر التاريخ نُصب فى الميدان الفاصل بين كوبرى قصر النيل وواجهة مبنى الأوبرا الجديدة فى مدخل الزمالك تمثال لسعد زغلول وهو أحد تمثالى زعيم ثورة ١٩١٩ اللذين أقامهما مثال مصر الكبير محمود مختار، والتمثال الثانى فى محطة الرمل بالإسكندرية. وعند مدخل الزمالك يقع «قصر السراى» الذى اشترته أسرة لطف الله وتم فرض الحراسة عليه خلال الستينيات وتلقفه الدكتور محمد عبد القادر حاتم عندما كان وزيرًا للإعلام والسياحة وحوله إلى فندق يحمل اسم «عمر الخيام» وأصبح هذا القصر هو قلب فندق «ماريوت» الحالى وقد نجح ورثة لطف الله فى الحصول على حكم باستعادته لتنشأ مشكلة قانونية عويصة ومحرجة أنهاها سعد فخرى عبد النور المحامى بالحصول لأسرة لطف الله على تعويض قدره ٣٠ مليون جنيه عن مصادرة القصر.

والزمالك بها عدة شوارع شهيرة منها شارع ٢٦ يوليو - فؤاد سابقًا - الذى يتوسط الجزيرة ويقسمها إلى شطرين والذى يتفرع منه عدة شوارع لها تاريخ كبير نسبة إلى أسماء أصحابها منها شارع محمد مظهر أشهر شوارع الزمالك أو حى السفارات والسفراء والأعيان ويبدأ تقريبًا من تقاطع شارع ٢٦ يوليو وينتهى عند رأس جزيرة الزمالك أى الجزء الشمالى وصاحبه هو مهندس مصرى درس فى مصر واختاره محمد على باشا ليكون مع أول البعثات الدراسية التى أرسلها إلى فرنسا عام ١٨٢٦ ليدرس الهندسة البحرية بعد أن درس بمدرسة رأس التين.

وعاش فى فرنسا عشر سنوات يدرس ويتعلم وكان عدد أعضاء هذه البعثة ٤٤ طالبًا وعند عودته إلى مصر عينه محمد على ناظرًا لمدرسة المدفعية الطوبجية فى طرة، ومنحه رتبة البكباشى ثم عهد محمد على إليه ببناء فنار الإسكندرية الكبير القائم بشبه جزيرة رأس التين وأنعم عليه محمد على برتبة ميرالاى.

وشارع محمد مظهر بالزمالك من أهم الشوارع فى مصر ففيه العديد من مقار السفارات فى مقدمتها سفارات الجزائر والفاتيكان والعراق وقصر الأميرة سميحة كامل بنت السلطان حسين كامل وهو القصر الذى تحول إلى مكتبة القاهرة الكبرى وقد تكلف هذا التحويل ١٤ مليون جنيه، وفى هذه المكتبة التى تعد من أكبر مكتبات القاهرة تم تجميع كل ما كتب عن القاهرة منذ نشأتها الأولى «الفسطاط ـ القطائع ـ العسكر» ثم القاهرة الفاطمية وداخلها الآن الخرائط والوثائق المهمة. ولما عجزت إدارة المكتبة على العثور على بعض أصول هذه الوثائق تولت تصويرها لتكون أول مكتبة متخصصة فى مصر.

وهناك شارع حسن صبرى والذى كان صاحبه وزيرًا للمواصلات والتجارة والصناعة فى حكومة على ماهر باشا الأولى من ٢٠ يناير ١٩٣٦ إلى ٩ مايو ١٩٣٦ وفى حكومة محمد محمود باشا الثانية من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ إلى ٢٧ إبريل ١٩٣٨، ثم تم تعيينه وزيرًا للحربية إلا أنه استقال لخلافه مع الملك فاروق. ويبدأ شارع حسن صبرى من أمام حديقة الأسماك ويمتد إلى حيث تقاطع شارع فؤاد ثم يمتد فى النصف الشمالى من جزيرة الزمالك إلى أن يتصل بشارع محمد مظهر. وفى شارع حسن صبرى تحتل السفارات أيضًا عددًا كبيرًا من أهم قصور وفيلات الزمالك وقد ازدادت أهميته على المستوى الأدبى والصحفى بسبب أن أحد مبانيه أصبح مقرًا لصحيفة «القاهرة» التى تصدرها وزارة الثقافة وكان قبل ذلك مقرًا للمجلس الأعلى للثقافة. وبالقرب منه مقر اتحاد كتاب مصر، وفضلاً عن ذلك يعد هذا الشارع من أهم مجاور المرور فى جزيرة الزمالك كلها ويمتد إلى أن يصل إلى الشاطئ الشرقى لفرع النيل عند تقاطعه

مع شارع الجزيرة الذى يحمل الآن اسم سيدة الغناء العربى «أم كلثوم».. وهناك أيضًا شارع «شجرة الدر» الذى يقع به مسرح الزمالك وشارع الصالح أيوب ومحيى الدين زنكى والمنصور محمد.

والكثافة السكانية والقصور تتركز فى الجزء الشمالى من جزيرة الزمالك بينما تشغل الجزء الجنوبى الحدائق والأندية مثل نوادى الجزيرة والأهلى والمعلمين وشباب الجزيرة وحديقة الأسماك واتحاد كرة القدم بشارع الجبلاية.

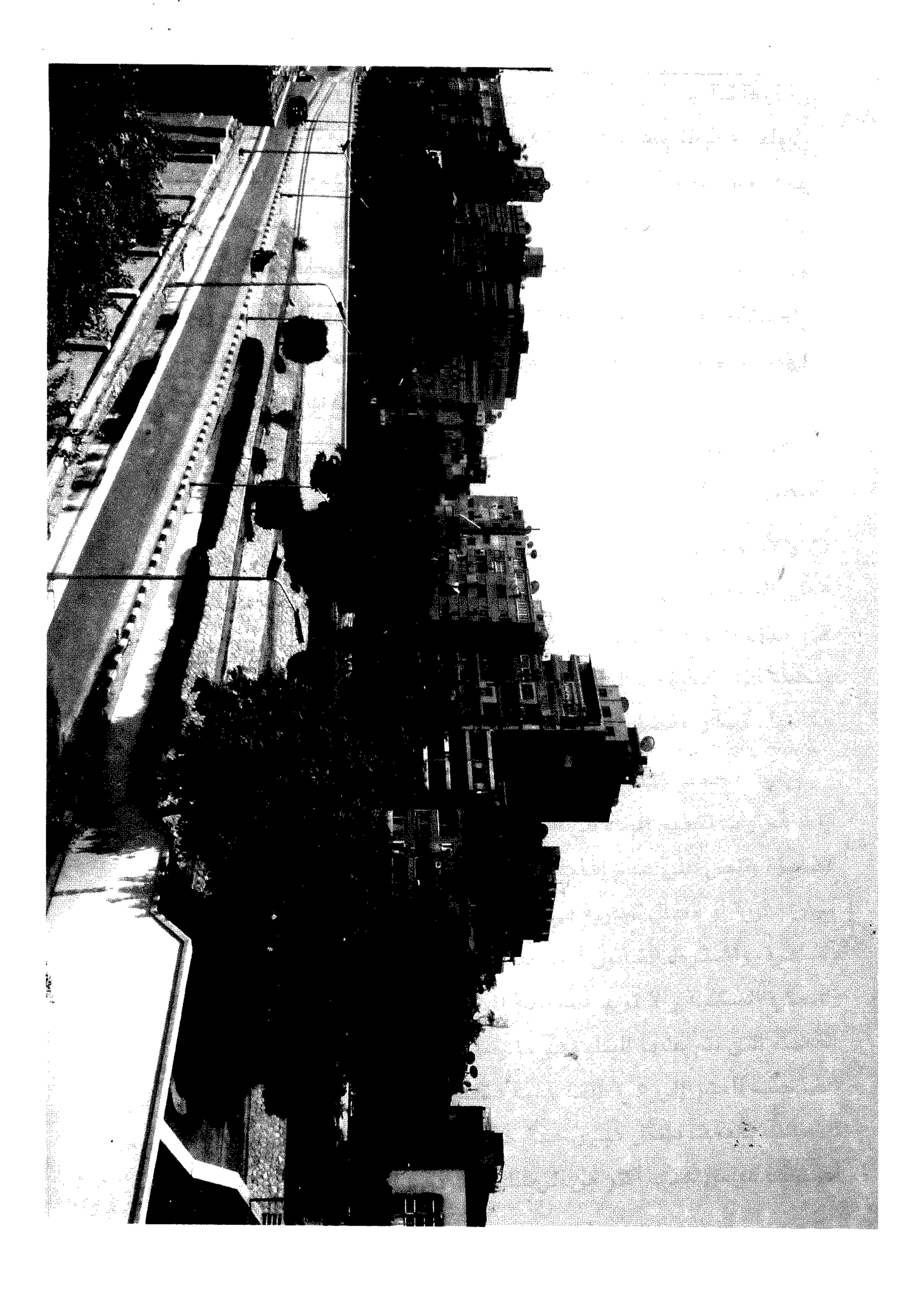
ويعد شارع «أبو الفدا» على النيل من أهم شوارع الزمالك أيضًا لما يحتويه من عدد ضخم من العمارات والأبراج الفخمة والتى تضم عددًا كبيرًا من الشقق الباهظة الثمن وهو الشارع الرئيسى على النيل والذى يقطنه عدد ضخم من الفنانين والفنانات ومشاهير المجتمع.

والأسعار فى الزمالك مختلفة إلى حد كبير عن الأسعار فى أى مكان آخر فعلى الرغم من ظهور أحياء جديدة تنافس الزمالك فى الإقامة والسكن نجحت فى جذب الأنظار إليها إلا أن منطقة الزمالك مازال لها رونقها الخاص الذى يفضله أبناء الطبقات الراقية، ورغم ذلك يبدو أن الزمالك على شفا التنازل عن مكانتها ـ كمكان مفضل للأثرياء ـ لمناطق جديدة.

ويقول محمد خلف أن أسعار الأراضى فى الزمالك انخفضت إلى حد كبير بعد قرارات تنظيم البناء فى الزمالك وجاردن سيتى التى أصدرها محافظ القاهرة وتنص على عدم إقامة مبان سكنية أكثر من أربعة طوابق وعدم إقامة مبان إدارية أو محال تجارية فى المبانى الجديدة إلا بموافقة كتابية من محافظ القاهرة. واشترط القانون الجديد إقامة الدور الأرضى كجراج خاص بنزلاء العمارة السكنية وألا تزيد مساحة المبنى عن ٦٠ فى المائة من مساحة الأرض الفضاء التى يتم عليها البناء وهو ما جعل ثمن الأرض فى الزمالك يهبط من ١٤ ألف جنيه للمتر إلى ٦,٥ ألف جنيه فقط للمتر وجعل الإقبال على المبانى فى الزمالك يضعف بشكل كبير جدًا خاصة أن هناك مناطق كثيرة فى القاهرة أصبحت عوامل جذب أكثر من الزمالك وجاردن سيتى.

ويقول محيى عسران رئيس المجلس المحلى الشعبى لحى غرب القاهرة أن الزمالك - حى السفارات - من أجمل أحياء القاهرة لذلك فهو عبر تاريخه الطويل هدف للسكن والإقامة لعدد كبير من أبناء الطبقات الراقية والأجانب معًا فهو الحى الوحيد الذى تحيط به مياه النيل من ثلاثة جوانب وتنتشر فيه المساحات الخضراء الشاسعة خاصة من أندية الجزيرة والأهلى ومركز شباب الجزيرة بالإضافة إلى كثرة الحدائق التى تحيط بالفيلات المنتشرة فى الزمالك والأشجار التى يتم غرسها فى شوارعه التى تتميز عن غيرها - رغم ضيق مساحتها - بأنها مشجرة ومضاءة بكشافات قوية من نوع خاص.

* * *



شارع السودان

شارع السودان مدينة كاملة، فى بدايته ونهايته يكاد يشرب مباشرة من نهر النيل الذى يبعده والمنطقة المحيطة عن عوالم القاهرتين الفاطمية والخديوية، وامتداده يكاد يحيط محافظة باتساع وقدم الجيزة، فهو يبدأ من حافة قلبها أو أصلها. المعمارى ويربط أشهر ميادينها وأحيائها قبل أن يبلغ نهايته وسط ميدان «الكيت كات»، وإلى جوار السكة الحديد التى تربط من خلاله شاطئ البحر المتوسط بحدود السودان.

ويضم الشارع أربعة كبار ضخمة وموقفين لوسائل المواصلات، وأسواقًا شعبية ومراكز تجارية تبيع من الإبرة للصاروخ، ومكاتب صحفية، وإدارات خدمية وتعليمية، وعددا من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، وقاعات ومعاهد وكليات جامعة القاهرة وكل ذلك وغيره لخدمة سكان الشارع الذين تشقهم أرضه إلى طبقتين اجتماعيتين مختلفتين الأولى وهى الأرقى والأكثر ارتياحًا على المستوى المادى، تقع - لو اجتزته من ناحية ميدان الجيزة - على ضفته اليمنى حيث عمارات وفيلات حى المهندسين، والثانية تقع على ضفته اليسرى حيث حوارى وعشوائيات حى بولاق الدكرور.

الشارع حديث إلى حد ما، ويعد ضمن أطول شوارع القاهرة الكبرى وأكثرها استقامة وتنظيمًا، واسمه «السودان» على المستوى الرسمى المعلن يعود إلى الروح القومية العروبية التى اندلعت فى مصر والعالم العربى عبر نبرات صوت الزعيم جمال عبدالناصر. أما على المستوى التاريخى والاجتماعى فيعود إلى العلاقة

الشعبية الوطيدة التى ربطت سكانه القدامى وخصوصًا فى جانبه البولاقى بأدغال السودان وإفريقيا، فحسبما أخبرنا المؤرخ على مبارك وقبله المؤرخ العظيم المقريزى.. فإن حى بولاق الدكرور الذى يعتبر الأصل المعمارى للشارع والمنطقة كان حينما شيدت القاهرة، الفاطمية عبارة عن قرية صغيرة عرفت باسم «مينة بولاق» وعندما نزل بها صاحب الكرامات الشيخ السودانى وقيل الإفريقى أبو محمد يوسف بن عبدالله التكرورى وغيره من الأفارقة فى عهد الخليفة العزيز بن المعز الفاطمى عرفت باسمه وصارت «مينة بولاق التكرور» التى حرفت بعد ذلك إلى بولاق الدكرور.

كلمة تكرور التى حرفت لدكرور كما أخبرنا القزوينى فى كتابه «آثار البلاد وأخبارالعباد» هى لمدينة كبيرة كانت تقع فى بلاد السودان. وقيل فى غرب إفريقيا ، ومما يرجع ذلك أن القزوينى حينما يقول السودان فإنه يقصد بذلك كافة بلاد إفريقيا السوداء، وقد قال إن التكرور كانت مدينة عظيمة بلا أسوار ، وأهلها كانوا من المسلمين وغيرهم، والملك فيها كان للمسلمين، وقال إن أغلب أهلها كانوا يسيرون عراة سواء كانوا رجالا أو نساء، فلم يكن يرتدى الملابس منهم سوى أشراف المسلمين، وقد كانوا يلبسون قميصا طوله عشرون ذراعا يحمله، أثناء سيرهم خدمهم وأتباعهم، كما أن نساء غير المسلمين من أهالى التكرور كن يسترن عوراتهن بخرزات من العقيق ينظمنها فى الخيوط لو كن ثريات، أما لو كن من الفقيرات فيسترن أنفسهم بخرزات من العظم، وقد ذكر القزوينى أيضا أن مدينة التكرور كانت تشتهر بكثرة الزرافات وكان أهلها يذبحونها ويلتهمون لحمها.

مأساتان

الشارع بالإضافة إلى أصوله التكرورية أو السودانية ارتبط بمأساتين تاريختين دقتا مسمارًا قويا وباترا فى نعش سلطة الأمراء المماليك فى مصر، الأولى وقعت بالقارب من نقطة بداية الشارع من ناحية ميدان الجيزة، وفيها بدأ محمد على باشا يسفر عن خطة تحجيم وإذلال قادة المماليك، فأثناء المفاوضات

والمناوشات التى وقعت بين محمد على والمماليك بالجيزة أخبر أحد رجاله قائد المماليك إبراهيم بك بأن عليه وباقى المماليك أن ينسوا للأبد امتيازاتهم وسلطتهم القديمة ويخضعوا لسلطة محمد على كرعايا عاديين، وكان ذلك التهديد أبرز الإجراءات التى ضيقت الخناق على المماليك خصوصا وأن محمد على باشا توجها بمذبحة القلعة.

المأساة المملوكية الثانية وقعت على حافة ميدان «الكيت كات» فى نهاية الشارع، وفى هذه المرة كانت بأيد أجنبية، ففى هذه المنطقة المتاخمة لنهر النيل انقضت مدافع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على قوات القائدين المملوكين إبراهيم بك وماد بك، ودمرتها تماما.

شارع السودان يبدأ بكوبرى فيصل ويحتضن إلى جانب قطار الصعيد الذى يمتد من أوله إلى آخره المبانى الخلفية لجامعة القاهرة ، غير أنه رغم قربه من الجامعة لم يلتحم بها على المستوى العملى سوى فى السنوات الأخيرة، فقد كان بالنسبة للطلبة مجرد خلفية مهملة، وحينما أنشئت به إحدى محطات مترو الأنفاق توثقت علاقتهم به فقد صار المحطة التى لابد من اجتيازها للوصول إلى الجامعة.

محطة المترو تظلل الشارع وتضع العابرين خصوصا من الطلبة والطالبات أمام باب كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وبعدها تظهر ناصية شارع ثروت الذى أطلق عليه اسم العالم أحمد زويل بعد أن فاز بجائزة نوبل.

الهيئة العامة للنظافة وشركة المياه الغازية ومئذنة مسجد الصفا والمروة ومشتل الزهور. تمهد للمنطقة الأكثر حيوية بشارع السودان، حيث التقاؤه بشارع التحرير وتقسيمه لسكانه إلى طبقتين اجتماعيتين واضحتين ومختلفتين، إحداهما تسكن حى المهندسين الذى يقع على ضفته الشرقية، والأخرى تستوطن حى بولاق الدكرور على ضفته الغربية.

هذه المنطقة من الشارع تعرف باسم مقار نسبة لمعرض سيارات يحمل نفس الاسم، ويشتهر أهلها خصوصًا فى جانبها الغربى البولاقى بزراعة مشاتل

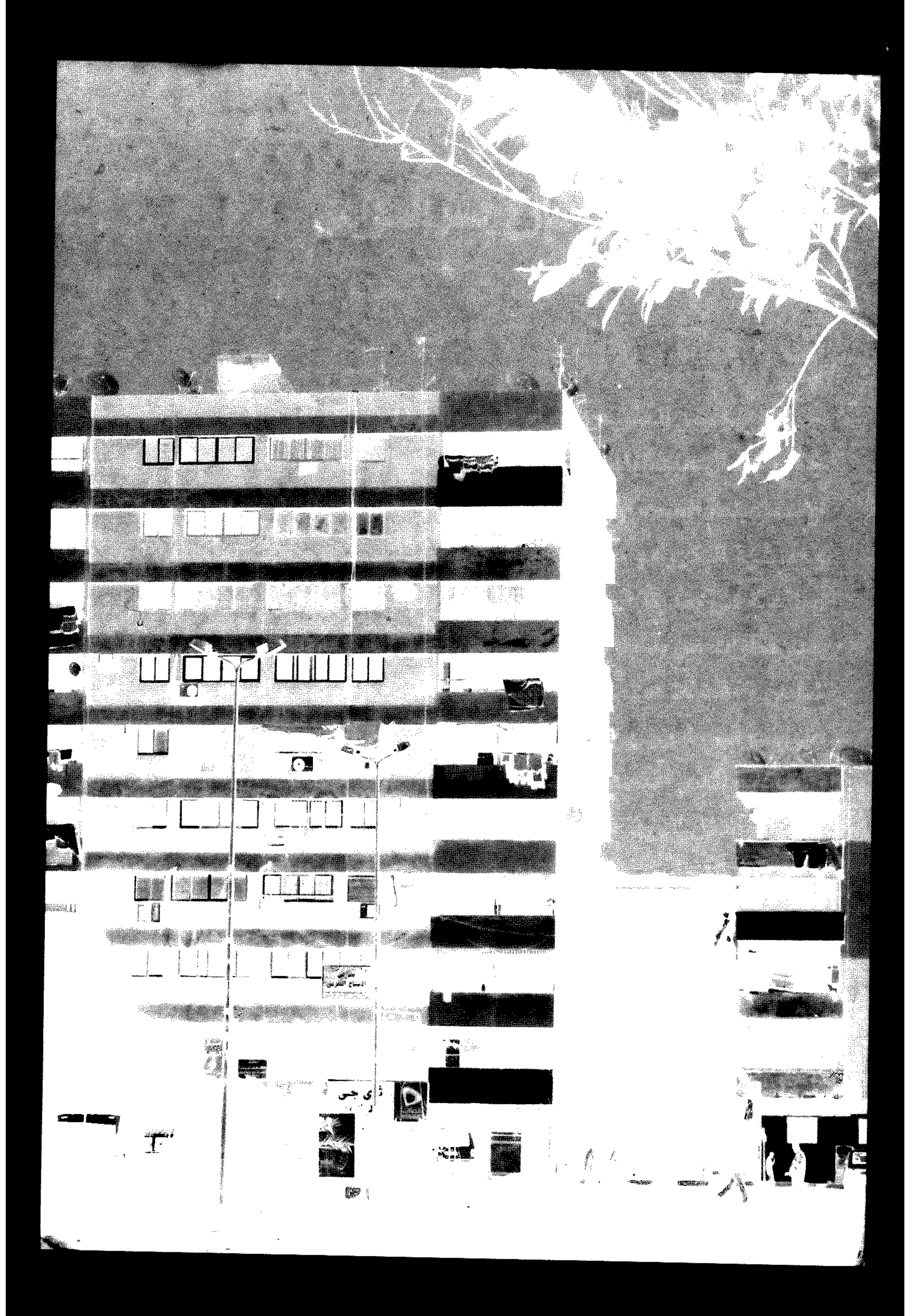
الزهور ونباتات الزينة فوق منازلهم، معظم البيوت القديمة متوجة بالخضرة ومعطرة بروائح الورود، وهذه العادة ترجع إلى أن هذا الجزء من الشارع قبل أن تداهمه العمارات السكنية كان يمد القاهرة بمعظم ما تحتاج إليه من الزهور ونباتات الزينة.

وعلى حواف الشارع عدد من مكاتب الصحف العربية، وبعدها يبدأ ما يشبه الصراع الخفى بين محلات جانبه التابع لبولاق ومحلاته التابعة للمهندسين ، فكل منها يحاول أن يفرض ذوقه وبضائعه على أرض الشارع، غير أن موقف الأتوبيس الذى يقع فى وسط هذه المنطقة سرعان ما يحسم الصراع لصالح بولاق فهو لأسباب عديدة يتبع ويخدم الجانب البولاقى.

وبعد ناصية شارع جامعة الدول العربية يهدأ الشارع كثيرا على مستوى المارة والمحلات ويخضع لسيطرة سكانه المنتمين لحى المهندسين ، ولعل نظافته وأسماء ونوعية محلاته يمكن أن تؤكد ذلك بشكل أوضح ومنها فيلا سفارة الجابون وعمارة أنيقة تملكها محلات السلام، واستديو فوتو دريم الذى تتباهى واجهته بازدحامها بصور مشاهير الفنانات، ومقهى فى منتهى الأناقة متوج بصورة بالحجم الطبيعى للعندليب عبدالحليم حافظ.

ولكن سرعان ما يعود الطابع الشعبى للشارع أمام كشرى السلطان أبو العلا الذى يمهد مع جيش من الباعة الجائلين لمنطقة «الكيت كات» التى كتب عنها إبراهيم أصلان روايته «مالك الحزين» التى أخرجها داود عبدالسيد فى فيلم حمل اسم المنطقة ويعد واحدا من أنجح وأبدع أفلام السينما المصرية، وفيه أدى الفنان محمود عبدالعزيز واحدا من أبرز أدواره على الإطلاق ، وبالتحديد وسط ميدان الكيت كات وأمام تدفق مياه نهر النيل يضع شارع السودان آخر خطوات رحلته الطويلة.

* * *



شارع جسر السويس

شارع جسر السويس من أطول شوارع مدينة القاهرة، فهو يبدأ بعد مآذن جامع جمال عبدالناصر بحديقة الصحابى ابن سندر، وينتهى بطريق القاهرة الإسماعيلية الصحراوى، وعبر امتداده يمر بعدد من الأحياء منها «كوبرى القبة» و «منشية البكرى» و «مصر الجديدة» و «عين شمس» وينتهى بمدينتين إحداهما صناعية هى «مدينة الحرفيين» والأخرى سكنية شعبية هى «مدينة السلام» وعلى بعد خطوات من بدايته تطل واحدة من أعرق الجامعات المصرية هى جامعة عين شمس ، وفضلا عن محاله ومنشآته التجارية التى تعد بالألوف يحتوى الشارع على سوقين شهيرين، الأول سوق القنال الدولى والثانى سوق العبور الخضر والفاكهة الذى أقيم فى البداية عام ١٩٤٧ على مساحة ١٨ فدانا بحى روض الفرج، وانتقل إلى أرض الشارع فى بداية تسعينيات القرن الماضى بعد سجال طويل بين التجار ومحافظ القاهرة ويعد الآن أكبر أسواق الخضر والفاكهة فى مصر كلها.

الشارع يمر بأحياء كثيرة وسكانه بينهم الوزير والخفير والغنى والفقير والأستاذ الجامعى والمتشرد، غير أنه يرتبط على نحو خاص بحى «عين شمس» و «مصر الجديدة» فهما يتواجهان على أرضه كما أن الخطوات الأولى لتعميره وتأسيسه ترجع لهما مباشرة فبالقرب من نقطة التقاء الحيين بالشارع شيد الفراعنة مدينة حصينة أطلقوا عليها اسم «بير - رع» أى «مدينة الشمس» وفى التوراة عرفت باسم «أون» وفى اللغة القبطية عرفت باسم «يون» حينما غزا اليونانيون مصر أطلقوا عليها اسم «هليوبوليس» وحينما فتح العرب المسلمون

مصر أطلقوا عليها اسم مدينة الشمس كما أطلقوا اسم «عين شمس» على بركة الماء التى كانت تتسع بجوارها ومنها اتخذ الحى الحالى اسمه.

مدينة «أون» أو الشمس التى يرجع إليها الأصل المعمارى الفرعونى للشارع والمنطقة كانت منبع الديانة المصرية القديمة ومركز دراسة علم اللاهوت والفلسفة على أيام الفراعنة، كما كانت مركزًا وعاصمة للقسم الشمالى أو البحرى للدولة الفرعونية ومنها انبثق نور المدينة على سكان الأراضى الخصبة وأنشأ فيها الكهنة المدارس والجامعات لبحث أصول الديانات المحلية، وإليها تعود بدايات نشأة الملك لأول مرة على أساس أن الملك أو الفرعون ابن الإله «رع» وبالتالى فإن أوامره مطاعة ومقدسة لدى أبناء الشعب دون مناقشة.

مدينة «أون» كان بها معبد كبير عرف باسم معبد الشمس وبها دبجت نصوص الصلوات والقصائد التى مدحت الآلهة وصارت بعد ذلك أصولا للكتب الفرعونية المقدسة كما كان بمدينة «أون» أو الشمس حصن قوى وكانت محاطة بسور من الطوب اللبن ، به أبواب على أبعاد متساوية وكان لكل منها برجان من الحجر الجيرى الأبيض وعلى هذه الأحجار دونت كتابات هيروغليفية، والأهم من كل ذلك أن هذه المدينة شهدت تأسيس أول جامعة عرفها العالم وهى جامعة «معبد رع» التى عرفها المؤرخون باسم جامعة «عين شمس» وقيل إنه داخل أسوارها تم زواج يوسف الصديق عليه السلام بعد أن صار وزير مصر الأكبر من ابنة الكاهن الأكبر لمعبد عين شمس، وفى هذا المعبد أيضًا أقام الفرعون تحتمس الثالث «الأسرة ١٨» مسلتين نقلتهما فيما بعد الملكة كليوباترا إلى الإسكندرية ووضعتهما أمام معبد «السيزاريوم» وبعد ألوف السنين أهدى محمد على باشا إحداهما إلى مدينة لندن فأقيمت عام ١٨٧٧ على ضفاف نهر التايمز، كما نقلت الثانية إلى الولايات المتحدة حيث نصبت فى ميدان سنترال بارك فى مدينة نيويورك.

ومن القصص التى تروى حتى اليوم عن المنطقة التى يجاورها الشارع خصوصًا عند حى المطرية أنه كان بها الشجرة التى استظل بها سيدنا عيسى عليه السلام وهو طفل وتحتها دك الأرض بقدميه فانفجرت عين من المياه العذبة

فشرب هو والسيدة مريم ويوسف النجار حتى ارتووا، وغسلت السيدة العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفة من الغسل على عصا يوسف النجار وكان غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروف باسم البلسان ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة زكية وصار الناس يقدسونها ويتداوون بأوراقها وفروعها ويعرفها الناس بشجرة مريم!

ومما يروى أيضا عن تاريخ مدينة «أون» أو الشمس وجامعتها أن سيدنا موسى عليه السلام تلقى حكمة المصريين وعلومهم على أيدى كهنة معبدها، وفيها دار الحوار الشهير بين هيرودوت وأكبر الكهنة وفيها أيضا تلقى أفلاطون علومه ودرس أوكسيس عالم الرياضيات والفلك وتخرج بطليموس الجغرافى الكبير.

ومدينة الشمس التى تعتبر الأصل المعمارى لشارع جسر السويس والمنطقة كانت كما أكد العديد من المؤرخين عظيمة الطول والعرض لدرجة أن مبانيها كانت تتصل بمدينة مصر القديمة وحصن بابليون حيث أقام عمرو بن العاص عنه مدينة الفسطاط. غير أن هذه المدينة تخربت ثم اندثرت تماما أثناء الاحتلال الرومانى لمصر، وعندما فتح العرب مصر لم يكن باقيا من مجدها القديم إلا أسوار مهدمة وتماثيل لأبى الهول نصفها مدفون فى الأرض، وكذلك عدد من المسلات بعضها نهب إلى الدول الأوروبية وإحداها باقية حتى اليوم بالقرب من بداية الشارع.

وفى بداية العصر العثمانى ونهاية العصر المملوكى وقعت بالقرب من الشارع معركة عين شمس بين السلطان العثمانى سليم الأول والسلطان المملوكى طومان باى ، وكانت فى ذلك الوقت عبارة عن حدائق مترامية الأطراف، وعلى أثر هذه المعركة أسر طومان باى واقتيد إلى المشنقة على باب زويلة وسقطت مصر فى قبضة العثمانيين الذين احتلوها قرابة ٤٠٠ عام. وبالقرب من الشارع أيضا وقعت معركة عين شمس بين جيش الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال كليبر والقوات العثمانية التى حاولت طرد الفرنسيين واسعادة الهيمنة على مصر عام ١٨٠٠.

شارع «جسر السويس» يبدأ بحديقة جميلة تحمل اسم ابن سندر، وهو صحابى كان فى صدر الإسلام عبدا لزنباع الجذامى أحد أعيان العرب، وفى بداية شبابه ضبطه مولاه يقبل جارية له فعنفه وجدع أنفه وأذنه، فشكاه ابن سندر إلى رسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله إلى زنباع رسالة تقول ما معناه: «من مثل به وأحرق بالنار فهو حر، هو مولى الله ورسوله» ومن يومها أصبح ابن سندر حرا ، وعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة، خيره بين الإقامة فى المدينة أو يقطعه أرضا حيث يشاء مما فتح الله به على المسلمين، فاختار مصر فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص والى مصر بأنه يقطعه أرضا فأقطعه ألف فدان فى منطقة كانت تعرف باسم منية الإصبع وفيها عاش ودفن، وبعده آلت إلى عبدالعزيز بن مروان.

أشجار حديقة ابن سندر تواجه بالشارع فيلا أنيقة ذات مداخل نصف دائرية، بعدهما شركة مصر الفرعونية ولافتة تعلن عن مكان المأذون الشرعى بالمنطقة وأشجار عالية تخفى فيلا أنيقة تجاور قصرًا قديمًا.

سيارات الأخوين تمهد أرض الشارع لأكبر وأشهر منشآته الصحية، وهو مستشفى منشية البكرى العام الذى يجرى ترميمه الآن وبالقرب من هذه المنطقة سكن الزعيم جمال عبدالناصر فى بيت يجرى الآن الإعداد لتحويله إلى متحف وبهذه المنطقة من الشارع بيت قديم يواجه منفذًا مزدحمًا عرفت بصعوبة أنه يبيع الخبز. ولعل أهم ما يميز هذه المنطقة هو انتشار ورش إصلاح السيارات وفى إحداها التقينا بميكانيكى فى حوالى السبعين من عمره، وهو يسكن ويعمل فى الشارع منذ ستينيات القرن الماضى، وبداياته فى مهنة الميكانيكا تعود إلى أسطول المشير عبدالحكيم عامر، ومما رواه أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ جرى اعتقاله مع زملائه فى «حملة» ضمن الإجراءات التى استهدفت التضييق على المشير ومحاكمته وانتهت بحادثة انتحاره وربما قتله.

محل البيت السعيد للأثاث يحتل بناية متميزة بالشارع ويواجه محل محمد الشرقاوى للكبدة والمخ، وهذه المنطقة من الشارع تتبع الدائرة الانتخابية للدكتور زكريا عزمى، رئيس ديوان رئيس الجمهورية وعضو البرلمان المصرى،

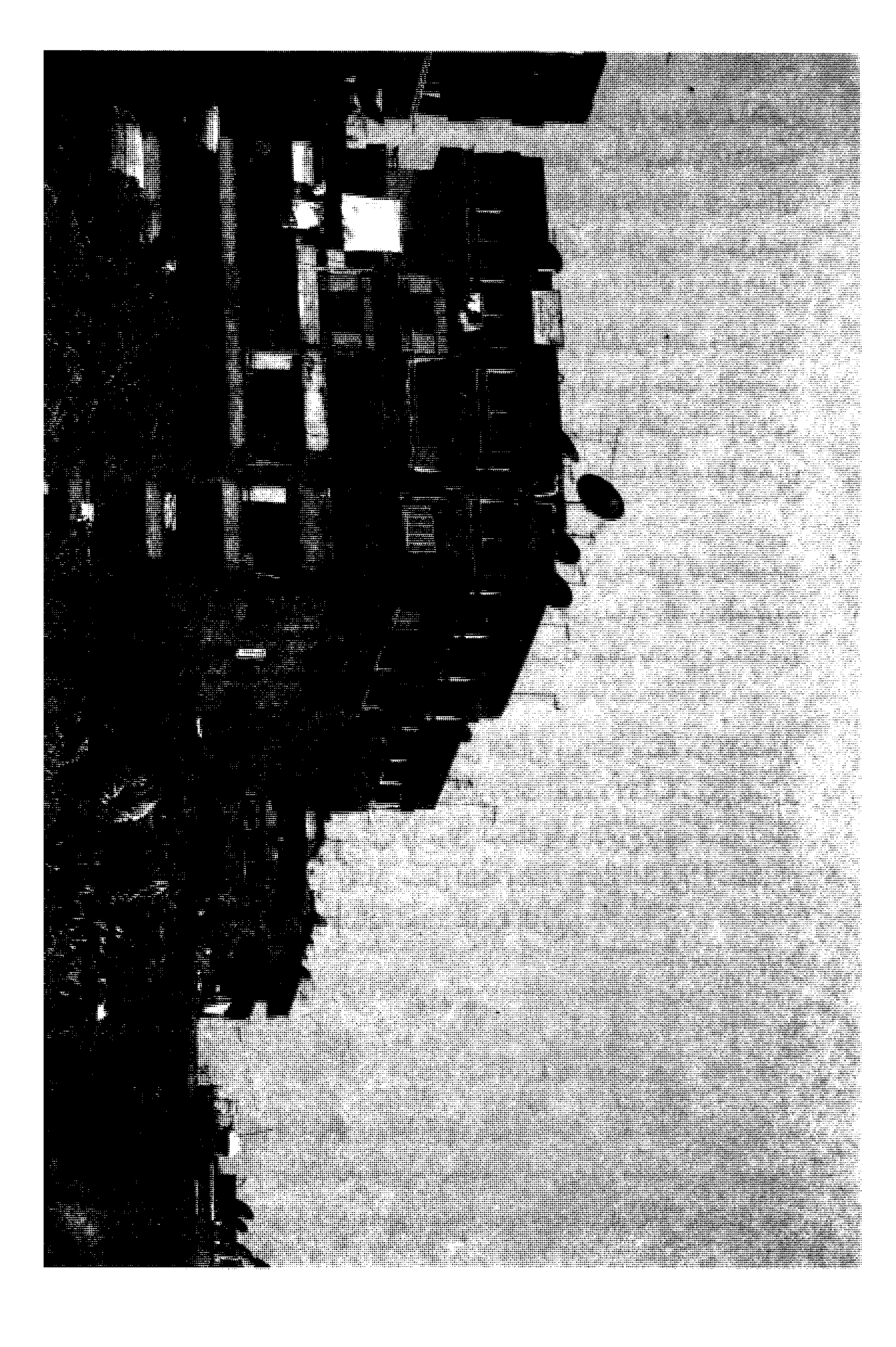
وأبرز منشآتها التعليمية كلية السلام التجريبية للبنات وفى مواجهتها غابة من الأشجار تخفى مدرسة المستقبل للغات، وبعدهما سور من الأشجار يلف بيتًا أنيقا يملكه د. محمد عبدالرحمن حافظ عميد كلية التجارة الذى يبدو أن أسرته من السكان القدامى فى المنطقة، فالشارع الذى يجاور بيته يحمل اسم أحد أبناء العائلة وهو حسن حافظ.

بعد تقاطع شارع أحمد سمير تزداد كثافة الأشجار بالشارع وتتسع الجزيرة الخضراء التى تتوسطه، كما تتجاور به المحال والمطاعم المتميزة ومنها «الحريف» و«حسن ونعيمة» والأهم من ذلك ظهور المحال التى تناسب الطبقات المرفهة التى تسكن الضفة الشرقية من الشارع فى حى مصر الجديدة ، ومنها محال السمنة والنحافة والعصافير والصالات الرياضية.

الكنيسة الإنجيلية أسست بالشارع عام ١٩٤٤ وبالقرب منها على الضفة الأخرى من الشارع مئذنة جامع «الفضيلة» الذى بناه فى بدايات القرن العشرين الحاج حسين فهمى، وهو من السكان القدامى وأسرته تملك بالشارع عددًا من العمارات.

مقهى برازيليانو يعد من أفخم مقاهى الشارع ويواجه صفًا من الأشجار يخفى مشتل مصر الجديدة وبعدهما عمارة ذات أعمدة لإقامة مركز تجارى وبعدها أحد محال «كاربت سيتى» وأسواق الجملة وأبو الجوخ وبيت قديم تظلله الأشجار ومحل الملك الذى يجاور محل الملكة وبعده يتسع الشارع لاستقبال كوبرى التجنيد الذى يجاور منطقة تجنيد حلمية الزيتون.

* * *



شارع جامعة الدول العربية

شارع «جامعة الدول العربية» يبدأ، على بعد خطوات من الضفة الغربية لنهر النيل، بميدان أنيق ومتسع يتوسطه تمثال حديث للروائى العالمى نجيب محفوظ، وينتهى وسط ميدان آخر يفضى إلى شارع السودان وحى بولاق الدكرور، وأهم ما يميزه فضلاً عن طول واتساع وفخامة عمارته الحديثة أنه يحافظ على مدلول اسمه، إنه شارع «الجامعة العربية» بامتياز، سواء على مستوى نوعية سكانه ورواده أو على مستوى أسماء الشوارع والمحال المحيطة به، فنظرًا لازدحامه بمئات المحال التجارية والكافتيريات والمطاعم ذات الشهرة العالمية، ونظرًا لرقى وهدوء منطقة المهندسين التى يتوسطها، والتى يسكنها عدد من نجوم المجتمع المصرى والعربى، جاء الشارع على رأس الأماكن المفضلة للأشقاء العرب، سواء من الجاليات المقيمة فى القاهرة أو من الذين يأتون إليها كسياح خصوصًا فى شهور الصيف، ومن ناحية أخرى فإن الشارع يجاور ويقطع العديد من الشوارع التى تحمل أسماء دول ومدن عربية، ومنها شوارع سوريا ولبنان والعراق وجدة وعدن وجزيرة العرب وغيرها.

شارع جامعة الدول العربية حديث على مستويات التاريخ والعمارة وطبيعة النشاط فحتى أربعينيات القرن الماضى كانت أرضه جزءًا من رقعة زراعية شهيرة بإنتاج الخضر والفاكهة لسكان القاهرة، ويعد نادى الزمالك الذى أنشئ على أرضه فى الخمسينيات من أقدم منشآته على الإطلاق، كما أن مبانى الشارع فى مجملها نماذج متطورة للعمارة الحديثة، فلا مكان فيها لبيت أو

منشأة قديمة أو أثرية مر على إنشائها مائة عام حتى لو كانت قصرًا أهليًا. ومن ناحية أخرى فإن امتداد الشارع، من أوله لآخره ساحة تجارية وطبية وترفيهية على أحدث طراز، تتمتع بشهرة واسعة لدى سكان القاهرة وزوارها من البلدان العربية.

أما سكان ورواد الشارع ومنطقة المهندسين المحيطة فهم خليط من الطبقة الغنية والمتوسطة العليا والأشقاء العرب، فضلاً عن العديد من نجوم المجتمع المصرى والعربى فى اللحظة الراهنة خصوصًا فى مجال السينما والغناء، ومنهم الفنانون محمد هنيدى وجلال الشرقاوى ونور الشريف وسميرة سعيد، كما يسكن بالمنطقة الشاعران عبد الرحمن الأبنودى وحسن طلب والعديد من الوزراء والشخصيات السياسية والرياضية.

شارع «جامعة الدول العربية» بدأ تأسيسه وتخطيطه بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ مباشرة، كما بدأ تكريسه كشارع حديث ومغر للسكن والتجارة فى ستينيات القرن الماضى، واسمه كان استجابة سريعة لشعارات القومية والوحدة العربية فى بداياتها الحماسية، وأطلق عليه بناء على نصيحة من الرئيس جمال عبد الناصر، ففى بدايات المد القومى العربى فى الخمسينيات، دعا عبد الناصر إلى إطلاق أسماء الدول والعواصم العربية على شوارع القاهرة وغيرها من المدن المصرية، وفضلاً عن اسم الشارع فإن أغلب أسماء الدول العربية تم إطلاقها على شوارع المنطقة المحيطة به، ابتداء من شارع السودان الذى يقع فى آخره ومرورًا بشوارع المغرب العربى وانتهاء بالعراق وسوريا ولبنان.

مقر «الجامعة العربية» التى يحمل الشارع اسمها يقع بعيدًا عنه فى ميدان التحرير - الإسماعيلية سابقًا - وأكملت الجامعة يوم ٢٢ مارس ٢٠٠٤ العام التاسع والخمسين من عمرها الذى يؤرخ عبر مراحله المختلفة لنشأة نظام إقليمى عربى ويطبعه بالسمة القومية، فقد اتسعت عضويتها من سبع دول عربية هى جملة الدول المستقلة فى أواسط أربعينيات القرن الماضى لتشمل اثنتين

وعشرين دولة هى مجموع الأعضاء فى النظام الإقليمى العربى الآن، وعبر هذه السنوات اجتازت الجامعة العربية عدة مراحل وتعرضت لمحاولات للتطوير وإعادة الهيكلة كانت فى مجملها تجليات لجهود حاولت تحديث النظام العربى نفسه.

وبدايات قيام كيان الجامعة العربية تعود إلى اجتماع عقد فى القاهرة وضم مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء المصرى آنذاك وجميل مردم بك رئيس الوزراء السورى وبشارة الخورى رئيس الكتلة الوطنية اللبنانية، وفى الاجتماع تم التباحث حول فكرة «إقامة جامعة عربية لتوثيق العرى بين البلدان العربية المنضمة لها». وكانت تلك أول إشارة رسمية لفكرة الجامعة العربية بمثل هذا الوضوح.

وبعد هذا الاجتماع أعلن النحاس باشا استعداد الحكومة المصرية لاستطلاع آراء باقى الحكومات العربية فى موضوع الوحدة وعقد مؤتمر لمناقشتها، وعلى إثر ذلك بدأت المشاورات الثنائية بين مصر وممثلى كل من العراق وسوريا ولبنان والسعودية ومملكة شرق الأردن واليمن، وهى المشاورات التى أسفرت عن اللجنة التحضيرية التى ضمت ممثلى هذه الدول وتوصلت يوم ٧ أكتوبر عام ١٩٤٤ إلى بروتوكول الإسكندرية الذى صار أول وثيقة تنص على قيام الجامعة العربية.

وبروتوكول الإسكندرية كان الوثيقة الرئيسية التى وضع على أساسها ميثاق الجامعة، ووقع عليه رؤساء وفود الدول المشاركة فى اللجنة التحضيرية باستثناء السعودية واليمن اللتين وقعتا عليه بعد رفعه إلى الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين والميثاق نفسه أقرته الوفود العربية بقصر الزعفران بالقاهرة وتم التوقيع عليه صباح يوم الثانى والعشرين من مارس ١٩٤٨، كما تم اختيار عبد الرحمن عزام الوزير المفوض فى الخارجية المصرية كأول أمين عام للجامعة العربية، وبعده تولاه عبد الخالق حسونة ومحمود رياض والشاذلى القليبى وعصمت عبد المجيد وأخيرًا عمرو موسى الأمين العام الحالى.

يبدأ شارع جامعة الدول العربية بميدان متسع وأنيق قلما تجد مثله بين ميادين القاهرة، وهو محاط بعدد من المنشآت التجارية والترفيهية منها سينما

سفنكس والبنك التجارى للتنمية وسوق الكمبيوتر، وفى وسطه تمثال الروائى العالمى نجيب محفوظ يشرف على حديقة واسعة. والشارع ذو اتجاهين وعرضه حوالى خمسين مترًا، أما طوله فيبلغ ثمانمائة متر، وفى وسطه حديقة تمتد من أوله إلى آخره، وتمثال نجيب محفوظ يعد من أحدث المعالم المضافة إليه، فقد نصب فى أوله وافتتحه عاطف عبيد رئيس الوزراء المصرى يوم ١٦ يونيو عام ٢٠٠٣.

سور نادى الزمالك بمحاله التجارية الشهيرة يبدأ فى الشارع بعد الميدان مباشرة أمام استراحة عامة تقع داخل حديقة الشارع وتزدحم عادة بالحسناوات، وقد انتقل نادى الزمالك أحد قطبى الكرة المصرية إلى الشارع فى خمسينيات القرن الماضى، فقد أسسه الألمانى مار جاباك - المستشار الأجنبى فى المحاكم المختلطة المصرية - تحت اسم «المختلط» فى المكان الذى تحتله الآن دار القضاء العالى فى شارع ٢٦ يوليو، واسمه «المختلط» يعود لأن أعضاءه الأوائل كانوا خليطًا من الموظفين المصريين والأجانب، ثم انتقل نادى الزمالك أو المختلط إلى الضفة الغربية لنهر النيل فى المكان الذى يحتله الآن مسرح البالون وهو يقع على بعد خطوات من الشارع، وفى عام ١٩٤١ تغير اسم النادى، فبدلاً من المختلط اسمه الأول أطلق عليه اسم الملك فاروق، وازدادت شعبيته بعد أن انضم إليه نجم الكرة الموهوب عبد الكريم صقر، وبعد ازدياد عدد أعضائه وتحوله من ناد للموظفين المصريين والأجانب إلى أحد أندية الشعب المصرى أطلق عليه اسم «الزمالك» وانتقل لأرض الشارع فى الخمسينيات، وافتتح ملعبه ومنشآته فيه بمباراة تاريخية فى كرة القدم مع نادى «دوكلا براغ» وفاز فيها الزمالك بهدفين.

والطريف أن انتقال نادى الزمالك للشارع كان أحد تجليات التنافس أو حتى الصراع مع غريمه النادى الأهلى على الريادة والشعبية الرياضية فى مصر، فانتقاله إلى أرض الشارع قربه من مكانة ورقى مقر النادى الأهلى فى الجزيرة، والحقيقة أنه تنافس قديم يرجع لبدايات تأسيس الناديين اللذين يعتبران الأقدم والأكبر والأكثر شعبية، ففى حين تأسس الزمالك بجهود أجنبية وبأعضاء مختلطين فإن الأهلى تأسس بجهود مصرية خالصة، فقد أسسته جبهة مصرية

من كبار رجال الدولة عام ١٩٠٧، وأطلقوا عليه اسم الأهلى لأن عضويته كانت للمصريين فقط.

سور نادى الزمالك بالشارع عبارة عن مجمع تجارى كبير، وبفضله انتقلت حركة البيع والشراء من وسط القاهرة الحديثة إلى شارع جامعة الدول العربية، وفى مواجهته بالشارع تتجاور عشرات المحال التجارية والمطاعم ومنها بيتزا كينج ومؤمن وكوافير سيد الصغير، وفى وسطها يقع فندق النبيلة بواجهته المتميزة، وصيدلية سمير تتوسط المنطقة التى تتميز بقصر مبانيها بالشارع وكل محالها تقريبًا لا تزيد على طابق واحد، وفى آخرها تقع محطة وقود وفندق أطلس وصيدلية فاروق وعمارة فى منتهى الفخامة بها محلات كمبيوتر سيتى، وبالقرب منها معرض المحلة والنساجين الشرقيين.

سور نادى الزمالك ينتهى بفرع البنك التجارى الدولى وعدد من الأشجار ومئذنة عالية تطل من خلف السور، وبالقرب منها تطل واجهات البيت الأبيض ومحطة وقود ومحلات هارديز التى تجاور بالشارع بنك مصر الدولى، وكلاهما على ناصية شارع البطل أحمد عبد العزيز الذى كان من كبار قادة الجيش المصرى فى الأربعينيات، وعندما تأخر الحكام العرب فى اتخاذ قرار دخول الجيوش العربية الأراضى الفلسطينية لمواجهة العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨، استقال من الجيش المصرى وانطلق مع من تطوع من رجاله ليهاجم القوات الصهيونية غير أنه سقط شهيدًا برصاصة خطأ أطلقها عليه أحد جنوده لأنه نسى كلمة السر.

وناصية شارع البطل أحمد عبد العزيز تتصدرها بالشارع حديقة صغيرة يتوسطها تمثال صغير للفنان جمال السجينى الذى ولد عام ١٩١٧ وتوفى عام ١٩٧٧، من الضفة الأخرى من الشارع تطل لوحة إعلانية كبيرة تتبع مؤسسة أخبار اليوم وتقع على ناصية شارع محمد حسن حلمى، وبالقرب منها الرحاب للصرافة ومطعم أبى شقرة. ومن الناحية الأخرى تمتد حديقة تفضى إلى جامع مصطفى محمود، وهو فضلاً عن الجامع يضم مؤسسة علاجية ودار للمناسبات شيع منها عدد من الفنانين كانت آخرهم الفنانة سعاد حسنى. ناصية شارع

سوريا ترسخ الطابع القومى العربى للشارع. وفى مواجهتها عدد من العمارات الحديثة إحداها ذات واجهات زجاجية وتعرف باسم باب الفتوح وتضم العديد من المكاتب التجارية، ثم تظهر واجهة مستشفى د. إسماعيل حسن للجراحة لتؤكد بدورها الطابع الطبى للشارع، فهو يضم غيرها العديد من المستشفيات الخاصة التى تستعين بمشاهير الأطباء فى مصر.

محل الزهور الذى يقع فى هذه المنطقة يبدأ ازدياد كثافة الأشجار بالشارع سواء على حوافه أو وسطه، وبعده ناصية شارع فؤاد متوجه بمبنى «الفؤاد الإدارى» الذى يقوم على عامودين بطراز العمارة الفرعونية، وبالقرب منه، على الناحية الأخرى تقع واجهة عمارة مزارع الريف الأوروبى.

* * *

المراجع والمصادر

اعتمدت المادة التاريخية على الكتب والمراجع الآتية:

الخطط المقريزية للمقريزى والتوفيقية لعلى باشا مبارك وبدائع الزهور لابن إياس وتاريخ الجبرتى ووصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية وسيرة القاهرة لستانلي لينبول وأسماء ومسميات لمحمد كمال محمد وشوارع لها تاريخ لعباس الطرابيلي وحكايات من دفتر الوطن لصلاح عيسى وأنا والنساء لكامل الزهيري، وخفايا القاهرة لأحمد محفوظ، ومذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق باشا وحدث فى مصر لجمال بدوى وعصر إسماعيل لعبدالرحمن الرافعى ورحلة ابن جبير لأبى الحسن بن جبير وصفحات من تاريخ مصر ليحيى حقى والقاهرة لجمال الغيطانى وأيام لها تاريخ لأحمد بهاء الدين.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

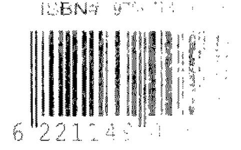
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org. eg

E - mail : info @egyptianbook.org. eg

جولة ثقافية تاريخية عبر شوارع القاهرة القديمة. فالشوارع ذاكرة تبنى فى وجدان من يتجول فى أروقة تاريخها ويتعرف على أسرار تلك الشوارع وحكاياتها المرتبطة فى كثير من الأحيان بحقب تاريخية. تركت آثارها فى ذاكرة الأيام، ورغم تحديث وتطوير الشوارع ولكنها بقيت شامخة متشبعة برائحة الماضى. وعبق الأصالة. وتواكب الحاضر. وترقب المستقبل. وكم من خطى مشت عليها وكم من أجيال مرت فى أزمتها وهى وحدها الشاهدة على ما ضمته بين جوانبها من أحداث وشخوص وحكام:

شوارعنا هى ذاكرة أمتنا بكل ما تحمله من دموع وابتسامات ومن انكسارات وانتصارات باقية ما بقى التاريخ وما بقى الأثر.



الهيئة المصرية العامة للكتاب
السعر ١٦ جنيها